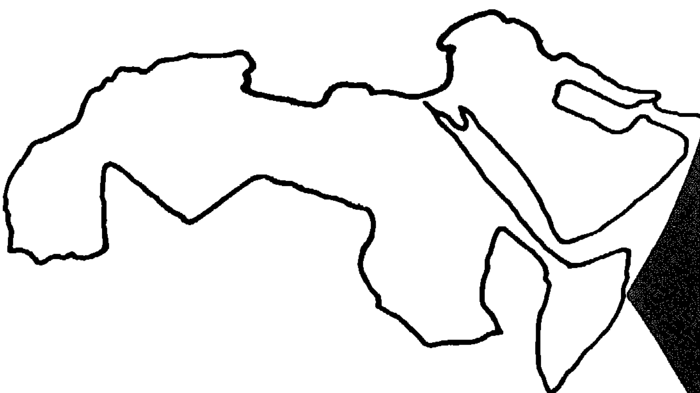
أحمد عبد الحميد الحسين

الدور الإنساني للحضارات العربية





ومواضع التزوير في التاريخ العربي

أحمد عبد الحميد الحسين

الدور الإنساني للحضارات العربية ومواضع التزوير في التاريخ العربي

١٠٠٠ نسخة الطبعة الأولى ١٩٩٦
دار عشتروت للنشر

الاهداء

الى أرواح الاجداد العرب الاوائل الذين بنوا أولى الحضارات الانسانية على الاطلاق وكان لهم الفضل في بناء الحضارات العالمية اللاحقة.

الى الصامدين المرابطين في خنادق المواجهة مع الاحتلال الصهيوني وقوى الاستعمار والطغيان. الى الشهداء الابرار وحاملي راية التحرير ومشعل الحرية والاستقلال والوحدة العربية من الاجيال الصاعدة.

والى كل المناضلين الشرفاء في سبيل عالم خال من الاضطهاد والاستغلال ويرفل بالرخاء والعدل والسلام.

مع أطيب تمنياتي بالتوفيق وتحقيق النصر المؤزر

أحمد عبد الحميد الحسين

ـ أبو رياض ـ

تقديم :

تجتاز أمتنا العربية الآن مرحلة دقيقة حاسمة من حياتهـا السياسية، انهـا تعيش لحظتها السيكولوجية التي لاتسبق موعدها، ولا تتأخر عنه، وهـي اللحظة الـتي يتقـرر فيها مصير الفرد وتتحدد شخصيته، وتتوضح أهليته للحياة وكذلك المجتمع، قل أن نجد في التاريخ الانساني أمة ابتليت بـالاعداء يستكثرون عليهـا حـق الوجـود وينازعونهـا خيرات أرضها وموقعها الاستراتيجي كالأمة العربية وقل أن نجد أمـة طـالت غفوتهـا عن حقها وامتدت سهوتها عما ابدعـت مـن حضـارة واثلـت مـن أمجـاد واستكانت لواقعها رغم تناقضاته القاتلة وأمنت لمن لم يزل يخدعها ويستغل طيبتها كأمتنـا العربيـة فبرغم ان صحوتنا الفكرية وسيرتنا الكفاحية واكبتا تباشير هذا القرن العشرين بعـد أن بان لكل ذي وعي وعين الفارق العظيم بين ماضينا وحاضرنا بين واقعنا وواقـع الأمـم المتحضرة، فهل انجزنا فيه وهويشارف بعد سنوات معـدودة لحظـات الـوداع شيئا ممـا حلمنا به وتحركنا له.؟، وهل حققنا فيه ما يبرر انتماءنا لماضينـا المـاجد التليـد ويؤكـد اهليتنا لمستقبلنا ؟ بل حققنا النقيض وا أسفاه فقد احتل المسـتعمرون الغربيـون وطننـا وتوزعوه الى كيانات وزرعوا بينها الحدود الشائكة وانكى مـا منينـا بـه أن اقتطـع مـن أرضنامسرى رسولنا ومهد مسيحنا ليقيم فيه شذاذ الصهيونيـة وطنـا قوميـا لهـم، كمـا لازال أنساننا العربي فريسة للاستغلال والتخلف ووقـودا للمطـامع المجرمـة ومعاركهـا القطرية وسلما للمهيمنين على مصائره وأقداره، بل لم تزل الحدود الجغرافية التي مـزق بها الاستعمار الاوربي وطننا الواحد قائمة، ومازلنا نحافظ عليها أكثر مما نحـافظ على كرامة أمتنا وأهدافهـا القوميـة العربيـة وأي مسـاس بهـا أو اخـتراق لهـا جريمـة وطنيـة وخيانة قومية، يجازى عليها بالموت في غياهب السجون أو ظلمات القبور ؟!.

إنا نعيش فعلا الزمن الذي تنبأ به الرسول العربي حينما لمح لنا إلى أن الأعـداء يتداعون علينا كما تتداعى الاكلة على القصاع، وأن ذلك لايعود لقلة ديمغرافيـة فينـا، وكلنا نكون غثاء كغثاء السيل، وها نحن نناهز أو نجـاوز مئـتي المليـون عربـا، والألـف مليون مسلمين، فهل أصبحنا كمـا أراده الله لنـا شـهداء علـى النـاس ؟!، وخـير أمـة أخرجت لهم وهل استجاب الله أدعيتنـا بنصـر المسـلمين الـتي نكرها في كـل لحظـة، لوكان ايماننا كايمان أسلافنا ؟، إن للقـوة الديمغرافيـة دورا خلاقـا مبدعـا في النهـوض بالوطن وحمايته وتحقيق تقدمه وعزته واسعاد مواطنيه ولكن كثرة الغثـاء تفقـد قدرتهـا على أداء دورها اذا فقدت من يقودها ويوجهها بدقة واخلاص. فالمسلمون لم يتجاوزو

أيام الرسول الكريم مئة ألف إلا قليلاً، ولكن الرسول الأعظم أحسن قيادتهم وعمق بهداه وسننه إيمانهم فجعلهم على قلة عددهم بناة ودعاة الحضارة والهدى والسلام، بعد أن كان معظمهم في تنبه الجزيرة العربية رعاة للشاة والأبل.

ومما يؤكد ضعف الغشاء عن حماية نفسه وحقوق حياته ماارواه لي أحد الأصدقاء، لما شارك لأول مرة وفدنا الرسمي الى دورة هيئة الأمم المتحدة لمناقشة قضية فلسطين العربية، فما أن افتتحت الجلسة حتى تبارى مندوبونا العرب في الحديث عن عروبة فلسطين وعن عدوان الصهيونية، وكل منهم يطالب هيئة الامم المتحدة بانصاف الشعب العربي الفلسطيني والعمل على اعادته الى وطنه والاعتراف بحقه في تقرير مصيره، ومعاقبة اسرائيل على ما تزال ترتكبه من جرائم القمع والعدوان وهنا مال عليه جاره من وفد دولي بجانبه متسائلا باستغراب، لماذا لاتوحدون كلمتكم كالامريكان والسوفيات اني اراكم دولا لا دولة ؟ فأجابه الصديق: " نحن اثنتا وعشرون دولة وكلنا نعتبر قضية فلسطين قضية المصير الواحد ... " فقاطعه الجار: "ولما لاتكونون دولة واحدة ووطنكم ومصيركم واحد ؟ " فاعتذر الصديق بأن مؤامرات الاستعمار والأنظمة الرجعية التي أقامها في كل قطر تعرقل مساعي الوحدة فما كان من الجار ... إلا أن أعلن استنكاره لمن يدعي الاستقلال ولايزال يخضع لارادة المستعمر وحدوده وركائزه .

والواقع أنه لاحياة ولاكرامة للعرب الا بالوحدة وهل نجد في وطننا نظاما حاكما أو تنظيما جماهيريا الا ويتخذ من مقولة الوحدة شعارا وهدفا له ؟ إن واقع التجزئة لايزال يمد العدو باسباب الحياة ــ ويعمق فينا تخلفنا وضعفنا، ويحول دون توحيد الوطن والشعب العربي وتقدمه وازدهاره ؟!.

لكن تعثر حركات التحرر... في وطننا وتناقضات الواقع العربي لم يفقدا الانسان العربي هويته و لم يقتلا فيه حيويته وطاقته المبدعة. بل أثارا فيه روح التمرد على المفاسد التي تنخر في حياته وتتعثر بها مسيرته وخلقا فيه النخوة التي ستفجر في دنياه العربية طاقاته الدفينة، التي يسترد بها حقوقه المغتصبة، ويحرر فيها وطنه السليب، فتتبوأ أمته مكانها اللائق بها في جبين الشمس .

اذا كانت الثورة بنت الالم وثمرة الظلم والبغي فان ماعانيناه لم يخمد العزيمة في سواعدنا ولا النخوة في ضمائرنا ولا الصحوة في أفكارنا، وهاهي صحوتنا الثورية تجسدها كتائب الفداء المناضلة وتنظيماتها الجماهيرية الثورية وانتفاضة أطفالنا الجبارة

في الوطن المحتل، كما تعبر عنها أقلام مفكرينا الاحرار المناضلين ... الذين بسلاحهم وبأقلامهم يقاتلون البغي ويفضحون الزيف وينظفون الدروب من العثرات والاشواك ويعبئون القوى المؤمنة التي ستقود وتغذي ثورة العرب الكبرى المرتقبة القادرة على صنع قدر الامة العربية وصياغة مستقبلها وتؤذن بانتصار الحق العربي على كل مؤامرات الباطل الصهيوني والبغي الاستعماري وخيانات المساومين والمتلاعبين بمصالح امتهم وكرامتها ومصيرها .

ومما يشرفني ويسعدني الثقة التي أولانيها . أحد مفكرينا المناضلين ـ الكاتب : أحمد عبد الحميد الحسين ـ فسمح لي أن أقدم له كتابه، رغم أني رجوته أن يكلف بذلك من كان في مستوى كتابه والاخ الكاتب من الرعيل الاول الذي وقف جهده وفكره وحياته على خدمة قضيته وتجنيب المسيرة النضالية مزالق الوهن والزيف. أني أرى كتابه هذا إضاءة جديدة لتاريخنا المعاصر لا اضافة تقليدية عادية يريد منها صاحبها مجدا أدبيا أو مكسبا ماديا فقد كتبت ألاف المجلدات عن قضية فلسطين وقضايا العرب وتاريخهم ودورهم الحضاري... ومؤامرات الاستعمار والرجعية واساليب التشويه والقمع الصهيونية وحق العرب التاريخي ببلدهم فلسطين ولكن أحدا من الكتاب لم يتعرض لجذور المشكلة وللاصابع الخفية الخبيثة القديمة والحديثة التي عبثت وتعبث بها، ولم يرصد ملابسات نشوئها وتطورها وأصولها التاريخية القائمة على التزوير للتاريخ واحداثه...كما فعل ـ أبو رياض ـ بكل ما أوتيه اسلوبه من موضوعية ودقة وما اتصفت به آراؤه من وضوح لا يشوبه غموض ولا تعقيد.

ان ايمان الكاتب بفكرته وصدق التزامه بها اكسبا كتابه هذا الالق وهذه الشفافية النادرة للتدليل على صحة وقائعه واستنتاجاته يستشهد بالوثائق والمراجع التي استند اليها فهل يكتفي الكاتب بعرض المأساة... ويقف عند ظواهر التشخيص للداء المستعصي ؟ أم أنه يحسن وصف الدواء الناجع كما يحسن التشخيص ؟ والأفضل أن نترك للقارئ فرصة الافادة من هذا البحث الموضوعي ذي المحتوى التاريخي والحضاري والسياسي... وما يحفل به من آراء صائبة ومنطلقات سليمة.

لم ينس كاتبنا أن في تراثنا ثغرات وتناقضات... تعيق مسيرتنا التحررية الوحدوية العربية والكثير من التزوير والتشويه للتاريخ الحضاري العربي فيدعو الى اعادة صياغة التاريخ العربي صياغة موضوعية سليمة ومحددة وشاملة فتاريخ العرب لم يبدأ بظهور الاسلام كما لم يبدأ وجود العرب باسماعيل بن ابراهيم الخليل فهو جد للفريق العدناني والعرب ليسوا عدنانيين وقحطانيين فحسب وإنما هم أكثر قدما وشمولا وأثرا حضاريا

باتفاق كل النسابة والمؤرخين بدليل اسبقية الحضارة العربية القديمة. والمؤرخ كعادته لايدلي برأي الا ويؤكده بالادلة التاريخية والاثارية الدامغة على اسبقية الحضارات العربية القديمة في سورية ومصر وبلاد الرافدين... على كل حضارة انسانية مفندا بذلك أعمال التزوير والتشويه لحضارات وتاريخ العرب والمزاعم الصهيونية الجوفاء وأضاليلها الكاذبة وادعاءاتها الزائفة بحق تاريخي لها في فلسطين العربية وهو يحمل وزارات التربية في الوطن العربي على كافة المستويات التعليمية مسؤولية عدم فضح ذلك التزوير واعادة صياغى التاريخ العربي من جديد والخلاصة ان من أراد اكتشاف المجهول والغامض والخفي فهذا الكتاب القيم الجامع دليله الى الحقيقة وكشافه الذي ينير له السراديب الداجية ويكشف الاقنعة عن الذئاب المستأنسة.

بارك الله بمؤلفه مفكرا ومناضلا عربيا وضع النقاط على الحروف وارجع المشكلات الى جذورها... والله المسؤول أن يحقق له ولامثاله من الاحرار الشرفاء والمناضلين العرب عموما آمالهم في انتصار الحق على الباطل والله ولي التوفيق

دمشق - محمد نفاع

الى الفكر النير والخلق الكريم

أبا رياض جزاك الله تكرمة ... عما ارتأيت وما ابدعت من فكر
خططت مالو مشى قومي مناهجه ... لحققوا وحدة تنجي من الخطر
فليتهم يسمعون النصح من فئة ... قامت مبادؤها في خدمة الوطر
نرجو لفكرك نصرا رغم ماحفلت ... سياسةالعرب من زيف ومن خور
مادام مثلك فينا لن يخامرنا ... يأس بمستقبل راق ومزدهر
فشعلة الحق أقوى من دسائسهم ... وسوف تجلو دياجي الغدر والكفر

المخلص

محمد نفاع

مقدمة:

إن الاوضاع المتردية المأساوية لشعوب العالم الثالث عامة والشعب العربي خاصة، لاتكمن في التخلف والبؤس المقيم... والافقار المتزايد نتيجة السيطرة الاستعمارية والقهر والنهب والاستغلال فقط، كما لاتكمن ايضا في ظواهر الرضوخ والاستكانة، والعجز عن مقاومة السيطرة.. وانهاء التبعية للغرب.. فحسب وانما تكمن ايضا وهذا هو الأهم والأخطر في تصديق ماتروجه الامبريالية والصهيونية من اكاذيب عن تفوق العرق الابيض في الغرب على ماعداه من الاعراق، وفي تلقف مايصدر عنه بحماس وشغف دونما ادنى حذر أو تمحيص.. أو مراجعة واعية تذكر، لمعرفة الغث من السمين ولفظ ماهو ضار منه.. بدليل سرعة العمل على اعتماده والتطوع لتعميمه ونشره بوسائلنا المتاحة على أنه حقائق ومسلمات .

وحبذا لو توقف الامر أيضا عند حدود مايصلنا وما نستقبل من مفاهيم وقيم ومعايير وأفكار وايديولوجيات.. رأسمالية امبريالية، تغري المتهورين والعبثيين وذوي المصالح الضيقة.. بمظاهر ها الحضارية المادية البراقة الخادعة والزائفة، بينما هي في جوهرها تنطوي على الافساد والتخريب والتدمير لانسانية الانسان وقيمه الروحية والاخلاقية الحقة. والجانب الاهم والاخطر ايضا على حاضر ومستقبل الامة العربية هو الاعتماد على المصادر الغربية للتاريخ العربي، الذي تمت صياغته على ايدي المزورين الاستعماريين على النحو الذي يخدم مخططاتهم واهدافهم.. ومع ذلك تم تكريسه في مؤسساتنا التعليمية والثقافية والتربوية وهو المرجع المعتمد في الجامعات والمدارس العربية حتى الان، ومما يبعث على الريبة والخوف والاسى ان الغالبية ممن تتلمذوا وتخرجوا من مدارس الغرب الثقافية والعلمية من المثقفين العرب ــ وما أكثرهم ـ الذين غرست في عقولهم صورة مشوهة وقزمية عن تاريخ العرب ودورهم الحضاري في العصرين القديم والمتوسط قد أصبحوا من حيث يدرون أو لايدرون اللسان الناطق بتلك الافتراءات والترهات التي نسجها المزورون وتلقنوها على أيديهم ليدافعوا عنها بعناد... اعتقادا منهم انها مسلمات لاتقبل التأويل والتشكيك .

وهؤلاء وخاصة من استهوتهم الفرنجة والمعجبين بالثقافة وبالحضارة الرأسمالية عموما مازال لهم دور مؤثر وخطير على كافة المستويات بحكم مزاولتهم: التدريس والتربية والتعليم والسياسة والصحافة والاعلام والتوجيه والتأليف والنشر والانتاج الادبي وسواه، ويشغلون مواقع رفيعة في الدولة والمجتمع معا، ولهم كلمة مسموعة ــ

لسوء الحظ - على الصعيدين الرسمي والشعبي، تجعلهم يؤثرون في صنع القرارات المصيرية وقادرين على تكريس ما ندعوا الى الحذر منه ومقاومته ومقاطعته ودرء أخطاره، لذلك فان التاريخ العربي بحاجة الى تصحيح شامل.. ان ماتقدم يدعونا الى التصدي لتلك الظواهر السلبية ووضع حد لها، وذلك بالعمل كخطوة أولى وأساسية **على صياغة التاريخ العربي من جديد**، صياغة موضوعية مركزة وشاملة استنادا الى ماتم تأكيده من الحقائق والمسلمات التاريخية وخاصة من خلال المكتشفات الاثرية على كثرتها في الوطن العربي والتي سنعرض تلخيصا لبعضها من خلال محاولتنا هذه، بهدف الكشف عن مواقع التحريف والتزوير الذي تعرض له تاريخنا والاثار المكتشفة ايضا على ايدي المستشرقين والمتخصصين والباحثين في علم الاثار واللغات القديمة والتاريخ والجيولوجيا والعلوم الاخرى ذات الصلة من الغربيين خصوصا وان الامبريالية والصهيونية لم تتوانيا حتى الان عن مواصلة الحرب الشعواء في الميدان التاريخي والثقافي والنفسي ضد امتنا العربية مستخدمة كل الوسائل العلمية والدعائية والاعلامية.. لتحقيق الانتصار الساحق فيها .

ولأهمية وخطورة هذه المواضيع مازالت تضعها في مقدمة أولوياتها الاستراتيجية، اذ ليس أدل على ذلك من اصرارها علىأن يكون تطبيع العلاقات مع الاقطار العربية شرطا اساسيا لمواصلة عملية مايسمى بالسلام في الشرق الاوسط اذ ليس أعز على هؤلاء الاعداء من تحقيق ماعجزوا عن تحقيقه حتى الان عن طريق القوة والتزوير والتضليل والحرب النفسية بسهولة ويسر، عن طريق التطبيع خاصة وأنهم يشترطون لكي يتحقق بشكل شامل أن يتعاون الحكام العرب ومايملكون من أدوات ووسائل مع العدو الصهيوني والامبريالي لتطويع وترويض الانسان العربي: عقليا ــ وثقافيا ــ وسياسيا ـ ونفسيا ـ ومعنويا .

وذلك لانتزاع روح المقاومة من داخله وتحطيم معنوياته وآماله في التحرر والانعتاق وكل مشاعر الارتباط بارضه ووطنه وبامته وتاريخه لجعله يشعر تلقائيا بقزمية وجوده.. وبضآلة دوره.. اذا ما فكر في مواجهة ما يتعرض له وما يحدق بامته العربية من أخطار وتحديات أو تحمل المسؤوليات والتبعات.. وذلك لزعزعة وتقويض كيانه الشخصي والقومي العربي معا ان هذا السلاح ــ المستخدم بفاعلية امبرياليا وصهيونيا ـ أبدا ـ لهو من أشد الاسلحة فتكا وتدميرا للانسان .

ولهذا مازالت الامبريالية والصهيونية ــ مندفعة لتحويل ذلك الشعور ان وجد

بالتخلف والعجز والانحطاط والدونية العرقية الى اعتقاد راسخ من خلال ايهامه بان تكوينه: البيولوجي والفيزيولوجي يتسم بالقصور عرقيا ووراثيا أي انه يفتقر الى قابلية التطور والارتقاء والنبوغ العقلي الى المستوى الذي بلغه العرق الابيض في الغرب، بحكم تكوينه المتفوق اصلا - حيث تبوء كل محاولات مجاراته أو الوقوف في وجهه بالفشل كما يزعمون .

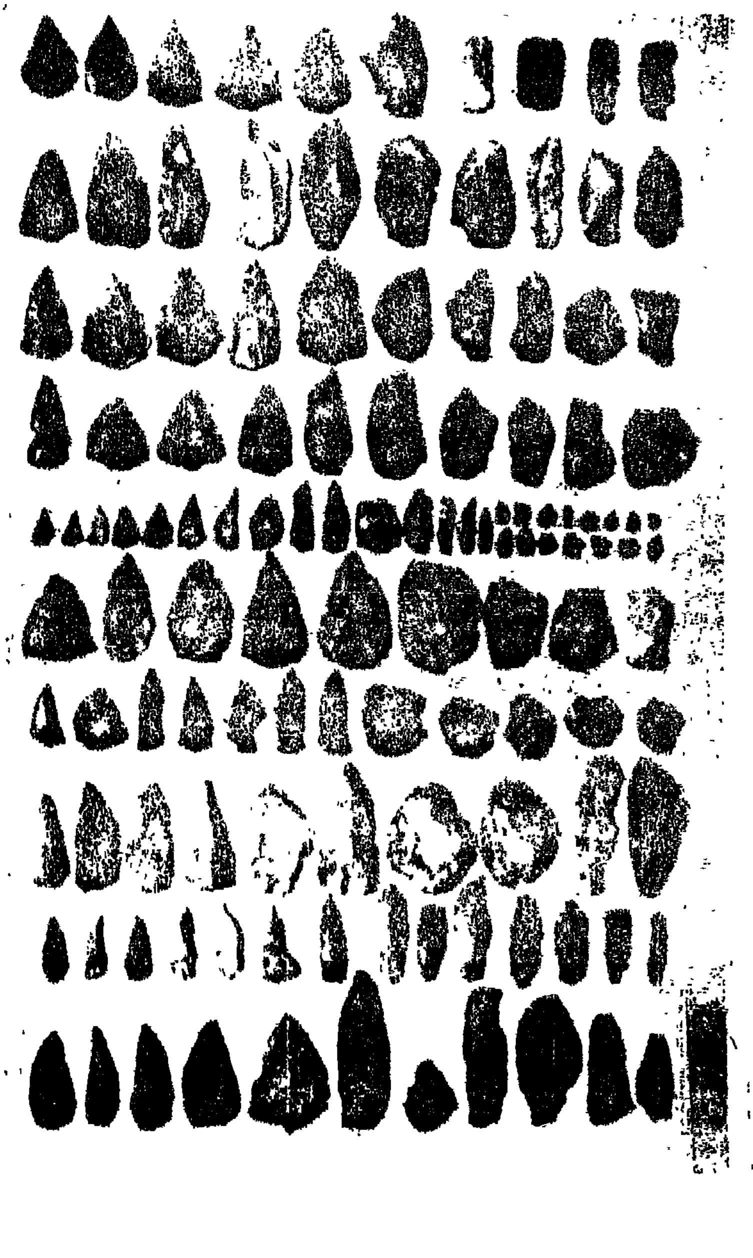
وحتى تكون مخططات ومحاولات الاستعماريين العنصريين شاملة ومضمومة النجاح في كافة الميادين ومنها الميدان التاريخي فقد بدأوا منذ عقدوا العزم على غزو الوطن العربي وبلدان العالم الثالث في صياغة التاريخ العربي والعرب في غفلة من أمرهم، وخاصة الجانب القديم منه مستغلين جهل العرب بتاريخهم القديم وتخلفهم وعجزهم عن الكشف على ما في بلادهم من آثار مطمورة تشهد على عظمة تاريخهم الحضاري ليستأثروا هم أنفسهم في الكشف عنها وهم العالمون بأن الوطن العربي هو منبع الحضارات القديمة وليمعنوا من ثم في تزوير ما لايتفق وغاياتهم واهدافهم ومزاعمهم.. ولهذا دفع الغرب وبوقت مبكر بالمستشرقين ومن ثم بالعلماء والمتخصصين والباحثين الى الوطن العربي عامة والمشرق العربي خاصة ومن بينهم العديد من اليهود التوراتيين والصهاينة الى مواقع الاثار العربية.

فعندما تمكن الغرب من احتلال اقطار الوطن العربي الواحد بعد الاخر منذ لقرن الماضي وحتى نهاية الحرب الاستعمارية الاولى حيث توفرت لهم فرصة ذهبية جعلتهم ينفردون في الكشف عن الاثار العربية بحرية تامة. فقد أدت الحفريات وأعمال التنقيب من قبل هؤلاء في العديد من المواقع في الوطن العربي خلال المئة سنة الماضية الى الكشف عن شواهد ومعالم أثرية بالغة الاهمية والقيم التاريخية سواء عن آثار انسان ماقبل العاقل - النياندرتال - أو عن آثار الانسان العاقل - كرومانيوم - كما أدت الى الكشف عن كنوز الحضارة العربية القديمة والمتوسطة.

ولسوف نتحدث عنها هنا بشكل موجز ومحدود، على الرغم من أن ذلك لايفيها ما تستحق من شرح وتفصيل واعجاب مع محاولة الكشف عن مواضع وأعمال التزوير وقلب الحقائق.. من قبل المستشرقين والعلماء والباحثين والمتخصصين والمؤسسات والهيئات والدول الغربية عموما.

والى جانب ذلك لايسعنا الا العرفان بالجميل والتقدير لهؤلاء الذين منعتهم ضمائرهم وشرف رسالتهم العلمية - الانسانية الخالصة، ممن اسهموا بتلك الاعمال.. من ابناء الغرب من الانجراف مع التيار المعادي للعرب حين أبوا الانصياع الا للحقيقة المجردة فكانوا منصفين حقا بما قالوه وكتبوه ونشروه عنها، آملين من الله التوفيق وتسديد خطانا لتحقيق الغاية.

جدول ١: أدوات من مكتشفات مغاور يبرود لانسان ماقبل التاريخ



اللوحة ١.٩ : الملجـا « ١ » : مقطع جانبي لمقارنة نمطية بين الطبقات الحضارية ١ - ١٠ .

الفصل الأول :

المكتشفات الأثرية -الحضارية- في الوطن العربي تتحدث عن عظمة وأمجاد صانعيها

أثبتت المكتشفات الاثرية في الوطن العربي عامة وفي مشرقه خاصة بان انسان ـ ماقبل التاريخ ـ قد تواجد ـ بادئ الامر ـ وعاش هنا في ربوعنا العربية الخضراء قبل مئات الالاف من السنين بشكل متواصل ودون انقطاع، وذلك بسبب توفر الشروط الملائمة للحياة فيها ـ كالدفء والخصب.. الدائم، حيث انطلق منها فيما بعد وانتشر في مناطق العالم الاخرى. كما اثبتت بان الحضارة بكافة أطوارها التاريخية، قد تأسست وتطورت وازدهرت وانطلقت من هنا ـ في كافة العصور. ماقبل وما بعد التاريخ الى ارجاء العالمين القديم والمتوسط معا.

وفي سبيل التأكد من ذلك تعالوا معنا تستعرض ولو بقليل من التفصيل ما تسنى لنا الاطلاع عليه من معلومات بالغة القيمة بهذا الخصوص وليكن حديثنا بادئ ذي بدء عن انسان ماقبل التاريخ مرورا بالانسان العاقل ومن ثم وصولا الى الحضارة العربية القديمة التي ظهرت قبل بضعة الاف من السنين.... الخ .

انسان ماقبل التاريخ في الوطن العربي :-

دعونا نحط رحالنا كخطوة أولى وأساسية في رحاب مكتشفات مغاور " يبرود " العربية السورية الواقعة على الجانب السوري من جبال لبنان الشرقية ـ الى الشمال من

دمشق لكونها تميزت بقدم آثار انسان ماقبل التاريخ كما دلت مكتشفاتها والتي يعود الفضل الاول في الكشف عنها في الثلاثينات من هذا القرن الى العلامة الالماني " الفريد روست " ومن ساعده من المتخصصين والباحثين في العلوم ذات الصلة.

تعتبر **" يبرود "** وما حولها من أهم مناطق سكن انسان ماقبل التاريخ لوجود المغاور والكهوف والشروط المناسبة في وديانها وجبالها لحياة الانسان. وذلك في الزمن الرابع ـ حسب روست ـ حيث كانت آمنة أكثر من غيرها وكان المناخ حارا رطبا وكثير الامطار على مدار السنة، مما ساعد على نمو وانتشار الغابات الكثيفة لتشمل البادية السورية.. حيث كانت تعيش أنواع كثيرة من الحيوانات: كالاسد ووحيد القرن والدب والغزال والوعل وقطعان الخيول البرية والماعز وسواها وكانت تلك المناطق أكثر حيوية ودفئا وأمنا وملائمة لسكن وعيش الانسان القديم ولذلك تميزت تلك المناطق بكثافتها السكانية المتواصلة عبر العصور حتى عصر الحضارة العربية القديمة حيث يذكر أن الملك الاشوري " بانيبعل ـ ٦٦٨ ـ ٦٢٦ ق.م " هاجمها في حملته التاسعة لأنها كانت في ذلك الزمن مملكة آرامية مزدهرة حسب الجغرافي " بطليموس القلوذي " في القرن الثاني م. وكانت احدى مقاطعات لاثوديسيا ـ التي كانت عاصمتها ـ ربلة ـ بالقرب من حمص [1].

وقد بني في " يبرود " معبد ضخم لعبادة الشمس ثم تحول في العهد الروماني لعبادة " جوبيتر " كبير آلهة الرومان، ودعي باسم جوبيتر ملك يبرود، ثم تحول بعد انتشار المسيحية الى كنيسة مازالت قائمة حتى اليوم [2].

لقد تم الكشف في " يبرود " عن أدوات حجرية كثيرة ومتعددة الانواع والاغراض والقدم وكلها صناعة يبرودية أصيلة، ومعظمها شبيهة ومتجانسة مع الصناعات: الاشولية ـ الموستيرية ـ واللغلوازية ـ ذات الانتشار الواسع .

---

[1] كتاب الفريد روست ـ مكتشفات مغاور يبرود ـ ترجمة : محمد قدور ـ اعداد: نور الدين عقيل ـ تدقيق : د. سلطاان محيسن ـ تعليق : البروفيسور راالف سوليكي ص ٥ .

[2] روست المرجع السابق ص ٦ .

أدوات من مكتشفات مغاور يبرود لانسان ماقبل التاريخ



اللوحة ١١ : الملجأ «١» : مقطع جانبي لمقارنة نمطية بين الطبقات الحضارية ١١ – ٢٥ .

والاكثر أهمية : هو اكتشاف أدوات فريدة.. احتدم النقاش والجدل العلمي بين المتخصصين حول أقدميتها واسبقيتها والظهور المبكر للحضارة الاورينياسية التي اشتهرت بتصنيع النصال. وخاصة في العصر الحجري القديم الاعلى منذ حوالي اربعين الف سنة [1]، يقابل ذلك اكتشاف الفؤوس اليدوية ـ الشبيهة بتلك التي اكتشفت في مواقع- بئر الهمل ـ وأم قبيبة ـ في البادية السورية، وقد اعتبر ذاك الانسان العاقل جدنا الاعلى.(٢)

كما اكتشفت نصال ومقاحف.. نسبت الى الحضارة ماقبل الاورينياسية وارخت على العصر الحجري الادنى اي قبل ظهور تلك الحضارة في مناطق اخرى من العالم باكثر من خمسين الف سنة ـ وساد فيه نوع من البشر هو ـ الهوموار كتس، اي الانسان القائم الذي يمشي على رجليه، الذي سجلت بقاياه الحفرية في بقاع شتى من آسيا ـ وافريقيا واوربا ... ويقدر العلماء **عمر هذا النوع الاولي** ـ مابين مليون وخمسة ملايين سنة أو أكثر هذا في حين أكد علماء آخرون بأنه كان يمشي على أربعة ـ رجليه ويديه.

أما النوع الثاني ـ من نفس الجنس البشري هو ـ هوموسابينس ـ ويقدر العلماء ان هذا النوع قد نشأ منذ ربع مليون سنة، وصفات أفراده مختلفة الى حد ما عن صفات البشر اليوم، فالثابت عند العلماء المختصين.. أن الانسان استقر على هيئته الحالية منذ العصر الجليدي الأخير، أي منذ قرابة ـ ٤٠ الف سنة، وأنه تطور عن النوع الوحيد السابق له المنتمي للجنس نفسه نوع ـ هوموار كتس ـ أي القائم ـ الذي جعله البعض يمشي على أربعة قوائم، والفرق بين النوع الاول والثاني للجنس نفسه ينحصر في الصفات البدنية التي تم التأكد منها من بقايا لانسان القديم الحفرية، الذي تميز بشدة بروز الفك السفلي ـ وبعض الاسنان الملعقية الشكل ـ واتساع جذور الانف .. عنده، و لم يجزم العلماء بامكانية التناسل من التزاوج بين النوعين: الاول الذي كان يسعى على أربعة.... والثاني القائم الذي يشبهه .

وعند محاولة ايجاد الحلقة المفقودة ـ للتحول ـ من الحالة الاولى الى الثانية بين هذين النوعين لنفس الجنس البشري ـ تضاربت اجتهاداتهم وآراؤهم وعجزوا عن تقديم

---

[1] روست المرجع السابق ص ٦ .

[2] روست المرجع السابق ص ١١ .

اجابات علميــة صحيحة ومقنعة مما جعل الشك يتسرب الى بعض استنتاجاتهم واحكامهم، مثل: النوع الذي يمشي على أربعة، وكيفية تحوله الى النوع الثاني القـائم، ومثل: الشك بامكانية التناسل من التزاوج بين النوعين... الخ ؟، وذلك بدليل ما أكده العلماء عن امكانية التناسل بين الانسان والشمبانزي ـ فيما لو تم التزاوج بينهما وذلك من خلال دراسة اجروها لمعرفة الفرق بين الانسان القديم والقردة ــ اعتمادا على الفرق في الهندسة الوراثية ـ الجينات ـ بينهما.

فقد اكتشف أن الانسان يتفق مع الشمبانزي في تركيب ٩٨,٤ ٪ من العوامل الوراثية الجينات ـ ومع الغوريلا ٩٧،٧ ٪ من هذه العوامل ويرى ـ جارد دياموند ــ استاذ الفيزيولوجيا بجامعة كاليفورنيا ـ بان درجة التشابه بين الشمبانزي والانسان تفوق ماهي عليه ـ بين الشمبانزي والغوريلا.

ويجزم عالم الاجناس الامريكي ـ أون لافجوي ـ أن التشابه الوراثي بين الانسان والشمبانزي قد يسمح بالتناسل ــ من خلال التزاوج بينهما ــ وهي تجربة لم يقم باجرائها احد حتى اليوم[1]؛ مما يوجب الشك باقوال هؤلاء العلماء عن عدم امكانية التناسل بين النوعين من نفس الجنس البشري القديم الهوموار كتبس ــ والثاني الهوموسابينس ـ مقارنة بامكانية التناسل بين الشمبانزي والانسان ـ حسب ماذكر آنفا ـ مع أنه لافرق في الهندسة الوراثية ـ الجينات بين النوعين الاول والثاني ـ لنفس الجنس البشري، الا في وظائف بعضها، الناجمة عن اختلاف الحياة البيئية ودرجة التطور... الخ، لكل منهما مع تأكيد اختلافهما كيفيا عن القردة. لذلك فان نظرية تحول القرد الى انسان ـ التي وضع اساسها داروين ـ مبتورة وساقطة علميا، لعدم ثبوتها: بيولوجيا وفيزيولوجيا... ودراسيا لآثار الانسان الاول والتي افترضت خطأ أنه كان يمشي على أربعة قوائم كباقي الحيوانات علما أن الحيوانات تستطيع ثني سيقانها الى الامام ـ بحكم تكونها في الاساس على هذا النحو المناسب لمفصل الركبة عندها للقيام بمثل هذه الحركة الطبيعية، بينما الانسان لم يستطع مجاراتها في المشي على أربعة في يوم من الايام بحكم تكون مفصل ركبته في الاساس بصورة معاكسة لها تماما فساقاه لا تنثني بسبب ذلك الا الى الوراء مما يجعل من فرضية مشيه على أربعة في عهده الاول أمرا مستحيلا.

---

(١) د. سمير رضوان وثيقة حقوق القردة ـ مجلة العربي الكويتية العدد ٤٤ ـ ايلول ١٩٩٥ ـ ص ٨١-٨٥ .

ومع ذلك فقد تميز الانسان القديم عن أفراد الاجناس الاخرى ـ المشابهة له ـ كتلك القردة آنفة الذكر... بقدراته الفائقة على التدبير والابتكار وصنع الادوات... نتيجة تميزه وقابليته العالية للتطور... واستخدامه المتقن لتلك الادوات وتحسينها... وتمثل الادوات والالات القديمة، التي عثر عليها من خلال التنقيب في كهوف ماقبل التاريخ دليلا قاطعا على أن قاطني تلك الكهوف، كانوا بشرا ينتمون الى جنس ـ الهومو ـ وليسوا قردة، وأن الانسان الذي استقر على هيئته الحالية مؤخرا، هو حفيد هؤلاء من النوعين الاول والثاني معاً، وذلك عن طريق التناسل بينهما، مما يزيل لغز تلك الحلقة المفقودة المقحمة والناتجة عن الاستنتاج الخاطئ عن عدم امكانية التناسل بين النوعين وعن أن النوع الاول -الهوموار كتس- كان يمشي على أربعة قوائم.

فقد اكتشفت آثار هذا النوع القديم من البشر : الاول ـ والثاني ـ والذي عاش في العصور الحجرية القديمة ـ اي ماقبل الحضارة الاورينياسية بعشرات الآلاف من السنين في مغاور "يبرود" مما وضع العلماء أمام تفسيرات جديدة ومراجعة لاحكام سابقة . واعتبرت هذه الظاهرة في حينها وحيدة القدم ـ في منطقتنا ـ الا أن المكتشفات الاخرى ـ المتزامنة معها تقريبا ـ في سورية وفلسطين ولبنان وغيرها ـ قد أكدتها من حيث أقدميتها التاريخية ـ على تلك المكتشفة في مناطق أخرى من العالم. ومع ذلك فقد رفض البعض من أمثال ـ الباحث الفرنسي ـ فرانسوا بورد ـ الاقرار بالتاريخ لظاهرة ماقبل الاورينياسية ـ في يبرود ـ مدعيا أنها أحدث من الحضارة الاورينياسية التي ظهرت في أوربا الغربية والتي تعود الى حوالي ثلاثين الف سنة.

هذا في حين أكد البعض الآخر من العلماء والباحثين... على أن الانسان عاش في منطقة "يبرود" مابين ـ ١٥٠ ـ ١٠٠ ألف سنة خلت وانتشر منها الى الاردن وفلسطين جنوبا وحتى مابعد البادية السورية شرقا وشمالا [(١)]. هذا في حين أثبت ـ روست ـ استنادا الى الاثار المكتشفة في "يبرود" ـ بانها كانت مراكز سكن بشري كثيف ومتواصل لاكثر من مئتي ألف سنة منذ العصر الحجري الوسيط ـ الميزوليت ـ انتهاءا بالعصر الحجري الحديث ـ النيوليت ـ [(٢)].

فقد جاءت نتائج التنقيبات المكملة، من قبل فريق جامعة كولومبيا الامريكية المتخصص وعلى رأسه البروفيسور " رالف سوليكي " في نفس المواقع اليبرودية بين

(١) روست ـ المرجع السابق ص ١٠.

(٢) روست ـ المرجع السابق ص ٩ ـ ١٠ ـ مقدمة د. محيسن.

عام ١٩٦٣-١٩٦٥ وعام ١٩٨٧ لتكشف عن المزيد من الحقائق التاريخية من خلال الادوات والاثار التي استطاع الكشف عنها ومنها الادوات العظيمة واحجار المغرة الحمراء والسربنتين وعظام الحيوانات كالحصان والكركدن -وأثار قوارض وقشور بيض ومواقد وغيرها، والأهم من ذلك كله هو **اكتشاف بقايا مستحاثية أهمها طبعة قدم** وهي الاولى من نوعها **لانسان ما قبل التاريخ - النياندرتال-**

على كل حال هنالك اجماع شبه تام بين الباحثين على قسم من مواقع الحفريات حسب الادوات وتنوع الطبقات الارضية المكتشفة وهي :-

١ - من الارض البكر وحتى ارتفاع (٥م) تعود إلى العصر المطير الفاصل الأخير تي الباليوليت الادنى ويؤرخ بحوالي "١٥٠-١٠٠" الف سنة مضت.

٢ - يؤرخ القسم الواقع بين (٥-٢م) على المرحلة الانتقالية بين الباليوليت لادنى والاوسط "١٠٠-٩٠" الف سنة.

٣ - تؤرخ الطبقات التي تقوم فوق مستوى (٢م) على العصر المطير الاخير أي باليولبت الاوسط "٧٥" الف سنة.

٤ - تشير المعطيات بان القسم الادنى - أي الاعمق للحفريات- وحتى ارتفاع ٥م) قد تشكل في مناخ دافئ بينما ساد في زمن ترسباته العليا مناخ بارد.

ان المعطيات الواردة في البند الرابع ملفتة للنظر- مما يجعلني شخصياً استنتج من لك بان القسم الاعمق -مافوق الارض البكر- قد تشكل قبل العصر الجليدي لاخير، أي في عصر دافئ سابق له أما القسم الاعلى منه فقد تشكل مع بداية العصر لجليدي الاخير مما يؤكد بان انسان ما قبل التاريخ قد عاش في تلك المنطقة بشكل تواصل ودون انقطاع خلال كل العصور التي تعاقبت على وجوده وامتدت الى ئات الالاف من السنين بدليل تعاقب العصور الدافئة والباردة على وجوده، كما لت اثاره المكتشفة في تلك المواقع، وخاصة اكتشاف بقايا مستحاثية ومنها طبعة م انسان ما قبل -النياندرتال-.

هذا في حين كان العديد من الادوات المكتشفة الاخرى على تفاوت قدمها متشابهة ومتجانسة مع تلك التي تم اكتشافها في العديد من المواقع الاثرية في بلاد لشام والمشرق العربي بصورة خاصة ومنها : يبرود وجيرود وبئر الهمل وأم قبيبة جرف العجلة وكهف.الدوارة وغاري ثنية البيضا وتل حلف العبيد... في البادية غيرها من المناطق في سورية وفي قصر عقيل وعدلون وانطلياس في لبنان، مغاور الكرمل وعتليت والزويتية وأم قطفة والطابون والكبارى والزطيه والصحراء لفلسطينية ووادي النطوف ..في فلسطين .الخ. مما يؤكد على سيادة حضارات

متجانسة وذات علائق تطورية تواصلية واحدة وخاصة في العصر الوسيط - الميزوليت- أي في زمن ظهور الانسان العاقل -كرومانيوم- قبل ثلاثين الف سنة.(١)

وقد قام " د. جلال بكداش "(٢) بدراسة نمطية حسابية لتوضع الطبقات الحضارية في ثلاثة مواقع أثرية في " يبرود وقارنها مع رابع في قصر عقيل وهو موقع أثري قرب عدلون في لبنان وتوصل الى تحديد التواريخ التالية لكل منها :-

١- اعتبر السويات أي طبقات الاعماق - من " ١٣ - ١٥ م " من الملجأ الاول اليبرودي وهي السويات التي ميزها " روست " ماقبل الاورينياسية بانها تمثل النموذج الاقدم للباليوليت الاعلى.

٢- وأرخ السويات من " ٨ - ١٠ م " في الملجأ الثالث على عشرين الف سنة ق.م.

٣- وأرخ السويات مهن "١-٥م" من الملجأ الثاني على حوالي خمس وثلاثين الف سنة ق.م وقارنها مع السويات "١٣-١٦م" في قصر عقيل، كما قارن السويات "٦-٧م" من الملجأ الثاني "اليبرودي" مع السويات "٢٠-١٤م" في قصر عقيل ايضا وأرخها على سبعة وعشرين الف سنة ق.م.

وحسب " روست " فان صناعات الملجأ الثالث اليبرودي تشبه الصناعات المشرقية الساحلية السمات الكبارى الهندسي - أ - والكباري الهندسي - ب - (٣).

ويقول سوليكي : " ان تاريخ انتهاء الاورينياسي وبداية النطوفي (٤) والكباري - ب - يقع بين " ١٣ - ٨ " الاف سنة ق.م .

هذا في حين أرخ العديد من العلماء لبداية النطوفي بحوالي ثلاثين الف سنة ق.م. **يقدر العلماء** بانه قد تعاقب على الارض منذ مليون سنة اربعة عصور جليدية كان آخرها العصر الجليدي الذي بدأ منذ حوالي خمسين الف سنة ومن ثم بدأ الجليد بالذوبان والانهيار تدريجيا منذ الالف الرابع عشر ق.م وانتهى مابين الالف السادس والخامس ق.م. فكلما كان ينتهي عصر جليدي ليحل مكانه عصر دافئ كانت تتغير

---

(١) هذه التسمية - كرومانيوم - هي اسم لمغارة فرنسية اكتشفت فيها آثار ورسومات الانسان العاقل الأوربي واصطلح على تسميته باسمها

(٢) د. جلال بكداش - سوري - قدم أطروحة دكتوراه الى جامعة كولون بألمانيا حول آثار مغاور يبرود - راجع حول ذلك - كتاب : روست المرجع السابق ص ٢٤.

(٣) الكبارى - هو اسم لموقع أثري في فلسطين .

(٤) النطوفي - هو واد في فلسطين يزخر بآثار انسان ماقبل التاريخ .

معالم وتقع اضرار كثيرة على الارض ومنها معالم وشروط الحياة : النباتية والحيوانية والبشرية نتيجة الانقلابات الحاسمة في المناخ في العديد من اقاليم العالم ولهذه الاسباب كانت تتعرض العديد من الكائنات الحية العاجزة عن التكيف والتأقلم مع تلك المتغيرات المناخية ذات التأثير الكبير على الحياة الى الانقراض كما كانت تحدث نشاطات جيولوجية: كالبراكين والزلازل مما كان يدفع بالحيوانات والجماعات البشرية الى البحث والانتقال الى مناطق جديدة أكثر ملائمة واعتدالا وخصبا وكانت تلك المحاولات محفوفة بشتى المخاطر وغير مضمونة النجاح فعلى الرغم من تلك الانقلابات المناخية شديدة التأثير على الارض كانت تتواصل الحياة في المناطق المعتدلة المناخ من العالم وذات الدفء والخصب الدائمين حتى ولو لم تسلم من تأثيراتها الضارة والمدمرة أحيانا كثيرة هنا وهناك وبهذا القدر أو ذاك ولسوف تتواصل دون أدنى شك مع حلول عصر جليدي جديد في المستقبل.

التأثيرات : الشمسية والكونية والفيزيائية ... على الارض - والانقلابات المناخية:

لاشك في أن تلك الانقلابات المناخية وتعاقب العصور الباردة والدافئة على التوالي على الارض هي نتيجة حتمية لتأثيرات كونية حادة وشبيهة على سبيل المثال : بتلك التأثيرات التي بؤدي الى تغير الفصول على الارض سنويا وذلك تبعا لتغير موقع الارض في الفضاء الكوني اثناء دورانها حول الشمس من جهة ولاقترابها وابتعادها عنها اثناء ذلك من جهة ثانية.

فالمجموعة الشمسية تدور هي الاخرى بكواكبها ومنها الارض في فلك ولنقل دائري ولكنه هائل الاتساع ضمن مجرة "درب التبانة" التي يبلغ عرضها حوالي مئة الف سنة ضوئية، وحول محور مركزي أكبر منها كتلة بقدر كبير جدا مما يجعلها منجذبة اليه ومجبرة على الدوران حوله على الدوام ودون فرار أو افلات ابدا وعلى بعد يتناسب وقوة جاذبية كل منهما.

وهذا يعني حسب افتراضي أن المجموعة الشمسية تمر حتما اثناء دورانها هذا.. ولنقل

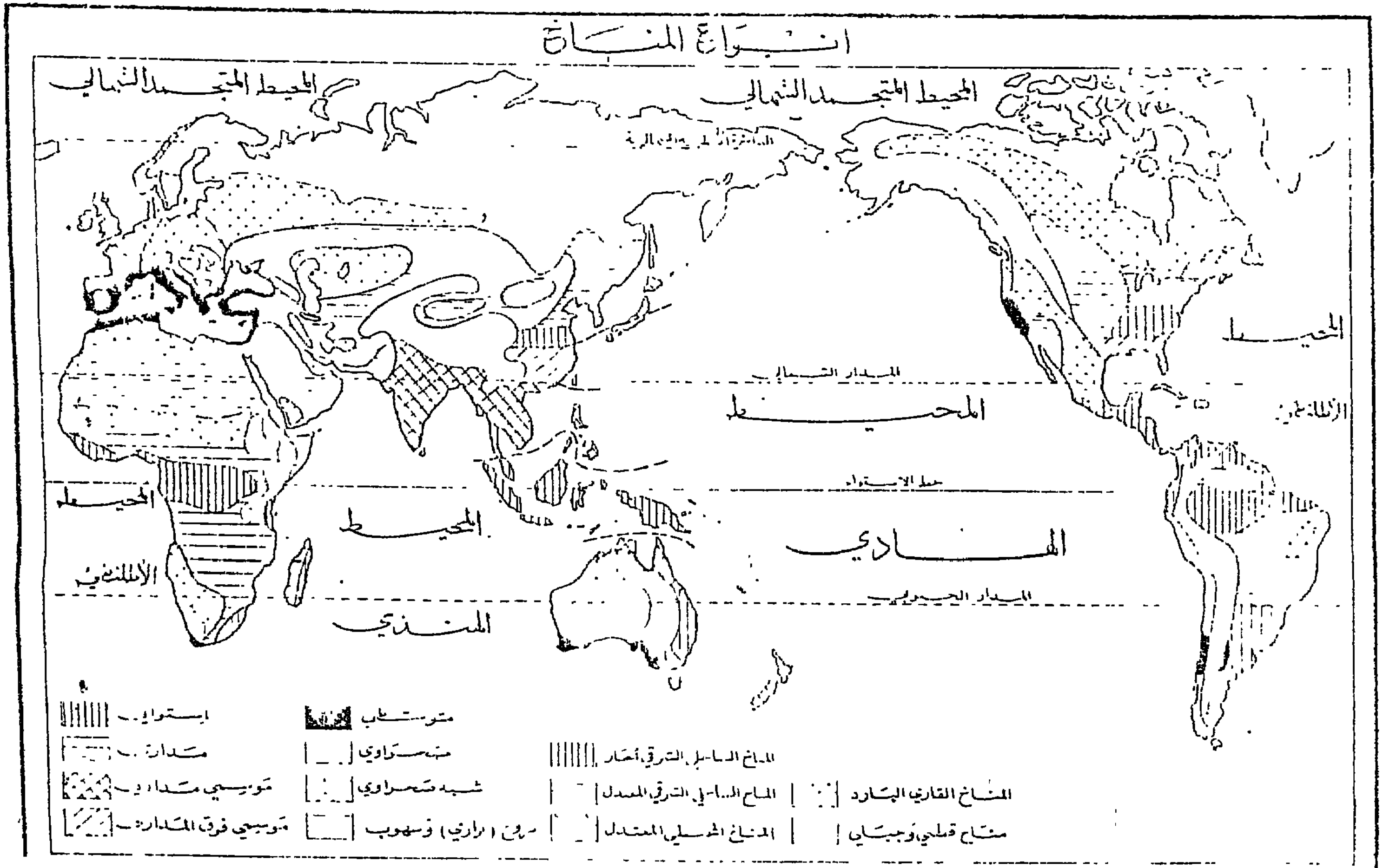
كل خمسين الف سنة أو أكثر من كل دورة في احدى منطقتين مختلفتين من الفضاء الكوني مرة واحدة. ففي حيث تكون الواحدة شديدة البرودة ويقل معدل انخفاض الحرارة فيها عن مئات الدرجات المئوية تحت الصفر مما يقلل والى حد كبير من تأثير الطاقة الحرارية التي تحملها أشعة الشمس الى الارض فينجم عن ذلك تكون وتراكم طبقات الجليد على معظم بقاع الارض وتستمر طوال تلك المدة المقدرة بخمسين الف سنة وهي المدة التي تستغرقها المجموعة الشمسية وهي تسير في مدارها الظاهري.. بسرعة ١٠٨٦٦ كم في الثانية (١) ، لكي تتجاوز تلك المنطقة الباردة من الفضاء الكوني لتنتقل مرورا بالاخرى ذات الحرارة المرتفعة بدرجات ما مناسبة فوق الصفر مما يسمح باستمرار الحياة وتطورها على الارض. خصوصا وان أشعة الشمس تستعيد خلال ذلك تأثيرها من جديد في رفع درجة الحرارة على الارض الى الحد المناسب والمألوف في عصور الدفء وطوال مدة زمنية تبلغ على سبيل الافتراض أيضا خمسين الف سنة اخرى وهذا يعني أن الدورة الكاملة للمجموعة الشمسية حول مركزها في مجرة " درب التبانة " تستغرق مئة ألف سنة أرضية ونتيجة لذلك يبدأ الجليد المتراكم على الارض بالذوبان التدريجي ليبلغ حدا النهاية خلال بضعة الاف من السنين و يستقر بحدود القطبين الشمالي والجنوبي للارض نظرا لوقوعهما على البعد الاقصى لخط الاستواء مما يؤدي الى تغير واختلاف درجات الحرارة وقيم الضغط الجوي وحركة الرياح ومعدل هطول الامطار عن السابق في مختلف مناطق العالم وحسب مناخ كل منطقة وموقعها الجغرافي .. فالارض تقع اثناء ذلك تحت تأثير مجموعات كونية مختلفة وذلك نتيجة لتغير موقعها في الفضاء دوريا.

ويرافق ذلك انتشار وتوزع الاشعة الشمسية على مختلف مناطق الارض كما أن ميلان محورها اثناء ذلك وتغيره دوريا كل أربعين ألف سنة مرة، قد يكون له تأثير في تغير المناخ الارضي ايضا، كما يمكن أن يكون لتحول الهيدروجين في الشمس الى هليوم وتكرار هذا التحول بانتظام تأثير في المناخ وفي تعاقب العصور الباردة والدافئة معا.

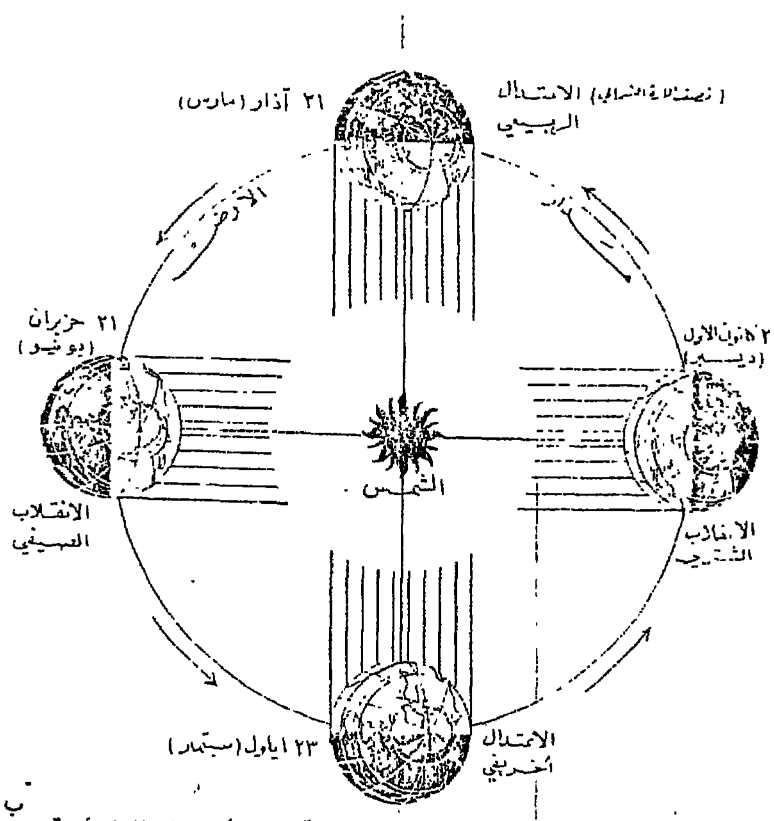
---

(١) عبد االكريم محمد نصر ـ الفلك العملي ـ دمشق ١٩٨٧ ص ٨٧.

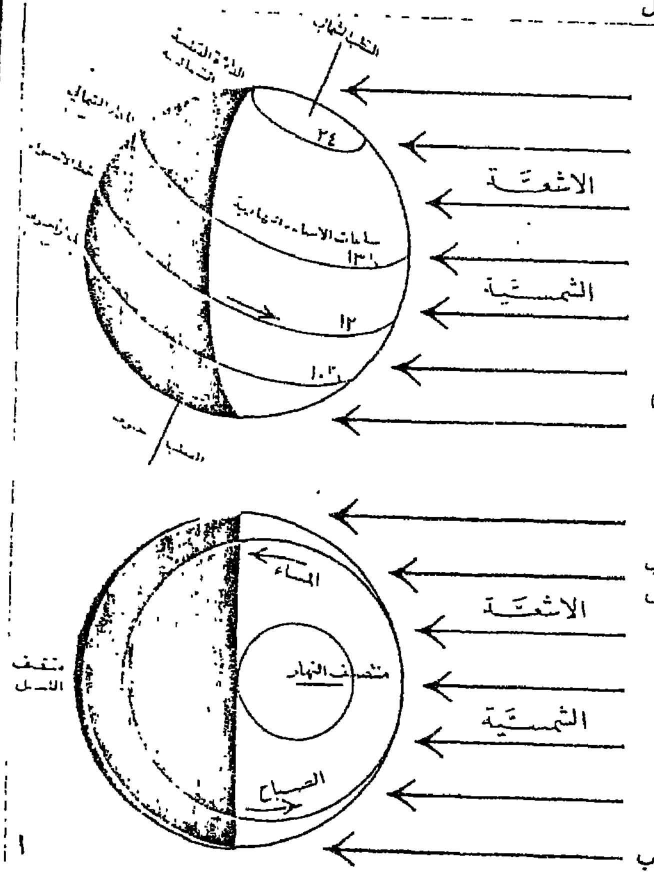
المناخ – في العصر الراهن :-



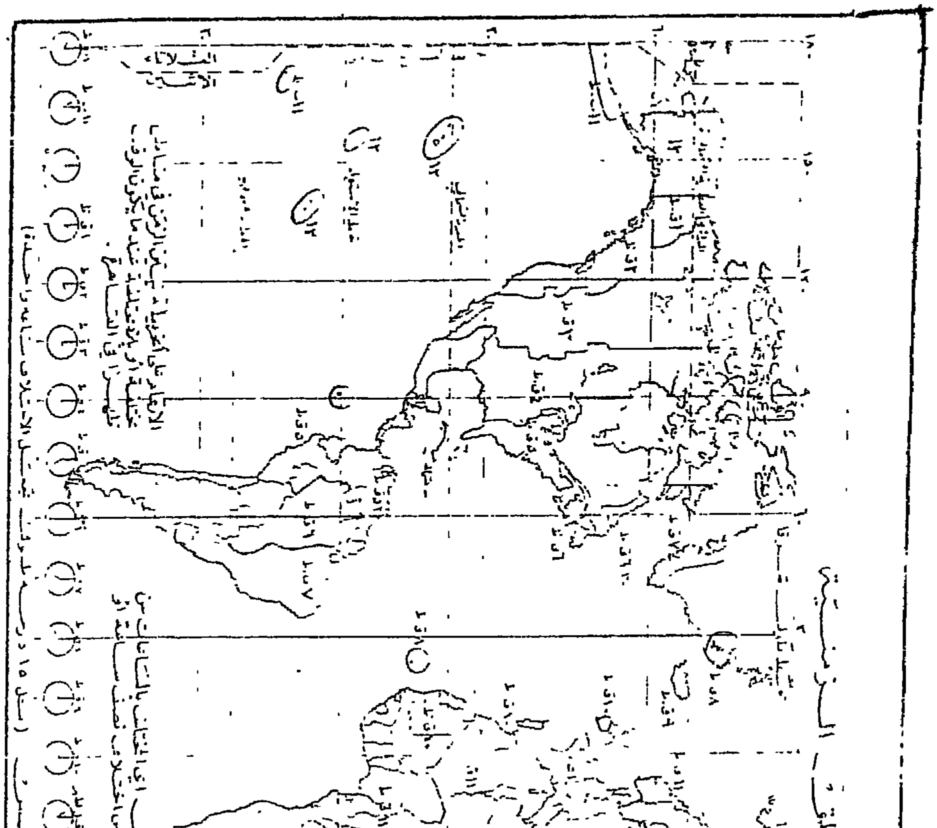
الشمس – والفصول والنهار والليل



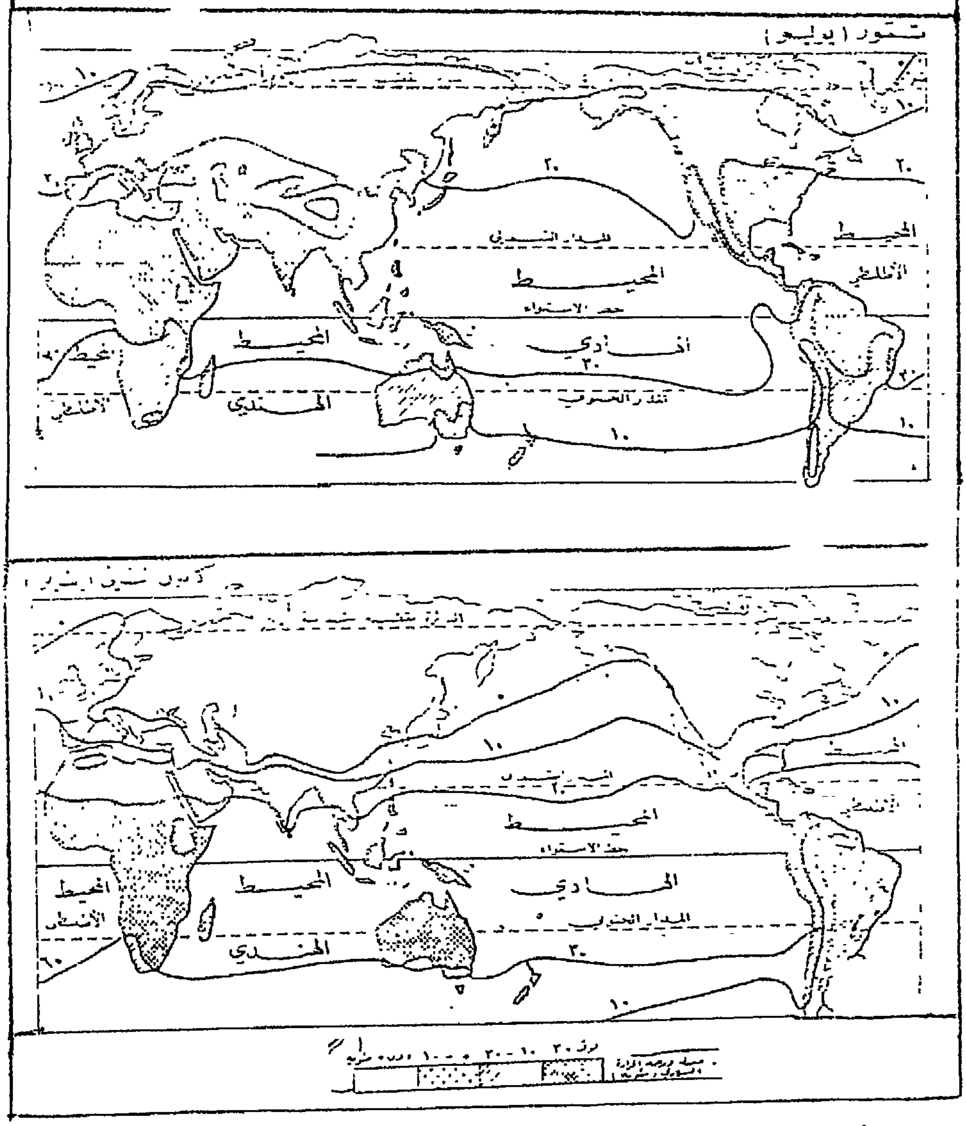
طول كل من النهار والليل يتغير مع أيام السنة



طول النهار (اللون الابيض) والليل (الازرق) يختلف حسب درجة العرض. (ملاحظة: الجدول يتعلق بيوم ٢١ حزيران يونيو)



درجات الحرارة



كما تنبأ المؤرخ " توينبي ":ـ" اننا سنشهد في نهاية القرن العشرين انقلابا هاما في المناخ وستصبح خلاله منطقة الربع الخهالي الصحراوية منطقة ماطرة لاول مرة منذ الاف السنين، وسيتحول مناخ الشرق الاوسط الى مناخ بارد شبيه بمناخ أوربا الشمالية وهذا الانقلاب يتكرر كل " ١٢ " الف سنة مرة وسيحين موعده في نهاية

هذا القرن. (١) يبلغ قطر الشمس " ٨٦٤،٠٠٠ ميل أو " ١٣٩٢٠٨٠ " كم أي بمقدار مئة وعشرة أمثال قطر الارض البالغ ١٢٧٤٣ كم .

ويبلغ وزن الشمس حوالي " ٣٠٠٠ بليون بليون طن وهي أكبر من وزن الارض بحوالي عشرة ملايين مرة وتبلغ حرارة الشمس في القلب من " ١٤ ــ ١٥ " مليون درجة مئوية أما على السطح فتبلغ من " ١٥ ـ ٢٠ " الف درجة مئوية.

تحرق الشمس في كل ثانية " ٥٨٧ " مليون طن من الهيدروجين فيتحول منه حوالي " ٥٨٣" مليون طن الى هيليوم , أما الملايين الاربعة الباقية فتقذف الى الفضاء على شكل طاقة فيصل منها الى الارض حوالي جزء من مليون فقط.

يقدر ما تنتجه الشمس من طاقة وتقذفه في كافة الاتجاهات في الفضاء بحوالي "٣٨٠" مليون واط في الثانية ويصل لهيبها احيانا الى مسافة " ٧٠٠ " الف كم في الفضاء .

تبعد الارض عن الشمس حوالي ـ ١٥٠ ـ مليون كم ويستغرق وصول نورها الى الارض حوالي ثمانية دقائق، ومع ذلك تتعرض الارض لانواع مختلفة وكثيرة من الاشعة الشمسية والكونية وتحظى بمقادير كبيرة من الطاقة الحرارية والضوئية ــ اللازمة لاستمرار الحياة وتطورها.

فما هو الاشعاع وماهي الطاقة ومما يتكونان ؟ :ـ

الاشعاع أنواع كثيرة متعددة الخواص والسرعة والكتلة والتأثير في الاشياء ومنها: أشعة الفا وبيتا وغاما واكس رايز السينية والليزر والبنفسجية وما فوقها والحمراء ومادونها والاشعاعات الشمسية والكونية... الخ .

تتكون جميع هذه الانواع من الاشعاع من جسيمات مادية دقيقة ومشحونة كهربائيا وتتأثر مغناطيسيا.. وتتولد نتيجة النشاط الاشعاعي للعناصر المشعة في الطبيعة وفي الشموس والنجوم عموما وعن تفجير القنابل الذرية والنووية.. ولذلك فهي منتشرة في الارض والفضاء الكوني وتبعا لنوعها ومقاديرها تتفاوت الاضرار والمنافع للحياة على الارض وفي رفع أو خفض درجات الحرارة وفي تقلبات المناخ الارضي...الخ.

---

(١) د. طالب عمران ـ نافذة على كوكب الحياة ـ دمشق ١٩٨٠ ص ١٩ ـ ٢١

وللمزيد من التفاصيل عنها لابد لنا من اعطاء فكرة موجزة عن المادة المتولدة عنها وذلك من خلال ماقدمه علم الفيزياء الذرية والنووية... من معلومات وفيرة لتسهيل شرح وفهم ماسوف نعرضه كما يلي :ـ

ماهي المادة ؟ :

ان كل ماهو موجود في الكون من أصغر الاحياء المجهرية وادق الاشياء في الطبيعة اللاحيَّة، بما في ذلك النبات والحيوان والانسان وحتى الكواكب والنجوم والمجرات كافة ـ نطلق عليه ـ مفهوم المادة ـ كاسم كاصطلاح ـ لتعريفها ـ ولذلك فانه من أعم المفاهيم وأكثرها شمولا كذلك فان المادة لاتوجد الا في حالة حركة وتغير دائمين أما السكون والثبات فمظهرين نسبيين ونظرا لتحول المادة من شكل الى آخر من مادة الى طاقة وبالعكس ـ وفقا لقوانين طبيعية فانه لايؤول شيء منها الى العدم بل الى شكل من أشكال وجود المادة على كثرتها: الاشعاعية والطاقية والغازية والسائلة والجامدة

فلكي نعرف مقدار الطاقة المتولدة ـ المتحولة ـ عن كمية محددة من المادة ـ حسب قانون العلاقة المتبادلة بين الكتلة والطاقة ـ الطاقة تساوي الكتلة X مربع سرعة الضوء، أي نضرب حسب معادلة آينشتاين ـ الرياضية ـ كمية المادة المحترقة بسرعة الضوء ثم بسرعة الضوء فنحصل على مقدار الطاقة المتولدة وسرعة الضوء في الخلاء ثابتة وهي "٣٠٠" الف كم في الثانية (١) .

مِمَّ تتكون المادة ؟ :ـ

تتكون المادة من لبنات اساسية ـ جواهر ـ غاية في الصغر ويعرفنا علم الفيزياء الذرية والجسمية عليها حسب الملخص التالي :ـ

العناصر الذرية: وهي الهياكل ـ أو الانواع ـ التي تتشكل منها جميع الاشياء المادية الموجودة في الطبيعة بكافة أشكالها وتجلياتها ـ بما فيها الحياة العضوية بمختلف درجاتها ومراتبها وأجناسها واللاعضوية: كالهواء والماء والتراب والصخور.. الخ. والعناصر الذرية تتبدى باشكال متعددة نتيجة حركتها ونشاطها وتغيرها الدائم: جامدة وسائلة

---

(١) اساك سموف ـ داخل الذرة ـ ترجمة لجنة من الادباء ـ شركة الكتاب اللبناني ١٩٧٤ ،

وغازية ـ وحسب اعدادها وأوزانها الذرية.. تمكن ـ منديلف (١) ـ من وضع جدول لها بدءا بالاصغر فالاكبر.. ومازال معتمدا لدقته كمرجع في العلوم الذرية والكيميائية فقد بدأ بالهيدروجين وعدده الذري "١" وهو الاصغر عددا ووزنا من بين جميع العناصر، مرورا بالاكبر فالاكبر وحتى اليورانيوم " ٩٢ " والنوبيليوم " ١٠٢ " وهو الاعلى عددا ووزنا ذريا وجميع العناصر مافوق اليورانيوم " ٩٢ " غير موجودة في الطبيعة الان بالاضافة الى بعض العناصر الاخرى مادون هذا العدد ـ فهي تتولد نتيجة النشاط الاشعاعي للعناصر المشعة وأثناء التفاعلات الذرية والنووية في المفاعلات الذرية التي صنعها الانسان ـ أي أن العناصر المكتشفة في الطبيعة وتلك المتولدة عن النشاط الاشعاعي والتفاعلات الذرية.. بلغت حتى الان " ١٠٢ " عنصرا ذريا .

وتجدر الاشارة هنا الى انه يوجد لمعظم هذه العناصر نظائر تتساوى في العدد وتختلف في الوزن والصفات، كما أن هناك عناصر مستقرة ومتوازنة ـ أي غير مشعة ـ وهي ذات الاعداد الواقعة مابين " ١" وهو الهيدروجين و"٨٢" وهو الرصاص، مع بعض الاستثناءات في هذه السلسلة كالفاسفور " ٣٠ " مثلا اذ له نظير مشع... وهناك عناصر غير مستقرة ومشعة ابدا وهي ذات الاعداد مافوق الرصاص " ٨٢ " مثل الثوريوم والراديوم واليورانيوم..الخ. اضافة لبعض ماهو دون هذا العدد.

ان عدد العناصر يدل على عدد أنواع الذرات المختلفة الموجودة في الطبيعة والناتجة عن النشاط الاشعاعي والمخلقة في ـ السيكلترونات ـ ولنقل المراحل المسرعة.. في المفاعلات الذرية كما أن ما تقدم يدل على أن لذرات هذه العناصر أعمارا منها القصير جدا ولايدوم أكثر من لحظات أو دقائق أو ساعات أو أيام أو أشهر أو سنوات.. ومنها الطويل جدا ويدوم ملايين ومليارات السنين ومنها مايكاد يكون أزلي العمر كتلك التي استقرارها منيعا، ولهذا أسبابه سنأتي على شرحه.

مِمَّ تتكون العناصر الذرية ؟ :ـ

تتكون العناصر الذرية من جزيئات ـ من ذرات منتظمة في مجموعات متباعدة نسبيا وتتفاوت الواحدة عن الاخرى ومختلفة العدد والخواص والنشاط... من عنصر الى آخر وقد تكون غير مستقرة ومشعة فيصبح عندئذ الجزيء ـ أيونا ـ أي ذا شحنة كهربائية ـ

(١) اساك سموف المرجع السابق .

قد تكون سالبة وقد تكون موجبة ــ وهو في مثل هذه الحالة سريع التصادم أو الاندماج بذرات الشحنة المعاكسة من الجزيئات أو الذرات المتأينة نتيجة التجاذب وسرعة الاندفاع في الحركة.

مِمَّ تتكون الذرة ؟ :ـ

تتكون الذرة من قسمين رئيسيين: الغلاف الخارجي للذرة ـ وهو عبارة عن فراغ تدور فيه الالكترونات ذات الشحنة السالبة على مسافات متفاوتة البعد عن النواة. ثم من النواة التي تضم بداخلها الجسيمات الدقيقة قليلة كانت أم كثيرة تبعا للعنصر.. وهي ذات خواص وكتل مختلفة وأكبرها: البروتون ـ والنيوترون ــ والنيكلون ــ وهو عبارة عن بروتون ونيوترون معا ـ وكلها تسبح في الفراغ داخل النواة على صغرها وللتأكد من كبر هذا الفراغ ـ الذي لانأبه له ـ في عالم الصغائر فاننا لو استطعنا تجريد الكرة الارضية من فراعات ذراتها ونوياتها وجعلناها تتكدس فوق بعضها البعض لتحولت الى مالا يتجاوز كم واحد مكعب ولكن كثافته وكتلته تكون في مثل هذه الحالة عسيرة القياس والوصف.. ومن بين هذه الجسيمات تبرز أهمية ــ البروتون ــ كمعادل في شحنته الكهربائية الموجبة ـ لشحنة الالكترون في الغلاف المحيط بنواة الذرة مما يساعد على تماسكها نتيجة التجاذب بينهما ويضمن وحدتها واستقرارها، طبعا في العناصر المتوازنة غير المشعة، وكل هذه الجسيمات التي قد يصل عددها في العناصر كبيرة العدد والوزن الذريين الى مايقارب المئتين. تشكل اللبنات الأولية في بناء المادة الكلي الشمول.. ولكل منها على صغرها كجواهر أولية ــ موقعه وخواصه وتأثيره وأسهاماتها في حركة ونشاط وتحولات المادة من شكل الى آخر، كالحركة الفيزيائية ـ والكيميائية ــ والبيولوجية... وكالتحول الى طاقة اشعاعية وكهربائية ومغناطيسية وحرارية وضوئية... فعالم الصغائر هذا ــ للذرة ــ يشكل منظومة أشبه ماتكون بالمنظومة الشمسية في عالم الكبائر الجرمية ـ فالشمس ـــ مثلا ــ تشكل النواة الأم ــ والمركز الذي تدور حوله الكواكب السيارة على مدارات وابعاد مختلفة عنها ــ مثل عطارد وهو الاقرب لها ويبعد عنها " ٤٦ ـ ٧٠ " مليون كم أثناء دورانه الاهليلجي، وبلوتو وهو الابعد عنها بمسافة تبلغ ٥،٩٠٠،٠٠٠،٠٠٠ كم. فهذه المنظومات الذرية ـ كالذرة وأسرتها وأخواتها ـ في عالم الصغائر هي مصدر جميع أنواع الاشعاع والطاقة.

فكيف يتم ذلك وماهي أنواع الاشعاع ؟:ـ

عندما تتصادم الذرات بعضها بالبعض الآخر أو تصيبها جسيمات ما تحت الذرة المنطلقة بسرعة وبقوة كافية لاختراقها ـ أو عند تعرضها لدرجات حرارة عالية جدا ــ تفقد الكترونا أو أكثر من ألكتروناتها ـ لهشاشة ارتباطها بنواتها وخاصة تلك البعيدة عنها في المحيط، وربما ينفلت معه بسبب قوة الصدمة.. زملاء له في الموقع الاقرب للنواة، فينجم عن ذلك اطلاق اشعة بيتا ـ المكونة من هذه الالكترونات ذات الشحنة السالبة ـ وبسرعة تبلغ تسعة أعشار سرعة الضوء فتصبح الذرة عندئذ غير مستقرة ومشحونة كهربائيا ــ أو مايعرف بالايون ــ الشارد ــ كالشوارد الجزيئية أيضا، ولايختلف حال الذرات في العناصر المشعة التي لاتكف عن اطلاق الاشعاع بانواعه المختلفة عنها كثيرا في مثل هذه الحالة.

أما اذا فقدت الذرة نتيجة التصادم.. بروتونا أو أكثر من داخل نواتها فان ذلك يؤدي الى اطلاق اشعة ــ الفا ــ ذات الشحنة الموجبة ــ المتشكلة من مثل هذه البروتونات ذات الكتلة الكبيرة جدا بالمقارنة مع كتلة الالكترون التي تقل عن كتلة البروتون بمقدار ١٨٣٧ ضعفا، ومع ذلك فالشحنة الكهربائية لكل منهما متعادلة.

وهذه الظاهرة للتعادل بين الشحنتين.. في الذرة المستقرة المتوازنة مكنت مندليف (١) من وضع جدوله الدقيق للاعداد والاوزان لكل العناصر الذرية المكتشفة.

فالعدد الذري يعني عدد البروتونات داخل النواة ــ الذي لابد أن يكون مساويا لعدد الالكترونات في محيطها الخارجي في الذرة المتوازنة المستقرة ــ كما يعني تعادل الشحنتين ـ الكهربائيتسين لكل منهما أيضا.

أما الوزن الذري فيعني عدد البروتونات والنيوترونات مجتمعين في نواة الذرة لعنصر مامن العناصر مثل الاوكسجين وله " ٨ " بروتونات و " ٨ " نيوترونات فيكون المجموع "١٦ " جسيما وهو الوزن الذري للاوكسجين.

---

(١) تشر نوجوروفا اسرار عالم الجسمات الدقيقة ـ دار مر موسكو ـ ترجمة ابراهم محمود شوشة ١٩٧٨

واليورانيوم " ٩٢ " بروتونا و " ١٤٦ " نيوترونا فيكون المجموع " ٢٣٧ " جسيما وهو الوزن الذري لليورانيوم ..الخ.

وعندما تجبر الذرة على اطلاق أحد بروتوناتها للاسباب آنفة الذكر ـ يتحول عندئذ بالمقابل أحد نيوتروناتها الى بروتون، للتعويض عن هذا النقص ـ الخلل ـ سعيا وراء استعادة توازنها واستقرارها، فيخلف وراءه الكترونا كان مندمجا فيه ـ متخفيا ـ ولهذا لم تلتقطه المراصد... لعدم وجود شحنة ظاهرة للنيوترون قبل تحوله.. فينطلق هذا الالكترون مشكلا أشعة ـ غاما ـ التي تبلغ سرعتها سرعة الضوء تقريبا وهي "٣٠٠" الف كم في الثانية ـ وهي ذات شحنة موجبة ـ على عكس شحنة الالكترونات خارج النواة، كذلك يمكن أن يطلق البروتون بيزوترونا فيصبح نيوترونا ـ لنفس الغاية.

إن السبب في اختلاف طبيعة وسرعة وخواص وتأثير كل من هذه الاشعاعات بعضها عن البعض الآخر، يعود الى اختلاف كتلة وموقع أو ضعف ارتباط ـ انضغاط ـ كل منها بنواة بمركز الذرة ولنوعيته ووظيفته، فالالكترون مثلا، صغير الكتلة وضعيف الارتباط فيها ـ ولهذا تكون سرعة أشعة ـ بيتا ـ الالكترونية أقل من سرعة أشعة غاما ـ الالكترونية أيضا ـ وأقل تأثيرا منها فالسبب في انطلاق الكترونات أشعة ـ غاما ـ بهذه السرعة الفائقة يعود لانضغاطها الشديد المضاعف داخل النواة وداخل النيوترون معا.

أما السبب في محدودية سرعة أشعة ـ الفا ـ المشكلة من البروتونات ـ رغم انضغاطها الشديد داخل النواة ـ يعود الى ضخامة كتلتها ولتأثرها أكثر من تأثر ـ الالكترونات ـ بعد انطلاقها في المجالات الخارجية الكهرومغناطيسية ـ نظرا لشحنتها وكبر كتلتها ـ التي تحد من اندفاعها في هذه المجالات، أكثر من سواها ومع ذلك فتأثيرها شديد جدا.

على كل حال هناك العديد من أنواع الاشعاعات الاخرى الموجودة في الطبيعة : كالاشعة السينية ـ اكس رايز ـ والاشعة البنفسجية ومافوقها ـ والاشعة الحمراء وماتحتها ـ وكلها من الالكترونات المتفاوتة السرعة والتأثير والخواص، الصادرة عن الذرة ـ هذا الى جانب ماينتج عن تفجير القنابل الذرية والنووية والهيدروجينية

والنيوترونية من اشعاعات وعن اندماج -انصهار- نويات الهيدروجين في الشمس.. اضافة الى الاشعاعات الكونية الاخرى التي تتألف من بروتونات ونويات بعض العناصر الخفيفة.. وتنطلق بسرعة كبيرة ولها قدرة عظيمة على تحطيم ما

يصادفها من درات - فينتج عن ذلك اسعاع ثانوي من جسيمات مادون النواة الذرية وبعضها من الميزونات، وكتلة الميزون كتلة البروتون، أي أكبر من كتلة الالكترون بحوالي "٢٠٠" مرة وسرعته تقارب سرعة الضوء، ويملك نفس ما للأنواع الاحرى من الاشعة الكونية من طاقة عظيمة، وبعض هذه الانواع له شحنة موجبة والبعض الاخر سالبة ومنها ما هو بدون شحنة ابداً.

ولنقل مجازا ـ كتيارات النيوترونات عديمة الشحنة ـ المنطلقة بسرعة كبيرة جدا، وهذه الاشعة الكونية لاتسير بخط مستقيم كاشعة الضوء فهي تنحني عندما تقترب من الارض فتصطدم بطبقة الاوزون والهواء في الغلاف الجوي فتتغتت والقليل منها يخترق الغلاف الجوي فيسقط معظمها على القطبين الشمالي والجنوبي، نتيجة الجذب المغناطيسي لهما، فاذا مازاد مقدار اختراق هذه الاشعة للغلاف الجوي تشكل عندئذ خطرا كبيرا ومدمرا للحياة على الارض لقدرتها العظيمة على الاختراق والتدمير، أكثر بكثير من الاشعة مافوق البنفسجية شمسية المصدر ـ فمعظمها قادر على اختراق حاجز واق من الرصاص تزيد سماكته على " ١٢ " انشا، رغم ما للرصاص من قدرة على المقاومة لكتلته الكبيرة جدا بالمقارنة مع الكلسيوم الذي يقل عنه كتلة بأربعة أضعاف ـ وعدده الذري " ٢٠" ومع ذلك تعجز الاشعة السينية ــ اكس رايز ــ المستعملة للاغراض الطبية ـ بعد اختراقها للكربون في جسم الانسان عن اختراق العظام المكونة من الكلسيوم.

ان جميع الاشعاعات تتولد عن تحطم الذرات والنويات في العناصر المشعة عموما وعن تحطيمها للكثير من ذرات ونويات العناصر غير المشعة، فيتولد عن ذلك مقادير هائلة من الطاقة متعددة الانواع والخواص ولهذا فان للعناصر الذرية اعمارا منها القصير جدا ومنها المتوسط ومنها الطويل جدا، فالعناصر المشعة الموجودة في الطبيعة تتحطم بسرعات مختلفة ومتناقصة باستمرار، أي ان التحطم يتباطأ ولنقل حسب متوالية هندسية ولكن معكوسة هبوطا، وأثناء ذلك تفقد أو تكسب العناصر جزيئات أو ذرات أو جسيمات مما يؤدي الى تحولها ـ عند التناسب ـ من عنصر الى آخر سواء هبوطا أو صعودا ـ أصغر عددا ووزنا وكتلة أو أكبر، كما تولد أثناء ذلك أيضا نظائر مشعة للعنصر الواحد تتفق ــ تتساوى ــ في العدد وتختلف في الوزن والصفات... وهكذا دواليك حتى ينتهي معظمها الى عنصر مستقر وهو الرصاص، أما العناصر المستقرة فتكاد تكون أزلية ـ أبدية ـ العمر، وخلال عمليات التحطم هذه يتولد ـ كما ذكرنا ـ أنواع كثيرة وعظيمة المقادير من الطاقة.

فما هي الطاقة ؟ :

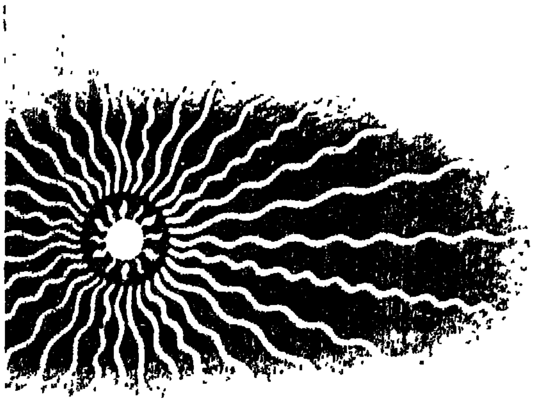
- الطاقة هي عبارة عن جسيمات مادية أولية دقيقة جدا ومتنوعة الاشكال ... فكل المواد الموجودة في الطبيعة تحتوي على طاقة كامنة فيها، وتظهر أثناء التفاعل والحركة والتحريض... وأعظمها تلك المتولدة عن تفكك ـ تبخر ـ المادة، فعند اصطدام الذرات والنويات... يتحرر مقدار من الطاقة : الحرارية والضوئية والكهربائية والمغناطيسية والكيميائية والميكانيكية... الخ.

فالكهرباء ـ مثلا ـ هي شكل من أشكال الطاقة وتتألف من الالكترونات المتسارعة، وهناك نوعان من الكهرباء السالبة والموجبة، كذلك فان الكهرباء والمغناطيس يكونان مايشبه التوأم لعلاقتهما المتبادلة وتأثير أحدهما بالآخر، فتتشكل منهما ـ موجات كهرومغناطيسية... الخ.

هذا في حين يتألف الضوء من الفوتونات، وهي عبارة عن كموم ـ وحدات أساسية من الطاقة الضوئية أي جسيمات مادية دقيقة جدا لها كتلة تساوي الصفر تقريبا وتتدفق بشكل كموم متفاصلة حسب نظرية العالم الالماني ـ ماكس بلانك ١٩٠٠م، ففي المصابيح الكهربائية ـ مثلا ـ يتحول ١/٢٠ فقط من الطاقة الى ضوء مرئي، والغرام الواحد من الضوء يحتاج الى " ٥٠٠ " مليون كيلو واط ساعة لتأمينه على سبيل المثال ، (١) . فاذا كان بمقدور الانسان اليوم أن يولد مقادير كبيرة من الطاقة للانارة وسواها ـ بوسائله المتقدمة ـ بما في ذلك الطاقة الذرية ذات الاستخدامات العسكرية والمدنية معا، فهل يستطيع من خلال ذلك الاستعاضة عن الشمس لتأمين الطاقة الحرارية والضوئية وبمقادير كافية لاستمرار ونمو وتطور الحياة على الارض؟ قطعا لا لأن كل مايمكن أن ينتجه الآن وفي المستقبل لايساوي على سبيل المثال ـ نقطة من مياه المحيطات مجتمعة ـ بالمقارنة مع ما تنتجه الشمس من طاقة حرارية وضوئية ـ أثناء اندماج ـ انصهار ـ نويات الهيدروجين ـ وبمقادير هائلة الكبر كل ثانية، فاشعاعاتها الناجمة عن ذلك تنطلق بكل الاتجاهات في الفضاء حاملة معها مقادير كافية من الطاقة الحرارية والضوئية الى الارض، فيتحقق الدفء والخصب وتنمو الحياة وتزدهر الحضارة فيها، ولكن بتفاوت وليس في جميع المناطق، أو على

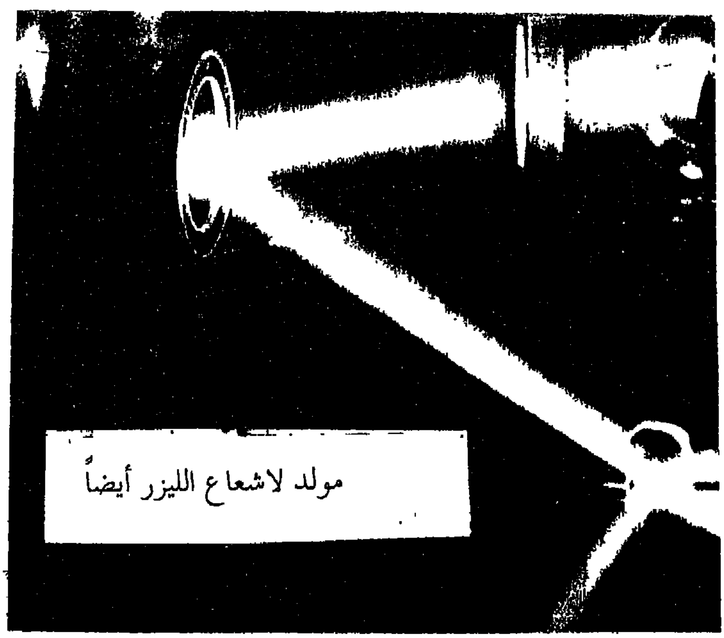
---

(١)، لانداو ـ وورمر ـ ما هي نظرية النسبية ـ دار مير موسكو ١٩٧٤



شعاع الضوء الليزر ، وقد ولده جهاز الليزر الذي نرى ، من شعاع ضوء عادي . وقوام هذا الجهاز قضيب من ياقوت صناعي يلفه شريط حلزوني (انظر الرسم) . ويمر شعاع الضوء العادي بذرات هذا الياقوت ، وقد شحنت بالطاقة التي يمده بها الشريط ، فتثيره هذه الذرات وتضخمه ثم تطلقه ... فيخرج من الجهاز شعاعا آخر ... هو شعاع الليزر الوضاء النفاذ .





مولد لاشعاع الليزر أيضاً

نفس السوية في جميع العصور وعلى مدى الانقلابات المناخية الحادة. كالتي وقعت في الماضي السحيق القدم ويمكن أن تقع في المستقبل أيضا، وذلك نظرا لانعكاس الأشعة الشمسية فوق الدائرتين القطبيتين للارض الى أعلى - لوجود الجليد الناصع البياض - الذي يشكل مع تكثف الهواء شديد البرودة هناك مايشبه المرآة العاكسة ... مع انخفاض درجات الحرارية ايضا الى مادون " ٦٠° " درجة مئوية تحت الصفر في الدائرة القطبية الشمالية الواقعة مابين خطي العرض " ٧٠ و ٩٠ " شمالا بما فيها منطقتي الثاندرا والتايكا، والتي تزيد مساحتها عن خمسة ملايين كم، والى " ٧٥° " درجة مئوية تحت الصف في الدائرة القطبية الجنوبية الواقعة مابين خطي العرض "٧٠ و ٩٠" جنوبا - والتي تزيد مساحتها على ١٤ مليون كم، مما يجعل الدائرة القطبية الجنوبية متميزة بسرعة الرياح فيها- حيث تتجاوز احياناً ٣٠٠ كم " في الساعة، مما يتسبب بهبوب عواصف ثلجية بالغة الشدة وفي ندرة الحياة النباتية حتى باطرافها.. على عكس الشمالية الاقل صخبا في ذلك والاكثر قابلية لنمو بعض النباتات في التاندرا والتايكا تحديدا في فصل الصيف الذي لايتعدى بحده الأقصى مدة ثلاثة أشهر - وخصوصا في شهر حزيران حيث تسطع الشمس مائلة... في بعض أيامة لمدة " ٢٤ " ساعة متواصلة، بينما يصل فصل الشتاء القطبي الى تسعة أشهر يتخللها أيام طويلة مظلمة وخاصة في كل من كانون الاول والثاني، وذلك بسبب ميلان محور الارض أثناء دورانها حول الشمس حوالي ٢٤ درجة، مما يؤدي الى الانقلابات المألوفة في فصول السنة والى اختلافها بين منطقة واخرى من مناطق العالم كثيرا أو قليلا - وحسب الموقع الجغرافي لكل منها لاسيما من خطوط العرض شمالا وجنوبا ومن خط الاستواء أيضا.

ان مثل هذا الانعكاس للاشعاعات الشمسية الى أعلى فوق الدائرتين القطبتين - للاسباب آنفة الذكر - يؤدي الى تجمعها بفعل الجذب المغناطيسي للقطبين - لتشكل في أجوائهما مجالا كهرومغناطيسيا يرى بالاعين المجردة من بعيد وهو يتموج متلألأ باللون الاخضر غالبا - نتيجة اختلاطه ببلورات الماء وطبقات الهواء المنتشرة في الجو على ارتفاعات مختلفة من حيث الكثافة.

ولذلك كانت مثل هذه الظاهرة الطبيعية - لانعكاس الاشعاع الى أعلى تتعدى حدود الدائرتين القطبيتين - في العصور الجليدية - لتصل الى حدود خطي العرض "٤٠" شمالا وجنوبا، بسبب اكتساء تلك المناطق انذاك بالجليد، حيث كانت تشكل مجتمعة

والقطبين معا مايشبه المآة العاكسة للاشعاع المولد لتلك الظاهرة ـ المألوفة فوق القطبين حتى اليوم.

هـذا في حـين كـانت المنـاطق الاخـرى الخالية مـن الجليـد ـ المكسـوة بالنباتـات والغابات الخضراء تستقطب مايصلها من الاشعاعات الشمسية المحملة بالطاقة الحراريـة والضوئية ـ وان بمقادير متفاوتة وحسب الموقع الجغـرافي لكـل منهـا، فالمنـاطق الواقعـة على خط الاستواء ومداري السرطان والجدي كانت وما زالت تتلقى القسـم الاعظـم منها نظرا لتعامد الشمس فوقها.. مما يجعل درجات الحـرارة مرتفعـة جـدا فيهـا وأقـل قابلية لعيش واستقرار الانسان فيها، بينما كان الشريط الجغرافي الممتد من الشرق الى الغرب ـ وفي القلب منه العالم العربي ـ الواقع مابين خطي العرض " ١٠ و ٤٠ " شمالا وخطي الطـول " ٦٠ " شرقا و" ١٥ " غربـا ، مـن أكـثر المنـاطق اعتـدالا في المنـاخ والحرارة، وتوفر الدفـء والخصب والقابلية العالية لنمو الحياة وتطورها الدائـم وعيـش واستقرار الانسان بشـكل متواصـل وبنـاء الحضـارة وتطورهـا فيهـا... وعلـى عكـس المناطق الاخرى التي رزحت لعشرات الالاف مـن السنين تحت جبـال الجليـد العاتيـة وتجمدت الحياة فيها، كما كان العالم العربي أقل عرضة لتأثـيرات الانقلابـات المناخيـة الحادة، فخلال العصر الجليدي الاخير لم تكـن طبقـات الجليـد لتتجـاوز خـط العـرض "٤٠" شمالا وجنوبا، كذلك لم تكن درجات الحرارة بالغة الارتفاع في عصور الـدفء كالعصر الحالي، لتتجاوز بدورها مداري الجدي جنوبا، والسرطان شمالا، الواقعين على جانبي خط الاستواء الا قليلا.

ان ماتقدم يؤكد بوضوح بان المنطقة العربية كـانت انـذاك المنطقـة المثلـى بـاعتدال مناخها ودفئها وتميزها بالقابلية العالية لنمو وتطور وتواصل الحياة مـن نبـات وحيـوان وانسان وبناء وتطور الحضارة بمراحلها المختلفة كميـا ونوعيـا وبـدون انقطـاع، علـى الرغم من تعرضها لتأثيرات تلك الانقلابات المناخية الحادة عـبر العصـور... وان يكـن بدرجات أقل من غعيرهـا بكثـير، فقـد كـانت تتعـرض بسـبب ذلـك الى الاضطـراب والتذبذب والتغير النسبي في مناخها، لارتفاع وهبوط درجات الحرارة أثنائها، مما كـان يتسبب في حدوث الفيضانات الكاسحة والسيول الجارفة والى ارتفـاع منسـوب ميـاه البحار والمحيطات وتدفقها لتغمر مساحات من الشواطئ والمناطق المنخفضة من العـالم، نتيجة لذوبان جبال الجليد كلما كان يقترب عصر جليدي مـن الافـول، كمـا كـانت تتعرض القشرة الارضية بدورها الى ضغط شديد بسبب ذلك أيضا مما كان يدفع بالمياه

الجوفية الى التفجر والتدفق بقوة من خلال صدوع وشقوق كان يحدثها ذاك الضغط في الاماكن الهشة من القشرة الارضية من جهة والى حدوث زلازل وتفجر براكين من جهة ثانية، وكان ذلك الاضطراب يستمر الى أن تزول تلك الاسباب الخارجية وتستعيد القشرة الارضية توازنها وتستقر نسبيا، نظرا لوجود اسباب رئيسية داخلية أخرى أرضية لحدوث الزلازل والبراكين سنأتي على ذكرها فيما يلي، فيما كان يؤدي ارتفاع درجات الحرارة في عصور الدفء ـ كالعصر الحالي، الى تراجع معدلات سقوط الامطار والى جفاف الكثير من الانهار والبحيرات والينابيع والى التصحر وخاصة في المناطق الاقل امطار والاكثر جفافا، مما كان يدفع بالحيوانات والجماعات البشرية الى الهجرة لمناطق أكثر اعتدالا وخصبا ووفرة في المياه والغذاء والامن.

وتجدر الاشارة هنا الى أن أسباب حدوث الزلازل والبراكين، تكمن بشكل رئيسي في طبقات الارض الداخلية، الى جانب الاسباب الاخرى الخارجية كضغوطات الغلاف الجوي للارض وضغوطات الانقلابات المناخية الحادة، فالجانب الغربي من المشرق العربي، على سبيل المثال، يقع على خط الزلازل المعروف جغرافيا ـ بمنطقة الانهدام الممتدة من القرن الافريقي وباب المندب جنوبا مرورا بالبحر الاحمر ووادي الاردن وسهل البقاع وحتى مابعد سهل الغاب شمالا في سورية الطبيعية فالضغط الجوي يقع بمقدار كغ/سم٢ تقريبا على كل سم من جسم الانسان والكائنات والموجودات الاخرى على مستوى سطح البحر، في حين يقل ذلك ميلمترا واحا كلما ارتفعنا عن سطح البحر ١٣ مترا، كما تتدنى درجات الحرارة كلما ارتفعنا عن سطح البحر ١٨٥ مترا بمقدار درجة مئوية واحدة أيضا، وبالعكس كلما ازداد العمق في جوف الارض " ٣٥ " مترا تزداد درجة الحرارة بمقدار درجة مئوية واحدة حتى اذا ماوصلت الى عمق " ٣٥ " كم فان درجة الحرارة تصبح ألف درجة مئوية فوق الصفر.

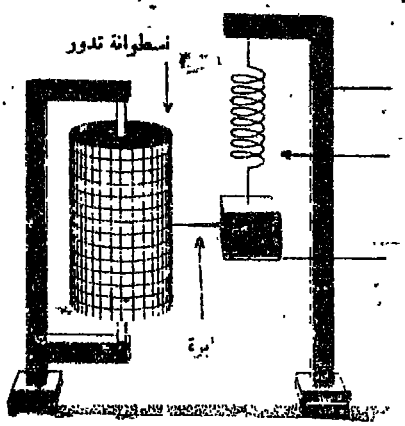
ويترتب باطن الارض البالغ نصف قطرها "٥٣٥٧٥١٧مترا"، بشكل ملفات كروية تتعلب داخل بعضها البعض، وتبدأ بالقشرة الارضية البالغ سمكها من "٣٠ـ٣٥كم" تحت اليابسة ومن "٥ـ١٠كم" تحت المحيطات، أما الطبقة الثانية المسماة بالوشاح أو المعطف، الصلبة فتمتد من قاعدة القشرة وحتى عمق "٢٩٠٠كم"، أما الثالثة وهي النواة السائلة فتمتد حتى عمق " ٥١٠٠ كم " ، أما الرابعة وهي ـ الحية ـ أي النواة الصلبة الداخلية، وتمثل طبقة الوشاح أكثر من نصف حجم الارض وتلعب

دورا رئيسيا في محصلة الكتلة والحرارة، التي تسمح بالتنبؤ عن تطور الارض، وتشكل النواة الخارجية السائلة مصدر الحقل المغناطيسي للارض والذي يلعب دورا هاما في حمايتها من الاشعاعات الكونية الخطيرة، وتسبب حركات الصفائح التكتونية لطبقة الوشاح في حدوث الهزات والزلازل والبراكين، ونتيجة ذلك تتشكل السلاسل الجبلية، فالارض تفرغ حرارتها بدفعها نحو الخارج بالحمل الحراري، وهذا يفرض حركة فائضة سريعة للمواد في النواة، ولكنها تتباطأ عند اختراق طبقة الوشاح وهو مايسمى بالنقل الحراري الطاقي بين النواة السائلة والوشاح، وتفرغ عن طريق الهزات والزلازل والبراكين وبتأثيرات ضغط الغلاف الجوي للارض أيضا.

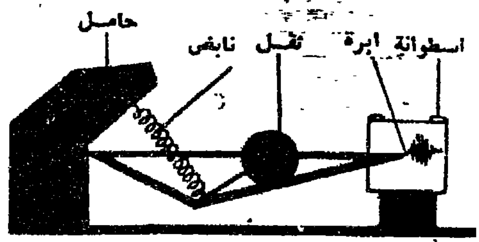
تسمح الموجات الزلزالية - السيمية - التي تصل الى سطح الارض بمعرفة مكان حدوثها ونوعية الطبقات التي تجتازها وبنيتها الداخلية - حسب مقدار سرعتها - وفي معظم الزلازل تتكسر القشرة الارضية كالخزف، فالاجهادات تتراكم الى أن يحدث تصدع ما على عمق عدة كيلومترات، حيث تتحرر الاجهادات بالانزلاق، وبعض الزلازل لاتحدث بسبب تكسر القشرة الارضية وانما بسبب تشوه الصخور حيث تغير الحرارة العالية والضغوط الشديدة في الاعماق صخور الوشاح وتحولها من مواد هشه قابلة للتصدع الى مواد لزجة، وهناك زلازل ضحلة تقع بؤرها تحت القشرة الارضية وعلى عمق حوالي " ٥٠ كم " أو أقل وأخرى عميقة وتصل لاكثر من " ٦٠٠ كم"، ويؤكد العالم - جيفريز من جامعة كمبردج، أن صخور الوشاح التي يزيد عمقها على " ٥٠ كم " تكون لدنة لدرجة لاتستطيع معها حفظ الاجهاد اللازم لحدوث الزلازل ولهذا فان الزلازل العميقة لاتنشأ في صخور الوشاح العادية لان بؤرها تتوزع على طول خطوط كفافية متوازية تتزايد أعماقها بانتظام من شرق الشاطئ الى غربه وإن زلازل البؤر العميقة تتواجد على أحد الجوانب الاقرب للقارة بينما الضحلة تتوزع على الجانب الاخر الذي يحده في معظم الحالات بحر شديد العمق..الخ. يقول عالم الفيزياء الارضية في دائرة المسح الجيولوجية الامريكية - ستيف كيربي وزميله انجداهل - إن عملية تكتونية الصفائح هي التعبير السطحي عن تيارات الحمل والدورة الحرارية في وشاح الارض، فالمواد الحرارية ترتفع من داخل الوشاح وتجري افقيا قرب سطح الارض فيتبرد التيار الافقي في الخمسين كم العلوية ليشكل الصفائح الثابتة التي تتضمن القشرة الارضية وبعضا من الوشاح الواقع تحتها، ولكن آلية الزلازل العميقة تختلف كلية، فهي تعتمد على الانتقال الطوري وغوص صفيحة

تحت أخرى وقد رسخت دراسة الزلازل العميقة حقيقة غوص الصفائح وانحناء الصفيحة الغائصة نحو الأسفل، فقد سجلت أعمق البؤر الزلزالية على عمق يتراوح بين "٥٨٠-٥٩٠كم"، مع التأكيد على أنها لاتحدث على أعمق من ذلك(١)

تسجلُ الحركاتُ الناتجةُ عن الزلزالِ بمسجلٍ خاصٍ يُسمى جهازَ السيسموغراف



مسجل الهزات الارضية



مسجل الهزات الارضية



تشقق الارض بسبب الزلزال



الإلتواءات (الطيات) الارضية

---

(١) الزلازل العميقة مجلة الكويت العدد ١٤٦ كانون الاول ١٩٩٥ ص ٧٧

استنادا الى ماتقدم فان السلالات البشرية التي استطاعت التكيف مع تقلبات المناخ والوسط الطبيعي وقطعت شوطا متقدما من التهذيب الجسماني والنضج العقلي، عبر العصور، وفي زمن مبكر وسابق على سواها هي التي سادت بعد انقراض انسان النياندرتال قبل أكثر من " ٣٠ " الف سنة بحكم تطورها المضطرد: بيولوجيا ـ وفيزيولوجيا، وتراكم التجارب والخبرات وصولا لامتلاك القدرة على التفكير والتأثير في الطبيعة، بعدما تكاملت عندها القشرة الدماغية والجهاز العصبي وأصبحت تتمتع بقابلية عالية وديناميكية للتطور والتقدم وبلوغ درجات أعلى من الوعي والمواهب، متجاوزة بذلك الحياة شبه الحيوانية وحدود الوعي الغريزي، الميكانيكي، اللاشرطي المتوارث ـ لتصعد وباضطراد درجات أعلى في سلم الوعي الشرطي الذي يكتسبه الكائن البشري، المتمتع بتلك الخصائص من خلال تجربته الفردية الخاصة في وسط اجتماعي، وهو مايسمح له بجدارة، كما يقول بافلوف، بتكوين المفاهيم المجردة وبلوغ مرحلة الادراك والمعرفة بمفهومها الشامل، مما سمح ببناء أرقى أشكال الحضارات القديمة الأولى وتجاوز أشكالها البدائية الساذجة، كما ونوعا، بأشواط كبيرة جدا، وهو ما أدى الى انتقال تلك السلالات العاقلة تدريجيا من مرحلة الخضوع للطبيعة والاعتماد على ماهو حاجز فيها من أنواع الغذاء، بما في ذلك التقاط الثمار وصيد الحيوانات والاسماك، الى مرحلة السيطرة عليها، بالاعتماد على النشاط الجسماني والعقلي والمعرفي معا، لتأمين الحاجات الضرورية للحياة من: مأكل وملبس ومسكن... فضلا عن ولوج ميدان الفكر والثقافة والعلم والروحانيات والفنون... الخ

فالبحث عن المعرفة قديم قدم الوجود البشري.. فمع بداية التجمع الاجتماعي والنضج العقلي واستخدام الادوات البدائية من قبل البشر لتأمين حاجاتهم الضرورية اليومية.. نشأت الرغبة في المعرفة، لا سيما بعد ادراكهم انها السبيل الامثل لمواجهة ما يحيط بهم من اخطار ومعالجة موضوعات الطبيعة وتسخيرها لخدمتهم وهو ادراك تحقق بالتجارب التي تراكمت عبر الاجيال، وبملاحظة ترابط وجودهم وشروط عيشهم واستمرارهم بتلك الموضوعات الطبيعية.. الخ.

وهذا يدل على أنهم سلكوا عندما بلغوا هذا الطور من النضج العقلي -هذا الطريق فتمكنوا من تكوين المفاهيم وتعميمها أول باول كل من نطاقه.. وهذا يعني ايضاً ان اساس المعرفة هو التعميم المفهومي .. فادراك أن النار تنتج بقدح الخشب

الجاف أو الصوان.. على نحو معين، هو معرفة مستخلصة من تلك التجارب الفردية المعممة على المستوى الاجتماعي، وهذا المفهوم يعني أن قدح الخشب أو الصوان بالطريقة المناسبة يؤدي دائما الى تولد وظهور النار.

فتكون المفاهيم وتعميمها اجتماعيا هي اصل العلم والمعرفة البشرية.

فلقد تبدى علم الاقدمين في مختلف فنون الحضارة التي كانوا يحذقونها من بدائية وسواها :كصنع واستخدام الادوات الحجرية.. وصولا البناء المساكن ونسج المنسوجات وصنع الاسلحة وبناء وقيادة السفن وزراعة الارض، اضافة الى التقدم في علوم :الفيزياء والفلك والرياضيات.. الخ.

فالقدماء كانوا قد نجحوا بالتدرج لا سيما بعد اكتشاف النار والتدجين والزراعة والتعدين.. والاستقرار الدائم في المكان وهجر المغاور والكهوف وحياة الاعتماد على ما هو جاهز في الطبيعة من انواع الغذاء.. في تحقيق خطوات متقدمة معرفيا وعلميا وحضاريا عبر مراحل بلغت زمنيا آلاف عديدة من السنين تمكنوا خلالها من معرفة العديد من القوانين الطبيعية- كقوانين الهندسة التي تسري على جميع اجزاء المكان- وقوانين الفلك التي تسري على الزمان، وعددا من قوانين الفيزياء والكيمياء، كقوانين الروامع والقوانين التي تربط الحرارة بالانصهار ومنها كمثال : اذا سخن الحديد بالقدر الكافي فإنه ينصهر دائما، كما ان نقدم النهار يؤدي الى هبوب رياح من البحر الى اليابسة، اذا أن الشمس تسخن الارض الى حد اقوى من تسخينها للماء بحيث يصبح الهواء فوق الارض اكثر حرارة فيرتفع الى اعلى ويخلي مكانه نتيجة لضغط تيار هوائي اقل حرارة آت من البحر، ذلك أن الاجسام تتمدد بالحرارة، وهو ما يفسر وجود قانون فيزيائي عام يحكم الاشياء في الطبيعة على هذا النحو وسواه، تماما كقوانين بقاء الطاقة، فالطاقة التي تبذلها الكائنات العضوية في أوجه نشاطها لابد ان تعوض -على سبيل المثال- بالسعرات الحرارية للغذاء..الخ.

إن التقدم العرفي والعلمي والتفسير الناجح للكثير من الظواهر الطبيعية أدى إلى ميل ورغبات جامحة لزيادة العلم والمعرفة الذهنية عند البشر، ولذلك تجاوز السعي إلى ذلك حدود الملاحظة والنتائج المستخلصة من التجارب الواقعية المثبتة والمعممة عن موضوعات الطبيعة، كالتي سهلت تكون المفاهيم المجردة والكشف عن العديد من القوانين الطبيعية، أحيانا كثيرة، لآن اتباع المنهج العلمي لم يكن سائدا أو معروفا كما هو اليوم، والتقيد بحدود الملاحظة، بمعنى المنهج التجريبي، لم يكن ليرضي وحده

رغبات وطموحات البشر طالبي الاستزادة في مراحل متقدمة لاحقة تاريخيا، فراحوا يسقطون او يقيسون المجهول على المعلوم ويطلقون الخيال والرغبات والميول النفسية في تفسيره، ومحاكات الواقع الموضوعي ومحاكمة ظواهره.. ذهنيا. وبمشابهات لاتخلو من السذاجة والخلط بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي حينا وما هو غيبي ما ورائي احيانا كثيرة، وخاصة حول معرفة اصل الكون.. الخ.

وهكذا كانت تتم تهدئة الرغبة الجامحة في معرفة الحقيقة المطلقة للوجود عن طريق تفسيرات وهمية.. ذهنية. وعلى هذا الاساس نشأت الفلسفة وتشعبت سبلها تعددت اتجاهاتها واحكامها ومواقعها قربا أو بعدا عن العلم والمعرفة الحقيقيين، لك المعتقدات الدينية.. الخ.

يقدر العلماء أن انسان السلالة العاقلة هذا كان قد بدأ خطواته الاولى في الارتقاء والتحول النوعي الحاسم في حياة البشرية مع بداية النصف الثاني من العصر الجليدي الاخير، الذي أناخ بكلكله على معظم بقاع الارض قبل حوالي خمسين الف سنة، ولم يسلم من طغيان طبقات الجليد العاتية انذاك، الا الشريط الجغرافي الممتد من بحر قزوين والبحر الاسود شمالا وحتى المحيط الهندي جنوبا ومن الشرق الاقصى مرورا بالاوسط وحوض البحر الابيض المتوسط وحتى أمريكاالوسطى والجنوبيةغربا.

ولقد تميز العالم العربي جغرافيا ومناخيا، انذاك، بوقوعه في قلب هذا الشريط على الاجزاء الاخرى منه، سواء تلك الواقعة على خط الاستواء وجانبيه وذات الامطار والغابات الاستوائية الكثيفة ودرجات الحرارة المرتفعة في معظم فصول السنة، والاقل ملائمة لحياة الانسان أو تلك الواقعة في شمال الشريط، والتي كانت تتعرض على الدوام لرياح الشمال شديدة البرودة بحكم محاذاتها لجبال الجليد هناك، في حين كان الوطن العربي بمنأى عن تأثير صقيعها الشديد، رغم عبورها الدائم ولكن بشكل أخف لكافة مناطقه، حامله معها الغيوم الممطرة على مدار السنة مما جعل مناخه يتسم بالاعتدال والدفء والقابلية لنمو النباتات والغابات ودوام الخصب وتوفر أفضل الشروط لحياة وعيش واستقرار الانسان.

هذا الاضافة الى كونه يشكل جغرافيا جسور الاتصال والمعابر البرية والبحرية... بين القارات مما سهل انتقال هذا الانسان العاقل تدريجيا ولاسباب عديدة معقولة، الى كافة مناطق العالم الاخرى: شرقا وشمالا وغربا وجنوبا. فاستقر بكثافة متفاوتة في الاقرب منها والاكثر تناسبا، بما في ذلك وادي السند وآسيا الصغرى والوسطى

وشرق أوربا وحوض البحر الابيض المتوسط والنصف الشمالي لقارة افريقيا وحتى شواطئ المحيط الاطلسي غربا.

مما يؤكد أن هذا الانسان العربي الاول، كان الاول من بين بني البشر في بلوغ النضج العقلي وفي بناء الحضارة بمستوياتها وأطوارها الاولى، والانتقال بها من ثم من بلد المنشأ الشرق أوسطي الى البلدان التي استقر فيها أورادها في استطلاعاته وترحاله.

ولذلك فان ماقاله بعض العلماء في وقت مبكر، وكرس على المستوى التعليمي عالميا، حول أصل الاجناس، عن أن الانسان القديم عاش وانطلق من الوسط الشرقي لافريقيا وشكل أولى موجات مثل هذا الانتقال الى مناطق العالم الاخرى، وانه مصدر الاجناس التي تشكلت فيها وذلك من باب الافتراض واستنادا الى بقاياه المكتشفة في تلك المناطق الافريقية والتي تعود الى حقبة قديمة جدا، غير صحيح نظرا لجميع الاسباب آنفة الذكر، والى ماسنعرضه أدناه حول ذلك:

تقدم وانتقال حضارة ماقبل التاريخ العربية الى العالم

إن ماتقدم يجعلنا نؤكد ونحن على يقين ما أكده العلماء والباحثون.. بـان الانسـان العاقل قد نشأ وتطور حتى بلغ عقلانيته هنا في الوطن العربي في بـادئ الأمـر (١) حيث حقق خطوات متقدمة في سلم الرقـي الحضـاري قبـل أن ينتقـل بهـا الى منـاطق العالم الاخرى، سواء الى بلدان آسيا شرقا أو الى أوربا غربا عبر الجسـر البري العربـي الافريقي، الى اسبانيا والداخل الاوربي وعبر الجسر البري العربي الآخر لآسيا الصغرى فالى أوربا عبر البلقان غربا.

ومما يؤكد ذلك ظهور آثاره ذات المنشأ الشرقي للمتوسـط في العديـد مـن البلـدان الاوروبية سواءا تلك الواقعة على خطي العبور آنفة الذكر أو في وسط وغرب أوربا.

كما أكدت قناعات العلماء على أن ظهور تلك الاثار في أوربا التي تم التأكد مـن قدمها وأصل نشأتها على أنها صناعة عربية المنشأ في الاصل، وذلك بعد مقارنتها بهـا وثبوت تجانسها وأسبقية صنعها في الشرق العربي خصوصا وأن استنتاجات وتقديرات بعض العلماء والباحثين الغربيين الـتي تمت حـول أسـبقية ظهـور الانسـان العـاقل في أوربا، استنادا الى الادوات والرسوم التي اكتشفت في مغاور فرنسـية، وأوربيـة أخـرى من قبل، لم تتأكد صحتها لافتقارها الى الادلة القاطعة على أسبقية صنعها، كتلك الـتي تفردت بها نظيرتها التي اكتشفت في المشـرق العربـي، بعـد المقارنـة والتدقيـق العلمـي الذي انتهى الى نفي تلك المزاعم والتـأكيد علـى أن الشـروط المناخيـة المناسـبة لتطـور الانسان وتقدمه الحضاري والتي توفرت في المشرق العربي، لم تتوفـر في أوربـا آنـذاك، لكي يتمكن الانسان هناك من الثبات والاستقرار والعيش الدائم فيها بشـكل متواصـل ليبلغ النضج العقلي والتقدم الحضاري الاصيل غير المنقول اليه من قبل الاخرين.

فبالمقارنة بين ظهور الانسان العاقل ومستوى نضجه العقلي وتقدمه الحضاري، في كل من أوربا والشرق العربي، ظهر جليا اسـتنادا لـلادوات المكتشـفة في كلتـا هـاتين المنطقتين وتاريخ صناعة كل منها، أن ظهور الانسان العـاقل في المشرق العربـي كـان سابق لظهوره في أوربا بآلاف السنين وأن انجازاته الحضارية كانت أصيلة وغير منقولة عـن أحـد آخـر، خصوصـا وأن العلمـاء أكـدوا أيضـا بـأن الحضـارات الآشـولية

(١) أحمد داوود - سلسلة القسام الفكرة عدد حزيران ١٩٨٩ دمشق ص ١٨٠ - ١٨١ - وقد استند بـدوره الى كتاب - ديورانت قصة الحضارة .

والاورينياسية والموستيرية، ترعرعت في الاصل في المناطق الحارة الشرق أوسطية قبل أن تنتقل الى أوربا ومناطق العالم الاخرى.

يقول " روست " :- يمكننا الآن توثيق العرى الحضارية بين الشرق الاوسط واوربا بصورة أقوى من ذي قبل وذلك استنادا الى مكتشفات القرم في أوربا الداخلية حيث كانت الادوات الصوانية في " كيليك كوبار في مغارة " تشوكورتشا " تتبع الحضارة اليبرودية السورية عالية التطور، ويمكن اعتبارها متزامنة مع المرحلة الاخيرة من العصر الجليدي للحضارة الموستيرية في المنطقة العربية وفي أوربا حيث يمكننا تتبع النماذج اليبرودية حتى غرب أوربا (١) .

كما يقول " روست " أيضا :- من المسائل المهمة جدا هو ظهور حضارة النصال ماقبل الاورينياسية في منطقة الجسر البري العربي - ويعني به آسيا الصغرى مع أوربا - مع بداية العصر الجليدي الاخير " (٢) ، كما يرجح انتقال الحضارة الاورينياسية الى جنوب اوربا عبر الجسر البري العربي الافريقي، معتبرا أن الحضارة الاورينياسية ترجع وراثيا الى الحضارة الاورينياسية السورية الفلسطينية. (٣)

هذا في حين يرجح احتياح حضارة النصال من الشرق الى اوربا في المرحلة الاخيرة من الناحية الانتروبولوجية - قائلا:- " إن شكل جمجمة الانسان الاول - هوموسايبنس - من حضارة ماقبل التاريخ - هو ممثل موجة احتياح أقدم من الشرق الى الغرب كانسان]- فايمار - وغيره في - شتاينهايم - مقابل انسان - نياندرتال - الاوربي الغربي. (٤)

كما ساد الاعتقاد لدى اوبرماير وجودي وغيرهما من الباحثين، بان أصحاب هذه العروق انتقلوا من الشرق الى أوربا. (٥)

---

(١) روست المرجع السابق ص ٣٠.

(٢) وست المرجع السابق ص ٢٨٢.

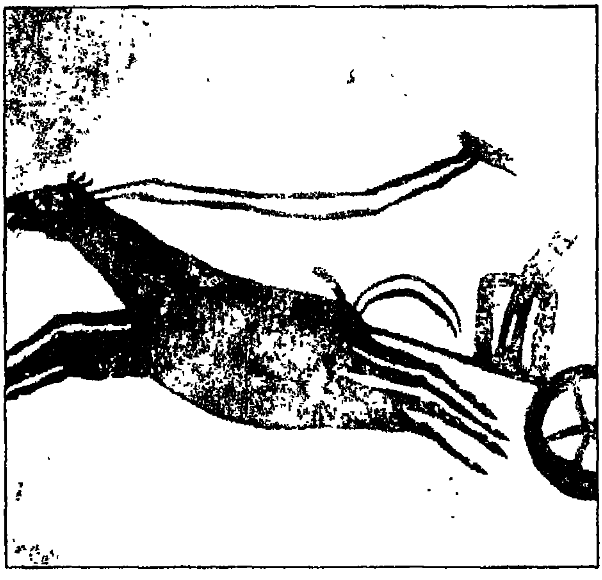
(٣) روست المرجع السابق ص ٢٨٣.

(٤) روست المرجع السابق ص ٢٨٥.

(٥) روست المرجع لسابق ص ٢٨٦



قطيع من الإبقار في مرحلة الرعاة الوسطى.



عربة تجرها الخيول في مرحلة رعاة الحصان.

في منتصف القرن التاسع عشر ظهرت الاشارات الاولى لوجود نقوش تمثل حيوانات وكائنات خرافية، على جدران صخرية بالجبال الواقعة في الجنوب الغربي الليبي المعروف باسم «فزان» ومنذ ذلك الحين توالت الاكتشافات في تلك المنطقة في الشمال الافريقي عموماً، الا انه في السنوات العشر الاولى من القرن العشرين فقط بدأ الباحثون وعلماء الآثار العالميون اهتمامهم بتاسيس ابحاث منتظمة ودقيقة.

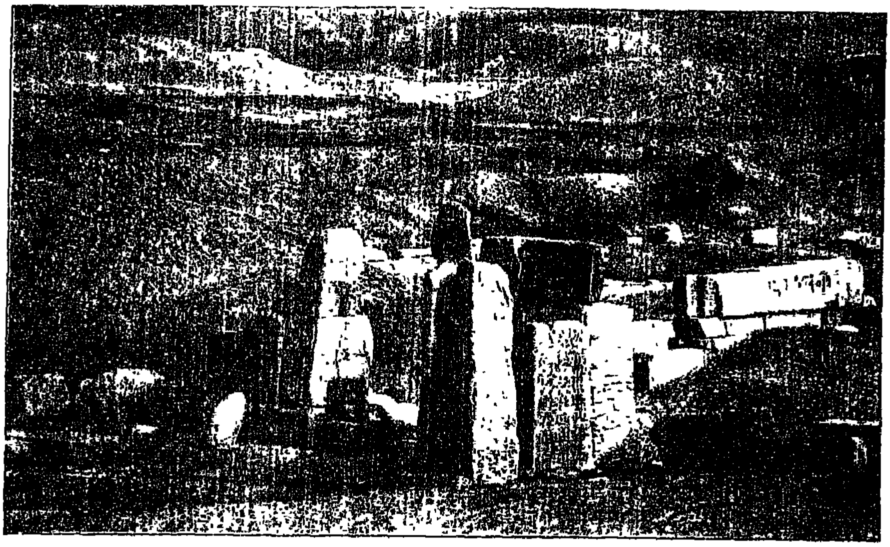
واليوم فان اكثر من 60 الف نقش ورسم قد تم التوصل الى إكتشافها ، وهو عدد يتم تجاوزه باطراد

وترجع اهمية هذه النقوش الى انها تزيح الستار عن ملامح ثقافة الجماعة القديمة التي استوطنت هذا الجزء من الوطن العربي منذ ما قبل التاريخ، حيث تبرهن النقوش على وجود عالم ثقافي واقتصادي بالغ الثراء والخصوصية لجماعات عربية تتابعت في استقرارها بالأراضي الليبيه الحالية في زمن ماض بعيد جداً - قبل تصحرها

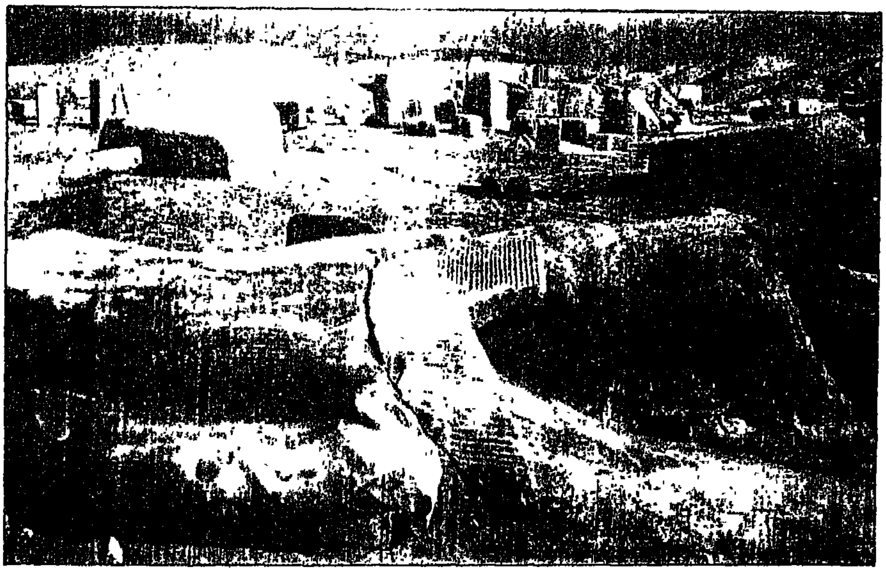
واعتباراً من العام 1955، قامت بعثات اثرية مشتركة ايطالية ليبية بابحاث منتظمة لغرض الدراسة والتنقيب عن النقوش والرسومات الصخرية في جنوب غرب ليبيا، وخاصة في مرتفعات «تدرارت اكاكوس» وبذلت تلك البعثات جهودا مركزة ايضاً في إختبار الترسبات الحيوانية والبشرية المتواجدة في المناطق حول الجدران المؤرخة وبهذه الطريقة امكن لأول مرة وضع دراسات حول تاريخ الفن العربي «عهد» لما قبل التاريخ، وبناء نسق زمني نسبي ومطلق لمختلف المراحل الفنية واحتوائها ضمن إطار تاريخي واقليمي دقيق

منطقة ثرية جداً

والثابت علمياً، ان الصحراء تعرضت مثلها مثل بقية الاراضي في الماضي لتقلبات مناخية كبيرة، وتمتعت على فترات بمناخ اكثر رطوبة وانعاشاً من المناخ الحالي، حيث كانت تغطيها شبكة مياه



اثار عمرها عشرة الاف سنة



الصحراء الليبيه منطقه غنية بالاثار

المتغيرات الطبيعية والديمغرافية والهجرات العربية القديمة :

يهمنا هنا كبداية أن نؤكد الحقائق التالية:ـ

١ـ كانت أرض الخليج العربي أثناء العصر الجليدي الاخير سهلا خصيبا وصف من قبل البعض بجنة عدن الغريقة ـ دلمون ـ وقد بلغ طوله حوالي " ١١٠٠ كم " وكان متوسط عرضه حوالي " ٢٠٠ كم " وكان ارتفاع سطحه مساويا لسطح مياه المحيطات، وعندما بدأ الجليد بالذوبان حوالي الالف الرابع عشر ق.م وبلغ نهايته حوالي الالف الخامس ق.م أدى الى ارتفاع منسوب مياه المحيطات الى حوالي "١١٠م" مما أدى الى تدفقها عبر مضيق هرمز لتغمر تدريجيا سهل الخليج حتى اذا ما انتهى العصر الجليدي تشكل ما يعرف اليوم بالخليج العربي واستقر، وتتراوح أعماقه ما بين "٣٠ـ١١٠" من الامتار، وحينذاك تشكلت الجزر التي مازالت في الخليج العربي وهو مادفع بسكانه العرب الاوائل : العبيديين والسريان، الذين كانوا قد أسسوا حضارة متقدمة هناك الى هجرات اجبارية تدريجية، فانداح عدد كبير منهم شرقا مابين الالف السابع والخامس ق.م وأسسوا ماعرف بالحضارة الدرويدية في وادي السند.

٢ـ كانت أنهار دجلة والفرات والنهر الكبير، الذي كان يتكون من أنهار ووديان: بيشة ـ والرما ـ ورنيا ـ وتثليث ـ والدواسر، التي تنبع من وديان ومرتفعات غرب شبه الجزيرة العربية، اثناء العصر الجليدي الاخير، تشكل نهرا واحدا كبيرا كان يشق طريقه نحو الشمال الشرقي ليتحد مع دجلة والفرات في مجرى واحد، كان يشق طريقه أيضا من هناك جنوب البصرة نحو الجنوب عبر سهل الخليج العظيم الخصيب ليصب في البحر العربي.

وقد أكد طاقم سفينة الابحاث الالمانية ميثيور ـ وجود ذاك المجرى حتى اليوم في قاع الخليج واتصاله شمالا بشط العرب وجنوبا بمضيق هرمز . (١)

٣ـ كان يغطي صحراء الربع الخالي بحر من المياه العذبة، فقد أكد ذلك علماء المناخ الاوربيون ومنهم البروفيسور ـ جاك لابيري ـ كما أكد القرآن الكريم هذه

---

(١) د. احمد داوود ـ العرب والسامون وبنوا اسرائل والعبرانيون واليهود ـ دمشق ١٩٩١ ص ٢٠ ـ ٢٢ .

الحقيقة أيضا قائلا : " وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ".

كما تأكد أنه مازال هناك حتى اليوم حوالي أربع بحيرات من الماء العذب متصلة جوفيا تحت رمال الربع الخالي ولايزيد عمقها عن سطح الارض عن اربعمائة قدم. وتجدر الاشارة هنا الى أن الصحراء العربية الافريقية، وخاصة القسم الليبي منها، لاتقل غنى عنها بما تختزنه من المياه الجوفيه العذبة التي تعتبر الاكبر في العالم من حيث السعة وكميات هذا المخزون الهائل، مما سمح الى ليبيا بانشاء النهر الاصطناعي العظيم مؤخرا والذي يتكون مما تضخه مضخات عملاقة من المياه الجوفية ومن أماكن عدة مختلفة العمق، لتروي مساحات شاسعة من الاراضي ومدن وبلدات ليبية متباعدة اليوم.

٤ـ كانت الرياح الشمالية الباردة تجتاح الوطن العربي، وخاصة مشرقه باكمله ناقلة معها الغيوم الممطرة على مدار السنة ولكافة ربوعه، مما جعله في غاية الخصوبة وكثيف الغابات والسكان، لتميزه بالدفء واعتدال المناخ أيضا.

إن اكتساء معظم مناطق الكرة الارضية بالجليد في ذاك العصر، جعل درجات الحرارة على سطح الارض متميزة بالانخفاض الشديد الدائم، بالمقارنة مع ماهي عليه في عصر الدفء الحالي، وبما أن أشعة الشمس وطبقات الجليد على الارض وبرودة الغلاف الطبقي للارض الذي لاتزيد فيه الحرارة عن ٧٥° درجة مئوية تحت الصفر على الدوام ـــ تتجاذبان وتتنابذان درجات الحرارة : ارتفاعا وانخفاضا، أي انهما تسخنان وتبردان، تكثفان، وتمددان الهواء، وتزيدان أو تحدان من قوة انتشاره وبالتساوي حتما، في جميع الاتجاهات، سواء عند سطح اليابسة والبحار أو في طبقات الجو المختلفة الابعاد فان ذلك يولد حركة وتيارات ودورة الرياح في العالم، وأولى هذه الطبقات هي الغلاف الجوي وترتفع من سطح الارض حتى "١٠ــ١٥كم" ويليها طبقة الغلاف الطبقي ـ وتقع ما بعده " ١٥ " وحتى " ٨٠كم" ومن ثم الطبقة العليا المعروفة بالايونية، لتجمع الايونات المشحونة كهربائيا فيها، والمتكونة، أي الايونات عن تحطم الاشعاعات الخطرة على الحياة، كالاشعة الشمسية مافوق البنفسجية والاشعاعات الكونية، مما يشكل مجالا يساعد على استقبال وارسال الاشارات اللاسلكية، من والى الفضاء الكوني ومختلف مناطق الارض، وتقع مابعد " ٨٠ وحتى ١٦٠ كم " وتشترك هذه الايونات أيضا في صد وتحطيم الاشعاعات آنفة

الذكر، مع عنصر الاوزون الذي يتولى بدوره صدها بقوة، ولذلك فان للغلاف الجوي والهواء معا فوائد جما للحياة على الارض اضافة الى حمايتها من تلك الاخطار.

فمن المعروف أن الهواء عندما يسخن في المناطق الحارة عند خط الاستواء ومداري الجدي والسرطان تخف كثافته ويتمدد فيصعد الى أعلى ليدفع بالهواء الذي تبرد وتكثف في الغلاف الطبقي للارض الى الهبوط نحو القطبين الشمالي والجنوبي للارض، ليدفع بدوره الهواء البارد من هناك الى مناطق العالم الاخرى، فيتولد عن ذلك كما ذكرنا، حركة وتيارات ودورة الرياح البحرية والبرية في العالم، فتلك الرياح الرئيسية تندفع من المنطقة القطبية الشمالية نحو الجنوب الشرقي باتجاه المناطق الحارة محملة بالغيوم الممطرة غالبا، مرورا بالوطن العربي وسواه من مناطق العالم في حين تندفع من المنطقة الجنوبية نحو الشمال الغربي باتجاه المناطق الحارة أيضا. ومن هذه وتلك تتشكل التيارات التي تسهل حركة الملاحة البحرية، وهكذا دواليك تتواصل دورة هذه الرياح الى مالانهاية وعلى أطوار مختلفة من التسارع والتباطؤ من الشدة والخفة، بما في ذلك العواصف والاعاصير التي تتشكل نتيجة لمرور الهواء في مناطق ذات فروق كبيرة في الضغط الجوي وهذا يعني ـ كنتيجة ـ اختلاف في طبيعة الطقس وتقلباته وفي قيم الضغط الجوي ارتفاعا وهبوطا ـ صيفا وشتاء ـ والتي تبلغ عادة حوالي "٧٦٠درجة" حسب قياس ميزان البارومتر عند تعادل هذه القيم في هذه المنطقة أو تلك، كما هي في عصرنا هذا.

فمن الثابت أن الارتفاع المتواصل في الضغط يجعل الجو صحوا والانخفاض المتواصل يجعله ماطرا، في حالات وجود الغيوم المتكونة عن بخار الماء المختلط في الهواء بشكل سحب أو ضباب، مما يجعل الجو رطبا بمقدار كثافته، ففي الصيف يكون الضغط على اليابسة منخفضا في حين يكون على البحر مرتفعا، وفي الشتاء يكون على عكس ذلك في كل منهما.

إن مثل هذا الاختلاف في المناخ، بما في ذلك درجات الحرارة وحركة الرياح وقيم الضغط الجوي وتقلبات الطقس في مختلف فصول السنة، الذي تميز بالبرودة في ذاك العصر اضافة الى العوامل والمؤثرات الاخرى الطبيعية والجغرافية، ومنها كثافة الغابات والنباتات، التي اشتهرت بها المناطق العربية ابان تميزها قديما بالاعتدال والدفء، قبل أن يصيبها الجفاف والتصحر فيما بعد، جعل الرياح الشمالية الباردة تسوق الغيوم الممطرة اليها لتجتازها وتمطرها بغزارة من ادناها الى اقصاها على مدار السنة في ذاك

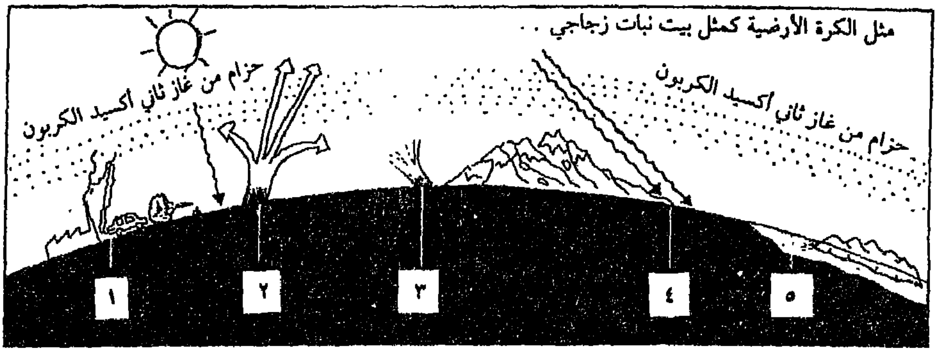
العصر، الامر الذي أدى الى تطور وتقدم وازدهار الحضارة في وقت مبكر من تاريخ الانسانية في الوطن العربي سواء في المشرق أو وادي النيل أو المغرب قبل أن تطغى رمال الصحراء الكبرى على أجزاء كبيرة منه لتصل في بعض مناطقه الى شطآن البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي.

وما أن حل عصر الدفء ـ الهولوسين ـ وأخذت درجات الحرارة بالارتفاع الدائم الى حد كبير حتى بدأ التراجع في معدلات هبوب ووصول الرياح- الشمالية الباردة الى العمق الداخلي للوطن العربي وبالتالي انخفاض معدل سقوط الامطار سنويا الى حد كبير، عندئذ بدأ البحر العذب ومعظم أنهار ووديان شبه الجزيرة ومناطق عربية أخرى بالجفاف تدريجيا، مما أدى منذ ماقبل الالف الثالث للميلاد الى هجرات تدريجية لسكان محيط البحر العذب وجوف وغرب وجنوب شبه الجزيرة العربية نحو الشمال والغرب ، في حين تحول من بقي منهم هناك إما الى بداوة رحل ـ رعاة ـ وإما الى رعاة وزراع في آن واحد، لاسيما في المناطق التي توفر لهم فيها الحد الادنى المناسب للثبات والاستقرار فيها، كالامطار والينابيع والمراعي. (١)

يقول " ابن منظور " ـ في لسان العرب :" إن أهل عمان ـ نبيط ـ استعربوا ـ أي تحولوا الى أعراب ـ بمعنى بداوة رعاة، وأهل البحرين تنبطوا ـ أي تحولوا من أعراب بداوة رعاة الى زراع مستقرين في الارض، وذلك بسبب تلك المتغيرات المناخية والجفاف والتصحر".

---

(١) د. أحمد داوود ـ المرجع السابق ص ٢٧



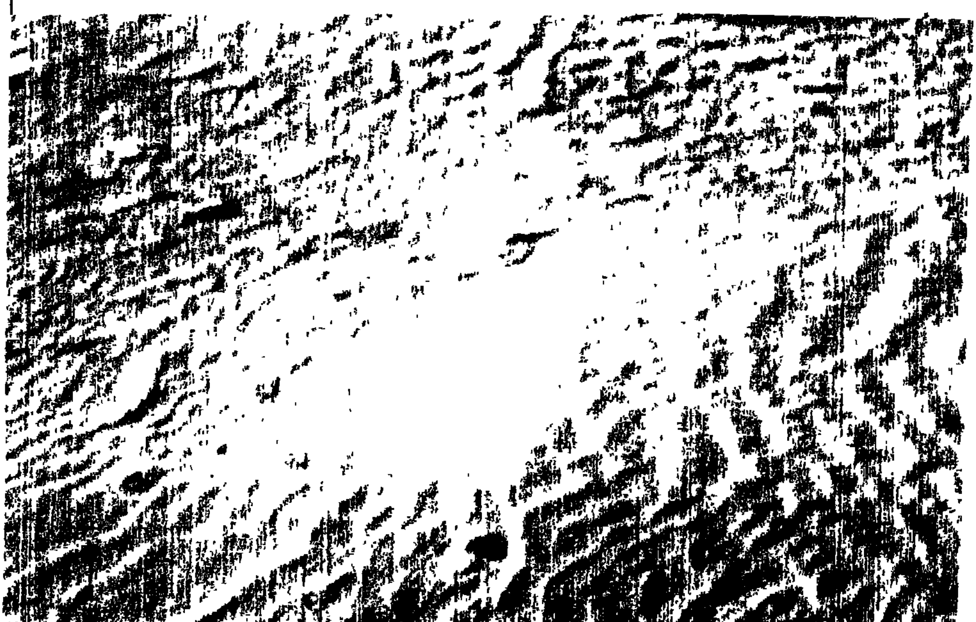
١ - يتراكم غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو وذلك نتيجة استهلاك المحروقات الاحفورية وقطع الأشجار .

٢ - حزام ثاني أكسيد الكربون يحتجز بعض حرارة الشمس ويمنعها عن الانعكاس من سطح الأرض الى الفضاء .

٣ - يزداد بخار الماء بسبب ارتفاع حرارة الجو . . فيحتجز هذا البخار المزيد من حرارة الشمس المنعكسة .

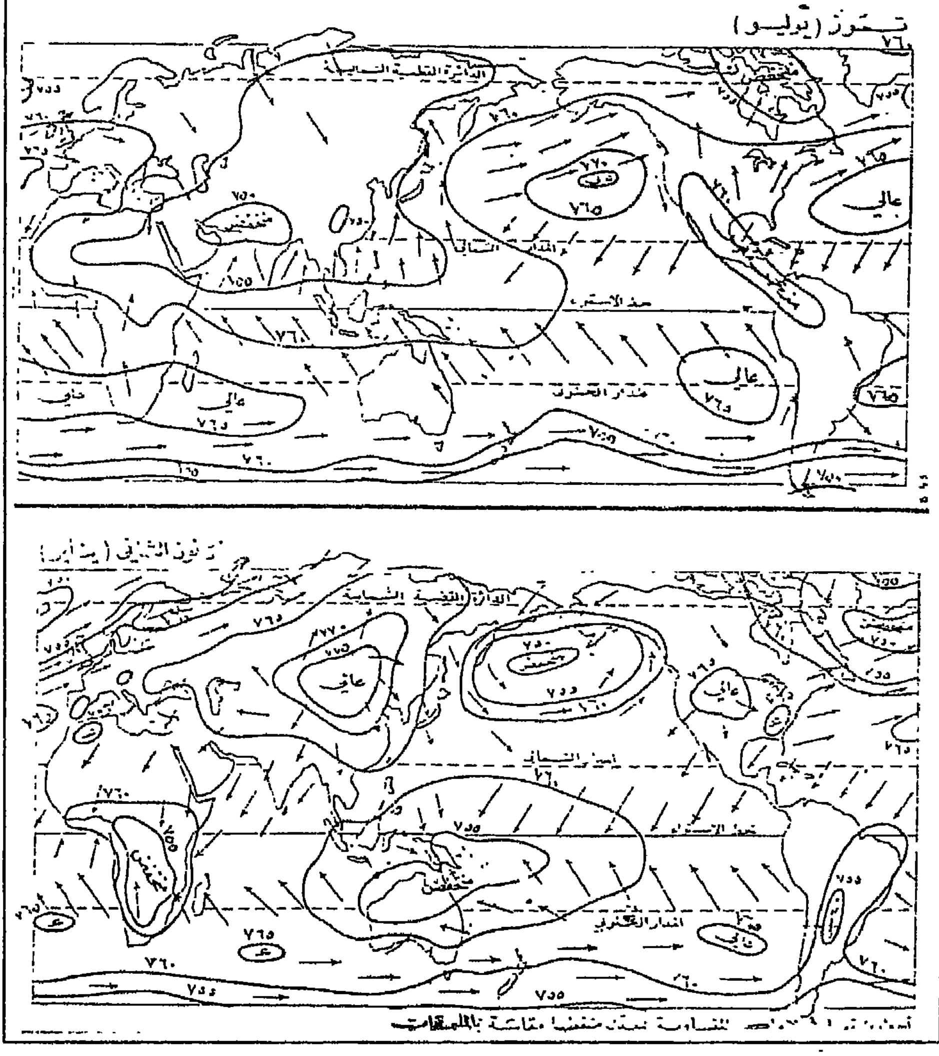
٤ - ويذوب الثلج والجليد فتتعرى اليابسة وتمتص المزيد من ضوء الشمس وحرارتها وتسبب المزيد من ذوبان الجليد

٥ - وتذوب الجبال الجليدية بسبب الحرارة التي تختزنها المحيطات . . ويؤدي ذوبانها الى ارتفاع سطح تلك المحيطات .



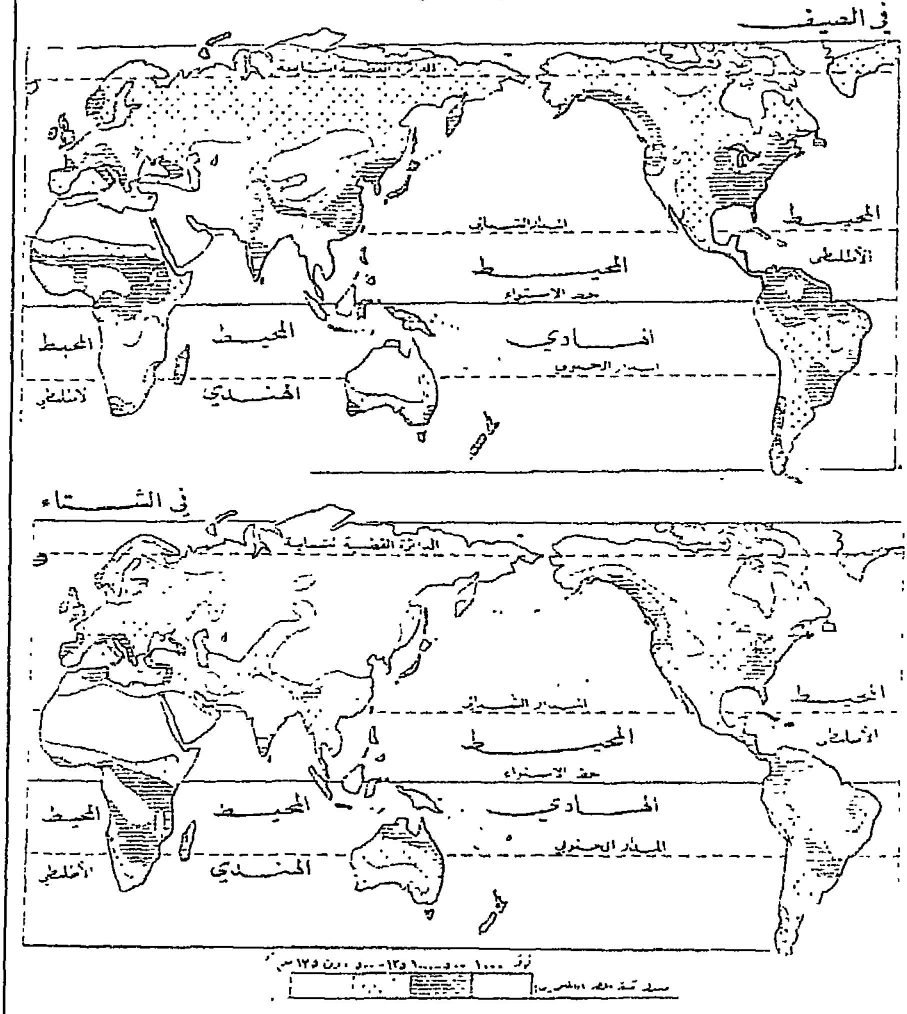
□ بغية تحويل المياه من بحيرة آرال لمشاريع التوسع الزراعي تحولت البحيرة إلى صحراء تطفو على رمالها المراكب . نموذج مؤسف لمشاريع التنمية رديئة التصميم . ونتيجة للتعسف مع الطبيعة

صورة رقم ١: الضغوط ـ والرياح



ولنفس الاسباب يقول الطبري في تاريخ الامم والملوك " إن الكنعانيين كعشيرة هم من العماليق الجبابرة الذين تفرقوا من الحجاز الى مصر وعمان والبحرين والشام ، وان

صورة رقم ٢: توزع الامطار



بقية من الكنعان أخذهم معه الى افريقيا ـ افريقش بن صيفي بن قحطان، ويصف ذلك شعرا فيقول :

بربرت كنعان لما سقتها   من أراضي الهلك للعيش العجب

فقد كان العالم العربي قبل الجفاف والتصحر في ذروة الخصب وعبارة عن جنة يانعة خضراء أما اليوم فانه لايزرع من مساحته البالغة أكثر من " ١٤ " مليون كم مربع أو مايزيد على " ١٤٠٠ " مليون هكتار، أكثر من " ٥٤ " مليونا أي ٤٪ في أحواض الانهار والسهول وحيث السدود وبعض المناطق الجبلية والواحات وماتبقى فهو عبارة عن صحارى مجدبة في معظمها والقليل منها يمكن استصلاحه وزراعته، وجميع تلك الصحارى كانت قد تكونت بالتدريج بعد العصر الجليدي الاخير، اذ ليس أدل على ذلك من آثار الانهار والبرك والسدود والاسماك المتحجرة التي مازالت في شبه الجزيرة العربية على سبيل المثال كالتي **:ذكرها " فيلبي " في رحلته عام ـ ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣** ـ الى الربع الخالي وغرب السعودية ومنها منطقة الطائف حيث الاثار البركانية في سلسلة جبال الحرة ومحيطها.

أما المؤرخ اليمني الحمذاني فيذكر أنه كان في اليمن أكثر من مئة سد عدا سد مأرب وذلك كدليل على التقدم في تنظيم الري والازدهار الزراعي والاقتصادي والتقدم العلمي والحضاري بما في ذلك تطويع المعادن واستخدام القضبان الرصاصية في رصف احجار السدود **كسد مأرب اضافة الى التماثيل والنقوش والرسوم ... الخ.**

فقد ذكر الشاعر جابر بن دالان ـ سد مأرب شعرا بقوله :ـ

فيالهف نفسي كلما التحت لوحة على ... شربة من بعض أحواض مأرب
بقايا تطاف أودع النعيم صفوفها ... وصقله الأرجاء رزق المشارب
ترقرق مـاء المـزن فيهن والتقت ... عليهن أنفاس الرياح الغرائب

ولأهمية الماء بالنسبة لهؤلاء العرب والبشر وللحياة عموما ولبناء الحضارات سمي العرب بأبناء ماء السماء، وهو لقب عامر بن حارثة الازدي، الذي خرج من اليمن عندما دمر سيل العرم سد مأرب، فقيل لذريته بنو ماء السماء، وهم الذين كانوا ملوكا على الحيرة... بدليل ماقاله بعضهم شعر بهذا المعنى :ـ

أنا ابن فريقيا عمرو وجدي ... أبـو عامر مـاء السماء

كما قال ـ عبيد بن السلامي :ـ

ومنا بنو ماء السماء ومنذر ... وجفنا منا والقروم النوازع

وعن قساوة الحر والجفاف ... قال بعضهم :ـ

ألم ترانـا غبنـا ماؤنـا ... زمانا فظلنا نكد البيارا
فلمـا عدا المـاء أوطانـه ... وجف الحماد فصارت حرارا

فتحت الارض أفواههـــــا عجيج الجمال وردنا الجفارا
وضجت الى ربهـــا في السماء رؤوس العضاة تناجي السرارا
فقلنا أعيدوا الندى حقــــه وعيشوا كراما وموتوا جرارا

كمـا تشـير آثـار تلـك العوامـل والمتغـيرات المناخيـة والنشـاطات الجيولوجيـة والمتحجرات الموجودة بكثرة في شبه الجزيرة العربية حتى اليوم الى رقـي وعظمـة تلـك الحضارة اليمنية القديمة عندما كانت اليمن أيام ازدهارها تشمل : الربع الخالي، عندمـا كان بحرا من المياه العذبة، والحجاز ونجد شمالا وشـواطئ البحر الاحمـر غربـا وعمـان ومضيق هرمز وجنوب الخليج العربي شرقا، واستمرت لآلاف السنين الى أن زالـت مع حلـول القـرون الاولى للميـلاد بـالتدريج بفعـل تلـك العوامـل كالـبراكين والـزلازل والفيضانات والطوفانات والجفاف والتصحر والغزوات والحروب المدمرة.

فاذا أخذنا تلك العوامل والمتغيرات التي أعقبت العصر الجليدي الاخير بنظر الاعتبار ومنها تحول الخليج العربي من سهل عظيم الكبر والخصب الى بحر اجاج، والربع الخالي من بحر من الماء العذب الى صحراء جدباء، وغـرب شـبه الجزيـرة العربيـة الـتي كـانت تتدفق من جبالها ووديانها المياه الغزيرة لتشكل عدة أنهار ومن ثـم النهـر الكبـير الـذي كان يتجه شمال شرق، ليجعل مما يعرف اليوم بصحراء الدهناء أو النفوذ جنة خضـراء قبل أن يصب بارض الخليج جنوب البصرة، ليشكل بعد ذلك مع دجلة والفرات نهـرا واحدا ينشر الخصـب..... وتحـول اليمـن الـتي كـانت مشـهورة بالسـدود، الى دمـار وخراب، اضافـة الى الانخفـاض الكبـير في معـدلات سـقوط الامطـار في شبه الجزيـرة العربية عموما، بعد أن كانت تهطل عليها على مدار السنة، نعم اذا أخذنا ذلك بنظر الاعتبار ندرك وبوضوح تام أسباب تحول بعض سكانها الى بداوة رعاة، بعد اسـتقرار وأسباب الهجرات المتلاحقة خلال آلاف الاعوام السابقة للميلاد الى الغرب والشـمال والشرق حاملة معها ما أنجزته من خبرات وعلوم ومعارف ورقي حضاري الى البلـدان العربية الاخرى التي حلت فيها.

فقد تفجر آخر بركان في شبه الجزيرة العربية عـام 1256م في وادي شـنطا شـرق المدينة المنورة تجاه جبل احد. وقد وصف الشعراء العرب القدامى تفجر احـد البراكين بقوله:

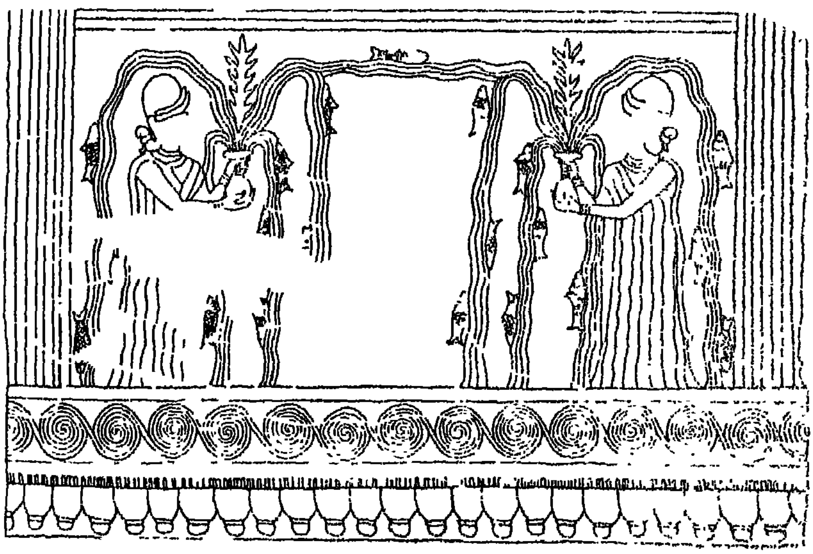
بحرمق النار تجري فوقه سفن من الهضاب لها في الارض ارساء
نرى لها شرار كالقصر طائشة كأنها ديمة تنصب هطلاء
منها تكاثف في الجو الدخان الى ان عادت الشمس منه وهي دهماء

يقول " كوندراتوف " في كتابه الطوفان العظيم بين الواقع والاساطير ـــ ترجمة د. عدنان حموي ـ دار وهران ـ دمشق ـ الطبعة الاولى ١٩٨٧ ص ٦٢ " ويجد اللغويون معالم التشابه بين لغة ـــ الدرويديين في وادي السند ولغة العبيديين الذين عاشوا في وادي دجلة والفرات، قبل السومريين وكثيرا ماكانوا يتحدثون عن الوطن الجد الغريق وعن مملكتهم التي ابتلعتها مياه البحر، كما أن الظاهرة نفسها هي التي أجبرت العرب الاخرين الذين حلوا في جنوب العراق ودعوا بالسومريين ناقلين معهم تراثهم وذكرياتهم عن الوطن الغريق والجنة المفقودة تحت الماء، وجنة "دلمون" البحرية.

كما أكد عالم الاثار الامريكي " جوريس زاريتس " عام ١٩٨٧ ـ والذي عمل في التنقيب عن الآثار في شرق السعودية زهاء عشرة سنوات " أن الوطن الاصلي للعبيديين هو الطرف الشرقي لشبه الجزيرة العربية كما أكد: أنهم أسلاف السومريين الذين خرجوا من أرض الخليج بعدما غمرتها المياه حيث جنة عدن العربية وكانوا هم لا السومريين بناة المدن والحضارة في جنوب العراق. (٤ ١)

إن جنة عدن التي أكد العلماء والباحثون والمؤرخون وجودها واحتاروا في تحديد مكانها عندما جعلها بعضهم في أرض الخليج، بينما جعلها الآخر في اليمن تارة وفي غرب شبه الجزيرة العربية ومحيط البحر العذب تارة أخرى، في حين كان المشرق العربي بكامله يشكل بجميع مناطقه ـ حسب رأيي الشخصي ـــ ماوصف بجنة عدن نظرا لتشابهها وصعوبة تمييز الواحدة منها عن الأخرى من حيث الطبيعة والمناخ والخصب والازدهار.. انذاك، **فقد كانت بادية الشام** التي تشمل أراضي واسعة من سورية والعراق والاردن وشمال السعودية مشهورة بالغابات الكثيفة وبالسهول الخصبة ـ ولهذا كانت تعيش فيها شتى أنواع الحيوانات كتلك التي اشتهرت بها أفريقيا وكان حوض الرافدين متميزا بخصبه أيضا وكذلك سهول وسواحل ومرتفعات بلاد الشام عموما، ولذلك حملت اسم الهلال الخصيب.

(٤ ١) د. احمد داوود ـ المرجع السابق ص ٥-

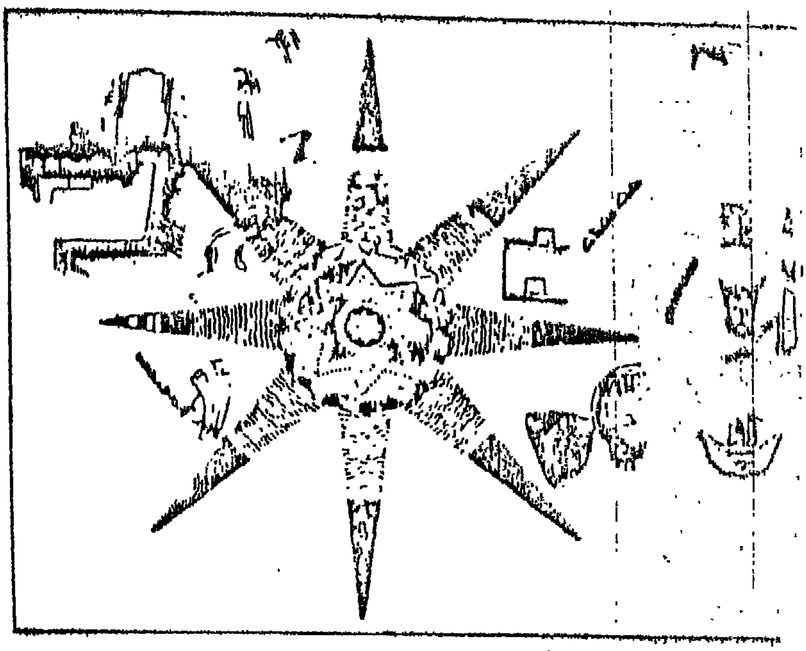


ينابيع كهف السيدة «حورانينا» . مشهد من لوحة جدارية كبيرة في القاعة رقم 106 من قصر زيمري ليم في ماري . الألف الثالثة قبل الميلاد .



كأس سورية في اليونان ، عليها صورة ترمز إلى حورانينا (كهف السيدة) السيدة عشتار وعلى ثوبها تصعد سمكة رمز الماء ، وتوزع الخصب على الجانبين ... الزوبعة رمز الرغبة والإخصاب .

وهذا يعني أن المشرق العربي كـان يشـكل آنـذاك وبجميـع مناطقـه حضـارة عربيـة واحدة متجانسة كما كان بعضهـا يكمـل البعـض الآخـر ولم يكـن هنـاك حضـارات لشعوب مشرقية متعددة ومتباينة تبعا لأحكام ومزاعم البعـض مـن العلمـاء والبـاحثين والمؤرخين الذين حاولوا جعـل العرب عبـارة عـن مجـاميع قبليـة بدويـة... لم تتعـد في سكناها الخيام وفي اسلوب عيشـهـا رعايـة الابـل وفي حركتهـا جـوف شـبه الجزيـرة العربية، هذا في حين أصدر البعض الآخر منهم أحكاما خاطئة تماما ومناقضـة لأحكـام زملائهم عندما جعلوا ممن هاجروا على مراحل من شرق وقلب وجنوب شبه الجزيـرة العربية، بناة حضارة بلدان الهلال الخصيب الـتي حلـوا فيهـا آنـذاك ولذلـك فكـل مـن الفريقين خاطئ باحكامه ولم يجانبوا الحقيقة، بحكم أن منطقة الهلال الخصيـب لم تكـن



نجمة تليلات غاسول بجنوب سوريا . الألف الرابعة قبل الميلاد (حسب مالون كوبيلو).



اسرة عربية كنعانية من اريحا
في اواسط العصر الحجري المعدني
(حوالي 4000 سنة ق.م)
ـ عن كاتلين كينيون، «آثار الأرض المقدسة»، اللوحة رقم 30 .

خاوية حضاريا عندما حلت فيها موجات هؤلاء المهاجرين العرب الجنوبيين وإنما كانت قد قطعت شوطا متقدما في بنائها الحضاري قبل ذلك كما تدل الآثار المكتشفة فيها والتي يعود بعضها الى أكثر من ستة آلاف سنة ق.م وبالمثل أيضا حضارة وادي النيل العربية.

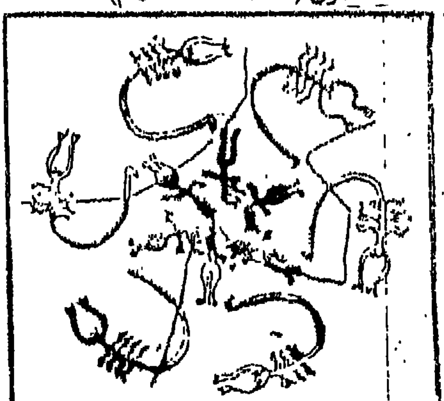
صحيح أن تلك الهجرات كانت قد حملت معها ما اختزنته من خبرات ومعارف عن منجزاتها الحضارية الزائلة، الى البلدان العربية التي حلت فيها، ولكنها مع ذلك لم تصنع جديدا انما أضافت ماحملته الى ماهو موجود، فاكتمل البناء مما أدى الى دفع الحضارة خطوات نوعية متقدمة الى الأمام في البلدان التي حلت فيها بما في ذلك انصهار العديد من اللهجات في بوتقة اللغة العربية الواحدة... الخ.

ولنأخذ ماقاله " كرايمر " مثالا على ذلك :" إن السريانية هي نفسها: الآكادية ـ والسومرية ـ والبابلية ـ والآشورية... ".

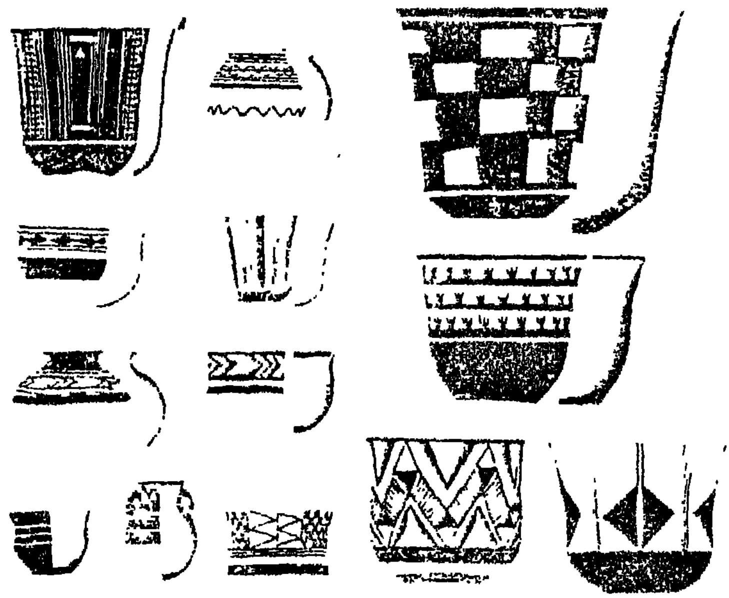
فالسريانية يعود نسبها الى ـ سر ـ وهو أحد الآباء العرب الأقدمين الذين تقدسوا والذي كان يسكن في المنطقة الشرقية، ولذلك نسبت السريانية ـ والسريان ـ وسورية والسوريين اليه ـ كما حملت المدينة المكتشفة قرب البحرين ـ اسمه وهي ـ سار ـ من ـ سر ـ ويعود تاريخها الى آلاف السنين ق.م وعثر فيها على لؤلؤة هي الأكبر من نوعها في العالم.



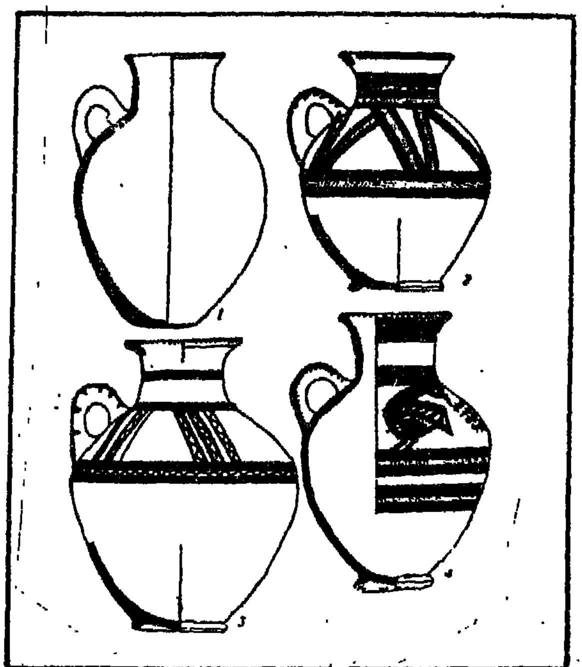
رسم توضيحي ٤: حمورابي صاحب الشريعة البابلية وأشهر ملوك الامبراطورية البابلية الأولى (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م)



[illegible] بشكل الزوبعة الشمسية وهي رمز الرغبة الكونية [illegible] الألف السادس قبل الميلاد



فخاريات مزينة من حضارة العرب العبيديين . نهاية الألف الخامسة قبل الميلاد (حسب توبلير) .

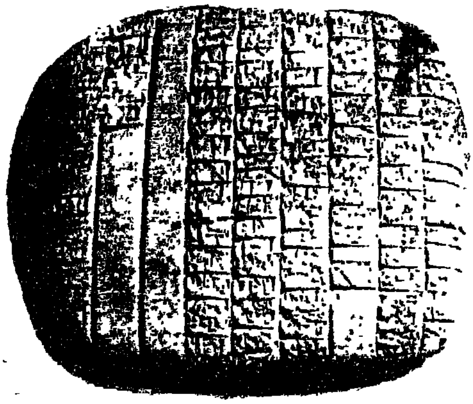


نماذج من الخزف الكنعاني الفلسطيني



الوجه الأمامي من آلة وترية وقد صور عليه جوقة تنكرية كما كان يفعل السوريون في أعياد تموز ثم أدونيس ، وقد انتقلت معهم إلى بلاد اليونان وإيطاليا . عثر عليها في المقبرة الملكية في اور . تعود للعهد العربي العبيدي . الألف الرابع قبل الميلاد ، والآن في متحف جامعة فيلادلفيا .

لوح أثري من حضارة مملكة ايبلا التي جعلها التزوير الغربي.. والصهيوني يهودية قديمة مزعومة كما هو موضح ادناه :



في اكتوبر من عام ١٩٧٥ توصلت بعثة ايطالية للتنقيب عن الآثار في موقع « تل مرديخ » شمال مدينة حلب الى العثور في غرفتين . غرف قصر ملكي على آلاف الالواح الطينية تقدر عددها بـ ١٦٥٠٠ لوح بالاضافة الى مئات الشظايا المحطمة .

وهكذا تكللت جهود التنقيب المتواصلة منذ عام ١٩٦٤ بالعثور على المحفوظات الملكية لما أصبح يطلق عليها في اوساط الباحثين مملكة « ايبلا » . تلك المملكة التي ورد اسمها في اثار متفرقة وجدت في بلاد سومر وأكد ومصر القديمة منذ البدايات الاولى للتنقيبات الأثرية في المنطقة العربية بحدود النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وقد ظل اسم « ايبلا » علما على مملكة مطمورة تحدثت عنها كتابة منقوشة على تمثال للملك (جوديا) حاكم « لكش » السومرية في الالف الثالث قبل الميلاد ووصفتها بالمصدر الذي يمد « لكش » بالاخشاب وتحدثت عنها نصوص وجدت في مدينة (اور السومرية) بوصفها مركزا لصناعة النسيج .

وظهر اسم المملكة مجددا على لوح مهم اكتشف في نهاية القرن التاسع عشر يصف فتوحات (سرجون) الاكدي (٢٣٤٠ - ٢٢٨٤ ق . م) ويشير الى احتلاله لثلاث مدن هي (ماري) و (ايبلا) و (يارموتي) ، وهو في طريقه الى جبال الامانوس :

وعاد الاسم مجددا الى الظهور في كتابة على تمثال بازلتي عثر عليه في مدينة (اور) وتروي الكتابة فتوحات حفيد (سرجون) المعروف باسم (نارام - سن) الذي حكم بلاد سومر واكد ما بين (٢٢٥٩ - ٢٢٢٣ ق م) وضمن هذه الفتوحات يذكر هذا الملك انه فتح (ايبلا وأرمان » اللتين لم يسبق ان فتحها أحد قبل نهاية الخليقه . . »

ويبدو ان هذا الفتح الاخير قد قضى على سيادة مملكة (ايبلا) وأودعها متحف التاريخ . فقد جاء في نقوش هيروغليفية على أحد اعمدة معبد الكرنك في مصر العليا - ان جيش (تحوتمس الثالث) (١٥٠٠ ق . م) قد مر بناحية اسمها (ايبلا) وهو في طريقه الى الفرات .

ورغم ان توارد هذا الاسم وبهذا الترتيب ومن عدة مصادر يشير الى حقيقة وجود هذه المملكة ، وازدهارها في المنطقة المعروفة باسم أرض (كنعان) الا ان أحدا لم يستطع ان يحدد موقعها بنجاح .

وظل الامر كذلك حتى توصلت البعثة الايطالية اثناء تنقيباتها قرب حلب الى العثور على جذع تمثال نذري نقش عليه بالحروف المسمارية نص يدل على انه للملك (ابلت لم) ملك (ايبلا) .

وكانت هذه البداية هي المؤشر الذي وجه التنقيبات ، وقاد الى القصر الملكي ، والى العثور على غرفة المحفوظات وبالتالي إلى تكذيب المزورين الصهاينة واصحاب النزعة العرقية العنصرية المركزية الغربية عن الحضارة العبرية التي لم يكن لها وجود أصلاً !؟.

الفصل الثالث :

عقيدة الخصب وأصول اللغة والخطوط والحروف العربية

تزامن ظهور عقيدة الخصب العربية مع اكتشاف التدجين والرعـي والزراعـة مـابين الالـف الثـاني عشـر والثـامن ق.م : بأقانيمهـا الثلاثـة : الرجـل ـ الـزوج ـ الاب ـ المخصب، المرأة الزوجة ـ الام ـ حاضنة الخصب والثمرة هي ـ الابن نتـاج الخصـب ـ فقدس الخصب ـ الاثمار الوفرة التكاثر، ولعنت العقم.

ولما كـانت الارض هـي الرحـم الـذي يحتضـن البـذور ويتعهدهـا بالانمـاء والاثمـار والاكثار فقد تقدست الارض في عقيدة الخصب وصـارت الام الكـبرى، ولمـا كـانت الشمس تدفئها وتطلع النبـات والـزرع، فقـد صـار الاب أو الـزوج رمـزا للسـماء أو الشمس في عقيدة الخصب التي اعتمدت على قطبين : الذكر والأنثى ـ الرجل والمرأة ـ السيد والسيدة.و لم يكن ذلك ليحدث دون أن يجد له انعكاسا في اللغـة، الـتي تحتضـن كل فكر وابداع هذا الانسان منذ القدم .(١)[1]وهذه الأقانيم الثلاثة نجدها في المسيحية فيما بعد: الأب ـ والأبن ـ والروح القدس.

مشاهير الآباء العرب الأقدمين :

فلقد تميز من بين الآباء العرب الأقدمين الذين تقدسوا في عقيـدة الخصـب الزراعيـة ثلاثة هم: " سر " و" مر " و"رب" وكل منها يعني السيد :ـ

١ـ أما " سر " و" سري " ، فكان متميزا في المنطقة الشرقية ويعني السيد العلي، ومؤنثه " سرت " وتعني السيدة العلية، و" سراة القوم "، سادتهم و" السراة " الجبـال

[1] د. أحمد داود ـ العرب والساميون.... نفس المرجع السابق ص ٢٦-٢٧.

المرتفعة و" سارة " السيدة الملكة، واذا ما أضفنا نون الجمع تصبح: " سرن " وتعني: السوريين أو السريان، لأن العربية القديمة لم تكن تكتب الصوتيات: " ا و ي " وقد اكتشفت المدينة التي سميت باسمه وهي " سار " قرب البحرين وتعود الى آلاف السنين ق.م، والى جانبها مدينة "سارة " أو " تارة "، وانتشر أبناؤه وأحفاده في المنطقة الشرقية، وكانوا جميعا يتكلمون العربية بلهجتها الشرقية التي دعيت بالسريانية، وسادت فيما بعد أرجاء الدولة العربية المركزية التي كانت عاصمتها: " أجادا " ثم " بابل "وآشور" و " نينوى " واستمرت زهاء ثلاثة آلاف عام متواصلة على الرغم من أن المستشرقين أخذوا يسمونها أكادية وأخرى آشورية وكلدانية، بينما هي نفسها السريانية، وصار السكان يعرفون بالسوريين أو السريان.

٢ـ أما " مر " أي " السيد "، و " مرت " أي " السيدة "، و " ماري " السيدة البيضاء ، و" مار "، مازالت مستخدمة في ألقاب الآباء المسيحيين المقدسين، مثل: "مار الياس " و " مار مارون " ، وكلها تعني السيد...الخ.

وكان سكن " مار " في الغرب وسميت مدينة " ماري " (١) الفراتية الأثرية في شمال سورية على اسمه وكذلك مدينة "عمريت " الساحلية، ودعي أبناؤه وأحفاده فيما بعد " بالأموريين " أو " بالعموريين "، وقد اعتلى عدد منهم عرش الدولة العربية المركزية في " بابل "، وأهمهم " حمورابي "، ففي حين انداح السريان ومعهم العبيديون وأحفادهم شرقا وشمالا، كما سبق وذكرنا، انداح الاموريون وأحفادهم الفينيقيون غربا عبر شطآن المتوسط وصولا الى الشواطئ الامريكية، فاطلقوا أسماءهم على القارات والبحار والجزر والجبال والمدن، ومنها: " بحر آمورو " المعروف بالمتوسط نسبة للعرب الأموريين السوريين، و" اوربا " نسبة الى " رب " و " ارب " وهو واحد من مشاهير الآباء العرب الأقدمين، أو نسبة الى الأميرة الفينيقية أوربا بنت ملك صور و " ليبيا " على افريقيا وهو اسم أمها أو جدتها لأبيها ..الخ (٢)؛.

٣ـ أما " رب " وتعني " السيد " ايضا، ومؤنثه " ربت " وتعني " السيدة "، أما منطقة سكناه وأبنائه وأحفاده ففي داخل شبه الجزيرة العربية، وأطلق عليهم اسم

---

(١) طه الهاشمي ـ ذكر في كتابه ـ تاريخ الاديان وفلسفتها ص ٤٨ ـ أنه تم اكتشاف مدينة أثرية كان اسمها ـ ياخوز ـ قرب ماري على الفرات ـ كان قد أسسها الاموريون في الالف السادس ق.م

(٢) د. أحمد داوود ـ العرب والساميون ـ نفس المرجع السابق ص ٢٩ ـ ٣١.

"اربي " أو " عربي "، والمنطقة " اربت " أو " عربت " وهناك في جنوب عسير توجد مدينة "الربة" اليوم، فاذا أخذنا أسماء المدن ماقبل الكتابة نجدها عربية مثل: "شتال ايك " أو "ايوكو "، وتعني مزرعة الرب، النظيرة القرينة للرب ومنها كان اسم، "ميكائيل " أي المماثل لايل ـ نظير الرب، وايل كبير آلهة الفينيقيين كما دلت نصوص مدينة أوغاريت الأثرية في رأس شمرا على الساحل السوري، وايلات كنعانية، واللات أحد آلهة عرب شبه الجزيرة العربية، و " شتال أيك أو أيوكو " هي مدينة اكتشفت في تركيا حاليا، وتعود للالف الثامن ق.م، واكتشف فيها تماثيل ربة الخصب السورية " الام الكبرى" ومدينة أريحا في فلسطين الغنية بالآثار تعود لنفس التاريخ هي الاخرى.

ففي حين كانت الكتابة تصويرية ومسمارية ومقطعية جاء اكتشاف الأبجدية الحرفية العربية لتضع للكلمة أصوات حرفية : فالشمس مثلا فيها ثلاث علامات لثلاثة أصوات هي: الشين والميم والسين عندئذ لم يعد ثمة ضرورة لأن أقرأها: نجم، ضوء يضيء...الخ، على سبيل المثال، كما كان الامر مع الكتابة التصويرية، مما سهل انطلاق اللغة والكتابة العربية التي وضع أساسها الأجداد الأقدمون، وهي : أبجد ـ هوز ـ حطي ـ كلمن ـ صعفص ـ قرشت ... اثنان وعشرون حرفا واثنتان وعشرون علامة، **وكانت اللغة العربية القديمة** قد توزعت الى ثلاث لهجات رئيسية هي : السريانية الشرقية والأمورية الغربية والعرباء الجنوبية.

فبينما كانت الشرقية تضيف الصوت " و "الى آخر الاسماء كانت الغربية تضيف "ا" والعرباء تضيف " التنوين، فحينما كان سكان اجادا وبابل يريدون قول: " الجمل يرعى العشب "، كانوا يقولون: " جملو روعي عشبو " بينما كان سكان الساحل السوري يقولون: " جملا روعي عشبا "

اللغة العربية أم اللغات العالمية
والحرف العربي القديم هو الاصل :

وهكذا يتبين كيف أن اللغة كشفت هوية السكان القومية العربية، وقد أكدتها نصوص الرقم الأثرية المكتشفة والمكتوبة بالأبجدية الحرفية، وكانت العرباء قد أضافت اليها فيما بعد الأحرف الستة : " ثخذ - ضظغ " فاصبحت "٢٨" حرفا، ودعيت وقتئذ بلغة الضاذ تمييزا لها عن السريانية ، والأمورية والفينيقية جزء منها واللتان كانتا تستعيضان عن الضاد بالعين، وهذه اللغة وعقيدة الخصب كان ينقلهما عرب المشرق الى أوربا عبر آسيا الصغرى وعبر وادي النيل وشمال أفريقيا، وشمالا وشرقا الى بلدان آسيا من خلال الهجرات والانتشار والتوسع والاتجار، منذ أكثر من سبعة آلاف سنة ق.م، فسادت حيث وصلت، فمن المؤكد أنه ما أن انتقل الانسان العربي القديم من حياة الصيد والرعي الى الزراعة والعمران والاستقرار في الارض حتى انتقل التقديس من القمر راعي الرعاة الى الشمس راعية الخصوبة وانبات المحاصيل، ومن أسماء الرب في عقيدة الخصب: " الراني - الراعي - العلي - الرقيب - الحامي - البهي - السني - المنير - المعجز"، فكانت كل منطقة تتوجه الى الرب " الشمس " بأحد أسمائه هذه: " انو - رن - الراني - البصير - الشفوق "، في منطقتي السراة أو الخليج و " رع - الراعي - الرقيب "، في وادي النيل، و " آل - عل - العلي - السامي - " في شبه الجزيرة العربية، و " جرونو - زيو - البهي المنير الساطع " في بلاد الشام ووادي الرافدين، ومنها نقل العرب، تقديس هذا الرب " زيو " الى اليونان، وتقدس هناك، مثلما تقدس جوبيتر العربي عند الرومان...الخ.

يقول "عبد العزيز صالح": في دراسة شبه الجزيرة العربية:" منذ الالف الثالث ق.م دونت المتون المصرية، بقواعد لغوية لايكاد بعضها، ولانقول كلها، يفترق كثيرا عما أنبنت عليه بعض قواعد اللغة العربية حين اتضاح بنيانها، ومن أهم نماذجها: سبق الفعل للفاعل في الجملة الفعلية والحاق الصفة بالموصوف، مع تماثلهما معا جنسا وافرادا وجمعا وادراج صفة التثنية وهي نادرة الاستعمال في العديد من اللغات، والحاق نون الجمع وواو الجماعة بنهايات الافعال والاسماء المرتبطة بها، وباء الملكية للمتكلم واستخدام حرف الميم ضمن ادوات النفي، وذلك فضلا عن شيوع المصدر الثلاثي والمعتل الآخر في أصول معظم الافعال، واحتواء النصوص المكتوبة للغتين على القيم الصوتية لحروف العين والحاء والقاف... واستعمال اللغتين للفظة " نا " كاسم يشابه

المؤنث، وعبرت المصرية بحرف السين عن ضمير الغائبة، وقد قـر مثلـه قديما في لغـات ونصوص دول معين وقتبان وحضرموت العربية، كما ثبت تماثل حوالي مائة وخمسـون لفظا منها مايعرف أجزاء البدن : " عـين ـ شـفة ـ اذن ـ كـف ـ اصبـع ـ يـد... " والافعال: " حسب ـ ختم ـ ضب ـ شيع ـ شد ـ تم ـ جر ـ نجر ـ نعـى ـ خـوى ... " وأسماء : " عنزه ـ ذئب ـ قمح ـ تمساح ـ طفل ـ قد ـ مسـك ـ مـوت ـ المشـتري ـ المكاري ـ والماء ـ وموه أو مويه ... الخ ". (١)

ويقول **" فرج الله صالح "** في نفـس المصـدر المشـار اليـه في الهـامش واسـتنادا الى المستشرق" سبانس ": ان اليمن كانت قبل أن تدمـر حضارتهـا الـبراكين والفيضانـات، ويصيبهـا الجفاف والتصحر، أساس الحضارة المصرية الرافدية، كما أكد في "ص١٥ـ١٧ " أن آدم وقابيل وهابيل ونوح، عاشوا هناك وأن سفينة نوح رست بعد الطوفان علـى جبل سعتر في اليمن التي كانت أرض الانبياء والرسل.

وتجدر الاشارة هنا الى أن اليمن كانت قديما تضم مساحة واسعة من شبه الجزيـرة العربية بما فيها: عسـير وجيزان ونجران والحجاز ونجـد وعمـان وحتـى جنـوب الخليـج العربي شرقا.

أما بالنسبة للتمايز والفوارق في لفظ الكلمات والاسماء ـ وماكان يضاف اليها مـن أحرف وبالعكس وتبعا للهجة بين منطقة وأخرى، فاننا نجد على سبيل المثال : " توتـو ـ رمانو ـ بركتو " في الشمالية ويقابلها في الجنوبية الفصحى: "توت ـ رمان ـ بركـة " وهذه الفصحى هي التي سادت حتى اليوم.

كذلك فاننا نجد المفردات والأسماء العربية التالية، التي كانت متداولة آنذاك في مصر وهي:

١ـ اسم " سيفنكس " ـ ابو الهـول ـ: وهـو مـن مفـردات اللغـة العربيـة الفينيقيـة، ومعناه: السيد العظيم، حسب د. أحمد داوود، في كتابه تاريخ سورية القديم.

٢ـ " النيل " هي من مفردات اللغة السـامية الفينيقيـة، وأصلهـا " النهيـل " بمعنـى الجريان أو الماء الجاري، حسب فيليب حتي ـ في كتابـه خمسـة آلاف سـنة مـن تـاريخ الشرق الأدنى المجلد الاول.

---

(١) فرج الله صالح ديب ـ معجم ومعاني وأصول وأسماء المدن والقرى الفلسطينية ـ اليمن هي الاصل ﮐ

٣ـ اسم " اخناتون " أصله فينيقي، نسبة للاله " ادون " أو " ادوناي "، الذي يلفظ باليونانية القديمة " ادونيس " فصار " اخن ادون " ومعناها الخادم أو المفيد للاله ادون، اتون، ثم وصل فصار " اخناتون " بعد استبدال الدال بالتاء، وهو مؤسس ديانة التوحيد المصرية القديمة، التي تعود بجذورها الى الديانات الفينيقية العربية قبل أن يطورها ويسمو بها الى التوحيد، وكان اسم اخناتون قبل ذلك " امنحوتب الرابع، ملك وادي النيل.

٤ـ اسم " حور محب " مؤسس الأسرة الملكية الفرعونية التاسعة عشرة " ١٣٥٠ ق.م، يعود أصله الى الاله ـ حورن الذي كان يعبد في جنوب سورية وادخل الى المعابد المصرية القديمة، حسب فيليب حتى في كتابه تاريخ سورية ولبنان وفلسطين.

٥ـ اسم " ميري استروت " ومعناه محبوب عشتاروت، وهو ابن رمسيس الثاني، منتصف القرن الثالث عشر ق.م، ويعود أصله الى أحد آلهة الفينيقيين " عشتاروت".

٦ـ كلمة "تيتي" ومعناها " تعال أو تعالي "، وكانت شائعة في كل من مصر وبلاد الشام آنذاك ومازالت حتى اليوم وأصلها فينيقي.

٧ـ كلمة " نفر " ومعناها " جميلة، حلوة، حسناء " وهي فينيقية الاصل واسم ملكة مصر " نفرتيتي " زوجة اخناتون وهي فينيقية من صيدون، مركب من الكلمتين آنفتا الذكر، حسب تاريخ كل من اليازجي وحتي ... الخ.

إن اسماء آلهة مصر هي أسماء عربية، ولكل منها معناه المحدد: آله الشمس ـ رع، ومعناه الراعي، الرقيب، واله النبات " اشمون " ومعناه : المساعد، والاله " اوزيريس " هو عزيز، العزيز، أحد آلهة بلاد الشام... الخ.

فاذا ما أخذنا شيوع وتداول تلك الاسماء والمفردات اللغوية العربية القديمة التي تقدم ذكرها وسواها الكثير مما لم يتسن لنا الاحاطة به وذكره، سواء في وادي النيل أو اليمن وبلاد الشام ووادي الرافدين، بشكل دائم ومشترك بين العامة والخاصة، فان ذلك يؤكد وجود لغة أم واحدة، هي العربية القديمة ذات اللهجات الناطقية المتعددة، وكذلك الديانات القديمة المشتركة، ذات الالهة المتعددة ومعها العادات والتقاليد والاعراف الواحدة ايضا، في الوطن العربي الكبير.

وفيما يلي بعض مادونه استاذ اللغة العربية السابق " محمد نفاع " العربي السوري في كتابه المخطوط، بهذا الخصوص:

من لهجات قبائل اليمن [1]

ذكر عمارة الحكمي في تاريخه " المفيد "، المطبعة المصرية أن أهـل الزوائـب، وقـد دثرت هذه القرية وتسمى الخربة اليوم " مرزبة "، باقون على اللغة العربية من الجاهليـة الى اليوم، و لم تتغير لغتهم وأنه دخل زبيد عام " ٥٣٠هـ " فلم يلحظ لحنا واحدا ! .

كرر ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) ماقاله عمارة الحكمي، كما أيده الفيروز آبـادي (٨١٧ هـ) ومرتضى الزبيدي صاحب تـاج العـروس (١٢٠٥ هـ)، وزاد عليـه أن أهل عكاد " جبل بقرب وادي وساع "، لايقيم الغريب عندهم أكثر مـن ثلاثـة أيام خوفا على لغتهم !.

وكدليل على ماأحتفظ بـه سـكان المخـلاف السـليماني مـن سـلامة الفطـرة أذكـر ماروٰاه لي القاضي الحقوقي اللامع " يوسف بك حسـن " عندمـا اختـاره الامـام يحيى حميد الدين عضوا في مجلس الوصاية على العرش أثناء رحلـة قـام بهـا خـارج اليمـن ـ قال: " سمعت بهذه القبائل فقمت بزيارة مناطقها، أشرف مرة على سهل وفيه رعيان، فأردت أن أختبر سليقتهم اللغوية فاستعملت منظارا حملته معي وما أسـرع مـا أعطـى اسما عربيا ؟ اذ عندما انتبهوا لي جاؤوني قائلين: مـاهذا المنظـار ياشيخ؟! وأنـا أرجـح أنهم لم يروه الا معي !؟ .

رغـم كل ماقاله العلماء السابقون، والمعجميون القدامى عن تلك القبائل فانا نواجه في لهجات القبـائل الـتي تسـكن الجبـال غرابـة وخشـونة في استعمال كلمـات غريبـة لايفهمها الا من عاشرهم مدة طويلة، ومعظم مفرداتهم لم تنص عليها معجمات اللغة مما يدل على أن علماءنا تركوا كثيرا من مفرداتنـا العربيـة واليـك بعـض الامثلـة علـى مفرداتهم وعلى لهجاتهم.

أ ـ المفردات :

" عقوم " : سدود وكذلك زبر، معمال: محراث ـ المعاد: يطلق علـى مسـاحة مـن الارض تقدر بأربعين باعا مربعـة، المححـاف: المحَراث، ضِمْـد: جمعهـا ضُمـود: البقـر المروض على اقامة سدود التراب، مُسود: بيـان أو كشـف بالنفقـات، نجـاب: الارض التي سقيت وجنت، عقبة: المحصول الثاني من القصب أو القمح، خبت: أرض رمليـة،

---

(١) – تاريخ المخلاف السليمائي لمؤلفه محمد بن احمـد عيـس العقيلـي، طبـع في الرياض عام ١٩٥٨م –والمخلاف مجموعة من المحافد والمحفد مجموعـة مـن القـرى – والنسبة– السليماني– تعود الى اقرب امرائه السابقين.

محفد: عدد من القرى في السهول، أو القصور في الجبال ورئيسه يحمل لقب "ذو " جمعه أدواء، مخلاف: عدد من المحافد ورئيسه يحمل لقب " قيل " ويؤلف الأقيال والأذواء، طبقة الأشراف والنبلاء، أُدُم : مَوَال تابعون لسيد، مكرب: لقب الرئيس أكبر أسرة في المخلاف وكان يطلق سابقا على سادن الاله او الهيكل، ثم تطور فأصبح المكرب هو الملك، المرسم: قلم الرصاص، جذوة: محماصة البن، كروان: طست الغسيل، دافور: بابور الكاز، اللي: الجبل، الحنبل: البساط، الماصة: الطاولة، الماشا: الملقط، سندال: ابو بريص أي سام أرص اللاسة أو الفطرة: الحطة أو " القضاضة "، ترخم: صار الى نهاية سيئة، الهودد: الشجاع الذي يرجع اليه في الامور، المروش: الحمام، يزهم عليه: ينادي، زكر: فطن، خاشق: هاجم، هذا أشكل: هذا أجمل، الاقديق: البطانية، المعرى: المكيال، فليت: الترومبة أي البخاخة....الخ.. الزير: الجرة، المقطة: قصاصة الاظافر... ابرك: مصباح.....

ب ـ اللهجات :

١ـ لهجة قبائل الحرث :

ترخم المنادي ولو ثلاثيا: حسابه حسن، وحذف عين الفعل اذا اسند الى ضمير المتكلم: قتولك: قلت لك واليك العبارة التالية.

[حسا محسين ماتا قتولك أنه لاتزين ذهه هْيبي ، يايان صاه اشبحي لِذّهه الهنيبي الزين حوله مجفش] وترجمتها الى العربية:

((ياحسن بن حسين قلت لك اترك لاتسو هذا الشيء، ياأمي انظري لذلك الشيء الجميل عند الطفل !))

الام: يان، صاه: انظري، امجفش: الطفل ـ فسأل التعريف عندهم ـ أم ـ، الهنيبي: الجميل.

٢ـ لهجة قبائل المسارحة :

ينطقون الجيم زايا: عزوز=عجوز، ومن مفرداتهم الغريبة: ذيرة: كثير، حنين: صغير، هلبعدج : ياهذا، ذحوله : هذا، ذاله: ذاك، هنحوله: هنا

٣ـ لهجة قبائل بني مالك:

يرخمون المنادى ويقلبون العين حاء ، وال التعريف عندهم أم ، أما المثنى فعلى القاعدة الصحيحة ، مثال:

[يا مسعو محسن قد بودي تقابلني نح امقاضي عوس جملناذا سرف عاما نـح بيـت صالح امسلما بنته فعرفه من نح أوصلافـه انـت ومحـه امريـه ومـا تشـهدان نحـوه انتمـا وشوفتين هنا يعرفانه]

تفسيرها: ((يا مسعود بن حسن أود أن تقابلني عنـد القـاضي بشـأن جملنـا الـذي سرق في العام الماضي عن جهة بيت صالح بن سلمان وأنت تعرفـه مـن جهـة أوصافـه أنت ومحمد بن مريم وما تشهدان به أنتما وأمرأتان هنا حضر ثان يعرفانـه)) فالشـوفة عندهم المرأة، نح: عند، عوس: بشأن.

٤- لهجة قبائل فيفاء :

فيما يلي حوار بين شخصين:

١- ويز م قاسم، وايز م قاسم أنت باد وايز [يايزيد بن قاسـم، يـايزيد بـن قاسـم أنت ظهرت وسمعت].

٢- مالاخير [خير، مالك].

١- وادع لجاب م سال قلو: قال الامير يسيل نحو دلحين [ادع جابر بن سالم وقـل له: ان الامير يطلب وصوله هذه الساعة].

وياهمها مرة بها بحاجتو ولايلهي [وليعجل فانه في حاجة اليه فلا يتأخر]

فالواو بدل عن حرف النداء يا، يلهي: يتأخر.

وهاك نموذجا آخر:

ويز بدي أوشعك أيل نت هايش معي نح امشيخ وما نحن لاهين

تفسيرها: يايزيد مرادي ارافقـك اذا مشـيت معـي الى الشـيخ، ولانريـد أن نمكـث طويلا هناك.

أوشعك: ألقاك، أيل: اذا، هايش: سائر، لاهين: مبطئين.

٥- لهجة بني جماعة :

اليك هذا الخطاب: لاكان مامنك هبتست عند يحيى ومـاريكوا [أول كلامـي أنـي سرت عند يحيى ومارأيته]

ها سمعت نت ونشتي يا باقي والسلامة [فطنت كلامي أنـت ونريـد لـك يـاطويل العمر ولك السلامة]

تدعو أيلو في ابيت ينحي صلانا [تدعوه اذا كان في البيت ينزل عندنا]
ريكو: رأيته، نشتي: نريد، أيلوا: اذاهو، صلانا: عندنا.

٦ـ لهجة خولان ورازح :

يا محم عبد ا لله يارني مارولك طول ايوم يا بيت [يامحمد بن عبد ا لله تراني مارأيتك طول يومنا هذا في البيت]

وقلبي ترو اشي ذحيك الي ثلي يار النحا متوحية لك والناس شاهده لنا:

[قصدي ترو الشيء الذي عندك الي ثمة ترانا منتظرون لك والناس معنا شهود لك].

فـ يارني: تراني، ذحيك: هذا عندك، ثلي: ثمة، متوحية: منتظرة.

٧ـ لهجة قبائل منية :

ياجبة نخوشه أرويح م علي يو احيني عندا مناظرة بالشريعة: ياجبار أنا أخوك أخبر يحيى بن علي يحضر معي عند الامير يقابلني بالشريعة.

والا ورني ميد انفذ علاه فانومها ميد يفدي وربهر شي يزغر: واذا لم يقابلني فتراني أريد أنفذ عليه لآنه ماريد ينصف وأنت ترى أن هذا أمر يغضب.

نخوشة: أنا أخوك بابدال الكاف شينا، يحم: يحيى بابدال الياء ميما، يواحني: يناظرني، ميد: سأفعل، بهر: بعض، يفدي: يرجع الى طريق الحق، ور: ترى، يزغر: يغضب.

٨ـ لهجة سحار :

مثل بني جماعة وعندهم: لينا بدل صلانا، لين: حتى، ويعرفون الاسم بالميم.

٩ـ لهجة قبائل المحمدي والحسيني :

الطاء عندهم تاء: اتلع : اطلع، نتالب : تطالب، لا النافية : مع، ويجعلون همزه على الالف في آخر الكلام والدجال طاء : غدا حمط = عدا حمد، واليك نموذجا من كلامهم كما في اليمن الاعلى :

(يا أحمط ياخبيري هيا ماه جالسن نتبع عندك في القضاء عآ ترأعي لنا أومع): يا أحمد يا صاحبي ماذا تريد نتبع بعدك في القفار ، هل تنتظرنا نمشي رفقة أم لا.

المفردات: تراعي : تنتظر، خبير : صاحب، مع : لا النافية.

أما اليمن الاسفل فينفردون عن اليمن الاعلى بابدال القاف غينا، وكذا لاحظت في سكان ينبع النخل السعودية : غاسم: قاسم ـ الدغيغع: الدقيق، الصراط المستغيم : المستقيم، غادر: قادر.

أما تهامة اليمن فتبدل الهمزة بالعين: ألي = علي، وفي جبل صبر يبدل الجيم قافا : القمل : الجمل، رقال = رجال.

ب ـ ألوان من الشعر العامي في اليمن :

١ـ فن الطارق (يقابل مايسمى في سورية ولبنان بالعتابا) :

يقول الشاعر الشعبي عبد ا لله السلامي وهو من أشهر زجالي الجنوب :

ياهاجري في الأوسده ما بخص ماك [الأوسدة جمع وساد وهي جفاف الزبير أي السد]

ما في وساده و الظهور ما علاها [أي ليس هناك ماء في السدود ولا الظهور أي الاراضي المرتفعة]

ومن آجاني قلت له منت فاجر،لأ ومن أتاني لأطلق له الماء منعته أن يفجر السد]

الا يكون بعد العقائد نخبر [العقائد مصارف المياه الا أن تكون أصابتها خابرة وهي المنفق الذي يصل بين الجانبين فيسهل نسف السد بسرعة قبل أن تتشرب الطينة بالماء].

فقد أكد علماء الاثار وقراءة الخطوط القديمة واللغات والوثائق والاقوام وحدة اللغة والعقيدة والسكان والحضارة وأصولها العربية الواحدة من المحيط الى الخليج العربي، وان تعدد التسميات: سريانية، سومرية، آكادية ـ كلدانية، بابلية، آشورية، آرامية، كنعانية، فينيقية، مصرية... لايعني شيء آخر غير عربي، مما يسقط المقولات المغرضة: ملتقى الحضارات، والحضارات الوافدة، وتعدد اللغات، لا اللهجات فقط، كالسامية، والحثية.... الخ .

كما أثبتوا ايضا : إن اللغة العربية القديمة هي اللغة الام، الاصل، التي انبثقت عنها جميع اللغات العالمية الاخرى القديمة، وبخاصة لغة الحضارات القديمة: كالدرويدية

الهندية وفروعها، ولغات آسيا الوسطى والشرقية حتى الصين، والاغريقية اليونانية، والاثروسكية، التي تأسست عليها اللاتينية الرومانية والفارسية... الخ.ولم تكن الابجدية الحرفية التي كتبت بها تلك اللغات الا الابجدية العربية المشرقية القديمة وتحديدا الفينيقية الكنعانية.

وهكذا تسقط أيضا كل محاولات الذين حاولوا خلق البلبلة وتشويه الحقائق... حينما اخترعوا من العدم العديد من اللغات، التي جعلوها رئيسية ومستقلة الواحدة منها عن الاخرى: نشأة وانتماءا عرقيا... للتضليل... كالسامية والسومرية والحثية، والآرامية، وأضافوا اليها العبرية... مثلما حاولوا جعل عرب المشرق، بصورة خاصة، شعوب متعددة بتعدد تلك اللغات وأكثر، ولارابط قومي عربي بينها، لاسيما السامية والسومرية والحثية... مقابل، الهندو اوربية، الارية...الخ.

مكتشفات بابل وآشور ... وحل رموز المسمارية والهيروغليفية (١)

فقد أكد المؤرخوتن الاغريق مثل " هيرودوتس " الذي زار بابل مابين ٤٧٠ – ٤٦٠ ق.م، والرمان مثل " سترابو وديودوروس " على عظمة الدور الحضاري لبابل وآشور وسواهما من عواصم الدولة العربية السورية المركزية القديمة التي ذكر خرائبها ومنها بابل... الجغرافي العربي، الاسطخري في بداية القرن العاشر ميلادي والتي أسفر الكشف عن معالمها من بداية القرن الماضي وحتى بداية القرن العشرين الحالي، عن وثائق بالغة الاهمية بخصوص ما مر ذكره. فقد بدأت عمليات الاستكشاف هذه عندما زار الرحالة الاسباني " بنيامين " من طيلة، بابل، عام ١١٦٥ م، لا، لاهميتها التاريخية والحضارية، وانما ليحسب المجمعات اليهودية حول خرائبها، التي وجدها تمتد لاكثر من ٣٠ ميلا، ومنها القصر الصيفي المتهدم، لنبوخذ نصر، اذ لاول مرة تصل الى اوربا أولى الرقم الطينية المكتوبة بالمسمارية، كشاهد على عظمة حضارة بابل، التي اكتشفها الايطالي " بيترود بلافيلا " عام ١٦١٦ م، في خرائبها، خلال رحلته لكل من بابل واور، في جنوب العراق .

(١)– بابل كلمة سومرية– وبابلون يونانية– لها نفس المعنى وهو – باب الله.

وفي عام ١٧٦٥ م قام " كارستن نيبور " بزيارة خرائب بابل قرب الحلة، فوجد بقايا برج معبد " بورسبا " ضمن خرائبها، ثم جاء " كلاوديوس جيمس رج " المقيم البريطاني المفوض لشركة الهند الشرقية وتبعه رحالة انكليز آخرون، لمواصلة أعمال الاستكشاف والتنقيب فيها، ثم توافد غيرهم من الاوربيين، طمعا في العثور على المعادن الثمينة والتماثيل وسواها في بداية الامر واستعانوا بما كتبه " هيرودوتس " عنها، هذا في حين بدأت التنقيبات المنتظمة عندما استطاع الفنان "روبرت كيربورتر" رسم أفضل الصور لبابل القديمة خلال زيارته ومشاهدته لاطلالها عام ١٨١٧-١٨٢٠م.

وكان أول من بدأ الحفريات المنتظمة " باول اميل بوتا " عام ١٨٤٢ م باستعمال المسحاة في خرائب نينوى دون جدوى، فانتقل الى خرائب خرساباد بحثا عن بقايا المدينة الملكية " دور شروكين " فتم العثور على منحوتات حجرية وأعمال جدارية هائلة، وضعت في متحف اللوفر الفرنسي، كأولى التماثيل عن حضارة الشرق الادنى القديم، وتوالى المنقبون عن الكنوز في آشور، فقد تمكن الانكليزي " اوستن هنري لابارد، من الكشف عن المصورات الجدارية لقصور " كلحو " نمرود حاليا بالقرب من الموصل وعلى " ٢٥٠٠٠ الف لوحة طينية في مكتبى آشور بانيبال، كتبت بالمسمارية، ويعود تاريخها للقرن السابع ق.م مما شجع الالمان على العمل للاستحواذ على مايمكن العثور عليه، فاسسوا جمعية استشراقية، اسموها الشرقية، فعهدت الى "روبرت لولديفي وايدوارد زاخاو" بعمليات التنقيب في بابل عام ١٨٩٦ – ١٨٩٧ م وبتشجيع ودعم مالي من القيصر والحقت بهما، روبرت لودجوي " مسؤولا عن البعثة عام ١٨٩٩ وسافر معه " فالتر اندريه " وعدد من العاملين الى بغداد فبابل، فاكتشفوا معالمها العمرانية والحضارية ومساحتها الكبيرة، ومنها قصر " نبوخذ نصر والاسوار وبرجها وحدائقها المعلقة والمعابد والقبور، وأبنية من عهدي الفرس والاغريق وحتى القرن الثالث ميلادي، وقد تراكمت فوق بعضها كتراكم العهود، التي لم يتمكنوا من الكشف عن منجزاتها الحضارية لاهم ولا غيرهم حتى الان، لصعوبة أن لم يكن لاستحالة، العمل والحفر على عمق يزيد على ١٢ مترا لتدفق المياه، رغم أن هنالك آثار يقع عمقها مابين ١٢ وأكثر من ٢٤ مترا مازالت تحت الركام.

وعندما تمكن الفرنسيون من الكشف عن معالم مدينة ماري القديمة تحت ركام تل الحريري على الفرات الاوسط، بما في ذلك القصر الملكي وأشياء هامة أخرى، القي

المزيد من الضوء على عهود بابل الاقدم من تلك التي اكتشفت آثارها فانكشفت نتيجة كل ذلك صفحات التاريخ القديم للمنطقة وتصورات وآراء الناس القدماء جلية، لاسيما من خلال فض رموز الكم الهائل من الرقم المكتوبة بالمسمارية، اذ يعود الفضل في حلها الى مدرس الثانوي الالماني " جيمورج فريدريش كرو تيفيند " عندما توصل عام ١٨٠٢ م الى حل رموزها بعد اكتشافه أن المسمارية استعملت في لغتين مختلفتين ، على عكس اللغات الاخرى ، وقابلها بثلاث لغات عثر عليها في المدينة الفارسية "بيرسي بولس" وهي: "الفارسية القديمة، والعيلامية الجديدة، والبابلية، فكانت الفارسية القديمة، مفتاحا لحل رموز المسمارية، ويعود ذلك حسب رأيي.. للاصول وخاصة اللغوية، العربية القديمة للفارسية القديمة إن لم نقل والخطية والثقافية والدينية والحضارية.. ايضا.

فقد احتوت الفارسية القديمة على ٣٩ علامة ولما كانت القاب الملك الفارسي "داريوس" قد تكررت في مؤلفات المؤرخين الاغريق فقد استعان بها "جيمورج" خلال مقابلته لكل من الفارسية القديمة والمسمارية، بعضها بالبعض الآخر، فتوصل الى حل رموز "١١" علامة من المسمارية، فاصبحت نواة لحل الرموز الاخرى، وكانت ترجمتها : " داريوس الملك العظيم، ملك الملوك، ملك البلدان، ابن هوستاسيس الاخميدي، هو الذي بنا هذا القصر،

كما حقق الضابط البريطاني " هنري راولينسون " نجاحا في حل رموز تلك اللغة الايرانية، الفارسية القديمة، وقد ساعده في ذلك النصوص التي أرخت انتصارات "داريوس" على صخور "بيستون" .

هذا في حين استكمل باحثون آخرون، فيما بعد، القراءات وفض قواعد اللغة، وبذلك كانت الايرانية القديمة، الوسيلة لفك رموز البابلية المسمارية، التي احتوت على أكثر من ٣٠٠ علامة لاسيما وان كل منها تحتوي على عدة تفسيرات وأسماء، تختلف عما استعمل في الايرانية القديمة، ولكن تبادل الخبرات والعمل المشترك على النطاق العالمي قد أسهم في حل رموزها، خصوصا وأن الدانماركي " ايدوارد هنكس" قد أثبت أن الكتابة المسمارية البابلية تتكون من مقاطع وليست حروفا، ولتمييز كلمات معينة تدمج هذه المقاطع، فيتم التوصل الى اعطاء كلمة ذات معنى، ولذلك اصطلح على تسميتها بالمسمارية المقطعية، ومع مرور الزمن تم ترتيب مجاميع ما أسموها

باللغات السامية، عبر العمل في حل تلك الرموز، وبالمقارنة بين ما أسموها، بالعبرية القديمة والعربية.

وكان تكرار ما جاء في التوراة قد أثارا اهتمام الاوربيين ودفعهم للبحث عنها والتأكد من دورها لاسيما ضد اليهود، أكثر منه التعرف على منجزاتها ودورها الحضاريين المتميزين في العالم القديم.(١)

أما " الهيروغليفية " التصويرية، المصرية القديمة، فقد تمكن جان فرانسوا شامبليون عام ١٨٢١ ــ ١٨٢٢ م، كما ذكر القاموس الفرنسي ــ الفرنسي ــ الصادر في ستراسبورغ عن ارنست بلاباريون عام ١٩٥٦ - من حل رموزها التي اكتشفت على حجر رشيد في مصر** فعلى الرغم من التأكد من الأصل العربي الواحد لتلك الشعوب التي وصفوها بالسامية، واللغات والخطوط والابجديات، ومن عظمة ودور الحضارات العربية القديمة الخلاق عالميا حسب تأكيد المؤرخين القدماء ومجمل المكتشفات الاثرية، أصر المؤرخون والباحثون والعلماء والمستشرقون المغرضون على المضي في محاولاتهم لقلب الحقائق وتضاربت آرائهم رغم ذلك لاسيما حول أصل وموطن الساميين الاصلي وحول أصل الفينيقيين، هذا في حين أكد د. أحمد داوود: أن الفينيقيين هم أحفاد الاموريين العرب، بينما أكد عبد الكريم ذا النون (١) : انهم والكنعانيين من أرومة عربية واحدة.

علما أن الابجدية الحرفية التي اكتشفت في اوغاريت برأس شمرا عام ١٩٤٩ كانت مكتوبة على الواح فخارية بالخط المسماري على الطريقة الرافدية من اليسار الى اليمين، ويرجع تاريخها الى منتصف الالف الثاني ق.م وتألفت من ٣٢ حرفا وفي المقابل اكتشفت كتابات اوغاريتية في فلسطين كتبت بالابجدية الحرفية من اليمين الى اليسار، وتألفت من ٢٢ حرفا وهذه وتلك كتبتا باللهجة الكنعانية التي انتشرت في مختلف انحاء العالم حسب رأي ذا النون .

كما يؤكد د. اسرائيل ولغنسون: أن هذه الابجديات الحرفية قد أوجدها الكنعانيون عندما اختزلوا الهيروغليفية واتخذوا الاحرف الاولى من الصور التي تشير الى المعاني ومقاطع بصور واشارات فتكونت عندهم الحروف آنفة الذكر..الخ .

وبصرف النظر عن التباين والتضارب في الاراء والاحكام - في هذا المجال - فان ماتقدم ذكره يؤكد على وجود علائق وثيقة وتواصلية تكاملية ــ في مضمار اللغة القومية العربية القديمة الواحدة وأن الخطوط القديمة التي كتبت بها كالتصويرية المقطعية

(١)- راجع بخصوص المسمارية- د. كلينكل بدانت - رحلة الى بابل القديمة ترجمة د زهدي الداوودي -دار الجليل دمشق ١٩٨٤ .

=

والمسمارية والهيروغليفية هي التي تحدرت وتطورت عنهـا الابجديـات الحرفيـة العربيـة: كالفينيقية سواء كانت كنعانية أو أمورية الاصل والمسـند والنبطيـة والتدمرية، وذلـك بدليل تطورها وانصهارها جميعا من تم في نهاية المطاف في بوتقة لغة وأبجدية واحـدة، هي العربية التي فرضت سيادتها حتى الان.

يقول د. علي العناني في مقدمته لكتاب ـ الاساس في الامـم السـامية ولغاتهـا: ان بلاد العرب في وسط وجنوب الجزيرة العربية هـي المهـد الاول للامـم اذ نشـأت فيهـا الجماعة السامية الاولى في العصـور القديمـة المظلمـة وعرفـت فيهـا منـذ فجـر التـاريخ ويؤكد: أن الساميين جميعا هم مـن الاصـل العربـي وأن لغـاتهم ترجـع الى لغـة عربيـة واحدة قديمة أو مايطلق عليها البعض ـ السـامية الاولى، وأن منزلـة اللهجـات السـامية من اللغة العربية هي منزله الفروع الدانية من الاصل.

ولذلك نجد الفروق اللغويـة بـين اللهجـات السـامية جميعهـا ضئيلـة وهنـاك ألفـاظ مشتركة في جميع اللغات " اللهجات " السامية ترجع الى أصلها العربي القديم الواحد: كالضمائر ـ وأسماء الاشارة ـ والفاظ العدد ـ وأعضاء الجسم وجمله أخرى من الالفاظ مثل: سماء ـ شمس ـ وأخ ـ واسم ـ وبيت ـ وثور ـ وجمل ــ وليـل ــ ومـاء ــ وولـد ــ وعدد لايستهان به من حروف الجر.. الخ.

ويقـول د. ريحي كمـال (١): لننعـم النظـر في الجدولـين اللذيـن اقتبسـناهما عـن المستشرق ـ اسرائيل ولغنسون ـ في ضمائر الرفع المنفصلة وفي أسمـاء الاشـارة في جميـع اللغات السامية التي وصلت الينا لنستدل على ذلك، ويقصد ما أكده العناني آنفا.

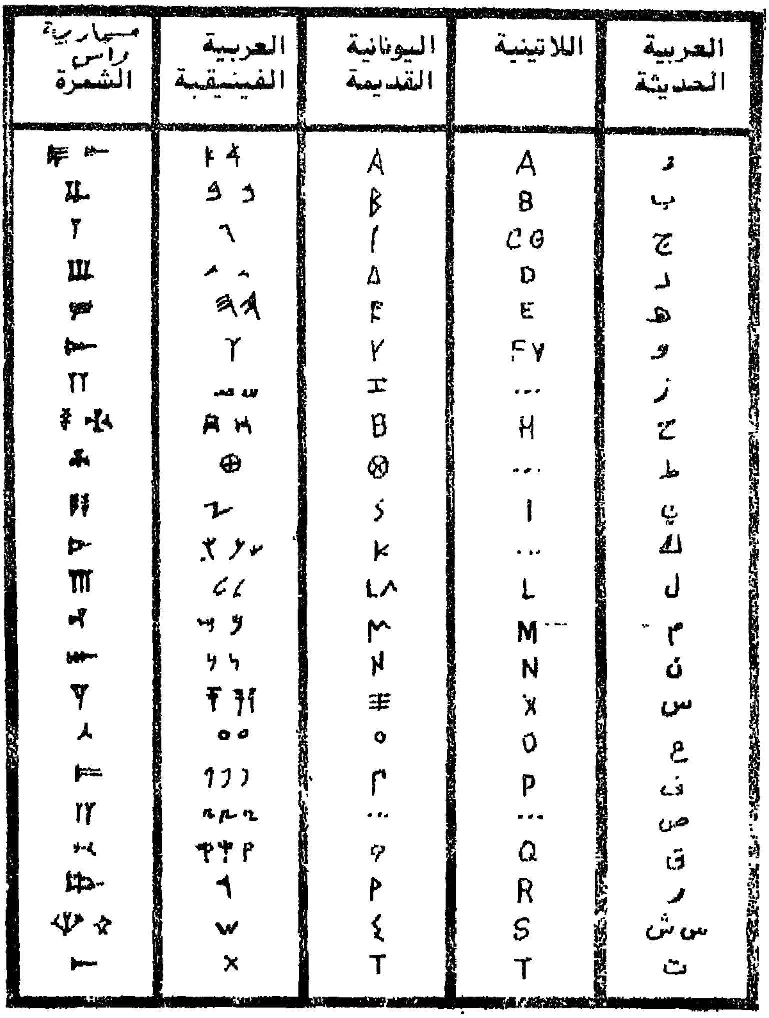
وفي مقابل هذه المسلمات أصر المستشرقون، وخاصة في القرن التاسع عشـر علـى جعل العبريين الذين جعلوهم والاسرائيليين واليهود معـا ودون تفريـق حتـى اليـوم، في عداد ماأسموهم بالشعوب السامية، ليجعلوهم بالتالي من هذه الشعوب، ولكن بشـكل متميز عليها في التفوق والعراقة الحضارية، كوضع النخبة بالمقارنة مع العامة من النـاس في التاريخ القديم، كما هم في الحاضر.؟

اضافة الى الاصالةالمتميزةأيضا في اللغة منذ القـدم، ألا وهـي العبريـة، الـتي أضافهـا ولغنسون الى الجدولين آنفا الذكر، بالاضافة لجـداول أخـرى لـه، لتكـون أداة مقارنـة وقياس لـ اللغات السامية ولهذا تعرضها كما هي على الصفحات قبل الاخـيرة لاتاحـة الفرصة للقارئ العربي للاطلاع والتعرف على جانب مما يحاك له في الظلام على الاقل وليكون على بينة من أمره وليقوم بواجبه ازاء ذلك.

= ** ـ راجع جداول الهيروغليفية والمسمارية والمسند على الصفحات اللاحقة.

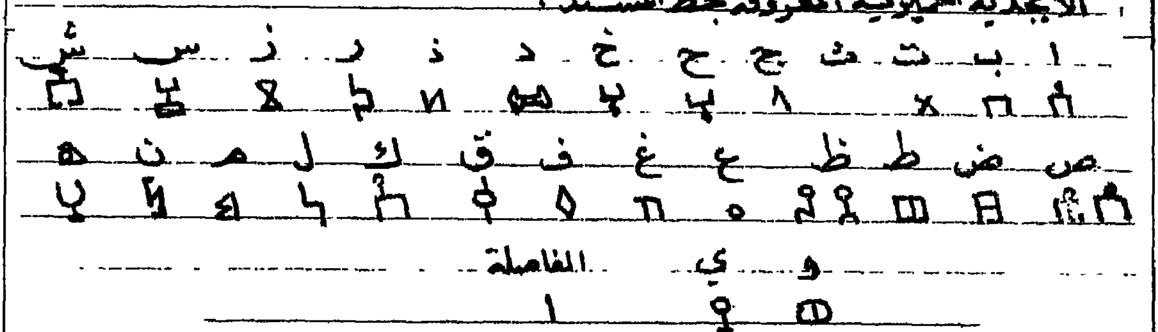
هذا في حين أن أكثر الآراء تجمع على أن العبرية ملفقة وأن أكثر مفرداتها مسروقة من اللهجات العربية القديمة من سامية ومن سواها. كما أصر بعض المستشرقين، من جانب آخر على: أن الموطن الاول للساميين هو الحبشة حينا، وشمال أفريقيا عموما حينا آخر، ومنها انتقلوا كما يزعمون عبر برزخ السويس الى المشرق العربي هذا في حين ذهب فريق آخر منهم الى أن أرمينيا هي الموطن الاصلي لكل الساميين والآريين معا ؟...الخ.

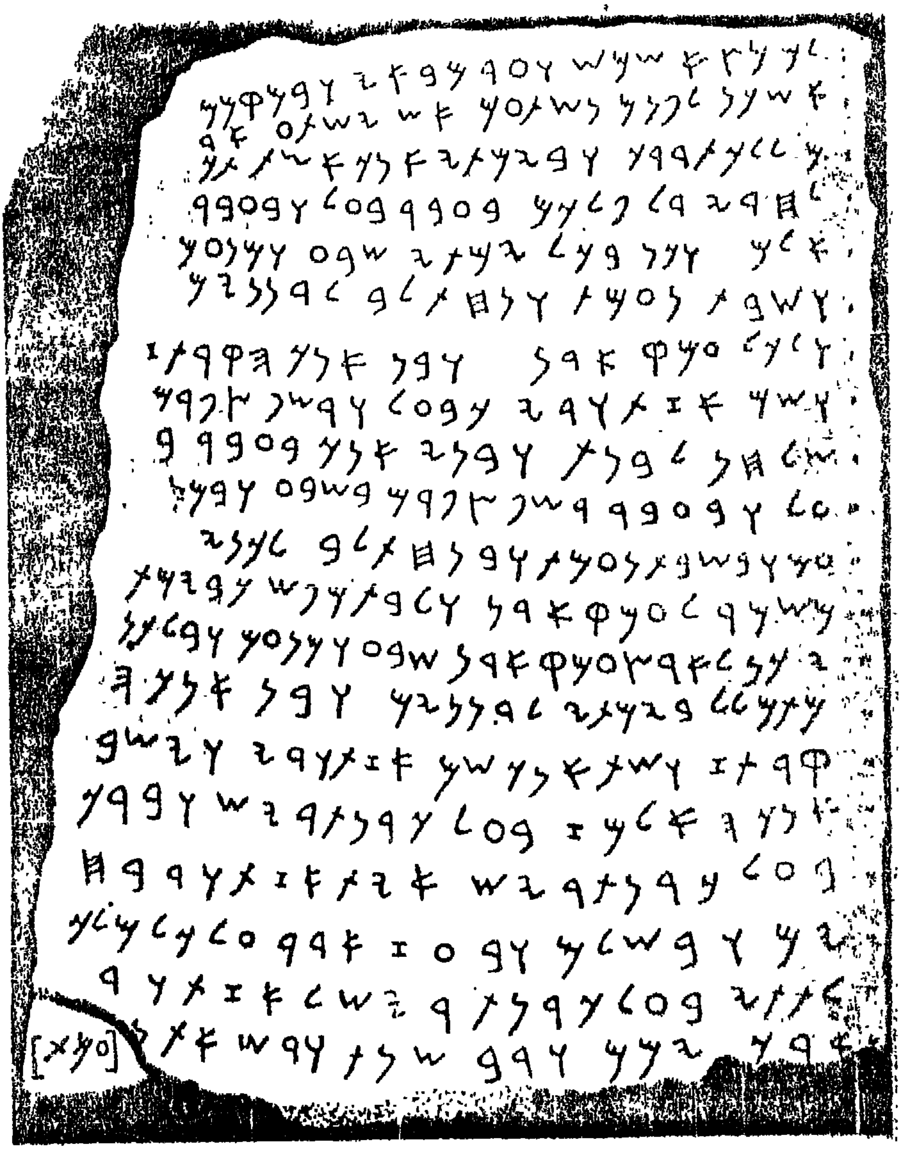
ولاشك أنهم يرمون من خلال ذلك الى أن العرب لم يبنوا لاحضارة وادي النيل ولاحضارة بلدان منطقة الهلال الخصيب العربيتين، بل تلك الشعوب ذات الاصل: الافريقي التي جعلوها حامية أي غير عربية، والاخرى ذات الاصل الاري ـ الاسيوي ـ اوربي ؟ لاسيما وانهم قد أخرجوا: السومريين والحثيين وسواهما عن عروبتهم وجعلوهم آريين أيضا ومع ذلك مازالت مثل هذه المصادر الاستشراقية والغربية واليهودية والصهيونية لتاريخ الشعوب واللغات والحضارات، وخاصة، القديمة هي المعتمدة حتى الان عربيا، بما فيها تلك المصادر التي اعتمدها د. ربحي كمال ـ الاستاذ المحاضر للدراسات السامية في كلية الاداتب بجامعة دمشق بداية من العام ١٩٥٣ سواء في التدريس أو في وضع كتابه الصادر عام ١٩٧١ تحت عنوان: " دروس في اللغة العبرية".



الأبجدية العربية الفينيقية هي الإغريقية القديمة وهي أصل الكتابة في الغرب كله!

الأبجدية الحميرية المعروفة بخط المُسْنَد :

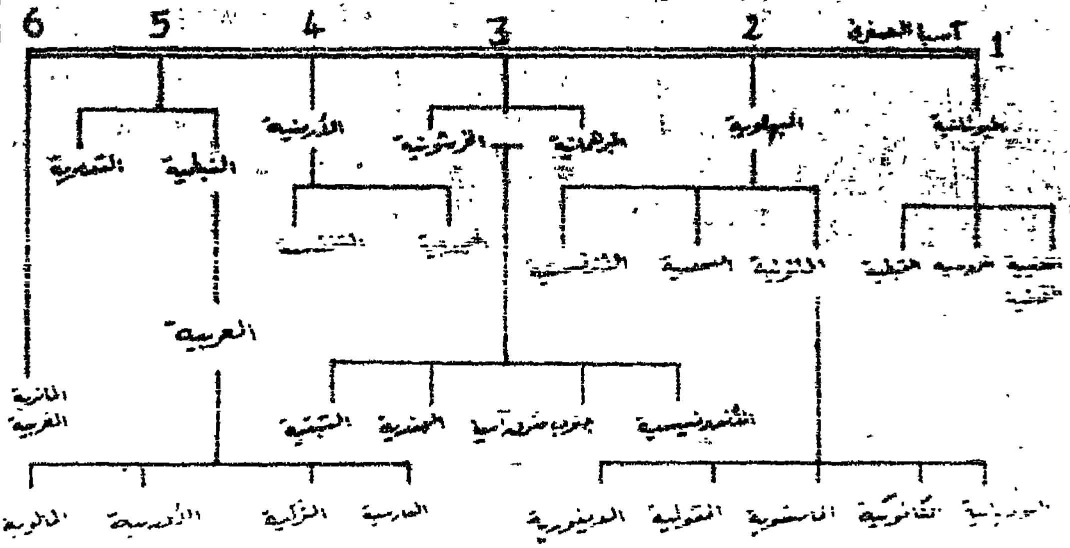




رقيم تمثال الملك — الظهر . من النصوص الفينيقية المكتشفة في قره تبة .

جدول ٢ انتشار الابجدية الفينيقية الكنعانية العربية

عبر فصحى اللهجة العربية السريانية الأرامية – إلى :



ALPHABET

ALPHABET GREC

Lettres franç. correspond.	Majuscules	Minuscules	Noms des lettres	Lettres franç. correspond.	Majuscules	Minuscules	Noms des lettres	Lettres franç. correspond.	Majuscules	Minuscules	Noms des lettres
a	Α	α	alpha	i long ou bref	Ι	ι	iota	r	Ρ	ρ	rhô
b	Β	β, ϐ	bêta	k	Κ	ϰ	kappa	s dur	Σ	σ, ς	sigma
g	Γ	γ	gamma	l	Λ	λ	lambda	t	Τ	τ	tau
d	Δ	δ	delta	m	Μ	μ	mu	u long ou bref	Υ	υ	upsilon
é bref	Ε	ε	epsilon	n	Ν	ν	nu	f	Φ	φ	phi
dz	Ζ	ζ	dzèta	x, cs	Ξ	ξ	xi	k	Χ	χ	khi
ê long	Η	η	êta	ô bref	Ο	ο	omicron	ps	Ψ	ψ	psi
th	Θ	θ, ϑ	thêta	p	Π	π	pi	ô long	Ω	ω	ôméga

الابجدية اليونانية القديمة

ALPHABET RUSSE

Аа	Бб	Вв	Гг	Дд	Ее	Жж	Зз	Ии	Й
a	b	h,v	ghé	d	yé	je	ze	i	i

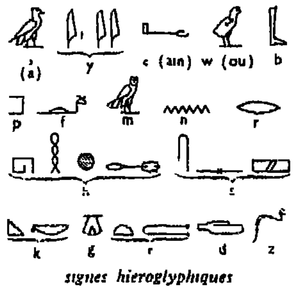
(Ii)	Kk	Лл	Мм	Нн	Оо	Пп	Рр	Сс
i	k	l	m	n	o	p	r	s

Тт	Уу	Фф	Хх	Цц	Чч	Шш	Щщ
t	ou	f	ke	tsé	tché	cha	chtcha

Ъъ	Ьь	Ыы	(Ѣѣ)	Э	Юю	Яя	(Ѳѳ)	Ѵѵ
(dur)	(mou)	y	yat	é	you	ya	f	i

الابجدية الروسية

°**hiérarchique,** adj. Qui appartient à la hiérarchie.
°**hiérarchiquement,** adv. D'une manière hiérarchique.
hiérarchiser, v. tr. 1er gr. Organiser sur le principe ou la base d'une hiérarchie.
hiératique, adj. Qui concerne les prêtres, les choses sacrées. *Écriture hiératique,* dans l'anc. Égypte, écriture des hiéroglyphes. *Pose hiératique,* qui évoque l'attitude d'une statue sacrée.
hiératisme, n. m. Caractère, esprit hiératique.
hiérodule, n. m. *Antiq.* Serviteur attaché à un temple.
hiéroglyphe [*gli-fe*], n. m. 1 Caractère de



الهيروغليفية التصويرية المصرية، اكتشفت على حجر رشيد في مصر

يقول ـ ادوارد دروم ـ أن علاقات هذه الاقوام بالامم التي كانت قبلها مقيمة هناك هي من نفس المنشأ كعلاقة سكان السهوب أي الصحارى، بسكان السهول أي الخصبة، وكالعلاقة التي تعكسها الاسطورة السومرية بين: انكيدو ـ وجلجامش ـ فالعربي قبل عصر التاريخ هو انكيدو غير المستقر والعربي القديم المتمدن المقيم ـ هو جلجامش تماما، كالعلاقة بين البدو ـ الرحل والحضر. (١)

كما يقول العالم ـ رينه دوسو ـ أما أولئك الذين اعتمدوا ما قرره ذات مرة صموئيل نوح كرايمر ـ من أن لغة السومريين غريبة عن المنطقة فان علم اللغات مالبث أن دحض ذلك. (٢)

فقد كانت تلك الحقائق أي: السكان ـ واللغة ـ والعقيدة ـ والارض ـ والتاريخ ـ والحضارة ـ والشعور النفسي المشترك ـ هي الركائز الاساسية لتشكل الامة العربية وتبلور هويتها القومية ورسوخ كيانها ووجوده على الارض العربية من الخليج الى المحيط، منذ آلاف عديدة من السنين وأن المفهوم التاريخي لكلمة العرب كان قد تبلور واكتسب شموليته هذه في صميم تلك البوتقة، المفعمة بالنشاط والرقي والتقدم الحضاري.

---

(١) د. أحمد داوود ـ نفس المرجع السابق ص ٥٦.

(٢) د. أحمد داوود ـ نفس المرجع السابق ص ٥٧.

الفصل الرابع :
التقدم الحضاري العربي الشامل وظهور أول دولة في التاريخ :

ان الانسان العاقل جدنا الاعلى، الذي اكتشفت آثاره الحضارية في الوطن العربي والعالم القديم، هو الذي حقق أول فقزات حضارية نوعية كبرى في التاريخ الانساني، كما أوضحنا عندما اكتشف على التوالي: التدجين - والزراعة - والتعدين - وأسس القرى والمدن... الخ. وسار بخطى ثابتة ومتواصلة على طريق التقدم الحضاري في المجالات كافة، منذ الالف الثاني عشر ق.م حتى اذا ماحل الالف الرابع ق.م قام ببناء أول دولتين عرفتها الانسانية في كل من المشرق ووادي النيل العربيين، طبقا للمفهوم الشامل: الحقوقي والاداري والتنظيمي، والسياسي والاقتصادي والعسكري واستمرت كل منهما قوية موحدة على مدى ثلاثة آلاف عام متواصلة تقريب.

ويهمنا هنا أن نؤكد - كرد على التشكيك والتضليل والتشويه الذي استهدف الدولة العربية المركزية السورية والتاريخ العربي المشرقي بأنه على الرغم مما كان يقع في اطار تلك الدولة الامبراطورية من صراعات وحروب داخلية أحيانا، بين القوى المحلية والمقاطعات التابعة لها ومن تبدل نتيجة ذلك في الزعامات والحكام والملوك والأسماء التي اشتهرت بها الدولة نسبة للأسر التي حكمت: كالسومريين والآكاديين والأموريين والبابليين والكلدانيين والاشوريين والفينيقيين... الخ. ومن انفصال واستقلال بعض المقاطعات وخاصة في الاطراف عن الدولة المركزية لبعض الوقت وهو مايفسر وجود بعض الدول أو الممالك الصغيرة هنا وهناك أحيانا كالتي ذكرها المؤرخون في المنطقة، فان الدولة المركزية سرعان ما كانت تستعيد سيطرتها ووحدتها سياسيا وجغرافيا في اطار مايشبه الاتحاد الفدرالي أو اللامركزي في الادارة الحكومية، ولم يكن وجود تلك الدول والممالك الا نوع من التقسيم الاداري في اطار الدولة المركزية الموحدة وعلى هذا النحو استمرت قائمة مستمرة رغم تلك الظواهر العارضة قرابة ثلاثة آلاف عام متواصلة منذ الالف الرابع ق.م وحتى أواخر الالف الاول ق.م أيام الملكة زنوبيا التدمرية وضمن الحدود الواقعة مابين البحر الاسود وقزوين والهضبة الايرانية شمالا والمحيط الهندي جنوبا ووادي السند شرقا وحوض البحر المتوسط وحتى اسبانيا غربا. (١)

(١) د. أحمد داوود - نفس المرجع السابق ص ٩ و ٧٣

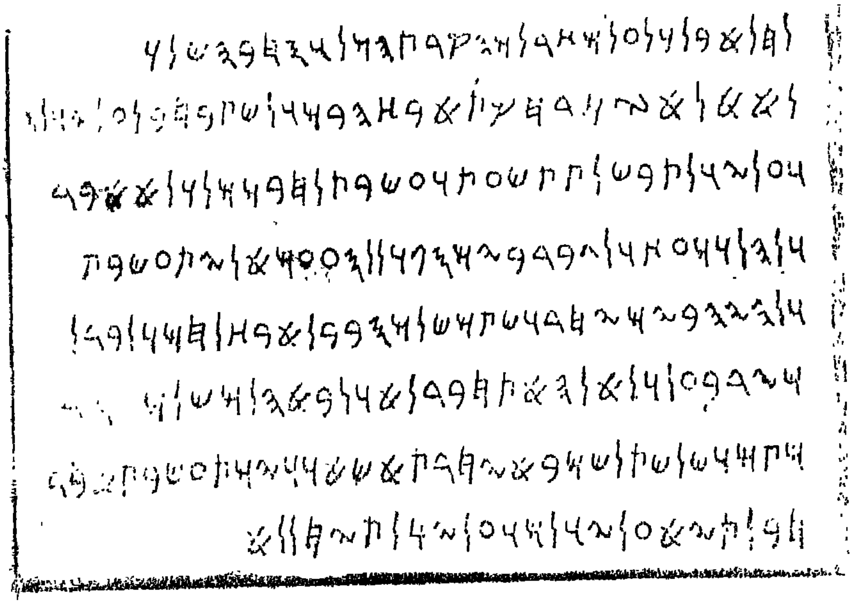
وجاء **اكتشاف الاحرف الابجدية العربية** من قبل الفينيقيين العرب السوريين في الالف الثاني ق.م، ليدفع بالحضارة العربية الى فقزات نوعية جديدة الى الامام، مما أدى الى سهولة وسرعة نقل تلك المنجزات الحضارية ومنها المعارف والعلوم والثقافة والفنون...الخ. الى الشرق والغرب وتحقيق التواصل والتكامل على المستوى الانساني عبر سلسلة المراكز التجارية والمستوطنات الزراعية التي أقامها العرب الاموريون وأحفادهم ومنهم بوجه خاص الفينيقيون السوريون، في البلدان الاوربية المطلة على البحر المتوسط كافة ومنها الى داخل اوربا شمالا وغربا .

وجاءت **الاكتشافات الجغرافية** الكبرى من قبل قدماء العرب لتفتح آفاقا جديدة لربط بلدان العالم بعضها بالبعض الاخر وتوثيق عرى التواصل والتبادل والارتقاء الحضاري الانساني لاسيما وأن العرب كانوا متقدمين في علوم الملاحة البحرية وصناعة السفن كما كانت سيادتهم مطلقة على البحار لالاف السنين وهو مامكنهم من اكتشاف امريكا فقد اكتشفت لوحتان صخريتان واحدة في امريكا الشمالية وعرفت بلوحة ـ دكتون ـ وأخرى في حوض الامازون في البرازيل مكتوب على كل منهما بالعربية الفينيقية قصة هؤلاء الرواد العرب وكيفية وصولهم بسفنهم الى الشواطئ الامريكية وكان ذلك قبل اكتشاف كرستوفر كولمبوس لامريكا باكثر من ألفين وخمسمائة عام، كما اكتشف الملاحون العرب أيضا رأس الرجاء الصالح، عندما أبحر القائد حانون الفينيقي بسفنه من البحر الاحمر ليدور حول افريقيا من الشرق والجنوب والغرب ليصل عبر مضيق جبل طارق الى المتوسط فليبيا [1] .

ومن جهة ثانية ذكرت مراجع عربية وأجنبية أخرى أن فرعون مصر " نخاو ـ أو ـ نكاو " كلف عدد " ١ " من البحارة الربابنة الفينيقيين بقيادة أول رحلة بحرية في تاريخ البحث العلمي، مؤلفة من اسطول بحري مصري لاستكشاف الشواطئ الافريقية من الاربع جهات وكان قائد هذا الاسطول الربان الفينقي العربي " حانون الصيداوي".

---

(١) فرج الله صالح ديب ـ نفس المرجع السابق ص ١٥ ـ وقد استند الى ماذكره المؤرخ اليوناني ـ هيرودوتس عن رحلة حانون الفينيقي تلك بأنها كانت حوالي القرن الثامن عشر ق.م.

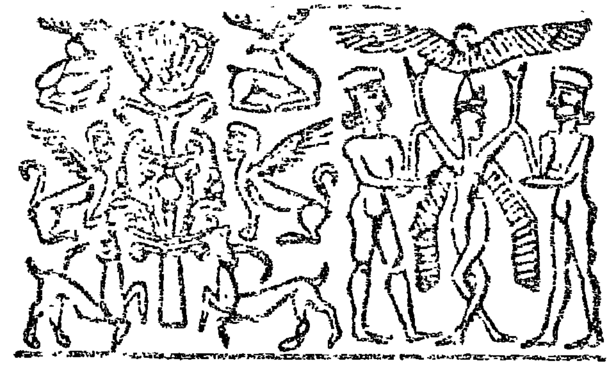


النص الفينيقي المكتشف على صخرة «بارايبا» في البرازيل وترجمته إلى العربية الحديثة يعود إلى بداية الألف الأول قبل الميلاد أي إلى [illegible] عن الذي سبقه قبل كريستوف كولومبس

«أنا [illegible] في النص [illegible]. وبفضل مقاومة الرجال في البحر تمكنا من عبور [illegible] من أن ندور حول أرض حام (أفريقيا) لمدة سنتين. لكن [illegible] من [illegible] فرقتنا، ولذلك انفصلنا عن رفاقنا، وجئنا إلى هنا، ونحن اثنا عشر رجلا و[illegible] نساء إلى ساحل جديد بإشرافي أنا الأميرال [illegible] من الآلهة أن يترأفوا بنا (أن ينعموا علينا)»



صخرة ديكتون في أمريكا الشمالية وكتابات فينيقية.



عشتار بين «انو (آنو) و«يا (إيا) ومن فوقها الشمس المجنحة يميناً، وشجرة الحياة أو الخصب يساراً في الآثار المكتشفة في شمال سوريا والتي يزعم المزورون أنها «حثية».



السيدة العذراء (عشتار) والشجرة والطفل الإلهي تموز ختم بابلي.



مسلة بعل في أوغاريت "رأس شمرا" (١٩٠٠-١٨٠٠ق.م)

أصول الحضارة الاغريقية – عربية

قال ـ مارتن برنال ـ حول أصول الحضارة الاغريقية في بحث له ـ ترجمة شوقي جلال ـ الى العربية ونشرته مجلة الثقافة العالمية ـ الكويتية في عددها " ٧٣ " تشرين الثاني ١٩٩٥، تحت عنوان : أثينا افريقية سوداء الجذور الافريقية والمشرقية للاغريق ص " ٨٩ ـ ١٠٩ " ماملخصة :ـ

وجدت من المفيد أن أمايز بين نموذجين عن نشأة اليونان القديمة ـ وقد سميتهما ؟ النموذج القديم ـ والنموذج الاري، وقد لقن أغلبنا النموذج الاري، وحسب هذا النموذج الثاني فان الثقافة الاغريقية هي نتاج غزوة أو غزوات شنتها ضد اليونان جحافل وافدة من الشمال تتحدث لغة هند ـ اوربية، بيد أننا لانعرف منشأ الكثير من العناصر التي ليست من أصل هند ـ اوربي، والواردة في اللغة اليونانية القديمة مثل أسماء الاماكن والمواقع الجغرافية وأسماء الالهة والمقدسات والاسماء الواردة في الاساطير...الخ، وفضلا عن هذا نحن لانجد تراثا لغزو اليونان القديمة من الشمال، وكانت هذه الوقائع أحد المشكلات أمام الباحثين في القرنين ١٩ ـ ٢٠ ممن كانوا مقتنعين بالدور المحوري للغزو المشار اليه ـ في تكوين الثقافة الاغريقية وعبر عن هذا ـ دي بي بوري ـ في كتابه عن تاريخ اليونان القديم حين قال عن اليونانيين القدماء: لقد تطلعوا الى الشرق لا الى الغرب، باعتباره الجهة التي هاجر منها بعض اسلافهم القدامى، انظر ص٢٥ـ١٩١٣ـ بوري، هذا في حين يذكر ـ بلوتارك: بان اليونان القديمة سكنتها قبائل بدائية من ـ البلاسجيين وغيرهم ـ ثم استوطنها بعد ذلك المصريون والفينيقيون الذين أقاموا المدن وأدخلوا نظام الري ـ كما أدخل الفينيقيون الابجدية، بينما علم المصريون سكان البلاد الاصليين اسماء الالهة وكيفية عبادتهم، وساد اعتقاد بأن الاسر المالكة الاولى انحدرت عن سلالة الهية... الخ.

هذا النموذج القديم جرى تكذيبه، حسب صاحب البحث في الربع الاخير من القرن ١٨ دون استناد الى أي حجة جديدة للمعلومات، وذلك نتيجة لتحولات فكرية ـ غربية، قادها باحثون من اليهود، وأؤكد هنا: أن هذه التحولات تمثلها الهيمنة الجديدة للنزعة العرقية ومفهوم التقدم ـ والخصوصية وأهمية المكان والقرابة في تلقي المعلومات والثقافات .. وأن البيئة القاسية الحافزة كالجبال الباردة في الشمال هي التي أنجبت أفضل الشعوب وأكثرها تميزا، وهكذا فان عرقا متميزا مثل الاغريق لايمكن أن يكون قد استمد ثقافته من الجنوب أو الشرق الادنى عرقيا، وقد أدت هذه النزعة

العرقية المنظمة في اوربا وخاصة الشمالية ـ الى تشويه سمعة الشعوب التي تسعى الى استئصالها أو استعبادها واستغلالها من شعوب القارات الاخرى. وفي ظل هذا المناخ الفكري والثقافي العرقي ـ العنصري ـ الغربي ظهر النموذج الاري لليونان القديمة ـ إنطلاقا من فرضية زائفة عن وجود رابطة ـ عائلة لغوية هند ـ اوربية قديمة، منشأها الاصلي كان في وسط اوراسيا ـ اضافة الى مانجم عن غزوة الشمال فيما قبل التاريخ، وكان الالمان أكثر تطرفا في افتراض واظهار ذلك النموذج، دون سند علمي أو تاريخي أو أثري، وبعض المفاهيم والنماذج الغربية الجديدة قالت: إن الساميين اعطوا البشرية الدين والشعر في حين أعطى الاريون: الرجولة والديمقراطية والفلسفة والعلم. ولكن لم يذكروا لنا من من الساميين يقصدون ـ في مكرمتهم هذه؟ هل بني اسرائيل فحسب أم مطلق الساميين بما فيهم من عرب؟ .

حتما لم يكن ذلك الا اشارة لبني اسرائيل ارضاء لليهود والصهاينة الذين اعتبروهم اوربيين بعد انهيار النازية وانكفاء النزعة الدينية الغربية المعادية للسامية "اليهودية خصوصا" والفينيقية بشكل ثانوي وظهور ما عرف بالعالم الثالث ـ وقيام "دولة اسرائيل" التي اعتبرت مخفرا أماميا للاستعمار وللحضارة الغربية في الوطن العربي.

الوثائق الاثرية المكتشفة تنطق بالحقائق :

للكشف عن زيف النموذج الاري ـ الهند ـ اوربي، عن أصل الحضارة الاغريقة، والذي يقوم على التزوير، تعالوا لنتتبع معا ما اسفرت عنه الوثائق الاثرية من معلومات وحقائق دامغة بهذا الشأن، فالوثائق المكتشفة في مناطق "بحر ايجه" هي ألواح المجموعة الخطية بي " B " والتي عثر عليها في كل من كريت وداخل شبه الجزيرة اليونانية، ويرجع تاريخها الى القرنين " ١٤ ـ ١٣ " ق.م، وقد كتبت حسب منطوق علماء اللغات القديمة من الغربيين بلغة يونانية قديمة ـ تحتوي على الكثير من الكلمات السامية

ـ والمصرية... والالواح وثائق ادارية خاصة باقتصادات القصور الملكية، وتكاد تكون صورة طبق الاصل عن الواح المشرق ومابين النهرين، ويشمل التماثل نظام الاوزان وتطابق العبارات البيروقراطية، وأسماء الاشخاص مثل: ايكو بيتيجو ـ ميزاريجو ـ وهي أسماء مصرية ـ وتوريجو ـ أي بلدة صور ـ توريان أو صوري من بلدة صور، مما يدل على وجود شعب وفد من هذه الاماكن خلال العصر البرونزي الى منطقة بحر ايجة ـ ويثبت الاثر المهم والكبير للشرق على اليونان ـ وبصدق الشيء نفسه على نصوص من الشرق، فثمة ألواح من الميناء السوري الكبير في اوغاريت ترجع الى القرنين "١٤-١٣-" ق.م تثبت ليس فقط أن موظفي الميناء يعرفون كريت بل أنهم أيضا يتاجرون معها، وهناك خطاب يرجع تاريخه الى القرن١٤ق.م مرسل من أحد ملوك صور الى فرعون مصر يذكر فيه اسم أحد ملوك "دانونا" الذي كان في اليونان وهناك وثيقة مصرية تذكر العلاقة مع كريت ويرجع تاريخها الى القرن٢٢ ق.م.

يقول مارتن برنال: وقد تواترت الاشارات الى بحر ايجه خلال فترة حكم الهكسوس ١٧٢٠-١٥٧٠ق.م وهم جماعة من الشماليين المتحدثين بلغة سامية، ولكن اعتاد مؤرخون وباحثون وجلهم من اليهود دون شك، العودة بهذه الفترة الى القرن الثالث ق.م وربطها بتراث العهد القديم، والاقامة المزعومة لبني اسرائيل، في مصر كما اعتادوا ربط طرد الهكسوس من مصر، بالخروج، المزعوم ايضا، لبني اسرائيل من مصر، هذا الخروج الذي تحكي عنه التوراة ... الخ.

ان لهذه الحقبة ايضا تراثها بين الاغريق، وهو تراث يتحدث عن مستوطنات "دنانز" والانتقال من مصر الى اليونان، وعن "كادموس" قدموس، الفينقي، وان حكام اقليم " هاونبو " بمنطقة بحر ايجة تحالفو مع المصريين ضد الهكسوس، وكانت العلاقة وثيقة بينهما منذ نهاية حكم الهكسوس وبداية عهد الاسرة ١٨-١٦٥٠-١٥٥٠ق.م وهناك قائمة اثرية مليئة باسماء من كريت وأسماء سامية واخرى من اور ومن مصر...الخ، اضافة الى أنها توضح اهتمام المصريين بالجزيرة وحقهم في معرفة شؤونها باستمرار، مما يدل على أنه كان لهم نوع من النفوذ أو السيادة عليها.

والسنوات التي شهدت ابرز الدلائل على وجود علاقات وثيقة بين مصر ومنطقة بحر ايجة هي من ١٤٥٠ - ١٣٢٠ ق.م والتي أقامت خلالها المملكة الاغريقية الحديثة، امبراطورية لها في المشرق والجدير بالذكر، انه اكتشف في ميب رهينة ممفيس، مخطوط يعود تاريخه الى اوائل القرن ١٩ ق.م زمن الاسرة الثانية عشرة يحكي تفصيلات

انشطة ملوك وادي النيل عن طريقي البر والبحر في المشرق وماوراءه وثمة دليل اثري آخر مخطوط في المعابد الملكية المصرية ويعود لنفس الفترة، يؤكد تلك العلاقة الوثيقة بمنطقة بحر ايجة ومنها كما أثبت ديودور أن كيقروبس، مؤسس أثينا قد وفد من مصر.

إن ماتقدم يسقط مزاعم ذوي النزعة العرقية الارية، الذين ادعوا أن المصريين لم يركبو البحر على الاطلاق، هذا في حين أكدت الخطية الابجدية بي "B"، أن العلاقة كانت وطيدة جدا بين اليونان القديمة ومنطقة شرق المتوسط منذ الالف الثاني ق.م على الاقل.

يذكر ـ بلوتارك ـ أنه تم العثور على آثار غنية في مقابر ـ شافت وتولوز باليونان ـ ومنها الاواني الفخارية والمشغولات المعدنية ـ التي ليس لها سابقة لدى الاغريق ـ باسلوبها المتميز لاسيما وأن ثمة شبه بينها وبين مشغولات أخرى معاصرة لها أو قبلها بقليل في سورية ومصر وكريت، مثل السهام والرماح والمدى والسيوف، وهي سلاح تم استخدامه في جنوب غرب آسيا ولكن دعاة النموذج الاري عمدوا الى تأويل هذا الدليل باحدى وسيلتين الاولى ـ أن شيوخ القبائل استوردوا سلعا شرقية وقلدوها ـ والثانية ـ أن الاغريق سافروا الى مصر للحرب كجنود مرتزقة و عادوا بأسلحة وأساليب فنية وتقنية جديدة، ويمكن بالمثل تأويل هذا الدليل لتأكيد أن المقابر هي في الحقيقة مقابر مصرية وفينيقية ضمت فيما ضمت رفات الطبقة الحاكمة المحاربة من الهكسوس، وهذا الحكم استقر عليه كتاب تاريخ ـ كمبردج ـ للعصور القديمة، وثمة دعم آخر يعزز وجود مثل تلك العلاقة ويتمثل في شكل الجباية الملكية في مدينة، ميسيني، وفي مدينة، بيبلوس، اذ تتألف من مقابر ذات أعمدة حجرية لها رؤوس شبه دائرية، شرقية الاسلوب والمنشأ أصلا.

الاثار اللغوية :

على الرغم من أن مارتن برنال ـ يؤكد على أن اللغة اليونانية القديمة ترجع بجذورها الى الهند ـ اوربية ـ الارية ـ الا أنه يعود للتطويح بها ـ ربما دون أن يدري أو أنه عاد وامتثل مستسلما للحقيقة خشية تأنيب الضمير، من خلال الادلة والشواهد الكثيرة التي يقدمها حينما يقول: نجد أكثر من ٥٠٪ من ما يشتمل عليه معجم اللغة اليونانية القديمة، المتعلق بمجالات ودلالات الالفاظ وتطورها والخاصة بالحياة الترفية والسياسية والقانون والدين والمجردات، ليست من أصول هند ـ اوربية، ولم تكن

اليونانية نتيجة غزو آري شنته قبائل قبل العصر الهليني، بل هي احدى الاشكال الناجمة عن " احتلال " مصري فينيقي، ومن هنا فان جميع الكلمات اليونانية المتعلقة بالاسلحة والتنظيمات العسكرية ليست هند ـ اوربية، واغلبها يمكن تفسيره على اساس مصري أو سامي غربي، ويتابع فيقول: وهكذا لم يعترض أحد ويقصد من ذوي النزعة الارية ـ على اشتقاق كلمة ـ ابنوس ـ من الكلمة المصرية، ابني، أو كلمة سمسم، من الكلمة السامية الغربية ـ اس اس ـ والواقع أن عددا من تلك الكلمات تم اقرارها وشهدت بهذا النسب الخطية " بي B " ومن هذه الكلمات ـ خيتون ـ وتعني ملابس، وخريسوس ـ وتعني ذهب، ونجد في المقابل أصولا لغوية لكلمات أخرى مثل ـ بوموس ـ وتعني مذبح أو مكان مرتفع من الكلمة ـ باماه ـ التي لها نفس المعنى، هذا بالاضافة الى كلمات أخرى مثل: الرحيق أو الشراب الالهي وهي: مكتار من نيكتور ـ وتعني نبيذ مقطر أو متبخر ـ وقدس وتعني مجد الهي ـ كما تعني النقيض القذر او البائس، ونابو ـ بمعنى يسكن أو يقيم، وناوس ـ ناووس ـ بمعنى المقام الالهي أو المقدس، وسفج من سبك ـ بمعنى يضحي أو ينحر، هذا مع التأكيد على عدم وجود منافس لها.

ومن أصول الكلمات التي تزايد اقرارها: الاصل المصري للكلمة اليونانية ـ مكاريوس أو مكاري ـ وهو ـ ماكرو ـ بمعنى الصادق، وثمة مصطلحات قانونية مصرية أخرى مثل: مارتيرروس ـ من مترو ـ بمعنى شاهد وتيمار وأصلها المصري ـ تيما ـ وتعني عادلا وتيماء كانت قديما احدى محطات الخط التجاري طريق الحرير بغرب شبه الجزيرة العربية، و" أرتوس " ـ وتعني مستقيما عموديا، وهي مأخوذة من وات، وهي ثقل الفادن ـ أي حبل البناء الشاقولي ـ وبازر في المصرية القديمة تعني الموظف الرسمي ـ ثم اصبحت كلمة موظف تعني وزير، ونجدها في الاكادية، بازيا ـ را واذا عرفنا أن المصرية المتأخرة لم تكن تمايز بين حرفي " بي P " و " هـ H "، وغالبا ماكان الحرفان المصريان " ر ـ س ـ " يكتبان " آي ـ I " في الاغريقية، لن نجد صعوبة صوتية في التطابق الدلالي، وكذلك كلمة سوفيا ـ بمعنى الحكمة لن نجد لها أصلا هند ـ اوربي، ولذلك فهي مشتقة من الكلمة المصرية القديمة ـ سبا ـ بمعنى يعلم، تعلم، ونعرف أن الحرف المصري القديم " بي P " كان يقلب أحيانا في الاغريقية ليصبح ـ نفتيس ومن ثم لاوجه للاعتراض من الناحية الصوتية على الاصل اللغوي الذي يتطابق مع التراث القديم الذي يرى أن ـ سوفيا ـ وافدة من مصر.

وفيما يتعلق بالاسلحة فان الكلمة الاغريقية ـ سبغوس ـ من الكلمة المصرية ـ سفت ـ وتعني السيف في اللغتين ومرادفها مشتق من الكلمة السامية ـ بسج ـ بمعنى شق أو قطع ـ والكلمة اليونانية ـ هارما ـ مأخوذة من الجذر المصري ـ السامي ـ حرم ـ وتعني العربة ذات العجلات، وهنالك مئات الكلمات الاغريقية ذات الاصول المصرية والسامية والفينيقية ـ التي ليس لها بديل هند ـ اوربي في اللغة الاغريقية.

أسماء الاماكن الجغرافية والالهة :

قليلة جدا أسماء الاماكن اليونانية التي يمكن تفسيرها في ضوء اللغة الهند ـ اوربية، ويعزوها أصحاب النزعة الارية الى حقبة ما قبل الهلينية، فثمة أسماء أماكن مصرية مثل: بيروس ـ وسينوب، على الساحل الشمالي لتركيا الان ـ كما نجد عدد كبير جدا من أسماء الاماكن اليونانية لها أصول سامية ومصرية مثل: نهر ـ ياردانوس في كريت وجزر البيلبونيز، وهو مشتق من ـ ياردن ـ ياردان ـ جوردان ـ بمعنى يتدفق أو ينبجس، ويعني واحة أو نهر في الصحراء " أو مخاضة " في جميع انحاء غرب آسيا وشمال افريقيا، خاصة بالنسبة لنهر النيجر ـ وتشتشمل الاسماء المصرية على كلمة ـ فينوس ـ من بانوي ـ بمعنى ماء أو فيضان، فاسماء أكثر الانهار اليونانية شيوعا هو ـ كيفيسوس ـ مأخوذ من اسم مكان مصري، بمعنى نبع عذب بارد أو منبع نهر مع اضافة النهاية ـ سوس ـ.

وكذلك أسماء الجبال لها أصول افريقية آسيوية عربية، فنجد الجذر سام في أسماء الجبال في جميع انحاء اليونان مثل: ساموس ـ وساميكون ـ وساموتراس، وجميعها مشتقة يقينا من الكلمة السامية ـ شام ـ بمعنى سام أو سماء "وفي العربية سار وسراة " وشما ،وشمخ. ـ والكثير من أسماء المدن المرتفعة مثل : هرميون ـ مشتقة من الكلمة السامية الغربية ـ حرمن أو حرمون ـ أي جبل الشيخ في بلاد الشام ـ بمعنى الجبل المقدس، ويوجد في ـ اتيك ـ باليونان جبل مقدس اسمه ـ هارما ـ وهو محور عن: حرمون، وجبل ـ ايدا ـ في كريت مشتقا من الاسم السامي ـ ايد ـ بمعنى يد ـ كما يوجد جبل آخر قرب طروادة ـ يحمل اسمه نفس المعنى اذ يقال له ذو الاصابع الخمسة ـ واسم جبل ـ بليون ـ قد يكون أصله مصري من بارو ـ بمعنى ـ الاسد، كذلك جبل ـ سايتا، في اركاديا، من اسم المدينة المصرية ـ سايس، كما أكد البعض أن ـ طيبة، اليونانية اخذت اسمها من الكلمة الكنعانية طيباه- وتعني فلك أو صدر، وربما من جذر الكلمة المصرية -جبا-، بمعنى صور أو سور أو جبات، بمعنى قصر أو اسم العاصمة المصرية القديمة طيبة.

ويطلق اسم ـ اسبرطة ـ على مواقع كثيرة في اليونان، ويبدو أنها مأخوذة عن الاسم المصري ـ سباط ـ بمعنى ولاية أو مقاطعة أو عاصمة المقاطعة، وتتأكد العلاقة مع اسبرطة البيبليوزينية عن طريق التوازي بين سباط المصرية التي يشبهونها بصورة ابن آوى رمز الاله ـ اتوبيس وعقيدة اسبرطة التي تؤمن بالكلاب وعبادة ـ مرميس ـ المعادل الاغريقي للاله. وعادة ما يلخصون هذا باسم ـ ليكي دايمون، بمعنى الروح المولول، التي قد تكون نقلا عن اسم المكان المصري ـ كا انبو ـ أو ـ كانوبوس ـ أي روح اتوبيس.

كذلك فان اسم ـ اثينا و اثينز ـ اسمان مصريان وحسب رأي افلاطون وكتاب اغريق فان ثمة رابطة وثيقة تجمع بين المدينة الاغريقية ومدينة ـ سايس ـ المصرية على الحدود الغربية المتاخمة لليبيا في الدلتا.

والاعتقاد السائد بان الهة واحدة اسستها وهي الالهة ـ نيث المصرية ـ والالهة ـ اثينا ـ في اليونان القديمة والالهتان متشابهتان في الايقونات التي تصورهما بصورة درع على هيئة B، في الالف الرابعة ق.م، في مصر وفي الالف الثانية ق.م في كريت ومسينيا، وفي الالف الاول ق.م في اثينا.

كذلك فان الكلمة اليونانية ـ بونتوس ـ بمعنى المحيط البعيد والارض التي وراءه، نجدها في المصرية القديمة ـ بونت ـ ولها نفس المعنى، كذلك اسم الاله ـ اوزيرس اليوناني مأخوذ من ـ وزير ـ المصرية أو من ـ عزير السورية ، والربة ـ حيكات الاغريقية ـ نجدها في هيكل الارباب المصرين ـ حقت وحقا ـ المرتبطة بالخصوبة، واله الحرب عند المصريين يدعى ـ ان حرث ـ وانتقل الى اليونان باسم ـ اونوريس....الخ.

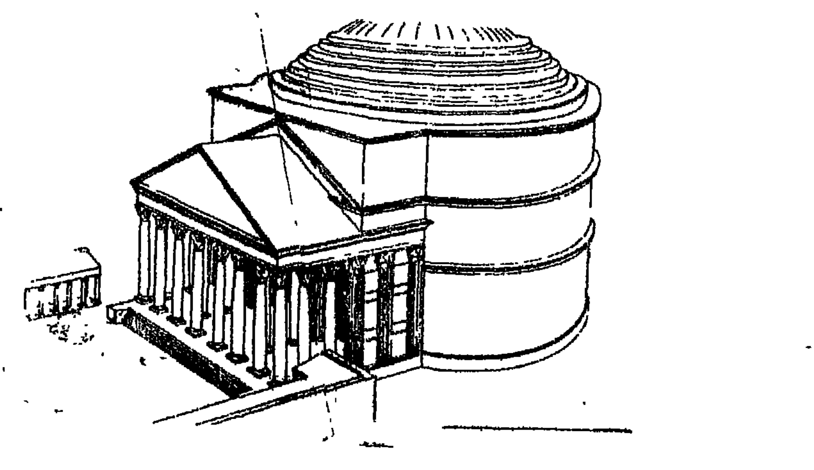
يقول ـ مارتن برنال: لم استطع البتة أن أكشف أوجه تشابه مماثلة في الاصول اللغوية بين اليونانية ولغات من شرق آسيا أو لغة ـ البانتو ـ حتى لو قبلنا هذا جدلا فثمة فارق كبير وحاسم بين لغة ـ الجونكين ـ هنود امريكا الشماليين ـ على سبيل المثال ـ واللغة اليونانية ـ وبين أوجه التماثل بين اللغتين المصرية واليونانية، ففي حالتنا الاخيرة ليس الامر قاصرا على التجاور الزماني والجغرافي وانما ثمة تقارير واسعة الانتشار واكيدة المضمون عن صلات ثقافية وثيقة بينهما.

أما عن أسماء الالهة فان ـ هيرودوت ـ قرر بوضوح لامزيد عليه ـ أن أسماء جميع الالهة تقريبا جاءت الى اليونان من مصر، ويقدم لنا في كتابه الثاني تفاصيل عن تشابهات عقائدية كثيرة بين النظام الديني المصري ـ والنظام الديني الاغريقي ـ ويقرر: ان الروابط بينهما وثيقة وأن النظام المصري أقدم كثيرا، فلابد اذن أن تكون مصر هي

المنشأ لهم جميعا وثمة تماثل كبير أيضا في منظومة الاساطير المصرية ـ الكنعانية ـ الاغريقية.

ويضيف ـ برنال ـ قائلا: على الرغم من الصورة الشائعة عن ـ أخيل ـ أنه بطل آري عظيم ـ فانه من المتعذر تفسير اسمه في ضوء لغة هند ـ اوربية، ذلك أن أول مكونات اسمه ذو الطابع السامي هو ـ أهي ـ بمعنى أخي ... ونجد ذلك في أخيرام أيضا ...الخ.

وهكذا يتبين لنا أن الالهيات والاساطير شأن أسماء الاماكن الجغرافية تمثل بالاضافة الى الوثائق والشواهد الاثرية برهانا ساطعا ـ لالحاق الهزيمة الساحقة ـ بالنموذج الاري ـ وفي نفس الوقت تأكيد صحة دور الحضارات العربية القديمة في بناء الحضارة الاغريقية، وبالتالي فان النزعة العرقية الارية الاروبية ـ اللامنطقية واللاعقلانية، خاطئة تماما وعنصرية، ومضللة تاريخيا ومبشعة بالخبث سياسيا، ولها أهداف عدوانية استعمارية استغلالية في بلدان العالم الثالث عامة والوطن العربي خاصة.



معبد البانثيون في روما، وهو اروع المباني الدينية، صممه واشرف على تنفيذه المهندس المعمار السوري الشهير أبولودور الدمشقي. وتعتبر قبته اكبر القباب في العالم القديم.

الوقائع تصفع المشككين :

لابد من التأكيد أولا أن كبار الفلاسفة والعلماء والمؤرخين اليونان، كانوا قد تتلمذوا على أيدي العرب، اضافة الى أن عددا منهم كان من أصل عربي.

يقول بيير روسي ـ الباحث الفرنسي الكبير: إن الامة العربية هي المعلمة الاولى لجميع البشر وأن حضارتها هي أم الحضارات في الشرق والغرب، بما فيها حضارة الاغريق، التي لم تكن سوى شرفة أو ملحق لبناء العرب في الشرق ونحن الاوربيين ابناء آسيا ـ ابناء العروبة في الحقيقة.

أما بالنسبة لدور العرب في بناء الحضارة الرومانية، فقد أكده اجماع القدماء ومنهم على سبيل المثال: المؤرخ المشهور " هورودتوس " حين أكد أن مجاعة كبرى وقعت في آسيا الصغرى في القرن الثالث عشر ق.م وأدت الى هجرة حوالي نصف السكان الى الغرب وخاصة بحرا، فوصل معظمهم الى ايطاليا واستقروا في البداية في منطقة الاومبرينين، وعرفوا هناك بالاتروسكيين (١) .

هذا في حين حاول غلاة العنصريين وذوي المطامع الاستعمارية في الغرب ممن دأبوا منذ القرن الثامن عشر بصورة خاصة، على تشويه وتقزيم تاريخ العرب ودورهم الحضاري عبر التاريخ ارجاع نسب الاتروسكيين الى مايدعى بالشعوب " الهندو ـ اوربية " أي الارية، زاعمين أنهم قدموا الى ايطاليا في عصر البرونز، هذا على الرغم من توفر الشواهد الكثيرة الاثرية واللغوية والمعتقدات والطقوس والطابع الشرقي البارز للحضارة الاتروسكية.

وتجدر الاشارة هنا الى أن آسيا الصغرى كانت آنذاك احدى مقاطعات الدولة العربية المركزية السورية القديمة وهذا يعني أن الاتروسكيين هم من أصول عربية، وقد عرفوا قبل ذلك ـ بالميديين ثم بالتيرينيين.

وقد ثبت بأن اللغة اليونانية والايطالية واللاتينية، ليست إلا اللغة العربية القديمة وكذلك أبجديتها الحرفية، حيث كانت ولزمن طويل جدا لغة التخاطب والتدوين والتأريخ عالميا.

كما ثبت أيضا بأن عبادات وآلهة وطقوس الاتروسكيين وكافة شعوب الجزر والبلدان الاوربية المتوسطية هي من أصول عربية مشرقية، خصوصا وأن مكتشفات ماري السورية ومنها كبود الحيوانات، التي كانت تقدم كأضاحي وقرابين في المعابد والطقوس، هي نفسها في طقوس الاتروسكيين.

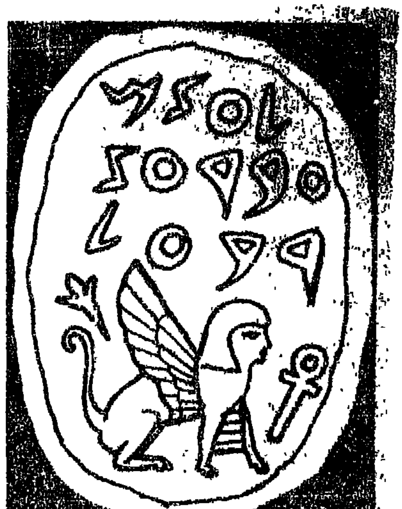
(١) محمد محفل ـ تاريخ الرومان ـ جامعة دمشق ١٩٧٤ ص ١١٣ .



تمثال السيدة السورية « سيريس » (السيدة ، الشعرى) التي كان لها فضل تعليم السكان زراعة القمح في بلاد اليونان واوروبا . عثر عليه في المعبد المشيد في أعلى المسرح في لبدة (ليبيا) ، وقد اقيمٌ في عهد حكم الامبراطورة السورية جوليا دومنا .



ربة النصر المجنحة « نيقا » (القاهرة « الغالبة ») . من المنحوتات البارزة التي تزين قوس « سبتيموس سفيروس » في « لبتس ماجنا » لبدة ، في ليبيا .

اختام فينيقية في الأول صورة « ابو الهول » الذي هو من اصل سوري ، كما يرى امامه رمز الخصب الذي انتقل إلى وادي النيل ، وكتابة فينيقية واضحة . وفي الثاني صورة ثور رمز الخصب ورمز الهلال ايضاً وكتابة فينيقية .

وفي مجال الزراعة يؤكد الشاعر اللاتيني " اوديوس ـ ٤٣ ـ ١٧ ق.م "، على أن مهارة الاتروسكيين في الزراعة هي بنت الشرق والقرطاجيين معا، الذين اشتهر مهندسوهم بوضع أسس ومناهج علمية زراعية متطورة، وكان القائد القرطاجي "ماغون " القرن الثاني ق.م، قد ألف موسوعة علمية زراعية من ثمانية وعشرين جزءا، ظلت ذائعة الصيت طوال العهد القديم، مما جعل مجلس الشيوخ الروماني يأمر بنقلها الى اللاتينية كما تم نقلها الى اليونانية أيضا (١٠).

وتجدر الاشارة هنا الى أنه قد اعتلى عرش الامبراطورية الرومانية في عهدها الاول مايزيد على تسعة امبراطورين وامبراطورات من العرب: من فيليب العربي السوري وحتى سبتيمو سفيرو وابنته الامبراطورة "جوليا دومنا" وهما من لبدة في ليبيا، وكانوا يلقبون بالمثقفين وذلك لانهم كانوا أعلى ثقافة ورقيا ممن خلفوهم من الاوربيين في عهدها الثاني.

واستنادا الى العديد من العلماء والى ما أسفرت عنه المكتشفات الاثرية فان العرب كانوا قد نقلوا الى الشرق والى الغرب: علوم الطب والفلك والحساب والهندسة والجبر

(١) محمد محفل ـ نفس المرجع السابق ص ١٣١ ـ ١٣٢

والمساحة والمقاييس والمكاييل والموازين والمواقيت والتقاويم والنظام الستيني الذي يقسم اليوم الى ساعات ودقائق وثوان، مما يؤكد أنهم اكتشفوا كروية الارض والتقويم الشمسي في عهد بابل منذ حوالي ثلاثة الاف عام ق.م: ولم يكن عرب وادي النيل في عهدي ممفيس وطيبة أقل معرفة منهم في ذلك، هذا بالاضافة الى علوم الملاحة البحرية وتحديد خطوط التجارة الدولية، كطريق الحرير البري والبحري، وصناعة السفن وكيمياء التعدين والعديد من الصناعات والحرف وأنظمة الري وفنون الزراعة وبناء المدن والقلاع والمعابد والجسور. (١) كما نقلوا معتقدتهم ومذاهيهم الدينية والفلسفية سواء الى اليونان أو سواها من بلدان العالم.

هذا بالاضافة الى **اكتشاف اول نوتة موسيقية** عرفها الانسان في أوغاريت السورية ويعود تاريخها الى الالف الثالث ق.م، وهي على السلم السباعي ـ وقد نقله " فيثاغورث " الصوري الى اليونان عام خمسمائة ق.م.



الرب السوري «البعل» ، وتلاحظ تقاليده السورية التي صارت تدعى إغريقية ، وتقف البومة رمز الحكمة إلى يمينه . كما تلاحظ الكتابة الفينيقية يميناً من الأسفل إلى الأعلى «بال» (اي البعل) . وفي الأسفل من اليمين إلى اليسار (يبعل» (اي يا بعل) .

(١) د. داورد ـ نفس المرجع السابق ص ٩



اقدم «نوتة» موسيقية في العالم ، من مكتشفات اوغاريت ، الألف الثالث
قبل الميلاد . وهي تقوم على السلم السباعي الدياتوني الذي نقله فيثاغورث
الصوري إلى بلاد اليونان عام 500 ق م أي بعد أكثر من الفي عام من
وضعه على أيدي قدماء السوريين .

أما في مجالي الطب والتشريح :ـ فنكتفي بالاشارة الى أن الاطباء من الكهنة المصريين وسواهم من العرب، كانوا يجرون عمليات دقيقة على الجثث قبل تحنيطها كما كانوا يستبدلون اعضاء من الجسم باخرى معدنية وباحجار كريمة، وبرعوا في التوليد والبتر والثقب والجراحة عموما، **ولم يكن بقراط ـ ليكتم التعليم الذي تلقاه في مصر .**

أما في التشريع والتنظيم والقوانين والدساتير والسياسة، فقد كانوا أساتذة المدنية الاغريقية والرومانية، ويذكر ـ تيودورس ـ الصقلي ـ بدقة القوانين المدنية والجنائية وتشكيل المحاكم وانتخاب المحلفين وتعيين جهة الادعاء والمحامين واتباع أصول متقدمة في المحاكمات وفض المخاصمات والبت في الجرائم والمنازعات، بالاستماع الى الشهود واصدار الاحكام، استنادا الى القوانين المرعية الاجراء في مصر آنذاك.

وهذا يعني أنهم كانوا يقدرون انسانية الانسان ويحترمون مبادئ الحق والعدل والحرية الشخصية والعامة التي كانت في ضوء ذلك مكفولة ومتوفرة لها الحماية القانونية والدستورية، ولنقل بين طبقتي الاسياد والاحرار على الاقل.

مما يؤكد أن المحتوى الديمقراطي لليبرالية الرأسمالة المعاصرة في الغرب قد جاءت متأخرة عن أصولها المشرقية هذه بآلاف السنين وكذلك التشريعات والقوانين الرومانية المقتبسة، والتي يتباهى بها الغرب زاعما أنها الاولى في التاريخ مع ادراكه أن ذلك بمجرد بدعة عنصرية غربية، متجاهلا كل ماتقدم ذكره وكل مالم يذكر وهو كثير جدا مثل ـ قوانين وتشريعات الملك حمورابي ومن سبقوه وخلفوه في عهد بابل عاصمة الامبراطورية العربية السورية القديمة... الخ.

ميادين الاتصال والانتقال والتجانس الحضاري :

وللتأكد من صحة ماتم عرضه تعالوا معنا لنتتبع ذلك الانتقال الحضاري العربي ولو بقليل من التفصيل، وتحديدا عن دور الفلاسفة والعلماء والمؤرخين اليونان في ذلك:

المعتقدات الدينية:ـ

شكلت المعتقدات العربية القديمة المقدمات والاساس لديانات التوحيد العالمية، **يقول روسي** :ـ ان الشرق يمجد الالوهية ـ والالوهية واحدة، كما أن السماء واحدة، وأن عمق الاعتقاد الشعبي الشرقي، الذي يوحي مظهره بتعدد الالهة يكمن في توحيد خفي، ولكن لكل طرائقه في التوجه الى تلك الالوهية الواحدة، واذا كانت الديانة الاغريقية والرومانية لاتملك ذاك العمق فان الفلسفة الاغريقية نفسها كانت محاولة، على يد كبار ممثليها لادراك ذاك العمق، أما الدين فليس شيئا سوى تأكيد وجود الروح والاله خالقها، والتمثال أو الرمز ليس الا تجسيم للالوهية، سواء في مصر أو في دلفي والالمب، لكونه ليس معبودا " بذاته ولذاته " بل هو عابد، يصرف النظر عما اذا كان انسانا أم حيوانا أم حجرا، فهو يرمز الى المخلوق في حالة الصلاة متوجها لعبادة الله، أي أنه يمجد الاعتقاد واليقين.

وكان الاسلام قد استولى على هذا التراث العربي القديم وعبر عنه بطريقته الخاصة كلاملا، وأن مجمل هذا التراث يدل على طرائق التعبير المختلفة في الشرق عن وحدة الالوهية ويقرر أن الدين يساوي الفلسفة (١).

---

(١) د. أحمد داوود ـ سلسلة القسام الفكرية عدد حزيران ١٩٨٩ ـ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥

ويعني بذلك المعتقدات الدينيـة المشـرقية والفلسـفية الاغريقيـة، أن ديانـات الشـرق القديم توجهـت أساسا الى السـماء مـن خـلال مراقبـة حركـة الكواكـب والشـمس والنجوم، حيث أفضت تدريجيا الى الاقتناع بأنها ثابتة في المكان، أي أنها لاتتعـدى في حركتها حدود مدارها في الفضاء بينما توجد الالوهية في كل مكان، والآثـار المصريـة والفلسطينية والسورية البالبلية والاناضولية... تؤكد تلك الحقيقة.

فلقد أدرك القدماء العرب ـ تأثير قوة التناقض في الوجود ـ لاستمرار الحياة، ومـن هنا كانت ثنوية الصراع بين الخير ـ والشر ـ التي نجدها في: صراع حور مع شيث عند المصريين، وقوى العماء والفوضى عند الفلسطينيين والسوريين مثل: أيـل مقـابل بعـل. حسب نصوص أوغاريت وسـواها والظلمـة والنـور عنـد الفـرس... الخ.وهـي جميعـا توضح من حيث الجوهر وحدانية العقيدة والفكر، وترجع في آن واحد ديانـة وفلسـفة الاغريق الى نسبها وأصلها العربي القديم.

المذاهب الفلسفية :ـ

يقول بيير روسي ـ ايضا :

إن الفلسفة نشأت في المدينة الاسيوية " ميليه " حيث ملتقى التيـارات: الفلسـطينية والبابلية والفارسية والاناضوليـة، ويؤكـد علـى أنـه ليـس هنـاك واحـد مـن المفكريـن والفلاسفة والعلماء والمؤرخين الاغريق، لم يولد من الشرق أو يسـافر اليـه طلبـا للعلـم واكتشاف الماضي، بما فيهم: فيثاغورث ـ وبارمينيداس ـ وهيراقليطس ــ وأفلاطـون ــ وطولون... وأن الشرق لم يأخذ شيئا من الهيلينية، في حـين أخـذت كـل شـيء عنـه، وهي في ذات الوقت متناقضة في جوهرها مع المفاهيم العربية المعـاصرة الـتي تدعـي أن هناك الها ثم لايوجد شيء، أمـا الادعـاء بوجـود فلسـفة اغريقيـة بـدون ارجاعهـا الى أصولها العربية الشرقية فينقل المشكلة بعيدا دون أن يحلها.

فيثاغورث يقول :ـ

" إن الجسم وهو يتلاشى يحرر مبدأ خلوده، الذي يعود به الى الكون الواسـع، وأن الروح قد شربت، قبل موت الجسم سر الموت، الذي بدونه لاوجود لحيـاة أزليـة، بمـا هي رقم السماء، الذي يعطي القانون الى حركات الشمس والكواكب، وهـو النتيجـة الالهية المعادلة للتوازن بين جميع قوى الكون الفاعلة ".

إن فلسفة فيثاغورث، بما هي دينـا كوكبيـا وعلمـا رياضيـا وفلسـفيا، علـى شـكل صورة هندسية تحركها قوانين أزلية، أما الروح فعليها أن تغـدو هندسـية اذا أرادت أن تتحول دفعة واحدة الى صورة سماوية، ومـا أن تتحـرر مـن الجسـم حتـى تصبـح غـير موزونة ومسؤولة عـن أعمالـه ولكنهـا مقيسـة بمثلـث، إن مفهومـه هـذا، المجـرد عـن الماديات، يلتقي في صفاتـه مـع الرؤيـة المصرية ونظامهـا الحيـاتي المرتكـز الى الاعـداد الهند سية السماوية والارضية، أي في فن الحساب وعلم التنبؤ عنـد المصريـين والعـرب عموما.

هيراقليطيس :-

" يرى أن مفتاح وحدة الكون يوجد في العقل الذي ساد وطبع كل مخلوق بقانونـه الحاد بدون استثناء، الى جانب قوانين القدر.

كما أكد على أن الانسان محروم من عقله الذي لاينبغي لـه الا أن يستسـلم للالهـة، ويستبعد الفكر عن الوجود والاله، ويؤكد على وحدة التناقضات في الزمان والمكـان، وأن مايتنـاقض وهـو يتكـون أزليـا يثبـت، فـلا الظلمـة ولا النـور ولا الخـير ولا الشـر يختلفان، بحكم طبيعتها الواحدة المتجانسة فالحياة من الموت والموت من الحياة.

فقد قال عنه طولون - أنه تأثر باسـطورة " ايزيـس واوزيريـس" فـالقمر والشـمس معروفان لديه ــ رمزيـا ـ كمـا في مصـر ـ أمـا ديانـة النـار الزردشـتية، وهـي نظريـة التعارضات الموجودة في الفكر المصري والرافدي التي حاربها الاسلام التي نجد أثرها في فلسفة هيراقليطس تماما مثلمـا كـانت الشـمس عنـد العـرب: سـيدة ومنبعـا وحارسـة الثورات الدورية تحدد وتوجه وتظهر وتكشف التحولات.

بارمينيدس :-

ان تعاليمه تعتمد على بديهيـة أن الكـائن موجـود أمـا غـير الكـائن فغـير موجـود، فالكائن يكون منذ اللحظة التي يوجد فيها، ولانه لم يكن مخلوقا من قبـل فانـه لايـدوم لان المخلوقات لاتعقل، ولان ا لله ثابت لايتغير ــ كـامل غـير نـاقص ـ ومنبـع يتعـذر انتهاكه، فانه مكون من فلك رمزي ثـابـت ثباتـا مطلقـا، وبمـا أن الثبـات واضـح فـان الحركة ليست الا مبدأ من المبادئ كما نار زارادشت - عند هـيراقليطس وفيثـاغورث، أما بالنسبة للكرة الارضية فانها تتشابه كالتوأم مع الصورة السماوية، عند فيثاغورث، وتلتقي الاطراف عند بارمينيدس - وتتنافى التناقضات في مركز حلقات النار هذه وهي

رموز ديناميكية الكـون وتمكـث الالهـة ــ الملكـة " ايـوس " أو " افروديـت " عنصـرا مذكرا ومؤنثا في آن واحد نور وظلمـات، على مثـال ــ عشـتار (١) إن هـؤلاء الفلاسفة يلتقون بنظرتهم الى الشـمس، وبفلسفة الخلود والتجريد الاعظم وبالحيـاة السرمدية وبالمفهوم المجازي للكون.إن أفكارهم الفلسـفية هـذه تجد أصلهـا في كتـاب الموتى المصري وفي النصوص الفلسطينية والبابلية وغيرها.

أفـــلاطون :ـ

أفلاطون الصـوفي الكبير ــ معلم الاكاديمية ــ هو تلميذ فيثاغورث وأورفيه ــ وهيراقليطس كما تتلمذ في مصر وبلدان عربية اخرى.

فهو يقـول :ــ " إن الحقيقـة المحسوسـة ليست الا صـدى فكـرة مـا خـالدة، مثـل الالوهية الـتي تنبثـق عنهـا ومثـل الـروح المتصلـة بجوهـر الالوهيـة. ويؤكـد أن النفـس المخلوقة على صورة الاله أزلية، هذه الروح المسجونة مؤقتـا في جسـم زائـل ستتنفس الصعداء بعد الموت الذي سيحررها.

كما يقول :ـ " إن الروح تملك بطبيعتها العلم الحقيقي، الذي هو معرفة الافكـار ويكفي أن تتأمل وأن تتذكر لكي تعيد الى وجدانها، المعرفة التي هـي معرفتهـا الخاصـة بكل خلودها. تلك المعرفة التي إن ضلت عنها فقدت نفسـها فـالروح يعوقهـا الجسـم عن الفهم وكلما تخلصت منه صعدت الى الاعلى في سماء المعرفة حيث ستنتهي بالفنـاء في الله، ان الله في الحقيقة هو ملك الكون، ومؤلف الانسجام والتناغم، ونهاية سـامية وعقل وحيد متعذر بلوغه بالفهم ومستحيل على فرد زائل أن يتأمله.

إن فكرة الكرة المساوية عنده، فتحوي : الثـالوث المقـدس ــ في الشرق ــ بهويتـه الحضارية القديمة في مصر وسورية والرافدين.

فحول ملك الكون تدور جميع الكائنات، فهو نفسه نهاية كل شـيء وسـبب كـل جمال وحول الثاني توجد الاشياء الثانوية ـ وحول الثالث توجد الاشياء الثلاثية، وهذا مانجده في التقليد الشرقي العربي ـ لاسيما في ثلاثية ـ مآس ثـالوث ــ الثـالوث المقـدس الذي يعود اليه أفلاطـون عندمـا يقسـم الـروح الى ثـلاث طبقـات : الرغبـة الجسـدية العميقة ـ الشجاعة الاخلاقية ـ الفكر المثالي ـــ كذلـك فانـه يمجـد الحقيقـة الشـاملة في ثلاث أيضا وهي : أن الله أول الخيرات ـ والثاني وهو الفكر المتولد عنـه والثـالث هـو

---

(١) د. داوود ـ نفس المرجع السابق ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧

روح العالم، أي الصلة بين الاب والابن، وهذا مانجده عند المصريين على النحو التالي:ـ الاول هو المبدأ المذكر ـ والثاني هو المبدأ المؤنث ـ والثالث هو نتاج الاثنين معا.

ولكن هؤلاء الالهة الثلاث ليسوا الا واحدا عندهم: الاب ينسل في الواقع نفسه في رحم الام ويصبح في آن واحد ابا وابنا وهكذا يعبر عن الخلائق والازلية وعن الكائن الاعلى.

وهذا هو جوهر المسيحية، ولكنها ليس من نتاج ـ افلاطون ـ وانما هي نتاج تيار في الفكر الديني العربي القديم، والذي كانت الافلاطونية هي نفسها نتاجه ايضا(١).

ارسطـــــو :ـ

هو الذي جرده الغرب من ثقافته المشرقية العربية وجعلوه وكل الفلاسفة والعلماء والمؤرخين الاغريق، معلمين للشرق وللعالم قاطبة، كما جعلوهم بناة أول حضارة عالمية أصيلة، لعبت الدور الحسام في تحضر الانسانية، ولم يكن الغرب الا الوريث الشرعي لهؤلاء الاجداد ـ ابناء اوربا ـ ابناء العرق الابيض المتميز بعبقريته الفذة، كما يزعمون ؟! .

يقول ارسطو:ـ" ان الفكرة أو الغريزة مصونان ومشاركان بقوة في توازن طبيعي متماسك، فلا تعرف سعادة بالنسبة اليه، في مجتمع يرفض القانون الطبيعي، والذي لايصبح خساسا لديه ـ ومتواقتا وجود السماء والارض والبحر والناس والحيوان والاشجار... الخ. وهذه هي الديانات النباتية والحيوانية عينها للديانات المصرية والفلسطينية والاغريقية حيث كل حيوان وانسان وشجر وحجر اله لانه ينبثق عن الله وجدير بعبادته، وهي جميعا دليل الخالق وشاهد عليه.

ان قدر الانسان هو في هذا التزاوج مع الطبيعة وهو الشكل الوحيد لاعادة تنظيم الخلق.

ان العلم يدرس الكائنات ـ أما الفلسفة فتدرس الجوهر ـ والكائنات مصنوعة من مادة تشكلت في صورة، ولكن المادة نفسها تنفلت من كل تعريف وادراك جسمي

---

(١) د. داوود ـ نفس المرجع السابق ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩

ولاتدرك الا بفضل الصورة، التي هي انبثاق - والتي تشكل ماهيتها وجوهرها الاول الازلي.

إن ارسطو هنا يقترب من نظرية افلاطون في المثل - فالروح صورة الجسم - وهي دائمة خالدة والهية في أسمى أقسامها الاثيرية، الذي هو العقل، وهو ينطلق من المخلوقات لاكتشاف الخالق، بينما ينطلق الاجداد العرب القدماء من الاله لاكتشاف المخلوقات.

ان ارسطو ليس الا أحد تلامذة الشرق، فقد كان يعود دائما وبصورة خاصة الى مدينة - اسوس - في آسيا الصغرى - والى المناخ الديني العام في الشرق ليحمل من ثم الملامح المصرية والفلسطينية والسورية البابلية... كغيره من الفلاسفة والعلماء الاغريق الكبار.

ابيقور وديموقريطس - وتلامذتهما :-

هم ابناء مدرسة ليبيا، التي تطابقت في مجال الفيزياء الذرية مع مدرسة الفلسطيني - زينون - من كيتتوم.

يقول ابيقور :- ان الانسان العائد الى عالم حقيقي، لطبيعة تلتصق بها كل خلية منن خلايا جسمه الذي ينقلب الى نبتة أو ماء أو تراب... لايتميز ابدا في شيء عن المخلوقات التي تحيط به اذ ليس له عليها مزية أو سلطة خاصة.

ان ذرات - ابيقور - المدومة هذه لاتتوقف ابدا عن اعادة تركيب وتحليل نفسها حاملة الطبيعة في دائرة حياة مستمرة وموت أزلي يبدأ من جديد، ففي كل لحظة يتشكل ويفنى مخلوق في دم العالم.

ان هذه النظرية الفلسفية - لابيقور - تعود بأصالتها الى النظريات الكبرى المشرقية وجوهرها، ان اصولا عالمية قابلة للتبادل، تآلفت من تحليل جميع الانظمة والانواع(٪١).

---

(١) د. أحمد داوود - نفس المرجع السابق ص ٢٢٩ - ٢٣٠

الشرق مصدر العلوم أيضا :- .

يقول بيير روسي :- الشرق القديم يرفض في الحقيقة السديم والعماء، ويفتش عن النظام في الطبيعة، كما في الفكر فالعلم قبل كل شيء معرفة النظام الكلي، والبحث العلمي بعتمد على اكتشاف وتنظيم اشارات هذا العالم، بغاية التزامه أما الاخلاق فنهاية العلم، والعقل سنده، وعلى هذا الاساس كان كل علم شرقي علما تطبيقيا حيث لايوجد مجانية ولا فن للفن.

اننا نجد علم الفلك والرياضيات والهندسة والطب والتشريح والكيمياء... الخ. في شواهد ووثائق وآثار كثيرة في وادي النيل وفلسطين وسورية ووادي الرافدين منذ الالف الثالث ق.م **فحين نقل تاليس معطيات هذه العلوم الى الاغريق**، وخاصة تقسيمات السنة والاشهر والايام والساعات... ونظامي الحساب العشري و الستيني ودائرة الخسوف.. ووضع النجوم الثابتة -وتقسيمات الدائرة والدرجة، كان عمرها في الشرق حوالي خمسة وعشرين قرنا.

فقد كان الاغريق والرومان يجهلون تلك العلوم حين كان لكل مدينة مشرقية مركز فلكي **مما اضطر - يوليوس قيصر - للاستعانة بعربي** من الاسكندرية لاصلاح الرزنامة اليونانية **وكذلك البابا - غريغور الثالث عشر** - حينما استعان برياضيين عرب لتصحيح التقويم اليوناني، وقد دهش اوروبيو القرون الوسطى من امتلاك العرب لآلات فلكية وملاحة بحرية.

ان الانجازات الحضارية العربية العظيمةالتي أبهرت الاغريق والرومان ومنها: الاهرامات ومعابد الكرنك، في مصر وأوابد عربية أخرى كثيرة تشهد على عمليات قل مثيلها في ميدان الحساب والفضاء بابعاده الثلاثة، اضافة الى وضع علامة بين الخط المستقيم والمنحني - بين الصورة المغلقة والسماء المفتوحة - بين الزمن الفلكي والمكان الارضي بين المستمر والمؤقت.

فالاسكندرية التي غدت المركز الرياضي للعالم القديم، بما ورثته عن ممفيس وطيبة(١) وصور وسارديس وبابل، تشهد على أن الرياضيين الاغريق كان أكثرهم من أصل عربي بما فيهم اقليدس وديوفانتي المصريين.

---

(١) كانت ممفيس عاصمة دولة وادي النيل العربية القديمة من الاسرة الملكية الاولى وحتى العاشرة (٣٥٠٠-٢١٦٠ق.م) بينما كانت طيبة عاصمة الدولة الوسطى ٢١٦٠ - ١٧٣٠ ق.م وجاء الهكسوس بعد ذلك ١٧٣٠ - ١٥٨٠ ق.م .

الفصل الخامس :

الأديان بروحانياتها وشمولياتها وفلسفاتها عربية الأصل :

الدين هو عبارة عن مؤسسة اجتماعية كانت موجودة لدى كافة الجماعات البشرية البدائية ومازالت موجودة لدى الشعوب المتحضرة، وفكرة الدين كانت مندمجة بالانسان منذ نشأته وقد دلت المكتشفات الاثرية على أن انسان ماقبل التاريخ النياندرتال الذي عاش في العصر الحجري منذ مائة ألف سنة كان متأثرا بالفكرة الدينية ذات النظرة الساذجة، وليس بين المؤسسات الاجتماعية مؤسسه تضاهي سلطان الدين في سيطرته على الافراد وزجرهم وكبح جماح غرائزهم، سواء كان الفرد بدائيا أو متمدنا، فاذا كان الدين ظاهرة وحاجة نفسية واجتماعية، فان كل جماعة بشرية نحت فيه المنحى الذي يلائم طبائعها وبيئتها. (١)

إن فكرة الدين تطورت من الحالة البدائية الساذجة الى حالية عالية التكامل والتقدم وخاصة في الوطن العربي، والشاهد على ذلك ما أشارت اليه الآيات الكريمة: ((كذلك رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين لما جن عليه

(١) طه الهاشمي - نفس المرجع السابق ص ٩ - ١١

الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ولما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لآكونن من القوم الطاغين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي أكبر لما أفلت قال ياقوم إني برىء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين)).

كذلك كان الدين في الازمنة القديمة منبع العلوم والفلسفة واستحال وقتئذ تجريده عن الفلسفة والعلوم، فمظاهر الكون والحادثات الطبيعية كان مرجعها الدين، فكان يفسرها ويعلل أسبابها ولهذا كان الكهنة هم المعلمين والاساتذة في المدارس التي أنشئت في المعابد، كما كان الكاهن هو العالم والكاتب والساحر والمنجم وكان العلم والفلسفة من اختصاص رجال الدين وحدهم.

يقول ديورانت: في كتابه قصة الحضارة "..... إن البشر أصبحوا في آخر الامر آلهة، فلم تكن آلهة مصر الا رجالا متفوقين أو نساء متفوقات، خلقوا في صورة عظيمة باسلة....، ولكنهم خلقوا من عظام وعضلات ولحم ودم ـ يأكلون ويشربون ويتزوجون ويكرهون ويقتلون ويشيخو ن ويموتون ...، أي أن الالهة في طور الرق تعبر عن أكثر النماذج شيوعا في طبقات السادة قادة المجتمع العبودي، وكانت في ذات الوقت ترمز الى مختلف القوى الطبيعية والاجتماعية والى القوى الخفية، فتجسد الالهة بالسادة قادة المجتمع، مما كان يرفع ليس من سلطة هؤلاء السادة ليصبحوا آلهة تتحكم بنظام مجتمعهم فحسب وإنما برفعهم أيضا الى مصاف الشموس والنجوم وقوى الطبيعة التي لاتغلب ".

فقد نشأت البوذية في الهند في القرن السادس ق.م فكانت تعبير عن احتجاج الجماهير على البرهمية التي صاغت مبادئ وأخلاقية النظام الطبقي العبودي الذي جاء أثر انحلال المشاعية البدائية، ولكنها لم تدخل معترك الصراع الاجتماعي المنصب على المسائل المادية بل دعت الى الانعتاق الروحي والى الكمال الاخلاقي والانسحاب من المجتمع ونبذ صراخ الجسد ورغباته ...، وكانت النيرفانا وسيلتها الى الطهر التام الذي يوحد الانسان مع الخالق.

وهكذا كانت معظم الاديان في التاريخ القديم أيضا كالزردشتية وسواها عندما وظفت واستخدمت من قبل الكهنة والسادة ـ كسلاح لبسط سيطرتهم وقهر البشر المستعبدين.

ولاشك في أن فلاسفة اليونان عندما تهاوت أمام منطقهم الفلسفي الاساطير الدينية التي تفسر مظاهر الكون وتعلل اسباب الحادثات الطبيعية نحوا في تفكيرهم الفلسفي منحى متحررا من الدين ـ **فسقراط أجبر على شرب السم** بقرار من المحكمة لأنه خالف التقاليد الدينية الموروثة وآثار الريب والشكوك في قدرة الالهة.

وعلى الرغم من محاولات تجريد الدين عن الفلسفة الا أن مزج الفلسفة بالدين واعتبارها من مباحثه ظل سائدا مسيطرا على تفكير رجال الكنيسة النصرانية في القرون الوسطى، فظلت العلوم متأثرة بهذا التفكير، لانها كانت محصورة بايدي الاكليروس، كما كانت القراءة والكتابة من اختصاص القساوسة والرهبان.

أما المسلمون: فانهم شرعوا منذ القرن الاول للهجرة بتدقيق الدين من الناحية الفلسفية فظهرت **فرق المعتزلة ونشأ علم الكلام**، ولم يقدر الغرب على الخوض في مباحث الفلسفة الدينية الا بعدما درس بعضهم العلوم في كليات الاندلس، ومن جملة الاسباب التي حملت بعض الجهات الدينية المسيحية **على الانشقاق عن كنيسة روما** والتمرد على سلطة البابا وساقتها الى القيام بالاصلاحات الدينية هو التوغل في الفلسفة الدينية، ومع ذلك لم تتعد حدود العهد القديم والجديد، أي أسفار التوراة والانجيل،(١) **وكان أول من درس الاديان** من الناحية الميتافيزيقية، أي ماوراء الطبيعة ومن الناحيتين النفسية والتاريخية الفيلسوف الالماني ـ هيغل ـ فبين المطابقة بين مفهوم الدين وبين مظاهره وطقوسه، وبذلك كان أول من فصل الدين عن الفلسفة وجعله علما مستقلا، وقد ساعد على ذلك تقدم علم التاريخ في القرنين الماضيين، فتشعب منه تاريخ الحضارة وتاريخ السياسة وتاريخ الحرب... **وما إن تجردت الفلسفة عن الدين وتحرر العقل** ومناقشاته ومحاكماته **الا ونشب الصراع بين الدين والعلم**، مما جعل كلا من الفلاسفة والعلماء المتدينين يحاولون التوفيق بين الدين والعلم، وقد ألفوا ونشروا العديد من الكتب والابحاث بهذا الخصوص، ولما تقدم علم العاديات وصارت الاثار القديمة تستخرج من بطون الارض رأى مؤرخوا الاديان أن يدرسوا العلوم التي يتطلبها علم العاديات كعلم اشتقاق اللغات وعلم الاقوام وعلم الاساطير، فنشأت بذلك الصلة بين تاريخ الاديان وبين العلوم المذكورة في الغرب وكان ماكس موللر المستشرق الالماني الاصل الانكليزي الموطن ـ قد نشر كتابه ـ

---

(١) طه الهاشمي ـ نفس المرجع السابق ص ١٩ ـ ٢٠

المدخل - عن تاريخ الاديان على هذا النحو في القرن الماضي وعمدت الكليات الادبية والدينية في الغرب الى تدريسه.

إن علماء المسلمين هم أول من بحث في فلسفة الدين وأول مدرسة شرعت بتدريسها هي تلك التي أسسها الحس البصري في البصرة، وأول من الف الكتب في هذا الموضوع هو تلميذه واصل بن عطاء ولما أسس جماعة المعتزلة عام " ٧٤٨م " أصبحت فلسفة الدين من المباحث الخطيرة التي تناول البحث عنها كثير من العلماء ونشأت الفرق الدينية من : القدرية - والصفائية - والخوارج وغيرها. وبعد أن ترجمت الكتب الباحثة عن الاديان الشرقية في القرن الثالث الهجري الى العربية وانتشرت دراسة الفلسفة القديمة في عهد العباسيين ظهر علم الكلام وكان أبو الحسن الاشعري عام ٩٣٥م وأبو منصور الماتريدي، من الاساتذة المبرزين في ذلك.

ولما تغلغلت الفلسفة اليونانية في نفوس بعض علماء المسلمين أخذوا ينقدون مدرسة علم الكلام ويحاولون الجمع بين فلسفة اليونان وبين الدين - **وبذلك تكونت فلسفة الاشراق** - وحدة الوجود - واحتدم الجدال، وكان الكندي والفارابي وابن سينا من أكبر أنصار مدرسة الاشراق **ونشأت مدرسة أخرى متصوفية** على أرضية علم الكلام والفلسفة معا. ثم تشعب التصوف الروحي الباحث عن تربية الروح مجردة عن الشهوات، ومن أشهر رجال هذه الشعبة - الجنيدي البغدادي - والتصوف النظري - وأشهر رجالها: محيي الدين بن عربي، والثالثة هو **التصوف الباطني** - الذي يرى أصحابه أن للشيء وجهين: باطنا وظاهرا فيأخذون بالباطن منها، ومؤسسه قرمط. **وكان الامام الغزالي** من أكبر أنصار التصوف الروحي السني.

وقد ألف ابن رشد الاندلسي كتبا في فلسفة الدين، فرق فيها مباحث الفلسفة، ومن أهم المواضيع التي توغل فيها العلماء المسلمون على اختلاف مذاهبهم التوحيد والصفات - والوجود - والعدل - والوعد - والوعيد - والمنزلة، بين المنزلتين والاسماء والاحكام والسمع والعقل والرؤية البعيدة والرسالة والامامة، وقد تشعب من كل موضوع من هذه المواضيع قضايا مختلفة كان لكل منها مدافع ومهاجم

وكان علماء المسلمين قد اهتموا بدراسة تاريخ الاديان، وكان ابن المقفع أول من عرب الكتب الفارسية الباحثة عن أديان فارس وأساطيرها، كما عرب أساطير الهند، وترجم آخرون في العهد العباسي الكلدانية والسريانية، كما أن سعيد الفيومي عرب التوراة سنة " ٣٢٠ هجرية " كما ترجم التلمود أيضا، هذا في حين ألف المقدسي

كتابه ـ البدء والتاريخ بحث فيه الاديان الصينية والهندية والتوراتية والايرانية واليهودية والنصرانية والصابئة والف ابو الريحان البيروتي عن الهندية ومعتقداتها، وكتب أبو منصور عبد القادر البغدادي في الملل والنحل، ثم كتب ابن حزم الاندلسي كتابه الفصل بين الاهواء والنحل ـ وكتب الشهرستاني كتابه ـ الملل والنحل ـ وكتب المقريزي كتابه ـ الخبر عن البشر..الخ. (١)

ويبدو أن العلماء المسلمين قد اهتموا بأديان الشعوب الاخرى واهملوا البحث عن الاديان والمعتقدات العربية القديمة وأثرها في أديان ومعتقدات الاخرين، مما أدى الى الانقطاع عن الجذور، والتطفل، ولقد استمر الوضع على هذا الحال الى أواخر القرن الماضي حيث بدأ الاساتذة والمثقفون العرب في ترجمة الكتب الباحثة في علم وتاريخ الاديان عن المصادر الغربية، فصدر منها الكثير حتى الان، ناقلين من خلالها الى أجيال شعبنا العربي الصورة القزمية الشوهاء التي وضعها الغرب عن العرب القدماء في ميدان الاديان والتاريخ والحضارة عموما، بما فيها تلك التي تناولها الغربيون في أبحاثهم عن الاديان والمعتقدات والاساطير: السومرية والبابلية والفينيقية والمصرية...الخ، فكانت محرفة وغير منطقية عدا مانسب منها الى شعوب أخرى.

ولما كان هذا النقص والفراغ الكبيرين يفسحان المجال واسعاً لتكريس التزوير.. والجهل بالحقائق عن تاريخ ودور الأديان العربية القديمة.. اندفعت نحو البحث والتقصي الجاد في بطون الكتب والمراجع المتاحة. ودون ملل أو يأس إلى أن اهتديت أخيراً إلى ضالتي وكم كانت غبطتي كبيرة عندما عثرت في ماكتبه د. سيد محمود القمني بصورة خاصة على ما يعوض الكثير من هذا النقص وذاك الفراغ.. ويساعد على ردم تلك الهوة السحيقة الناجمة عنهما والتي مازالت تؤرق مجتمعنا العربي منذ القدم وحتى الأن. في دراسته القيمة الشاملة تحت عنوان: "الأسطورة والتراث" الطبعة الثانية دار سينا ١٩٩٣ القاهرة فقد تمكن كما لمست مما انجزه من استخراج الحقائق والمسلمات التي كانت غائبة عنا من تحت ركام التاريخ القديم، لتنهض من جديد كما كانت تتجلى تماماً في عقول الناس وتفكيرهم ومعتقداتهم وتمارس على أرض الواقع الملموس في طقوسهم وأشكال عباداتهم لآلهتهم في مختلف مراحل

---

١ طه الهاشمي ـ نفس المرجع السابق ص ٢٠ ـ ٢٤

تطورها عبر العصور من الأدنى إلى الأعلى في المنطقة العربية وبلدان العالم الأخرى التي أخذت عنها معظم آلهتها ومعتقداتها وطقوسها إلى ان وصلت في طورها الأعلى إلى الأديان السماوية فأخذ كل منها -عنها- ما يناسب مستوى ناسها ومعتقدات مجتمعها وظروف عصرها وإيمانها با لله.

وبالأستناد إلى تلك الحقائق.. التي تم الكشف عنها بنجاح من خلال التحري العلمي لتاريخ الأديان القديمة- يتأكد لنا السبق العربي في تأسيسها وتواصلها وترابطها وتكاملها وانتشارها لبلدان العالم الأخرى - ولهذا شكلت ركن أساس من أركان الحضارات العربية والعالمية القديمة- بما في ذلك نهوض الأديان السماوية العربية المنشأ والهوية والانتماء عالمياً.

ولأهمية هذا الموضوع في تعميم الفائدة وأثبات مصداقيه ما ذهبنا إليه عن أصل الأديان ونسبها ودورها في حياة البشر منذ أقدم العصور وحتى اليوم - لخصنا من دراسة - القمني التالي شرحه ولكن بتصرف:

على الرغم من إن الإنسان البدائي لم يكن يعرف معنى الفلسفة والدين إلا انه شغل نفسه بمحاولة معرفة أمور تدخل في صلب الفلسفة والدين دون أن يدري.. إذ كثيراً ما ساءل نفسه :أيهما كان اولاً - الموت أو الحياة - العدم أم الوجود - الضار أم النافع .. الخ.

وبذلك بلغ مرحلة تقسيم الطبيعة إلى قوتين تعملان باتجاهين متعاكسين: قوة إيجاب فيها النفع والحياة والوجود والضياء.. ممثلة في عطاء الطبيعة كخصب الأرض وهطول المطر وفيض النهر وتكاثر النبات والحيوان النافع للأنسان والقوة الأخرى قوة سلب فيها الضرر والموت والعدم والظلام - ممثلة في أمساك الطبيعة عن العطاء كجفاف الأرض والنبات والنهر.. الخ. لذلك توجه بعبادته متوسلاً التقرب لمظاهر الطبيعة المختلفة للظواهر الخيرة ليزداد خيرها ويستمر، وللظواهر السلبية الشريرة ليتحاشى شرها ونقمتها وبطشها والتقليل من ضررها فربط بين الظلام عند غياب الشمس وبين العدم والموت والفوضى. وهذا يعني بدء فصل الجفاف والموت. بينما ربط سطوع ضياء الشمس ببدء دورة جديدة للحياة فربط الظلام بالشر والضياء بالخير. الخ ولهذا كانت اغلب عبادات الشعوب القديمة شمسية فكانت بنظرها - باعتقادها- إلهها الأكبر الخير. ونتيجة ذلك أفترض العقل البشري البدائي في مراحل تطوره اللاحق أن هناك صراعاً قائماً بين قوى الخير والشر.

ففي مصر القديمة- هبة النيل - نجد أوزيريس إلهاً للنيل والخير والخضرة والنماء بينما كان - ست - إله القفار والصحراء وزعيم الأشرار - يحاول أحباط أعمال أخيه الخيرة النافعة.

وفي حضارة وادي الرافدي القديمة كانت - تيامة - رمز القوى العمياء الشريرة في الوجود هي البحر الأول المظلم في الوجود، ولم يزل اسمها علماً على السهل الحجازي - تهامة - حتى جاء النور ممثلاً في - مردوك- مردوخ - رب الضياء - فدخل معها صراعاً انتهى بالقضاء عليها ومن ثم فرغ لتنظيم السماوات والأرض وباركها لتكثر خيراتها.

والأمر نفسه نجده عند أهل بلاد الشام إذ كان الوجود عندهم في الأصل - غمرا مظلماً مسيطراً هو -يم - يفرض السكون والفوضى على الوجود حتى ظهر -بعل- فقضى عليه وقام بتثبيت النظام والخير في الأرض، لكن اتباع - يم - قاموا يحاربون - البعل بقيادة الشرير- موت- لأعادة الوجود إلى سابق عهده فدخلا في صراع أبدي تبادلا فيه النصر والهزيمة فمرة ينتصر بعل فتسود الدنيا الخيرات نماءاً وخصباً ومرة ينتصر • موث- فيغشى الأرض سكون الموت وفوضى الجفاف.. الخ.

ففي هذه المرحلة أرتقى العقل البشري إلى مستوى تفسير التناوب الفصلي لشهور السنة وقد كرست اللغة العربية حتى اليوم هذا المعنى - ل - موت - أي العدم - الفناء.

ففي لوحة أثرية رافدية قديمة - صور إله الخير على هيئة انسان له أجنحة وريش - كما صور إله الشر -موت - على هيئة أنسان له قرون وجسم حية مغطى بالحراشف - وله ذيل طاووس تذكيراً بأصله الملائكي إي ابليس أو الشيطان.. الخ.

ولكن العقل البشري تمكن من فلسفة معتقداته في مراحل لاحقة اكثر تطوراً وتقدماً- عندما رفض ان تكون أولوية الوجود لإله الشر - الظلام فجعل المصريون والعرب القدماء عموماً إله - الخير-النور- الضياء الأسبق - الأقدم زمنياً.

هذا في حين بلور الفرس عقيدة - كيرموث - على نفس الأساس نقلاً عن العرب فجعلوا اول الموجودات إله النور والخير - هرمز - الذي مازال اسمه علماً على مضيق الخليج العربي ثم ظهر بعد ذلك منازعة إله الشر - الظلام - أهرمان - إلى الوجود بينما قام بالمقابل - إله الخير - هرمز - بخلق كل الملائكة والبشر -

ليساعدوه ضد غريمه - أهرمان-، مما دفع بالأخير إلى خلق كل الكائنات الضارة، وأخذ يؤثر باتباعه الأشرار على البشر لينضموا إليه، وهكذا بدأ الصراع بين الخير والشر.

وكان للفرس قبل هرمز إله للنور والخير اسمه- ميثهرا-وهو إله زراعي -أي إله خصب ونماء وضياء، وهو ولاشك مأخوذ أيضاً عن عقيدة الخصب العربية الأكثر قدماً، وكان الفرس يحتفلون بعيد ميلاده في ٢٥ كانون الأول أي عندما تبدأ الشمس قوة دورتها الجديدة سنوياً، فهو إله الضياء - أي الشمس.

وقد أخذ الهنود نفس الأعتقاد باله الشمس عن العرب القدماء أيضاً عندما عبدوه وقد سوه كإله للخير، إذ كان باعتقاد عباده انه يدخل سنوياً في معركة مع إله الموت والظلام فيقع في الأسر ويستشهد موتاً على الصليب، فيصيب الأرض، نتيجة ذلك الجفاف ويتوقف النسل، ولكنه يقوم من الموت في الحادي والعشرين من آذار عند المنقلب الربيعي _ فتعودبقيامته المجيدة - الحياة للأرض خيراً ونماء.. ألخ.

وعندما ظهر زرادشت في اواخر القرن السابع ق.م لم يستطع إلا اقرار المعتقدات،المثروية، في حين اعلن انه بعث ليبتعد بالبشر عن الطريق - أهرمان - الشرير، فحول - ميثهرا، من إله إلى ملاك موكل بهداية الصالحين لمساعدة هرمز في كفاحه ضد جحافل الظلام فقد افترضت الزرادشتية أن يستمر الصراع أثني عشر ألف سنة_ يظهر على رأس كل الف منها مهدي من بيت زرادشت-يقود الكفاح من أجل انتصار الخير على الشر،، وبانتهاء المدة تقوم القيامة، ويحكم على - اهرمان وجنوده ومن تبعه من البشر بالخلود في الجحيم.

ولعل التشابه بين هذه الأعتقادات الفارسية - الزرادشتية وبين اعتقادات الفرق الشيعية الأمامية اوضح من أن يشار إليه.

إن ظهور فكرة إمام مهدي من نسل زرادشت - يعيد للبشرية أمنها وسلامتها، كان ناتجاً طبيعياً لنضوج الأوضاع الأجتماعية والأنقسامات االطبقية الحادة وتزايد الظلم والاستعباد أدى إلى تحول العقل إلى البحث عن العزاء والراحة، في عالم أخر مقبل، طوباوي يحكمه مهدي عادل منتظر، يقضي على الشر والظلم، والاضطهاد. الخ.

كما اصبحت فكرة وجود إله شر مريحة للعقل، تساعده على الهرب من بحث الظروف الموضوعية او مواجهة قوى الشر، التي تتحكم في الحياة الأجتماعية، فكانت فكرة مجيء المهدي المخرج والمشجب المريح الذي تعلق عليه وتنسب إليه كل الأخطاء والتبريرات والمعاذير، أي صرف نظر الطبقات المطحونة عن محاولات تغيير أوضاعها المأساوية - بانتظار معجزة المهدي المنتظر، وسعادة العالم الآخر.

ظهرت ثنائية الاعتقاد بإلهين_عند اليهود إثر ما حل بهم من مصائب، فجعلوا عزازيل - إلهاً مساوياً لألههم- يهوه، وتحاشياً لشره قدموا له القرابين كما يقدمونها إلى يهوه، فقد جاء في التوراة : ويلقي هاورن على التيس قرعتين: قرعة للرب وقرعة لعزازيل، الذي اعتبروه شيطاناً أو جنياً، وأنه يسكن الصحارى، أو أنه إله الخراب والقفار، أو أنه كما يذهب البعض، زعيم الملائكة الذين هبطوا وزنوا ببنات البشر، ثم أنهزموا أمام جنود الخير، هذا بينما الحقيقة هي أن عزازيل - اليهود هذا ليس سوى إله الهلال البابلي- سين- الذي كان يحمل نفس اللقب، وكان يصور بهيئة تيس، باعتباره إلهاً للتيوس على الأرجح مرموزاً له بالهلال للتشابه بينه وبين قرني التيس، وهو ما يفسر لنا صورة الشيطان في اللوحات الفنية مزوداً بقرنين وحوافر وذنب.

لقد تأثر اليهود بالزرداشتية، بعد احتكاكهم بالفرس، فقالوا بإلهين، واحد للخير وأخر للشر، واطلقوا على إله الشر، الشيطان او ابليس فاصبح علماً على ملاك الموت أو زعيم الهاوية السفلى.

وإله التيوس البابلي، سين نجد أثره عند الكنعانيين واليونانيين الذين اطلقوا عليه اسم، ديوس، او التيس اوبوللو إله العالم السفلي، الذي كان وبشكل واسع في العقيدة، الفرنجية لأسيا الصغرى،صاحبة الأله أتيس الذي مات قتيلاً وهو ملتبس هيئة التيس، فهبط سيداً لعالم الموتى السفلي وإله الشر هذا، كان سبباً في بلاء البشرية وآلامها سواء حمل اسم إله الموت أو العالم السفلي او الشيطان او ابليس - عند الاديان السماوية، فهو أصل الخطيئة وسببها وهو الذي اغوى ادم بالأكل من القوت المحرم والمعرفة المحرمة في الجنة . الخ.

ففي حين ذكرت التوراة: ان الحية هي التي اوعزت -اغرت- حواء لتأكل من ثمر تلك الشجرة المحرمة، فأن المسيحية أكدت ان هذه الحية لم تكن سوى ابليس متنكراً، فلما خلق الله آدم-شعر ابليس الذي كان زعيماً لللملائكة، بالخطر يتهدد مركزه،

لاسيما عندما امره ا لله بتأدية فروض الولاء والطاعة لـه كالسجود وسواه، فرفض واستكبروا وايّده ألالاف من الملائكة في هذا التمرد والعصيان، فدفع ا لله بهم إلى عالم الظلام الأبدي تحت الأرض فتحولوا من ملائكة إلى شياطين يتزعمهم أبليس ملكاً للشر وعدوا لذرية أدم.

ويؤكد المسيح ملائكة ابليس وعلاقته بالموت والعالم السفلي حيث النار والجحيم في الهاوية، بقوله في الأصحاح ٢٥ من انجيل متى: أذهبوا عنا يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لأبليس وملائكته.

إن قصة أبليس بمعناها الذي وصلت إليه في مرحلة تطور العقل في المسيحية، كانت معروفة بين عرب شبه الجزيرة العربية قبل الأسلام، وقد عرفوها بتأثير اليهودية، والمسيحية معاً على الأرجح، بما في ذلك عزازيل الملاك الذي هبط مع رهطة إلى الأرض وتزوج من الأدميات فكان اعتقادهم أن قبيلة جرهم هي نتاج تزاوج الملائكة من بنات البشر، وان ذا القرنين كانت أمه ادمية وأبوه ملاكاً، والمرحج أنهم عبدوا الملائكة كآلهة هذا مع التأكيد من جانب أخر، إن الديانتين اليهودية والمسيحية كانتا قد تأثرتا قبل ذلك بأديان العرب القدماء، ومعها الشعوب الأخرى التي أخذت عنهما، ألهتها ومعتقداتها، ويؤكد ذلك [illegible] لوحة الأله -حورس- أحد أفراد الثالوث المصري الذي يرأسه الأب الألهي اوزير، وهو يطعن إله الشر، -ست- ممثلاً في تمساح، لأن التمساح في الميثيولوجيا المصرية حليفاً لأله الشر وعزازيل.

فالشيطان وعزازيل في الاسلام، هما نفس ابليس، المعني بالغواية ومرتكب الخطيئة، وهو مشتق في العربية من: الأبلاس، أي اليأس الثام من رحمة ا لله، حسب - الثعلبي، بينما اصل كلمة شيطان في العربية أيضاً من شط شاط شوط شطن، حسب العقاد، وتعني البعد والظلال والتلهب والأحتراق.

فقد ورد في القرآن الكريم، "واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قلل: إنـي أعلم مالاتعلمون، وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس إبى واستكبر وكان من الكافرين" -٣٠ - ٣٥ - البقرة.

كما ان القرآن يجعله من الملائكة حيناً ومن الجن حيناً اخر، حيث يقول في آيات أخرى: فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه،

أن مانسب إلى أبليس من قوة وجبروت، يجعله موازياً لجبروت ا لله، وهي الثنائية التي أمن بها الأقدمون وهو دليل على تواصل الديانات وتداخلها وتأثر اللاحق بالسابق منها اثناء تطورها كنتاج لتطور العقل والمجتمع البشريين وبلوغ مراحل التوحيد،

فقد نقل من كانوا بالاسر البابلي من بداوة عسير، وعرفوا فيما بعد باليهود، جل الهة الرافدين معهم إلى شبه الجزيرة العربية، وعلى رأسهم الأله - ايل و أتباعه وجعلوا اسمائهم معطوفة عليه مثل: عزرا - ايل - ميكا - ايل - جبرا - ايل - اسرا - ايل- .. الخ.

هذا إضافة إلى ما أخذوه عن ألهة بلاد الشام ومصر، فكانت اسماء ملائكتهم، التي جعلوها نورانية التكوين هي نفس اسماء تلك الألهة ذات الأصل والمنشأ الواحد في الوطن العربي على الرغم مما يظهر من تباين بين أسمائها ومما يؤيد ذلك أن الصفة - الهيئة- التي جعلها اليهود لملائكتهم - نجدها قائمة مصورة بهيئة تماثيل مجنحة، أكتشفت في العراق.. الخ.

فقد كان - حزقيال، قد نقل لطائفة - الكروبيين، أثناء الاسر البابلي في القرن السادس ق.م، صور التماثيل والكائنات الملائكية والجنية، المجنحة التي كانت محفورة على جدران بابل، ولها قرون وحوافر وذيول، وهناك لوحة رافدية تجمع كل هذه المواصفات على بوابة، عشتار للأله اتيسّ الشهيد، ورمزه التيس، هذا أضافة إلى صورِ تموز الشهيد الرافدي، الذي تجسد عند الفينيقيين باسم الأله، ادونيس، الشهيد أيضاً وكان يرمز له بالتيس ايضاً.

فقد كانت كل الديانات، بما فيها المسيحية فدائية تقول باله شهيد فدى البشر بنفسه، ولذلك كانت تقدم الأضاحي والقرابين الحيوانية والنباتية في عيد موته، وقيامته، عدا النذور وكانت الحية ذات القصة المشهورة في غواية حواء وأدم في الجنة - حسب الأديان السماوية- احدى آلهة الشر في المعتقدات القديمة أيضاً، فقد عثر على نقش سومري يعود للألف الثالث ق. م عليه صورة ذكر وأنثى يتناولان ثمرة من نخلة وخلف حواءٍ تدلت حية.

ويدعم ذلك تماماً المكتشفات الأثارية في أوغاريت برأس شمرا السورية، وما سجلته النصوص الكنعانية المقدسة هناك حول إله الشر المرموز له بـ لوياثان- الذي

ذكرته التوراة بالقول، وفي ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي، لوياثان ويضع نهاية للحية الملتوية الهارية، شالياط - ذات الرؤوس السبعة.

وفي نص أخر، أوغاريتي تقوم عناة زوجة الأله البعل، بقتل التنين فيخاطبها النص قائلاً: الست أنت التي افنت التنين وسحقت الحية الملتوية ذات الرؤوس السبعة؟ ونفس المشابهات ونفس الفكرة نجدها في صراع، اوزير وست في العقيدة المصرية القديمة وصراع -مردوك- -تهامة- -وتيامة- في العقيدة الرافدية القديمة، وصراع -بعل- و -موت- في العقيدة الكنعانية والفينيقية، وهي نفس الفكرة التي انطلقت من هنا وشاعت في بقية المعتقدات القديمة من تنين الصين حتى تنانين حوض المتوسط وتجسدت بتماثيل ولوحات وجاء في الأصحاح -١٢- من أعمال الرسل انه التنين العظيم - الحية القديمة- المدعو ابليس الشيطان الذي يضل.

عبادة الكواكب والنجوم:

كان قدماء وادي الرافدين، قد اكتشفوا خمسة كواكب من كواكب المجموعة الشمسية، هي عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل، وكان أبهاها وأحسنها بنظرهم كوكب الزهرة، المشع بضيائه، وأضافوا إليها الشمس والقمر فأصبحت سبعة أجرام سماوية، ولذلك اصبح الرقم -٧- من يومها مقدساً بدلالاته الرمزية إلى السماء.

فقد جاء في اللوح الخامس من اسطورة الخلق البابلية: إن النجوم هي صور الالهة ورموزها ان العقل البشري أثناء مسيرة تطوره، أرتفع نحو المزيد من التجريد، المفهومي لالهته فتمثل لها رموزاً في السماء جاعلاً لكل منها رمزاً يتمثل في نجم أو كوكب أو بمجموعة أجرام ولكن أعظم هذه الآلهة شأناً كانت تلك التي رمزوا إليها بالرقم -٧- سالفة الذكر، ومن هذه السبع المقدسات كان لعبادة الزهرة بالذات مكانة وأثر كبيرين أمتدا في المكان والزمان حتى دخلا في صلب عقائد الأنسان حتى القرن العشرين.

فعندما تجاوز العقل البشري مدارج بدائيته الفكرية والعقائدية، بخطوات تجريدية انتقل من عبادة الأرض التي كانت معروفة منذما قبل التاريخ كأحد قطبي عقيدة الخصب العربية، عرفاناً بفضلها كأم رؤوم كبرى، تحمل روح الخصوبة والأثمار

والعطاء المتجدد سنوياً إلى عبادة قوة كونية أعظم شاناً جسّدها العقل العربي الرافدي القديم في آلهة انثى، باعتبار الأخصاب والميلاد والعطاء من خواص الأنثى الأرض والأنثى محور حياة الأنسان واستمراره، فقد اصبحت هذه الالهة قوة اساسية ومحركاً كونياً لأحداث العالم ثم تمثل لها رمزاً في السماء، هو الشمس بينما تؤكد مصادر أخرى انه كوكب الزهرة، فكما كان يسجد على الأرض كان يرفع يديه نحو السماء تقديساً وثناءاً أو توسلاً لهما اذ ليس ادل على ذلك من وجود أثار رافدية قديمة على هيئة نجمة ذات ثمانية اشعاعات وأخرى ذات ستة عشر أشعاعاً ولأشك أنها ترمز إلى كوكب الزهرة، وكانت تعبد في مدينة الوركاء السومرية وأطلقوا عليها اسم -اينانا- الذي يعني سيدة السماء، وفي عهد الاكاديين تحول اسمها إلىعشتار وهناك اول ملحمة في التاريخ عن آلهات الخصب هي الملحمة السومرية هبوط أينانا إلى العالم السفلي، وبغيابها عن عالم الأحياء جفت الأرض وتوقف النسل والعطاء كأشارة لفصل الجفاف -الخريف- وهناك نجدها ترشد اهل العالم السفلي إلى عشيقها المفضل تموز الشهيد الذي غدرت به ليأخذوه نظير الأفراح عنها، رغم ما كان بينهما من حب واتصال جنسي كأتصال الذكر بالأنثى.

فالعالم السفلي كان حسب ملحمة جلجامش بمدينة الوركاء في بابل، أما في عهد الأشوريين فقد عبدت الزهرة اينانا عشتار كإله ذكر للحرب صباحاً وألهة أنثى للـذة الشهوانية مساء نظراً لظهورها المتكرر المألوف صباحاً ومساءاً.. الخ.

أما ممارسة الجنس الجماعي المقدس في المعابد، الذي كان شائعاً قديماً بين جميع الشعوب كان باعتقادهم عبارة عن تحريض لقوى الاخصاب الكامنة في الأرض، الأم الكبرى، انطلاقاً من الاعتقاد ان الشبيه ينتج الشبيه لضمان تكاثر النبات والحيوان والأنسان وهذا الطقس كان أفضل قربان يقدم للزهرة خاصة فض بكارة الأنثى عندما كان الرجال للنساء والنساء للرجال في القبيلة الواحدة بادىء الأمر.

وفي الميثولوجيا اليونانية_ المقتبسة عن العرب انجبت الأرض -جيا- ألهاً جديراً بها هو أورانوس السماء، ليساعدها على الأنجاب وهذا الدور يقوم به اله السماء نفسه حيث يقومان بفعل القران الأول، ومازال الهندوسي يهمس باذن عروسه حتى اليوم قائلاً : أنا السماء، وأنت الأرض، كتأكيد على ان الهنود اخذوا عقائدهم عن قدماء العرب فقد كان عباد -عشتار- يخاطبونها بالعذراء المقدسة -الأم العذراء والعذراء لقبها - واالعذرية جوهرها رغم أنها ترمز للجنس والحب والأخصاب - حسب

فراس السواح – فهذه العذرية لايبددها لقاء عابر ولاحمل ولا ولادة، إذ تبقى عذريتها كالأرض رغم أخصابها الأبدي الذي لايضيره عرض زائل. ولعشتار عشاق وأزواج كثر أشهرهم، تموز الشهيد.

والعذراء في الرافدية، والأوغاريتية الكنعانية بتلت، والأرامية بتولتا والعربية الفصحى بتول.

فقد عبدت الزهراء اينانا عشتار عند الكنعايين باسم عنات عناة أو أنات بمعنى الأنثى، وعند الفينيقيين باسمها الأشوري، استار ونقلوها إلى اليونان، فاصبحت هناك باسم فينوس وانتشرت في اوروبا بعدذلك كما نقلها العرب شرقاً فأصبحت في ايران القديمة سيدة عيلام، كما عبدها اليهود ومارسوا طقوسها الرافدية ذاتها بما فيها طقس البكاء الموسمي على الشهيد تموز الذي اسلمته عشتار لزبانية العالم السفلي بديلاً عنها اضافة إلى ممارستهم للعهر المقدس في الهيكل والمعابد، كما قدسوا الرقم -٧- الرافدي ، وقصة رؤيا يوسف غنية عن التعريف – حول السنوات السبع العجاف وعيد الفصح الذي يحتفل به في موسم الربيع ليس سوى بقايا من العبادات الرافدية.

يقول فراس السواح ، أما الأم الكبرى أو القوة الأخصابية الكونية المتمثلة بآلهة الحب العذراء فقد حلت محلها السيدة مريم العذراء -البتول- في المسيحية حيث دعيت بسيدة السماء وهو اللقب الرئيسي للألهة – عشتار – وحتى وقت قريب كانت السيدة مريم العذراء تدعى في الريف الايطالي بـ -أفروديتا-، نسبة إلى أفروديت وهو اسم الزهرة عند الرومان هذا في حين حاول اليهود فيما بعد تمييز الههم القومي الأكبر -يهوه- عن جميع الهة بلاد الرافدين والشام ومصر والجزيره العربيه التي عبدوها واخذوا اسم يهوه ذاته عنهاولكن دون ان يتخلوا عنها فحولوها الى اتباع له واطلقوا عليها اسم الملائكه وجعلوا كبيرها الجبار -ايل -رئيسا لها باسمه: جبرا -ايل- او- جبريل وتكرس هذا التحول وهذا الاسم بمعناهما الواسع في العربيه وعند العرب في شبه الجزيره العربيه : اذ يروى : أن النبي محمد قد صادق على بيت من الشعر "الجاهلي " لاميه بن عبد الله – يصف فيه هذه الطائفه الملائكيه بقوله:

رجل وثور يمنى رجله والنسر لليسرى وليث ملبد

وجاء التصديق من النبي على هذا الوصف لجبريل وطائفته في قوله عن ابن عباس: صدق اميه في قوله وقد عثر على تمثال في آثار وادي الرافدين - بنفس الصورة والمواصفات وهي الصورة نفسها التي تخيلها واقتبسها العرب المسلمون ورسموها للبراق النبوي في قصة المعراج فقد عرف عرب الجزيره العربيه قبل الاسلام عباده الزهرة - ولكن هل كان للربات الثلاث : اللات - ومناة -والعزى -علاقه بها ؟

ينقل عن المؤرخ اليوناني -بروكيبوس - المتوفي عام ٥٦٢م : أن العزى العربية هي ذاتها الألهة - أفروديت.

وكان من بين آلهة -الصفويين الاله -عزيزو- وهو كوكب الصباح - وكان إلهاً مذكرا في الصباح ومؤنثاً في المساء - فدعوه العزى -تأنيثا للعزيز، وكوكب الصباح والمساء هما الزهرة عندما تكون الهة حرب صباحا - والهة حب مساء كما كان من بين الهة تدمر توأمان هما -عزيز - أنف الذكر - أي كوكب الصباح - و-اصوا- أو -ارص- أي كوكب المساء وارص هو الارض - التي كانت الهة الخصب او الام التي شخصت فيما بعد في كوكب الزهرة.

وفي رأي -رينيه ديسو- و-اريكمانز-و-ستاركي حسب د القمني : ان الالهات الثلاث : اللات والعزى ومناة لم يكن مجتمعات سوى رموز لكوكب الزهرة وحده دون أي معبود آخر ....الخ

ومما يؤكد ذلك: إن الكنعايين عبدوا الى جانب الاله الرافدي الجبار -ايل - زوجته ايضا واعتبروها الام الكبرى والمخصبه الكونيه واطلقوا عليها لقب التأنيث من -ايل- وهو -ايلات- أما اسمها فكان عشيرة كما لقبوها بسيدة البحر، ولم يزل اسمها علماً على خليج العقبة، أي ايلات إلى اليوم وهي ذات -اللات- في شبه الجزيرة العربية.

وجاء في النصوص الاوغاريتية : ربت اثرت يم -ألت وبالترجمة يكون اثرت = عشيرة وربت = ربه - ويم = البحر -وألت = ايلات او اللات وبجمله: عشيرة ربة البحر ايلات وقد ذكر هيرودث: إن العرب كانوا يعبدون الزهرة ويدعونها -اليتا - أي اللات محرفة بسبب النطق اليوناني لنفس الاسم اما اللات التي عبدها التدمريون كانت تذكر ايضا باسم -اثينا وقد سمي ابن اذينه وزنوبيا - اللات: وفي اليونانية - هبة اثينا وهي الزهرة.

أما مناة فليست سوى عناة او انات وروح الخصوبة عند الكنعانيين - المشتقة اصلامن عشتار اسم الزهرة الرافدي التي كانت تلقب أيضاً بالعذراء.

وكان باعتقاد بعض اهل الجزيرة العربية قبل الاسلام: ان بنات الله الثلاث: اللات -ومناة- والعزى- هن الهات القمر ففي الاساطير الرافدية كانت: أن - اينانا أو عشتار أو الزهرة ابنه اله القمر وقد عبدت في الجنوب العربي باسم -عشتر- ومن هناك انتقلت إلى الحبشة لتعبد باسم -عستر كإله للسماء الى جانب الاله - مدر- اله أمنا الارض و- بحير- اله البحر وهذا الثالوث يمثل كوكب الزهرة فقد سبقت الاشارة الى تقديس العرب قبل الاسلام للاجرام السماوية السبعة وكان يوم الجمعة في التقويم البابلي يوم الزهرة المقدس الذي مازال في اللسان الاوربي فندرد الجمعة -أي فينوس - الزهرة الذي اسماه عرب الجزيرة يوم العروبة - اعتزازا فأصبح في الاسلام يومه الاسبوعي المقدس او المبارك أي الجمعة وجاء في القرآن تقديس واضح للكواكب الخمس السيارة في قوله: فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والخنس في تفسير محمد فريد وجدي هي الكواكب الرواجع من خنس يخنس رجع وتنحى والجوار بمعنى الجاريات ويقال في الفصحى: كنس الوحش يكنس أي استتر في كناسه أي في جحره والسيارات الكنس هي التي تختفي تحت ضوء الشمس ويذكر ابن الكلبي ان النبي محمد ذكر العزى قائلا: لقد اهديت للعزى شاة عفراء وأنا على دين قومي، كما قال ابن هشام: أن أكل النبي محمد من ذبيحة لنصب الزهرة انما كان فعلا مباحا: وغني عن الايضاح ان الرقم ٧ قد نال حظوته القدسيه في الاسلام والقرآن ثري بالآيات التي تجعل لهذا الرقم مكانة خاصه: مثل طبقات السماء والارض ودرجات الجنة وابواب العالم الاخر السبع وكذلك السنابل السبع والبقرات السبع.

كما كان العرب يعبدون القمر راعي الرعاة الى جانب الكواكب السيارة الخمس مضافا اليها الشمس باعثة الخصب والنماء والمحاصيل والدفء في ضيائها وهذا ما نجد اثره في الاسلام حيث يرفع الهلال تتوسطه نجمة ذات ثمانية اشعاعات بأعلى مآذن المساجد وهما يرمزان للقمر والزهرة.

- **الاضاحي والقرابين والنذور :**

عندما كان العقل البشري مازال يتخبط في ظلمات بدائيته بين ظواهر طبيعية تصفو مرة فتجزل العطاء وتعصف اخرى فتدمر بلا تمييز،

اتجه الانسان نحو هذه الظواهر ضارعاً متوسلا فاله العديد منها فعبد القمر والشمس والعديد من الاجرام السماوية وجعل للخصب والجفاف والرعد والمطر والينابيع والانهار والحيوان النافع منه والضار .....الخ

الهه معنيه بها تعبد بعضها خشية بطشها، وبعضها الآخر رجاء استمرار منافعها ليضمن لنفسه الامان والقوت، واخذ يتزلف لهذه الالهه بتقديم القرابين والاضاحي والنذور طمعاً بخيرها وابعاد شر الضار منها فقدم لها الثمار ثم الاضاحي الحيوانية كذكور الخراف والتيوس ثم قدم الاضاحي والقرابين والنذور البشرية فداءاً لنفسه واولاده وممتكاته وقبيلته.

فالترثيله السومريه التي اوردها ديورانت تقول: الضان فدءاً للحم الآدميين به افتدى الانسان حياته، وبعد ذلك بأكثر من ثلاثة آلاف عام نجد عبد المطلب بن هاشم ينذر ابنه عبد الله ليقدم قرباناً على مذبح ألهته

وفي قصة التكوين التوراتية نجد قابيل يكتفي في قربانه لإلهه بإبكار فاكهته واثمارها وحسب ارامية التوراتي بني اليهود محارق للالهه البعل ليحرقوا اولادهم عليها تقرباً اليه، والبعل كان الهاً كنعانياً والعقيدة المسيحية اكدت ان صلب المسيح كان فدءاً لخطايا البشر

وفي سفر التكوين كان هابيل راعيا للغنم، وقابيل مزارعاً في الارض فقدم هابيل قرباناً للرب من ابكار غنمه، وقدم قابيل من اثمار الارض فنظر الرب الى هابيل وقربانه ولكن الى قابيل، قايين وقربانه لم بنظر، مما دفع بقابيل الى قتل اخيه غيرة وحنقاً

وفي السفر نفسه نجد النص التالي: وحدث ان الله امتحن إبراهيم فقال له ياإبراهيم خذ ابنك اسحق الذي تحبه إلى أرض المرايا واصعد هناك محرقة، فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحق ثم مد إبراهيم يده واخذ السكين ليذبح ابنه فناداه الرب من السماء وقال : لا تمد يدك إلى الغلام الأن علمت انك خائف من الله، فرفع إبراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه، وأخذ الكبش واصعده محرقة عوضاً عن ابنه.

وكانت قصة هذا الفداء معروفة بين العرب قبل الإسلام لكن الذبيح كان هنا اسماعيل وليس اسحق جد الاسرائيليين ابناء يعقوب وذريتهم وكأنه كان هناك تنافس بين ذرية اسحق وذرية اسماعيل وقد وصف النبي محمد بانه ابن الذبيحين عبد الله ابيه، واسماعيل جده البعيد.

وقد أورد القرآن نفس القصة التوراتية ولكن الذبيح فيها كان اسماعيل، كما اورد قصة قابيل وهابيل ايضاً.

يقول جواد علي ويلحق بالحج تقديم العتائر تنحر عند عديد من الكعبات "الجاهلية" فكان يوم ٢٥ كانون الأول عيد سنوي للتضحية في كعبة ذي الشرى كما كان يتم النحر في بيت اللات في الطائف، وعلى عرفات في بيت العزى. الخ.

ولهذا يرجع اكثر من باحث أن يكون الوأد في الجزيرة العربية قبل الأسلام، هو نوع من القرابين أكثر منه خشية أملاق وخاصة أنه لم يكن مقصوراً على البنات كما هو شائع وأنما شمل الذكور أيضاً.

وعندما جاء الاسلام شرع التضحية الحيوانية وحرم الوأد وتقديم القرابين البشرية مستعيضاً عنها بالختان تاسياً بالجد إبراهيم وأمتثالاً لسننه.

– عبادة الطواطم:

في المجتمع البدائي الرعوي الأبوي كانوا يعبدون الطواطم التي ترمز إلى الأباء الذين استشهدوا وهم يصارعون الوحوش الضارية المفترسة ونوازل الطبيعة القاسية المدمرة، دفاعاً عن العائلة والقبيلة والجماعة عموماً حيث كانوا يحتمون وراء الذكر الأب القوي من تلك المخاطر فيموت أمام أعينهم شهيدا فبجلوه وعبدوه كأب للفداء.

ولما قدس الانسان أباه واسلافه في المرحلة الطوطمية، اعتقد في أرواحية الطبيعة وصيغها بالحياة فجعل سلفه الراحل حالة من حالاتها أوهو في واحدة من ظواهرها الحية فربما كان في شجرة أو نبتة او حيوان نافع أو في تلك المياه الجارية.

وفي مرحلة تالية أكثر تطوراً أخذت العشائر البدائية تتجمع في قبائل مكونة مجتمعا أكبر لم يعد ممكناً فرض روح السلف المعبود في رمز طوطمي حيواني، مقدس لدى قبيلة على قبيلة أخرى تقدس طوطماً أخر فكان أن تم تمثل الأسلاف في ظاهرة

كونية أكبر من حيوان على الأرض ترضي جميع القبائل فكانت عبادته المخلصة للكواكب والنجوم أن هي إلا للأسلاف المقدسين، ولأن الألهة التي في السماء كانت انثى ولودا في المجتمع الأنثوي الأمومي الزراعي، ولأن المجتمعين تداخلا وكذلك النظامين، فقد زوج هؤلاء البشر ألهتهم بعضها من بعض، فأصبح القمر رب البادية وأبا الرعاة زوجاً للأم الكبرى الشمس باعثة الحياة والخصب والمحاصيل الزراعية ولأن هذا الزواج قد حدث فلابد إذن من وليد فكما كانت حياة الأب الأول والأم الأولى على الأرض فلا بد ان تكون كذلك في السماء وبذلك اكتملت أضلاع الثالوث الإلهي فتقدس في الجنوب العربي في اليمن فكان القمر كأله ذكر أخذ دور الأب والشمس كأله أنثى اخذت دور الأم وعشتر أو الزهرة كأله ذكر أخذ دور الأبن، ولكن الأله القمر كان عندهم الأله المقدم فعبده القتبانيون والحميريون بالاسم -عم- وعم القبيلة ابوها وسيدها وعبده الحضارمة بالأسم - سين - والمعينيون بالاسم - ود - والسبئيون بالاسم - المقة.

وسين كبير ألهة حضرموت كشفته بعثة بريطانية للأثار في منطقة الحريضةعام ١٩٤٤ منقوشاً على أمتداد أرض الأحقاف والشريط الساحلي لجنوب الجزيرة العربية، وكان إله القمر سين معروفاً في عبادات وادي الرافدي كما كانت له معابد في سيناء التي يرى الباحثون : أن اسمها مشتق من اسمه هنا كعلم دال على أله القمر، إنما يعني الأله التيس أو الثور.

وكان من اسماء الأله القمر عند عرب الجنوب الاسم -شهر- وقد جاء بنفس الاسم والمعنى في القرآن في قوله: فمن شهد منكم الشهرفليصمه بمعنى من شهد منكم الهلال.

وكانت عبادة المعينيين للقمر تعبر عن اعتقادهم بانهم أبناء القمر -ود - ولهذا اطلقوا علىانفسهم -ه - ود - أو -هود- والهاء هنا تفيد الانتساب والبنوة، ويصبح المعنى : ابناء ود - أو الابناء الذين في الأرض للأب الذي في السموات.

كما ورد اسم الإله القمري السبأي - المقة - في النقوش المكتشفة في اليمن أكثر من الف مرة - كدليل على شهرته وكبر مكانته بين ألهة اليمن القديمة كأله مذكر والألف واللام في أول - المقة- انما تعني حسب د. سيد القمني : ا لله أو الأله أو الرب - مقة - هذا في حين افاد -اريكمانز : ان - أل - قد جاء في النقوش السبئية يحمل اللقبيين - فخر بمعنى العظيم، وتعلى بمعنى تعالى، اما هوبر فقد قال : انه عثر

على إل – في النقوش الثمودية بالصيغة اله ن – وتعني الله،كما أشار نص قتباني إلى موضع الذبائح المقدسة في المعبد الملكي بقوله: مختن ملكن بمكى، وتعني المذبح الملكي بموضع أو منطقة مكي.

وذكر ابن طيفور المصري والقيرواني: ان أهل اليمن كانوا يقلبون القاف كافاً كبعض أهل فلسطين اليوم، ولذلك فلا يستبعد ان تكون – المقة– هي مكي أو مكة وتعني على الأرجح– إل ومعبد الاله – إل – على الأرض– كما تعنى رب البيت القمر.

ومع انهيار سد مأرب وتزوج قبائل يمنية نحو الشمال، استقرأكبرها، خزاعة في المنطقة التي أصبحت تعرف باسم مكة، ناقلة معها معتقداتها وألهتها وطقوسها الدينية، فأصبح بيتها معبدها رب البيت الجديد بمكة.

فقد ربطت الباحثة اليمنية – ثريا متقوش: بين إله سبأ القمري – المقة – وبين مكة لاسيما وأن ابن مسعود ذكر ان البيت الآلهي الحجازي هذا – تكرس لعبادة الكواكب السيارة تلك المؤلهة وابرزها : القمر الأب – والشمس الأم – و الزهرة الابن – أو الرب إل – والأم اللات – والابن عشتر، وجاء في الروايات الاسلامية: أن أول من جاء بعد تفجر ماء بئر زمزم واستقر بجواره كان ركب من اليمن، وان عمرو بن لحي الخزاعي كان أول حاجب للبيت الألهي الحجازي بمكة وان ملك اليمن تبع الثاني قدم إلى مكة وطاف في البيت الحرام ونحر للناس وأطعمهم وكسا البيت بالبردة اليمنية وجعل له مفتاحاً وحجابة واسلمها الخزاعيون، بعد نزاع وصراع إلى يد قصي بن كلاب.

ويبدو ان توسط مكة بين اليمن وبلاد الشام وما كان من تواصل مستمر، أدى إلى تدخل وتوحد لعقائد العربية القديمة، فدخل بعل إله الخصب في بلاد الشام وكان اسمه في الاصل هـ –بعل أو هبعل، والهاء كانت أداة التعريف في العربية الشمالية أي في اللهجة الأمورية الغربية، ثم اهملت العين فأصبح هبعل في الحجاز – هبل وحل مح عشتر سمين كأبن للأله إل وفي رواية اسلامية أخرى ان عمر بن لحي الخزاعي، سافر من مكة إلى الشام في تجارة فرآهم يتعبدون لألهة الخصب هذه فكان ان احضر : هبل – وأساف – ونائله معه فوضع هبل في فناء الكعبة واساف على الصفا ونائلة على المروة.

وتقول رواية اسلامية أخرى : أن ادم وحواء عندما هبطا من الجنة متفرقين وظلاً هائمين حتى التقيا، وعرف ادم حواء على جبل عرفات ولذلك عـرف الجبـل باسـم عرفة وعرفات لأن أدم عرف حواء عليه، فتقدس الوقوف عليه وكان ذلك من أهـم مناسك الحج عند العرب ما قبل الأسلام..

فالثالوث الألهي في اليهودية هونفس الثالوث العربي كما أخذ اليهود اسـم إلههـم يهود - ياه - ياهو- أهية - عن عرب المشرق أيضاً وهو الذي التقـاه موسى كما يزعمون في توراتهم، عندما كان يرعى الغنم في مديان على هيئة نـار في عليقـة وقال له: هكذا تقول لبني اسرائيل يهوه أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد وهـو ذاتـه الذي جاء اسمه في مزامير داوود -ياه.

فقد عثر على الأسمين: ياه - و -ياهو- متقوشـين علـى قطـع خزفيـة مـن عصـر البرونز عام ١٩٣١ وعلى ألواح اخرى من مكتشفات اوغاريت برأس شمرا السـورية كما أكتشف الأثاري بروستد: ان اهل مديان كانوا يعبدون إلهـا وثنياً يحمـل نفـس الاسم، وكان يرسم عند اليهود في صـورة ثـور، ويقـدس وقـد كـان الثـور والشـياة والتيوس رموزاً للقمر في هيئة الهلال في المنطقة العربيـة كمـا أكـد ديتلـف نيلسـون- على قمرية يهوه.

ان يوم السبت والأعياد الأسبوعية الأخرى - ارتبطـت عنـد العـرب واليهـود - بأيام المحاق الثلاثة وارتبطت كل شهرين بمواقـع القمـر ووصـف سفر أرميـا الديانـة اليهودية بانها ديانة قمـر وشمـس وكواكـب، وكـان اول الشـهر القمـري ومنتصفـه يومان مقدسان فقد قامت - ياهو- الأنثى في دياة التثليث اليهودية بدور الزوجـة - ويهوه - بدور الأبن - وايل - بدور الأب.

وهناك نص اوغاريتي منقوش يقول فيـه الالـه ايـل: ان اسـم ابـني - يـاو - كمـا يقول: أن ايل قرر عندما شعر بشيخوخته وعجزه ان يولي ابنه خليفة له ..الخ.

ولما كان الدين قديماً وحديثاً هـوالأداة المفضلـة والأسـلوب الأكـثر فعاليـة، فقـد اندفع اليهود نحو التضلع في فنونه، فاشتثمروه بكفاءة و لم يـترددوا في أنتهـاز الفـرص واستغلال الظروف والمتغيرات المناسبة في المنطقـة العربيـة قديماً وعلـى كافـة الصعـد ومنها احتلال الفرس والأغريق والروم لنشرما اقتبسوه وبلوروه من قناعـات وأفكـار وتوجهات لفرض وجودهم عندما وضعوا -ألفوا-ما يسمى بـالعهد القديـم المقـدس التوراة، ليستطيعوا من خلاله التغرير بالناس وخداعهـم وتضليلهـم وتسـميم وعيهـم

بالتزوير وقلب وتشويه الحقائق فقدجمعوا فيه ما يناسب غاياتهم ومـا أمكنهـم جمعـه من ميثولوجيا العرب القدماء وأخبارهم وتراثهـم مما جعلـه المصـدر الوحيـد لتـاريخ المنطقة العربية القديم، يعد سقوط دولهـا المركزيـة في المشـرق ووادي النيـل وأندثـار حضارتها الأصيلة وانقطاع العرب بعد ذلك عـن تـاريخهم وتراثهـم القديـم وتفشـي الجهل به، وهكذا تمكن اليهود من خلال التزوير خـلال احتـلال: الفـرس والأغريـق والرومان للمنطقة العربية من تهويد تراثها ومعتقدات أهلها عندما جعلوا من انفسهم واسلافهم قطب الرحى فيهـا حسـب الثـوراة فنسبوا البطـولات والملاحـم. العربيـة القديمة لأنفسهم ولأسلافهم كما جعلوا الأنبياء والمرسل منهم.

فكان أن تلاحقت على صفحات توراتهم ثقافات وقصص شتى هجينة، نظراً لما اخذوه عـن العـرب انتقائيـاً وعشـوائياً ولغايـات ملؤهـا الحقـد والكراهيـة، فتبـاينت وتناقضت نصوص كتابهم هذا ومع ذلك اعتبره العرب المسلمون وأسلافهم في شـبه الجزيرة العربية ومن ثم المسلمون كافة كتابـاً مقدسـاً ؟ مما اتـاح لليهـود الاسـتمرار بتسميم وعي المسلمين وخداعهم وتضليلهم لاسيما العرب منهم حتىاليوم وانـتزاع اعترافهم الدائم بأن ا لله فضلهم على العالمين وجعل لهم ميراثاً بأرض العرب. الخ.

فلو اخذنا ما ترتـب علـى ذلـك منـن نتـائج سـلبية، إلى جـانب انقطـاع العـرب المسلمين خاصة عن تاريخ وتراث اسلافهم العـرب القدمـاء علـى نصوعـه وغزارتـه واستخدام الديـن -بعـد صـدور الأسـلام كوسـيلة للقمـع والأسـتبداد والأضطهـاد والاستغلال- الذي وجد شبيهاً له وأكـثر في تحكـم الكنسـية الأقطاعيـة بأوربـا الـتي كانت فوق ذلك تحارب العلم والعلماءكما في الاسلام احياناً كثيرة.

لوجدنا اسباب ذلك تكمن فينا أساساً فقد كانت وبالاً علينـا ومـن وراء تفكـك وانهيار الدولة العربية الاسلامية وحـدوث ضعـف وتخلـف وفـراغ نجـم عنـه تعـرض الوطن العربي لموجات متلاحقة من الغزو الاستعماري من الغـرب والشـرق معـاً ولم يتوقف حتى تمكن اخـيراً الاتـراك العثمـانيون ومـن ثـم الغـرب مـن بسـط السـيطرة الأستعمارية الكاملة عليه، منذ خمسة قرون وحتى اليـوم، فضـلاً عـن غـرس الكيـان الصهيوني في فلسطين التي هي بموقع القلب من الوطـن العربـي، ولتهـدد الاستعمار الغربـي معـاً وبشـكل دائـم الوجـود العربـي برمتـه ودفعـه، إلى المزيـد مـن التفكـك والانكفاء والـتراجع والتخلـف والتبعيـة والعبوديـة بعدمـا فرضـوا التجزئـة الجغرافيـة للوطن العربي الكبير وقسموه، ومع ذلك مازلنـا نـرى الحكـام العـرب والمؤسسـات

والطبقات المستغلة يكرسون التجزئة والفرقة والتخلف ويعادون الحريات الديمقراطية ويستخدمون الدين للقمع والأرهاب والاستغلال وفرض الطاعة العمياء والاستكانة، والعزوف عن الأخذ بناصية العلم والتطور والتقدم الايجابي الذي بلغه الأنسان في هذا العصر بل الوقوف من العلم موقف المتشكك المرتاب من نواتجه لجعلنا نعيش في الماضي على حساب الحاضروالمستقبل أملاً بالأخرة السعيدة حسب الفكر الديني السلفي المتزمت الذي يصب في طاحونة التجهيل وتكريس التخلف لضمان مصالح السادة في الحكم والمجتمع والمؤسسات الدينية معاً إذا ليس أدل على ذلك من تلك الشواهد الكثيرة ومنها على سبيل المثال مايلي:

في كتابه – عجائب الأثار – ذكر المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي: انه في نهاية القرن الثامن عشر حين وصلت الحملة الفرنسية إلى مصر وكان الشرق يعاني من غيبوبته التي كانت أشد فتكاً بعقله من القهر العثماني المتسلط انذاك، قامت مجموعة من العلماء الفرنسيين الذين رافقوا حملة نابليون بونابرت هذه بعرض بعض التجارب الكيميائية أمام نفر من علماء الأزهر فذعر علماء المسلمين لما راوا النتيجة، ولم يجدوا تفسيراً لما حدث سوى أن يرجعوا ذلك إلى خدع الشيطان الرجيم وأفاعيله ؟.

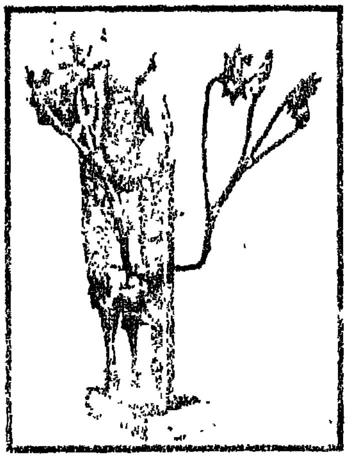
أما –علي مبارك– فقد قال: إن العقل الشرقي أشد قتامة مما ذكره الجبرتي، فقد اذهله كبر المعارضة التي قادها علماء المسلمين ضد ادخال مطبعة عربية إلى مصر على يد الفرنسيين بحسبان المطبعة من بدع الشيطان اللعين.

كما ذكر – فتحي غانم – ما يؤكد سيطرة هذا الشيطان عدو الاسلام والمسلمين – على العقل الشرقي حينما استغرب حملة السلفيين المتزمتين المسلمين ضد استخدام الهاتف والسيارة باعتبار أن ابليس كان من وراء اختراعهما.. الخ.

وهذا الشيطان سيبقى يفعل فعله فينا مابقيت عقولنا ومعتقداتنا على هذه الشاكلة.



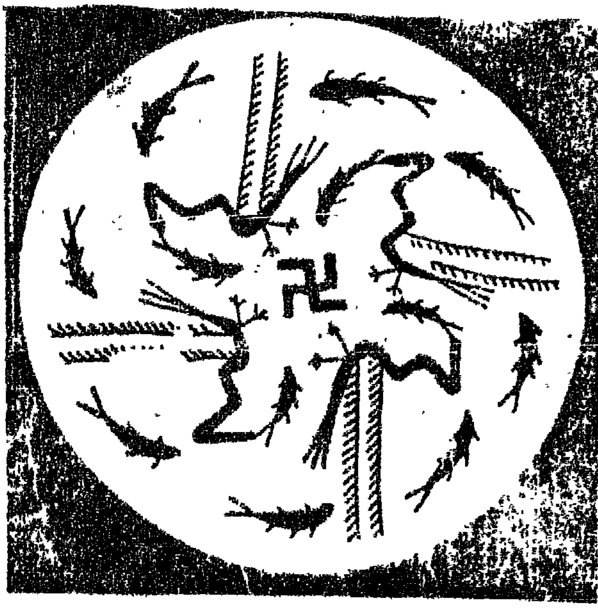
آدم وحواء والخطيئة الأولى . رسم بابلي يعود للألف الثالث قبل الميلاد.



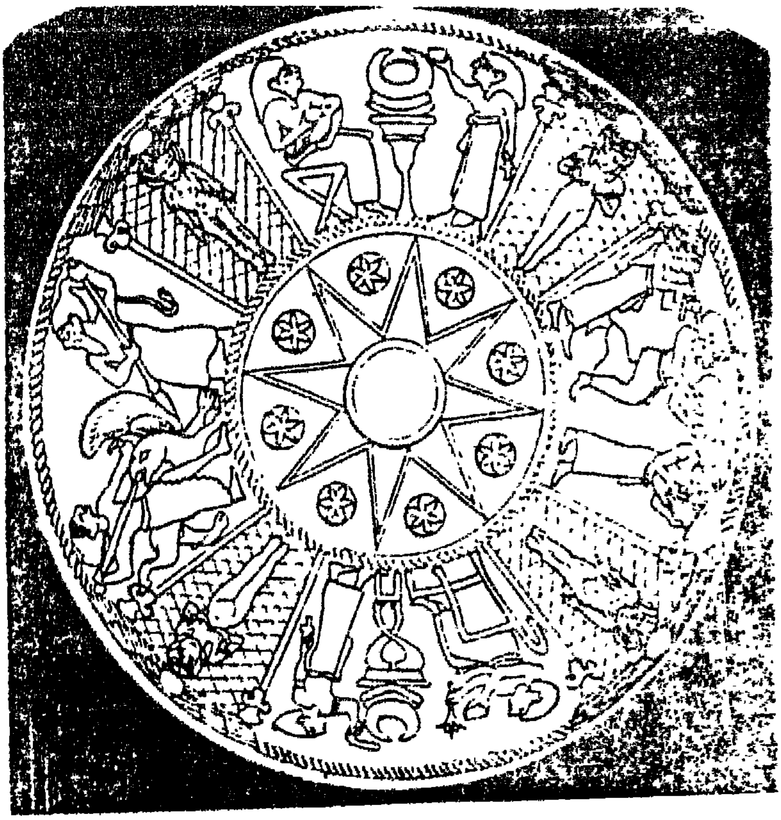
قطعة من إثاث موبيليا سورية على شكل تيس يقف على شجرة ورد .
والتيس أو الجدي كان أحد رموز تموز ثم أدونيس . مقبرة أور الملكية ،
الألف الرابع قبل الميلاد . والآن في المتحف البريطاني .



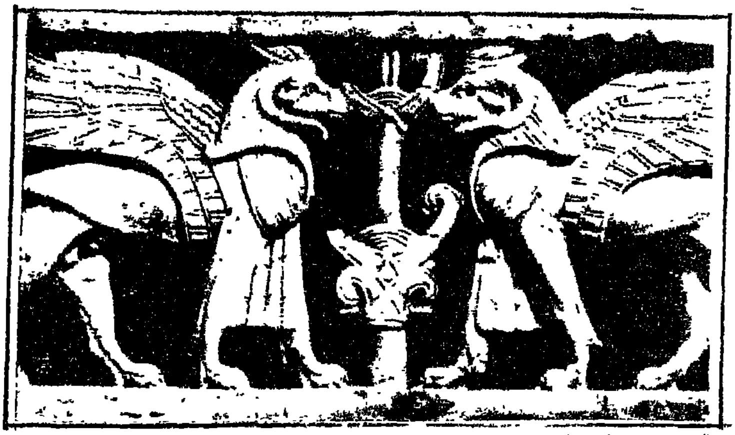
تاج مزخرف بعنقاء مجنحة عاصمة مملكة حضرموت ذات قرون اكتشف في شبوا القديمة (من القرن الأول
قبل الميلاد إلى القرن الأول بعد الميلاد)



الزويعة رمز الخصب أو الرغبة التكوينية الأولى في عقيدة الخصب السورية .
اكتشفت على صحن من الفخار في سامراء يعود للألف الثالث قبل الميلاد ،
المعهد العربي الأكاديمي .



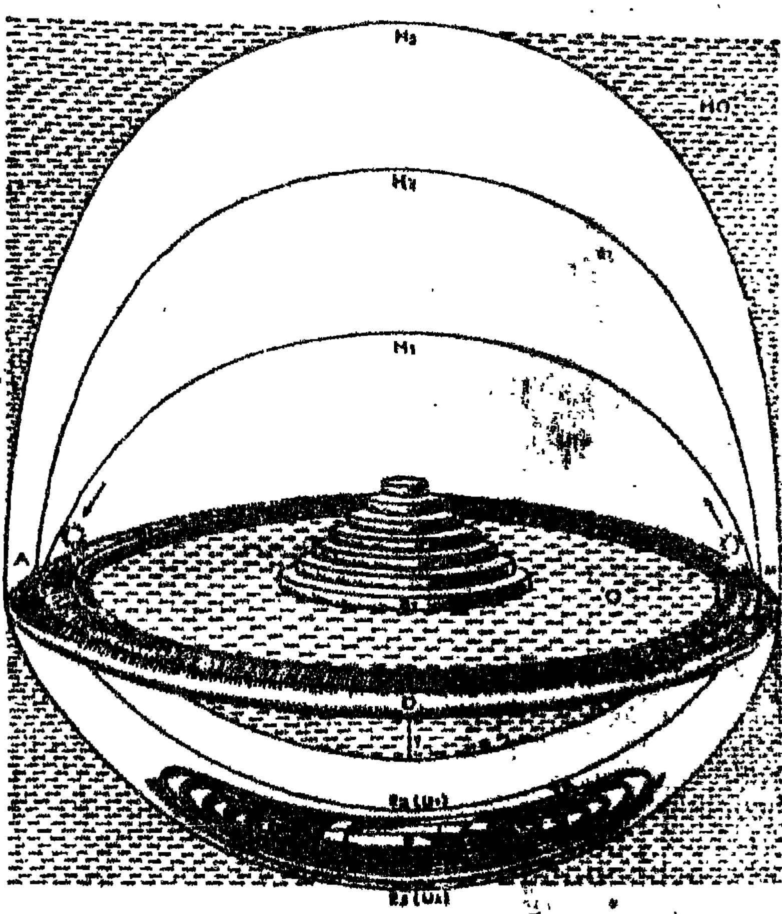
كوب فينيقية من البرونز عليها رسوم عشتار وتتوسطها نجمة عشتار
(الزهرة)



من آثار الكنعانيين حفر على سرير ملكي من العاج يعود الى 900 سنة ق - المتحف الاثري الوطني ، حلب .



(٤٢) المجنح الأسطوري من القصور الملكية الآشورية . الارتفاع ١٣ ، ٣ م (نسخة جبس من متحف الشرق الأدنى في برلين) .



(٤) هكذا تخيل البابليون الكون   تخطيط هـ ـ شفيتسر

E 1 الأرض (العالم الأعلى)

32E 2E 3 الأرض (العالم الأسفل)

321H1H2H3 السماء

HO المحيط السماوي

O المحيط الأرضي

1 O الأعماق والأساس للمحيط الأرضي

الديانة المانوية ودورها الايجابي عربيا وعالميا :

ولنأخذ مثالا على ذلك مما كتبه بهذا الخصوص الكاتب اللبناني.. بالفرنسية ـ أمين المعلوف في رائعته الروائية ـ حدائق النور ـ وترجمها لدار الفارابي ـ د. عفيف دمشقية عن المانوية.

يقول المعلوف :" تعتبر المانوية من أبرز الامثلة على التغريب والتشويه اللذين تمت بهما كتابة تاريخ المنطقة العربية خصوصا بالنسبة للحقبة... السريانية التي وحدت ثقافيا ولغويا العراق والشام "بلاد الهلال الخصيب" خلال الالف عام التي سبقت الفتح العربي الاسلامي، ومن المثير للعجب اتفاق معظم المؤرخين العرب والاجانب على اعتبار المانوية دينا آريا فارسيا، رغم جميع الشواهد التي تدحض تماما هذا الرأي، وتبين بصورة قاطعة أن الدين عراقي الموطن مؤسسه رجل بابلي واللغة التي نطق وكتب بها هي السريانية لغة أهل العراق والشام والتراث الديني الذي نهل منه هو التراث العربي القديم البابلي والعرفاني المسيحي ".

ويضيف المعلوف: " يبدو أن السبب الاول لهذا **التشويه التاريخي** مرتبط بالفكرة الخاطئة التي تعتبر أجنبيا، كل تراث الحقبة التي سبقت الفتح العربي الاسلامي، فهو تراث فارسي فيما يخص العراق واغريقي روماني فيما يخص الشام ومصر وشمال افريقيا لانه خلال تلك الحقبة كانت المنطقة خاضعة للسيطرة الفارسية بالنسبة الى العراق والاغريقية الرومانية بالنسبة الى باقي المنطقة.

إن التشويه الذي تعرض له تاريخ ـ المانوية ـ مثال صارخ على التجاهل والتشويه الشاملين اللذين تعرضت لهما جميع تفاصيل التراث السابق للفتح العربي: التراث العرفاني والغنوصي المسيحي والصابئي والمانوي والهرمزي... كذلك جميع الابداعات: الثقافية واللغوية والحضارية في مجالات: الفنون والعلوم والفلسفة واللغات والاداب السريانية والقبطية... اذ تم احتساب تراث هذه الحقبة على تراث الدول التي كانت مسيطرة، فبعد سقوط بابل عام ٥٣٩ ق.م على يد الفرس الاخمينيين بسطوا نفوذهم على بلاد الرافدين حتى القرن السابع ميلادي، وقد تخلل هذه الحقبة ثورات وتمردات عراقية لم يكتب لها النجاح، بالاضافة الى حروب طاحنة بين الفرس من جهة والاغريق والرومان من جهة ثانية للسيطرة على العراق وقد تمكن الاغريق والرومان من انتزاعه العراق من الفرس عدة مرات... لينتزعها الفرس منهما من جديد .

ومع ذلك تمكن أهل العراق من الحفاظ على هويتهم القومية والثقافية الدينية العربية وفوق ذلك ظلت لغتهم السريانية هي السائدة، بل استطاعوا فرضها لتكون لغة الثقافة الاولى في الامبراطورية الفارسية، عندما حلت الكتابة بالابجدية العربية السريانية مكان البهلوية ـ التي كانت تستعمل المسمارية التي اقتبسوها هي الاخرى أيضا عن العرب قبل ذلك. وظل أهل العراق محافظين على ديانتهم البابلية الموروثة والقائمة على ثنائية قوى الخير والنور وقوى الشر والظلام، علما أن الزردشتية كانت قد اقتبست الثنائية عنها وليس العكس كما توهم عادة المؤرخون.

ومع انبثاق المسيحية في بلاد الشام بدأت تتسرب بالتدريج الى العراق عبر الرها ونصبين ونينوى وكرخاسلوخ ـ الاسم السرياني لكركوك الحالية ـ حتى ولاية بابل ومنها لولاية ميسان في الجنوب وكانت تشمل البصرة والاهواز، وكانت المسيحية مصحوبة بتيارات عرفانية وغنوصية ـ وهرمزية صوفية ـ قادمة من الشام ومصر... وبدأت تتشكل طوائف مسيحية عدة هناك بالاضافة الى الصابئة ـ المغتسلة ـ في الجنوب الذين مزجوا المسيحية بالعرفانية مع أصول بابلية أيضا.

ففي تلك الظروف التي سادت العراق في القرن الثالث ميلادي نشأ الدين المانوي حينما ادعى ماني النبوة، والذي ولد في ولاية بابل عام ٢١٦ م ـ حسب المصادر التاريخية الفارسية واخرى عربية وغربية، وفي عام ٢٤٠م أعلن نبوته وتكوينه للدين المانوي الذي انتشر خلال أقل من قرن، من هناك حتى الصين شرقا واسبانيا وبلاد الغال غربا، حسب الموسوعة الكونية الفرنسية جزء ١١ ص ٦٤٦، ومع ذلك تم اعتباره فارسيا لأنه ظهر في بلاد الرافدين وهي واقعة تحت المسيطرة الفارسية، تماما مثلما اعتبر البعض، المسيح والتراث المسيحي جزءا من تاريخ روما لان المسيحية نشأت في الشام في ظل السيطرة الرومانية.

تأثرت المانوية بالدين المسيحي وبالافكار الثنوية للقديس السرياني ـ بن ديصان ـ بالاضافة الى المعتقدات الصابئية والبابلية التي سادت في العراق، فلقد اقتبس ماني أسماء الملائكة من البيئة السريانية مثل: جبرائيل ورفائيل وميخائيل ... واعتبر نفسه خاتم الانبياء والروح القدس .

فالتنويه المانوية التي اعتبرها المؤرخون العرب المسلمون ـ فارسية نجدها في أديان السومريين والبابليين... وبأسماء متنوعة مثل: آلهة الخير: تموز وبعل وشمس وأيل ومردوخ وآشور... تقابل آلهة الشر مثل : نرجال وأريشكيجال وأبراوموت ...

وثنائية الخير والشر هذه وجدت تعبيرها في الاديان السماوية أيضا من خلال مفهوم الله رمز الخلق والخير والنور - والشيطان رمز الشر والخطيئة والظلام ــ راجع فراس السواح - مغامرة العقل الاولى ...ص ١٩٧، وقد ترجم انجيل وكتب ماني ــ عن السريانية الى الفارسية والتركية - الايغورية واليونانية واللاتينية والقبطية، كما جعل بابل مقر كنيسته المركزية الام والمرجعية الدينية للمانوية، والتي استمرت حوالي الف عام الى أن قضى العرب المسلمون على بقاياها في العهد العباسي .

وكانت المانوية أساس التصوف في الاديان الاخرى، فهي دين متطرف في الزهد والتنسك وتقديس الموت واحتقار ماديات الحياة، وذلك كردة فعل سلبية متشائمة ازاء الظروف القاسية التي عاشها العراقيون بسبب السيطرة الفارسية وفشل ثوراتهم... والشعور بالخيبة والحسرة على ضياع بابل وأمجادها القديمة وفقدان الامل في الخلاص الا بالزهد.

اعتبرت المانوية: أن الله هو الخير والنور، والشيطان هو الخطيئة والظلام، وأن جميع الاشياء المادية من أرض ونبات وحيوان وأجساد بشرية هي جزء من قوى الخطيئة والظلام وجميع الاشياء الروحية: من حلم وعقل وخيال هي جزء من قوى الخير والنور، فعلى الانسان التواق الى الخيروالخلود في حدائق النور - الجنة ــ أن يحتقر الجسد بالامتناع عن الجنس والخمر واللحم... ونبذ الجسد وتفضيل الموت، للخلاص... لأن روح الانسان المنيرة تتعذب على الجسد، صليب الظلام، مثلما تعذب - عيشوزاهي - عيسى الزاهي - على صليبه... أما النخبة الدينية للمانوية مقسمة الى اربع مراتب هي: "١٢ " حواريون ، " ٧٢ " شماسون، " ٣٦٠ " عقلاء، ثم الصديقون غير محدودي العدد أما باقي المجتمع فيطلق عليهم السماعون الذين يلتزمون فقط بالصلاة أربع مرات يوميا والسجود " ١٢ " مرة في كل صلاة والصوم شهرا كل عام في نيسان ودفع العشر والزكاة وتقديم الغذاء للصديقين، وهناك شروحات وحكايات وأساطير مانوية... عن تكوين الخليقة تشبه السومرية والبابلية، ولكن أسماء الالهة القديمة تستبدل بسريانية ومسيحية محدثة ــ مذهب التثليث في المسيحية: الاب والروح القدس والابن، وعند ماني : العظيم الاول - وآدم القديم - وأم الحياة، أما في البابلية فهي: أبسو - " الاب " - ممو - " الام "- وتعامة - " الابن " ... فلنلاحظ هنا أن الكثير من تلك الاديان... ورغم تطورها واستقلالها عن الاخرى تعود في الكثير من أصولها الجوهرية الى عقيدة الخصب العربية، كأول عقيدة وجدت في العالم

وتطورت فيما بعد وتفرعت الى ما عرف من أديان لاحقة حتى الاديان السماوية منها، فالتنوية ـ والتثليث... نجدها في عقيدة الخصب العربية ـ التي سبق عرضها في هذا الكتاب.

لقد مزج ـ ماني ـ البابلي ابن فاتك من ميسان، حسب فهرست ابن النديم، بين روحانيات الصابئة والهرمزية المصرية والمسيحية ورموز الكواكب البابلية فاستخرج منها ديانته، كما تأثر بتعاليم النبي يحيى الذي جعله بعضهم ـ خطأً ـ نفس ـ يوحنا المعمدان ـ وبالتجربة الحياتية للمسيح.

وقد خدمته الظروف في بداية دعوته الدينية، عندما استطاع التأثير على حاكم ولاية ميسان الفارسي ـ مهرشام ـ شقيق الامبراطور ـ شاهبور ـ فكسبه الى صفوف المانية وطلب من أخيه السماح بنشر المانية دون مضايقة فكان له ما أراد، وبسبب علاقة المانية بالمسيحية وانتشارها في العالم كان القديس اوغسطين القرطاجي ـ قد اعتنقها لعدة سنوات قبل أن يصبح فيلسوف المسيحية الاول ـ ومابين " ٢٧٤-٢٧٧م" على الارجح ثم صلب ماني في مدينة جند شابور في الاهواز بأمر من الامبراطور الفارسي ـ برهام الاول لاسباب سياسية.

ومنها خشيته من نفوذ ماني المتزايد ومن تأثير دينه وسطوة اتباعه على المستويين الاقليمي والعالمي آنذاك وما يشكله من خطر على الامبراطورية الفارسية، ولاسيما احتمال قيام ماني باستعادة أمجاد بابل... أما الضربات التالية فقد تلقتها المانوية على أيدي الرومان عام ٤٤٥م عندما أعلن البابا ـ ليون العظيم ـ قراره بتحريم المانوية ـ وفي عام ٥٢٧ م قرر الامبراطور ـ جوستان ـ وبعده الامبراطور جوستنيان الحكم بالاعدام على جميع اتباع المانوية وفي القرن الخامس ميلادي انشقت الطوائف المانية في تركستان ومنغوليا عن كنيسة النور المركزية في بابل، واعقب ذلك انشقاق الطائفة في فارس واقترابها من الزردشتية مع ميول ثورية واشتراكية، وذلك بقيادة ـ مزدك الفارسي ـ وفي العهد العباسي تم القضاء على ما تبقى من المانية فهرب الناجون الى آسيا التركية المنغولية، وعندما كون الاتراك دولتهم الاوغورية عام ٧٤٥م كان أحد ملوكهم ـ بوقي خان ـ من اتباع المانوية فجعلها الدين الرسمي للدولة التي انتهت عام ٨١٧م على يد القيرغيز، ومع اجتياح المغول بقيادة جنكيز خان... تم القضاء على المانوية في آسيا الوسطى والشرقية.

أما بعد الفتح العربي الاسلامي وحتى العهد الاموي، لم يكن الموقف واضحا من المانوية التي تجمع اتباعها المتبقون بعد الاضطهاد الروماني.. في العراق، ولربما اعتبرهم المسلمون من أهل الكتاب آنذاك وتذكر بعض المصادر العربية أنهم تمتعوا ببعض الحرية وخاصة في عهد الوليد الثاني ٧٣ - ٧٤٤م ، كما تذكر أنه بين عام ٧٧٠ ـ ٧٧٥ م كان أمام الكنيسة المانوية في افريقيا هو - ابا هلال الديهوري - ومما ساعد على حرية ونشاط المانويين هو استخدامهم في تعريب الدواوين بدل الزرادشتيين - بدءا من ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي، بعد أن كانت بالفارسية، فقد كانوا يتقنون العربية ذات الاصول السريانية بحكم انتمائهم العربي على عكس الفرس، راجع ـ عبد العزيز الدوري - الجذور التاريخية للشعوبية ص ٢٢ .

أما في العهد العباسي فقد تم اضطهادهم باسم مكافحة الزندقة والمثنوية والالحاد والدهرية والمجون.. ومع ذلك استمروا يعملون سرا فشكلوا حلقات ثقافية اطلقوا عليها - اخوان الصدق - وهنا نجد التشابه مع طريقة.. اخوان الصفا، وقد أكد ذلك الجاحظ.. وقد شملت مثل تلك التهم بالزندقة - ايضا - العديد من الشعراء وسواهم مثل - صالح بن عبد القدوس وبشار بن برد وابو نواس وابو العتاهية وحماد الراوية وعبد الله بن المقفع وغيرهم ممن حكم على الكثير منهم بالموت بسبب ذلك. مما دفع بالمثقفين المتنورين المسلمين الى تأليف الكتب التي ردوا فيها على تلك الاعمال وفندوها مثل واصل بن عطاء - الجاحظ - ابو محمد بن الحكم - والجبائي - والنوبختي ـ والمسعودي - والرازي - والرقي ـ وغيرهم. راجع فاروق عمر التاريخ الاسلامي ص١٩٣ - ٢١٣ م.

يعتبر الخليفة العباسي المهدي ٧٧٥ - ٧٨٥ م أول من أعلن الحرب ضد المانوية وجميع الفرق والتيارات الدينية والفكرية المعارضة، باسم مكافحة الزندقة حتى سمي قصاب الزنادقة وقد أوصى ولده الهادي في محاربتهم وقتلهم. وفي عرف الغزالي أصبحت تهمة الزندقة تلصق بكل من تقوده اجتهاداته الى مخالفة المذاهب السفلية وتنحرف عن تفسير النص القرآني الظاهر والمباشر ، وكان الخليفة المقتدر ٩٠٨ ـ ٩٢٣م أكثر بطشا بهم من أسلافه حسب ابن النديم.

ففي تلك المرحلة شقت الفلسفات الاشراقية التصوفية العربية طريقها بقوة في صفوف المسلمين و لم يكن ذلك التصوف قد نشأ صدفة وانما يعود بجذوره الى المانوية التي كانت أول من شق الطريق بهذا الاتجاه والتي أخذت مزيجها من البابلية والهرمزية

والعرفانية والمسيحية العربية وطورتها، فالمانوية وعدت بالمخلص كالمسيحية وحرمت الخمر... وفرضت الصيام " ٣٠ يوما " والتوضؤ بالماء والتراب، والركوع أثناء الصلاة، وفصلت وصف الجنة والنار ويوم القيامة والحساب وعبور الصراط المستقيم.. والزكاة.. والتنسك.. والزهد.. الخ. ولهذا نجد بصماتها في الصوفية بل وفي الباطنية والتشيع أيضا.. ففكرة المخلص والخلاص من خلال التضحية بالجسد والاستشهاد.. كصلب المسيح وماني واستشهاد الحسين، ومن قبل موت.. تموز ــ بعل البابلي ــ وعودته الى حياة الخلود. تشكل جميعها قاسما مشتركا وحسب التسلسل التاريخي فيما بينها جميعا. وخاصة في نسبها العربي بما فيها من طقوس أيضا.ان التشويه الذي تعرضت له المانوية هو جزء من التشويه العام الذي تعرضت له الانجازات والابداعات.. العربية قبل وخلال وبعد مرحلة مايقارب الالف عام من الحكم الفارسي والاغريقي والروماني، ومن المؤسف أن العرب المسلمين قد أحاطوا تلك الحقبة وماقبلها بالغموض والتجاهل.. وأسقطوها من صفحات التاريخ العربي، علما أنها كانت حلقة الوصل بينهم وبين تاريخهم العربي القديم الذي شكل بالاستناد لتلك الالف عام من التواصل رغم القهر الاجنبي... الاساس والمخاض الذي انجب الحضارة العربية الاسلامية ففي تلك الحقبة سقطت الدولة العربية المركزية في المشرق ودولة وادي النيل العربية ايضا وزالت معظم أنظمة الحكم الوطني في الوطن العربي، فالعراق خضع للفرس وبلاد الشام ومصر وشمال افريقيا خضعت للاغريق أولا ثم للرومان.. ونتيجة ذلك تولدت ردة فعل عربية معاكسة، في النواحي الروحية والثقافية... للتعويض عن الهزيمة.. وذلك بتطوير ابداعاتهم الروحية واللغوية والفكرية... حيث تمكنوا من فرضها على قرطاجة والاسكندرية وبيروت وانطاكية والرها ونصبين... فانبثقت من هذه المدن التيارات:

العرفانية والغنوصية والهرمزية الاشراقية والافلاطونية الجديدة... وعلوم الحساب والفلك والطب والتنجيم... البابلي والمصري والشامي. وامتزجت هذه الابداعات مع المسيحية الناشئة التي استوعبتها وانتشرت حتى أصبحت الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية، كما وصلت الى بلاد المجوس والنخبة الساسانية الحاكمة وخاصة النسطورية الشامية وفي تلك الحقبة طور المصريون في ظل المسيحية اللغة القبطية من المصرية العربية القديمة والسريانية العربية المشرقية، وتركت السريانية في العراق وبلاد الشام مكتبة عامرة بالاف الكتب المتنوعة وكذلك مكتبة الاسكندرية الشهيرة فقد جمعت

كل منهما كتب تفسير التوراة والانجيل ومجادلات المذاهب النسطورية واليعقوبية وتراتيل وأساطير وتواريخ وقوانين وشرائع وعلوم كالطب والعلوم الطبيعية والفلك والحساب والكيمياء والجغرافية، اضافة للفلسفة واللغة.. وجميعها من ابداعا العرب في تلك الحقبة وما اخذوه عن اسلافهم وافادوا به الاخرين.

ولم تكن شبه الجزيرة العربية والجنوب العربي والتدمريون والانباط والغساسنة والمناذرة... بمنأى عن ذلك الزخم والتواصل والابداع وبخاصة الاسهام في تطور اللغة والادب والروحانيات.. بحكم اللغة الواحدة، رغم ماتفرع عنها من لهجات عديدة فقد شكل هذا المخزون الثقافي الحضاري للمشرق ووادي النيل العربيين الاساس الذي قامت عليه الحضارة العربية الاسلامية.

ولذلك فاننا نستغرب أن يسدل المؤرخون العرب المسلمون والاجانب معا، الستار على تاريخ حقبة الالف عام تلك ولم يأتوا على ذكر انجازات وابداعات العرب الحضارية خلالها رغم المكتشفات التاريخية والاثرية الحديثة عنها وعن ماقبلها، واعترافهم بالحضارات العربية الاقدم منها كالبابلية والفينيقية والمصرية والقرطاجية واليمانية... الخ.

وإن يكن ذلك بصورة تعسفية تخفي ما بينها من صلة قومية عربية، وجعلها حضارات منفردة ولشعوب متعددة لارابط بينها سوى أنها شرق أوسطية، وفجأة يتوقف تاريخ العرب عند تلك الحضارات القديمة ـ بعد التشكيك بعروبتها إن لم يكن انكار عروبتها بالكامل، ومن ثم القفز مباشرة بعد سقوط بابل عن حقبة الالف عام... للحديث عن الحضارة العربية الاسلامية.

فبالنسبة الى المؤرخين الاجانب، يبدو الامر مفهوما، لان المستشرقين عندما بدأوا يكتبون تاريخ العرب كان هدفهم ومازال قطع العرب عن تاريخ أسلافهم القدامى، واسقاط حلقة الوصل المتمثلة بحقبة الالف عام من تاريخهم، لان قطع هذه الحلقة هو قطع لسلسلة التواصل التاريخي ــ الحضاري بين العرب المسلمين ومن ثم العرب المعاصرين وقد نجحوا في تحقيق هدفهم، حينما جعلوا تاريخ العرب ينطلق من الحجاز والبداوة وسجع الكهان والمعلقات السبع وعبادة الاوثان ووأد البنات... وضمن هذا السياق فان الفتح العربي الاسلامي قد حل في بلدان خاوية جرداء من الحضارات السابقة باستثناء ماتركه الفرس والاغريق والرومان من فئات في الوطن العربي، فان هؤلاء يتحدثون في أحسن الاحوال عن مجاميع صغيرة من السريان والاقباط وعن

المسيحيين.. الخ. وضمن هذا المنطق يتوهم القارئ بانهم ليسوا بعرب، وأن ماقامت عليه الحضارة العربية فإنه مأخوذ من ذاك الفتات الحضاري: الفارسي والاغريقي والروماني، ولقد اشترك معهم في هذا المنطق المؤرخون العرب المسلمون والمعاصرون أيضا، فهم يذكرون، على سبيل المثال: السريان والكلدان والاقباط.. كجاليات صغيرة مهمشة تحت اسم أهل الذمة... وأن العراق وبلاد الشام ووادي النيل والشمال الافريقي عموما، لم يكن عربيا بل أصبح عربيا بعد أن عمرته القبائل العربية الوافدة مع الفتح العربي الاسلامي، وهذا اسقاط خطير ومخالف للمنطق وللحقائق التاريخية والديمغرافية وانكار فاضح لعروبة تلك البلدان العربية الموغلة في القدم، فالقبائل العربية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية بعد الفتح العربي الاسلامي الى تلك البلدان والتي لم تتعد في حدها الاقصة بضعة مئات من الالاف مقارنة بالملايين من سكان كل بلد حلت فيه كالعراق وبلاد الشام ووادي النيل.. الخ آنذاك، فكيف يمكن بعد توزعها على أكثر من عشرين قطرا، أن تجعل من هؤلاء السكان عربا بعد الفتح مباشرة إن لم يكونوا هم من العرب أصلا. يصرف النظر عن معتقداتهم وأسمائهم: سريان، كلدان، آشوريون ، اقباط مسيحيون، يهود ، فاذا اخرجنا معتنقي تلك الاديان العربية القديمة والسماوية غير الاسلامية، وبخاصة المسيحية ذات المذاهب المتعددة، والتي آمن بها معظم العرب قبل الاسلام... فماذا يبقى من العرب؟ أيبقى قبائل شبه الجزيرة العربية وحواضرها مع أهل الجنوب العربي ؟! فأين أهل العراق وبلاد الشام وأهل مصر والمغرب العربي ؟!. فهل تعدد أديانهم المحلية الخاصة والعامة من وثنية وسواها، يخرجهم عن عروبتهم الاصيلة المؤكدة من خلال اللغة والتاريخ والحضارة والانتماء القومي العربي منذ ماقبل التاريخ وحتى حقبة الالف عام المسقطة والتي ظهرت خلالها المسيحية والمانية، وأنجز العرب خلالها الكثير من ابداعاتهم الحضارية آنفة الذكر وكانت المعين للعرب المسلمين في بناء حضارتهم ؟!!.

على كل حال فلندع ذلك ونعود الى موضوعنا الاساس لاستكمال الحديث عن الاديان القديمة وعلاقتها بالفلسفة والعلوم ودورها في حياة البشر ومجتمعاتهم... وذلك على النحو التالي:

١ـ تشابه النظرة الانسانية المتفحصة الى الكون والظواهر الطبيعية وتأثيرها في تكوين المعتقدات الدينية والاسطورية... الخ.

٢- جدلية العلاقة بين الاديان والفلسفة والعلوم قديمها وحديثها حتى وإن اختلفت طبيعة هذه العلاقة وخصوصية واقتراب أو ابتعاد كل منها عن الاخرى، عند هذه الامة أو تلك وبخاصة في هذا العصر المتميز ببروز اشكال عديدة من الانغلاق والتعصب والتناحر الطائفي... الخ.

٣- تأثر كل من الدين والفلسفة بعقلية وطبائع الاقوام والشعوب وبيئاتهم الطبيعية والاجتماعية والنفسية وزوايا أبصارهم الى الكون وطرق تفكيرهم وكيفية استدلالهم على خالقه ومسيره.. أملا باللجوء اليه من أجل الخلاص من عذابات الدنيا وتحقيق السعادة الابدية في عالم الخلود ، الذي يتخيله كل منها على نحو معين، وتؤمن بوجوده...الخ. وكانت عقلية وطبائع العرب السمحة المضيافة المحبة للخير... بادية بوضوح في المعتقدات الدينية القديمة، كالبوذية والزردشتية... الخ .

٤- ظهور الاثر الواضح للمعتقدات الدينية العربية القديمة، في الفكر الفلسفي، لفلاسفة الاغريق اليونان، الذين عكسوا ذلك في فلسفاتهم المادية ذات النكهة الروحانية عندما مزجوا ذلك وهم يتكلمون عن وحدة الوجود وعلاقة المادة بالروح، وتجليات الوجود، بظواهره المختلفة، وكان الفكر الديني العربي القديم، هو المعين الذي نهلوا منه جوهر فلسفاتهم تلك التي قدمنا موجز عنها فيما تقدم ذكره.

٥- وجود قاسم مشترك وجوهري بين كل المعتقدات الدينية والمذاهب الفلسفية ذات الصلة مما أسس لانبثاق ديانات التوحيد الثلاث في المشرق العربي، نظرا لاسبقيته في بلورة معتقداته الدينية ورقيها وعمقها الروحي واحساس العرب الاوائل بعظم المعاناة الانسانية... فوصلوا الى الايمان بوحدة الخالق وبوحدة الوجود المادي... متجاوزين بذلك، عقيدة الخصب، التي دانوا بها لالاف السنين وما تفرع عنها من ديانات ليصلوا الى الديانات السماوية التي جاء بها الانبياء والرسل العرب ودفعوا بها الى شعوب العالم كافة.

٦- كانت ومازالت سطوة الدين ـ والفلسفة، على الافراد والجماعات ـ كاسحة حتى الان ولذلك جرت محاولات مستميتة على مر العصور لاحتكار السيطرة على المؤسسات والمدارس الدينية والفلسفية... ووضعها كغيرها في خدمة المصالح الخاصة لمن أغواهم الطمع والجشع وجنحوا نحو التسلط والاستبداد واستخدام العنف لقهر المستضعفين في الارض ونهب ثرواتهم وحصيلة جهودهم ـ ولم يكن كهنة اليهود وزعماؤهم ـ بالاستناد الى تعاليم التوراة والتلمود الا النموذج

الاكثر بشاعة لمثل تلك السيطرة وذاك التسلط والاستغلال ـ الذي اردفوه بتعبئة دينية وعنصرية حاقدة على الشعوب عامة وعلى العرب والمسلمين خاصة، وجاء أحفادهم وعلى رأسهم الصهاينة ليرثوا ويطوروا ماهو أسوأ في التعاليم التوراتية التي هي على كل حال مناقضة لديانات التوحيد السماوية: الموسوية ـ والمسيحية المحمدية الاسلامية.

الفصل السادس :

عدالة الاسلام والحضارة العربية الاسلامية

إن العوامل والاسباب الخارجية والداخلية - التي أدت الى انطلاق الدعوة وتفجر الثورة العربية الاسلامية، كان أساسها انتصار العرب في شبه الجزيرة العربية على الغزاة الاحباش قبل رسالة محمد، بنحو أربعين عاما، وكذلك العدوان والاحتلال الفارسي والروماني لارض العرب في الشمال والغرب، اضافة الى التطورات: الاقتصادية والاجتماعية.. مما أيقظ الشعور القومي العربي ودفع بالعرب نحو النهوض وتحمل المسئولية في مواجهة تلك التحديات والاخطار والمتغيرات، والتطلع الى مستقبل أفضل، والعمل في سبيل التحرر القومي وتحقيق التقدم، خصوصا وأن الغزاة الاحباش كانوا قد أحدثوا دمارا كبيرا في اليمن وحطموا مرتكزات ومقومات انتاجه الاقتصادي ومركزه التجاري ودوره الحضاري المتميز، مما ترك آثار سلبية وردود فعل عربية واسعة.. اضافة الى جعل مكة والمدينة - يثرب - على الاخص - ترثان ذاك المركز وتتوليان لعب ذاك الدور، عندما شكلتا المركز التجاري الرئيس والبديل بين: افريقيا في الغرب وآسيا في الشرق والشمال وحتى شواطئ البحر الابيض المتوسط عبر المناطق المحتلة من قبل الفرس والروم، بعد أن استطاعت " قريش " من السيطرة على الخط التجاري " طريق الحرير البري " في شبه الجزيرة العربية - وتأمين حمايته من اغارات القبائل على قوافل

التجار، ففرضت نفسها عندئذ كقوة محلية واقليمية وتجارية لها وزنها ودورها في هذا المجال الحيوي الهام، فقد كان يصل عدد القافلة التجارية الواحدة لقريش في رحلتي الشتاء والصيف الى آلاف الابل، ونظرا لذلك تدفقت عليها الاموال فاتخم الثراء ساداتها وانتعش الاقتصاد عموما في تلك المناطق، ومع ذلك فان عامة الناس لم يحظوا الا بالفتات، كما تم نتيجة هذا النشاط والازدهار التجاري فتح العديد من المراكز والوكالات التجارية من قبل العديد من الدول وفي مقدمتها: الفارسية والرومانية، في مكة والمدينة، مما أدى بالمقابل الى تطور الانتاج الزراعي والتوسع في العمل الحرفي والخدمات... والى المزيد من تمركز الثروة والى توظيف بعضها من قبل السادة في هذه المجالات، فاتسع نتيجة ذلك تمركز ملكية الارض... وزاد التفاعل والتكامل... بين المدن والارياف والبوادي، كما اتسعت شبكة العلاقات والصلات والروابط وتنامت بين أهالي تلك الاصقاع، فتطور بتأثير ذلك الوعي والمفاهيم والانماط والقيم والمعايير الاقتصادية ـ والاجتماعية ـ والفكرية ـ والاخلاقية ـ والنفسية ـ والحياتية... وزادت تحديات الحياة ومتطلباتها... ولم تعد حياة مادون الكفاف للغالبية من الناس مقبولة، كذلك الاشكال القديمة من العلاقات القائمة على التسلط والاستبداد والظلم والاستغلال، التي سادت في المجتمع ذي التشكيلة المختلطة والانماط المتداخلة : الرعوية، والزراعية وشبه العبودية، بما في ذلك المشاعة القبلية والقروية والريفية للارض: الزراعية والرعوية اضافة الى مصادر المياة التي كان يتحكم بها ويستثمر معظمها سادات القوم: كالارستقراطية القرشية والشيوخ والمتنفذين في الريف والبداوة، ومعها التناحر القبلي... الخ. حيث تحولت الى مكابح وعقبات في وجه التطورات والتحولات والمتغيرات آنفة الذكر، عدا عن أنها زادت في الاعباء المعيشية للناس في القبيلة والقرية والمدينة والمجتمع، نتيجة الظلم المتزايد، ولهذا تزايدت الحاجة الى تشكيلة: اقتصادية ـ اجتماعية جديدة ارقى واكثر تناسبا... الى ضوابط وأنظمة وقوانين تحمي المجتمع من الفوضى والتعديات والمستبدين والمستغلين، الى مجتمع وكيان متكاملين وموحدي البنيان، الى دولة ترعى شؤونهم وتذود عنهم والوطن معا وتعبر عن شخصيتهم القومية وتحقق لهم الحرية والتقدم والحياة الحرة الكريمة والافضل معيشيا وحقوقيا... وهذا ماسعوا الى تحقيقه عندما توفرت لهم المقومات والامكانيات المناسبة، فقبل انتاج الضروريات المادية لحياة هؤلاء الناس: المأكل والملبس والمسكن اللائق وتحقيق درجة مامن الكفاية والاستقرار والثبات والارتباط في الارض وتطور

الوعي والمعرفة وتوفر الارادة والطموح كان يستحيل عليهم مجرد التفكير في تلك الامور، آنفة الذكر، وذات الطابع السياسي... أو العمل لاقامة مؤسسات اقتصادية واجتماعية ودينمية وثقافية ونظم حقوقية... ذات طابع قومي عام وشامل.

فالناس، أثناء انتاجهم الاقتصادي لمعيشتهم ونشاطهم الاجتماعي، يدخلون في علاقات معينة تمليها الضرورة عليهم، وتكون مستقلة عن وعيهم، ذلك أن الكيان الاجتماعي الذي يتحقق من خلال عملية الانتاج والانشطة الاخرى العامة المشتركة لابناء المجتمع، هو الذي يولد ويطور وعيهم، وليس العكس.

فقد كان من المستحيل على الناس في المدن والقرى والقبائل العربية المتناثرة في شبه الجزيرة العربية، أن يعوا سلفا ما آلت اليه التطورات والمتغيرات التي أدت الى اليقظة والنهوض، والتقدم ، آنف الذكر، الذي احرزوه، أو أن يتصوروا سلفا ما سوف يكون عليه كيانهم الاجتماعي مستقبلا، إلا من باب التقدير والتختمين والتمنيات في ضوء معطيات ومقدمات الواقع المعاش وغالبا ماكانات تأتي النتائج والوقائع مخيبة للآمال.

فحركة الواقع الموضوعي، ونشاطات الناس في المجتمع محكومة بقوانين موضوعية مستقلة عن وعيهم ورغباتهم... على الرغم من أنهم هم أنفسهم أساس كل تغيير وتقدم، من خلال نشاطهم المتوافق مع قوانين التطور الاجتماعي. ودورهم في انتاج الخيرات المادية وفي التغيير.

ولما كانت العوامل الخارجية والداخلية معا وحركة الناس ونشاطهم العام المشترك وعمليات التطور والنهوض القومي والتقدم ، كما أسلفنا قد أدت الى تطور وتغيير وتوسيع شبه العلاقات والروابط بينهم، وانضجت وطرحت مفاهيم ومعايير وقيما اجتماعية واقتصادية وسياسية جديدة، كان لابد لها أن تستكمل شق طريقها نحو الامام بتحقيق قفزة نوعية جديدة ألا وهي العمل على تحرير المجتمع وبلورة الشخصية والكيان القومي العربي وتوفير كل المؤسسات الضرورية المطلوبة... للنهوض بالمجتمع باقامة الدولة العربية المنشودة الواحدة وتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة. بين الناس، خصوصا **وأن تمركز الثروة** بايدي الارستقراطية والشريحة التجارية في المدن وعلى رأسها القرشية ومثيلاتها وهم القلة في المجتمع بالاضافة الى سيطرتهم على المراعي ومصادر المياه والاستحواذ على الاراضي واقتناء واستخدام المزيد من العبيد والتحكم بارزاق الناس وظلمهم واستغلال جهودهم كان قد شكل أبرز التحديات والعوامل

الرئيسية للتغيير وتحرير المجتمع أيضا، **ففي ظل ذاك المناخ** وفي أوج تلك التطورات والتفاعلات والاختمارات جاءت **الرسالة المحمدية** لتضع الناس أمام مسؤولياتهم، ولتشكل بقواعدها وأحكامها ومرتكزاتها الميثاق، والاساس الاستراتيجي لانطلاق ثورة المستضعفين بقيادة النبي محمد، وتحت راية الاسلام، من أجل تحقيق تلك الاهداف وفي مقدمتها نشر الدعوة الاسلامية ، والعدل والمساواة بين الناس فكان التوفيق والنجاح حليفهم في كل الميادين الداخلية والخارجية على السواء، لاسيما وأن محمد لم يكن نبيا ورسولا فحسب وانما قائدا فذا ومحاربا مقداما متميزا بطموحه.

فماذا حققوا بعد انتصارهم الشامل على خصومهم واقامة دولتهم وأي السبل سلكوا؟.

تجدر الاشارة هنا الى أنني مهما حاولت في هذه العجالة لن أفي محمد أو أصحابه . . . والعرب المسلمين الاوائل حقهم أو أمتلك القدرة على تتبع جميع ابداعاتهم ومآثرهم والاساس المتين الذي وضعوه لقيام الحضارة العربية الاسلامية لاحقا... والتي تكاد تكون عصية على الوصف والتعداد والاحصاء المتجرد والمنصف والامين.

وإننا لانبالغ اذ نقول أن فضلهم في هداية العالم قاطبة وانارة عقله ووجدانه وسبله بالايمان الحقيقي، وارشاده الى سلوك طريق الخير... وتزويده بالمعرفة والعلم وبمفاهيم ومبادئ المدنية الحقة، وبالخبرة وفنون ووسائل التنمية والنهوض والتقدم الحضاري الامثل واعانته على التخلص من براثن الظلم والجهل والتخلف وعبادة الاوثان كالالهة الصنمية المتعددة، وتقديس الاسلاف.. والاسياد من البشر... والتحرر من ربق العبودية والاسترقاق... واحلال العدل والمساواة بين بني البر جميعا ودون تمييز في العرق واللون والموقع المالي والاجتماعي والنسب كان كبيرا جدا.

فقد كانت الرسالة المحمدية ومازالت ذات أبعاد وغايات انسانية اشمل وأنبل وأسمى من كل الغايات... على الاطلاق، **اذ تقول الآية الكريمة** " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين" **وتقول أخرى** " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ".

ذلك أن قلوبهم ونفوسهم كانت مفعمة بالايمان والتقوى ومخافة الله سرا وعلانية، في أعمالهم وعلاقتهم... ولم يضمروا الشر أو السوء لاحد، واتصفوا بالصدق وبالرحمة والتواضع والبر بالوالدين وذوي الارحام والقربى واليتامى والمساكين وأبناء السبيل والفقراء والمحرومين وبالتسامح والوفاء بالعهود والمواثيق... والعفو عند المقدرة

وتحريم قتل النفس وازهاق الارواح، التي حرمها ا لله الا بالحق، والنهـي عـن المعـاصي والمنكر والبغي و العدوان، وقد قال فيهم عز شأنه :" وعباد الرحمن الذين يمشون علـى الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ".

ذلك أنهم حرصوا على تطبيق ماجاء في القرآن الكريم وما تربوا وتهذبوا عليـه في مدرسـة الرسـول الاعظـم النبي العربـي محمـد، حين ترجمـوا كـل ذلـك الى أفعـال وتطبيقات... كان يرعاها ويوجهها بعناية ودراية وحنكة، تجنبا لـلز لل أو الوقـوع في الاخطاء والآثام أو المحاباة والتميـيز بـين انسـان وآخـر بـين أمـة وأخـرى أو الاسـتئثار بالمنافع، وتغليب المصالح الشخصية على العامة... حيـث لم يكـن التمييز الا بـالتقوى وفعل الخير والتحلي بالاخلاق والمزايا الحميدة وكبح جماح النفس عـن الهوى وفعـل السـوء وعـن الاندفـاع وراء الشهوات واستباحة المحرمـات والاقـلاع عــن العقليـة والتقاليد والعادات الجاهلية الموروثة، كالثأر ووأد البنات وماشابه ذلك، والحرص على دفع الظلم عن الناس كافة والعمل على انصافهم باقامة الحدود واحقاق الحق والحكـم بالعدل والقسطاس... وتحقيق المساواة... وتكريم الانسان الـذي ميزه ا لله عـن بـاقي المخلوقات، وسخر له مافي البر والبحر، من أنعـام وخـيرات وأمـر الملائكـة بالسـجود لآدم الا ابليس أبى واستكبر، هـذا بالاضافـة الى الاخـذ بـايدي الفقـراء والمستضعفين والمظلومين في الارض، واعانتهم على التحرر مـن ربـق العبوديـة والجـور والاستغلال والطغيان، أيا كانوا وحيثما كانوا.

وقـد قـال تعـالى :" وقـل اعملـوا فسـيرى ا لله عـملكـم ورسـوله والمؤمنـون ". (التوبة-١٠٥).

وهناك العديد من الآيات الكريمة والأقوال والتوجيهات المـأثورة والمواقـف الحازمـة للرسول وأصحابه، والتي تؤكد على التمسك بقـوة، بقواعـد وأصـول الديـن الحنيـف وبالتشريعات القرآنية والسنن النبوية، والنظم الاجتماعية والاقتصادية والحياتية عموما، التي حددها لهم الاسلام، في سبيل نشر العدل والمساواة بين المسلمين وبني البشر كافة.

فقـد قـال الرسـول :" الخلـق كلهـم عيـال ا لله وأحبهـم اليـه أنفعهـم لعيالـه ". **وقال** " يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسـابكم... لقـد جعـل الانبيـاء وجميـع البشـر أخوة.. لافضل لاحد... إلا بالتقوى ".

فكان الرسول أول من يجوع وآخر من يشبع، وقال أيضا " مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم - كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ".

و لم يتراخ المسلمون الاوائل في تطبيق العدل والمساواة بين الجميع.. والوقوف في وجه من كان يشذ عن تلك القواعد.. **فها هو الخليفة الراشدي عمر ابن الخطاب يقول** " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ".

كما قال في رسالة بعث بها الى والي مصر آنذاك ــ عمرو بن العاص ــ يذكره فيها... من أجل انصاف يهودي اشتكى عليه.. " أكسرى أحق منا بالعدل ياعمرو". **وقال أيضا** " من رأى منكم بي اعوجاجا فليقومه بحد السيف هذا ". وفي سبيل توحيد مواقف وصفوف المسلمين والامساك بزمام القوة ومواصلة الجهاد في سبيل الله ومن أجل اعلاء شأن المسلمين ونجاحهم فيما انتدبوا اليه وولاهم أمر **تطبيقة قال تعالى:** " انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ".

وقال :" واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... ".

وقال :" واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ". (آل عمران ١٠٣).

وقال :" وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأصبروا إن الله مع الصابرين".(الانفال - ٤٦).

وقال :" وحق علينا نصر المؤمنين ". (الروم - ٤٧).

وليس أدل على ذلك الايمان وانكار الذات من أن يؤثر الواحد منهم أخاه على نفسه... فعندما أصيب الحارث ابن هشام في معركة اليرموك واثخنته الجراح واستسقى ماء فأتي به وفي نفس اللحظة رأى الى جواره - عكرمة بن أبي جهل في مثل حاله، فطلب من الساقي أن يذهب اليه ليسقيه قبله فذهب اليه ولكنه أبى بدوره أن يشرب قبل غيره فدفعه الى ثالث... فقبل أن يصله كان قد مات ، فعاد ليسقي الآخرين فوجدهما قد ماتا أيضا وهكذا كان يؤثر المؤمن أخاه على نفسه ، هذا بالاضافة الى اقدامهم المتميز على الجهاد في سبيل الله، وحب الاستشهاد وبعزيمة صادقة دفاعا عن الدين والارض والعرض والكرامة وطمعا برضوانه وجنته، حسب

تأكيد الآية التالية :" ومن المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا ".

فبفضل ذلك الايمان الراسخ بالله وبالتعاليم والقيم والمفاهيم القرآنية ــ وقيادة الرسول واخلاص وحنكة الخلفاء الراشدين والصحابة والمهاجرين والانصار ومقدرة القادة المسلمين عموما وتفانيهم وانكارهم لذواتهم وحبهم للجماعة والاقدام على الجهاد في سبيل الله والانسان والوطن... استطاع العرب المسلمون، بعد فرقة وتمز ق ووهن تفشى طويلا في أوساط ماقبلهم من العرب، تحقيق مايشبه المعجزات في كل الميادين، ليتجاوزا كل ما أنجزه الاجداد القدامى وابدعه الانسان في سالف الزمان.

١ـ تمكنوا من لم شتات العرب تحت راية الاسلام في دولة مركزية قوية واحدة، حينما شكلوا منهم، رغم محدودية عددهم وعدتهم آنذاك، أعظم وأصلب قوة : اقداما واستعدادا للبذل والتضحية وحب الاستشهاد في سبيل الله ومن أجدل تحقيق أهدافهم الشاملة العادلة على المستويين العربي والانساني.

٢ـ **وقد قال خالد بن الوليد** ــ لقائد جيش الروم ــ عندما استخف بقوة المسلمين، وهندامهم في معركة اليرموك: " لقد أتيتكم برجال يحبون الموت بقدر ماتحبون الحياة... ". تمكنوا من الحاق الهزيمة بأعظم امبراطورتين في ذاك العصر هما : امبراطوريتا الفرس والروم، وقد حققوا نتيجة تلك الانتصارات الحاسمة العظيمة... تحرير شعوب آسيا وافريقيا واوربا من براثن الوثنية والجهل والتخلف، ودفعوها الى رحاب التمدن والرقي والتقدم الحضاري والى التآخي والرخاء والاستقرار والسلام العادل.

٣ـ تمكنوا من بناء أرقى الحضارات التي عرفها الانسان من ذي قبل، وذلك لتمايزها بسمو رسالتها وعلوا شأنها بكل ما أبدعته وقدمته للانسانية من قيم ومفاهيم ومعايير حياتية وفلسفية وعلمية... آداب وتقاليد وفنون، كانت ذات محتوى تقدمي وطابع انساني شامل، فكانت فريدة حقا في نبل وخصوصية وهوية وماهية ما أنجزت وأعطت وتبوأت.

فقد قالت الاية الكريمة بهذا الخصوص :" ... ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكنهم في الارض ".

فقد جعل المسلمون أمورهم شورى بينهم حينما كان يتم اختيار الخليفة أمير المؤمنين ـ رأس الدولة ـ بالترشيح والمبايعة العامة من قبل: الصحابة والولاة والقضاة

والعلماء وأمراء وقادة الجند وجماهير الشعب في الاقاليم، كما كانتا تعطى لأمير المؤمنين صلاحيات واسعة في اتخاذ القرارات وتعيين الولاة والقضاة والقادة، كما كانت أبوابه مشرعة في كل الاوقات، والاماكن التي كان يحل فيها للمتظلمين والمشتكين حتى ولو كان ذلك ضد كبار القوم أو الخليفة نفسه... ليلقى مثل هؤلاء العدل والانصاف ورفع الظلم عنهم، اذ لم يكن هناك من تفريق بين أمير وفقير، **فقد كانت القاعدة في الحكم** هي: السن بالسن والعين بالعين، والجروح قصاص، ولم يخشوا لومة لائم في ذلك، **لاسيما وأن الاية الكريمة تقول:** " ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب ".

وهناك أكثر من واقعة تؤكد ذلك ومنها على سبيل المثال، **ماحصل مع جبلة بن الأيهم** أمير الغساسنة في بلاد الشام، عندما وطئ ازاره اعرابي أثناء زيارته لمكة في عهد عمر بن الخطاب ٦٣٤ ـ ٦٤٤ م فما كان منه الا أن لطم الاغرابي على وجهه فاشتكى عليه الى الخليفة عمر، فلما مثل بين يديه وحكم عليه بالمثل، قال:" أنا أمير وهو سوقة حقير" ... **فقال عمر : إن الاسلام ساوى بين الجميع وأعزهم بالايمان والعدل...** ولامفر من ذلك فاستمهله لتنفيذ الحكم الى الغد فوافق عمر.. فما بات جبلة ـ ليلته الا وهو مغادر خلسة هربا من ذلك حيث لجا الى ملك الروم في القسطنطينية، وقد ذرف الدمع ندما فيما بعد لتسرعه باذلال نفسه عندهم، وهو بعيد عن الاهل والوطن ومنبوذ من المسلمين.

فقد كان القرآن ـ الدستور والقانون ومصدر التشريع، والمرجع الوحيد في الشؤون الدينية والدنيوية كافة، وكانت سنة الرسول وأحاديثه ذات الصلة ـ توفر على المسلمين الكثير من الجهد والاجتهادات ـ لتسيير شؤونهم وتجنب الزلل والخلل... وبذلك كانوا أول من وضع أسس ديمقراطية حقيقية في التاريخ الانساني لنظام حكم شعبي ديمقراطي عادل وغير ارستقراطي استبدادي وراثي أو ثيوقراطي . ديني قهري كالذي ساد في فارس واليونان وروما، وفي اوربا أيام سيطرة الاقطاع والكنيسة الاقطاعية في القرون الوسطى.

وهو ماجعل جماهير البلدان التي شملها الفتح العربي الاسلامي تتنفس الصعداء لخلاصها وتمتعها بالحرية والامن والعدل والمساواة وبالرخاء والاستقرار والتآخي والسلام. والذي جهد المسلمون في سبيل توفيره أينما حلوا.

فلقد وفروا وضمنوا الحريات الاجتماعية والدينية للجميع ولم يرغموا أحدا على اعتناق الدين الاسلامي الا بالارشاد والاقناع والحسنى ورفض الاكراه في الدين، وحرصوا على حماية المقدسات ودور العبادة والممتلكات، لليهود والمسيحيين، وصيانة حريتهم في اقامة شعائرهم وطقوسهم الدينية واحترامها... الخ.

فعندما تمنع البطركة عن تسليم بيت المقدس الا بحضور عمر بن الخطاب لثقتهم بعدالته كان وهو في طريقه الى هناك يتبادل وخادمه الركوب على دابته ـ ليقودها كل منهما بصاحبه دوريا بلا تمييز وبالتساوي ـ وعندما وصل وتسلم المدينة وحان وقت الصلاة وهو داخل كنيسة القيامة خرج منها فصلى في أرض عراء خارجها .. فسأله عندئذ البطاركة لماذا لم تصل داخل الكنيسة وهي دار عبادة فقال أخشى أن يقول المسلمون هنا صلى عمر فيأخذونها ويحولونها الى مسجد، وهذا مالا أرضاه .

في ظل تلك العدالة.. والقدوة الحسنة للرواد المسلمين... عاش النصارى واليهود... في كنف الاسلام والمسلمين كما لوكانوا من المسلمين أنفسهم... بدليل أنهم تبوأوا أعلى المناصب في الدولة العربية الاسلامية ومعهم أيضا أبناء الاقوام والشعوب الاخرى من غير العرب فكيف لا والقرآن كتابهم ومحمد نبيهم وأمثال عمر فيهم.

وقد قال تعالى :" ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا ـ إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا، وأنهم لايستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض بالدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا من الشاهدين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين وذلك جزاء المحسنين ".

وقال أيضا :" قولوا آمنا با لله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون، كل آمن با لله وملائكته ورسله، لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير". (البقرة ١٣٦ ـ ٢٨٥).

فالانسان العربي ليشرئب بهامتـه وا لله متطاولا على الزمان والمكان أبدا فخرا واعتزازا بهؤلاء الاجداد الاماجد الغر الميامين وبسيرتهم ومسيرتهم المظفرة على طريق الحق والعدل والخير والمساواة، وبذلك دفعوا بالعرب الى ذرا المجد الاسمى وخلدوا ذكراهم وآثارهم الى أبد الابدين، كيف لا وهم القدوة بعدالتهم ومثلهم ومناقبهم

وأخلاقهم وأبداعاتهم الحضارية الخالدة، اذ ليس هنالك أبلغ وأصدق من شهادة الخالق عز وجل حين قال في الرسول الكريم : " انك لعلى خلق عظيم ".

وليس هذا فحسب ... فقد كرم الله العرب، عندما اختار جميع الانبياء والرسل منهم بما فيهم ابراهيم وأبناؤه وأحفاده ومنهم أولو العزم وأصحاب المعجزات: موسى وعيسى ومحمد وميز العرب عن سائر الامم الاخرى ورفع من شأنهم حينما قال: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " (آل عمران ١١٠)

وقال أيضا " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ". هود - ١١٨ - وقال :" هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ". (الانبياء - ٩٢٠) ذلك جزاء طاعتهم للخالق وانطلاقهم بالرسالات السماوية الى العرب والامم الاخرى لتشع نورا وهدى وخيرا وبركة على العالم كله. وزيادة في التكريم أنزل القرآن بلغتهم العربية الفصحى، " حيث تقول الاية الكريمة " ولو أنزلناه على الاعجمين وقرأه عليهم ماكانوا به يؤمنون وهذا لسان عربي مبين ".

كما أحبهم بشخص النبي محمد وبارك أرضهم أيضا، حينما قال " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ". وكذلك حين خص ابراهيم وابنه اسماعيل ببناء بيت الله الحرام بمكة وجعله والارض من حوله مباركا ومحجا وقبله للمسلمين، **اذ قال سبحانه تعالى** " وماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ملة أبيكم ابراهيم هو الذي سماكم المسلمين من قبل ".

كما كان بيت المقدس قبلة للمسلمين قبل أن يأذن الله لمحمد أن يتخذ المسلمون من الكعبة قبلة لهم يتوجهون اليها في صلواتهم هذا في حين استمرت القدس محجا للمسلمين والنصارى واليهود، لاسيما وأن فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين وكنيستي المهد والقيامة والعديد من الاماكن المقدسة الاخرى اضافة الى أضرحة ومقامات الانبياء والرسل والاولياء الصالحين المنتشرة في طول البلاد العربية وعرضها والى جانبها الكثرة الهائلة، كماً ونوعا من مآثر وآثار الاجداد العرب القدماء الحضارية الخالدة والتي ورثها العرب المسلمون وكانت خير معين لهم في انطلاقتهم عبر الآفاق كافة... مما يفقأ أعين المشككين والمكذبين والمزورين الحاقدين... **وفي سبيل نبذ الخلافات القبلية** والولاء العائلي والروابط القديمة، وفي سبيل اصلاح ذات البين والانصهار في

بوتقة الامة الواحدة، **قال تعالى** :" انما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم ". (الحجرات ـ ١٠).

وقال " يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم وأخواتكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ". (التوبة ـ ٢٣).

وفي خطبة الوداع ـ ٦٣٢م ـ قال الرسول محمد " يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب... أكرمكم عند الله أتقاكم... ".

وقال تعالى :" إنا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ". (يوسف) وقال :" وكذلك انزلنا حكما عربيا " (الرعد ـ ٣٧) **وقال** " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ". (البقرة ـ ١٤٣). **وقال تعالى:** "والذين استجابوا لربهم و أقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون..". الشورى ـ ٣٨ .

فالفكر الاجتماعي الاقتصادي في الاسلام كما حدده القرآن قد جعل نظام الحكم ديمقراطيا وأعطى الحق في الخلافة للمؤمن المتميز بعدالته.. وهذا ماطبقه الاوائل... كما تميز بالحزم والتنديد بأصحاب الثروة.. **فقد قال تعالى:** " والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ". التوبة ـ٣٤، **وقال** :" ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده ". **وقال:** "تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وماكسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ".

وقال: " ولايحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خير لهم بل شر لهم سيطوقون بما بخلوا به يوم القيامة ". آل عمران ١٨٠ .

وقال :" ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وأبن السبيل وفي الرقاب ". البقرة ـ ١٧٧ .

وقال :" كلا لاتكرمون اليتيم ولاتحضون على طعام المسكين وتأكلون التراب اكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا اذا دكت الارض دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لايعذب عذابه أحد " الفجر ١٧ـ٢.

وقال :" وما تنفقـون مـن خـير فلأنفسـكم ومـا تنفقـون الا ابتغـاء وجـه ا لله ومـا تنفقون من خير يوف اليكم وأنتم لاتظلمون " البقرة ـ ٢٧٢ .
وقال :" الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقـوم الـذي بتخبطـه الشـيطان مـن المس ذلك بأنهم قالوا أنما البيع مثل الربا وأحل ا لله البيع وحرم الربا " البقرة ـ ٢٧٧
وقال :" إن ا لله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلهـا وإن حكمتـم بـين النـاس أن تحكموا بالعدل". النساء ٥٨
وقال :" ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله " النساء٩٢
وقال :" ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسـط شـهداء لله ولـو علـى أنفسـكم والوالدين والاقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فا لله أولى بهما فلا تتبعـوا الهـوى أن تعدلـوا وأن تلووا أو تعرضوا .. " النساء ١٣٥
وقال :" وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان " الرحمن ٩
وقال :" ويل للمطففين الذيـن اذا اكتـالوا علـى النـاس يستوفون واذا كـالوهم أو وزنوهم يخسرون " المطففين ١-٣

وكان عمر بن الخطاب قد تحسب لاحتمـال انحـراف الاغنيـاء والمتنفذيـن بالدولـة الصاعدة فحذد اقامتهم خوفا من أن ينتشروا في الاقـاليم ويسـتغلوا نفوذهـم للاطاحـة بأسس العدالة الاجتماعية... فجعل الاراضي من غنائم الحرب ملكا للدولة ينتفع منهـا العاملون بها لقاء ضريبة يدفعونها لبيت مال المسلمين.

وقبل وفاته عام ٦٤٤ ـ ترك أمر اختيار خليفته لمجلس الشورى الذي أوصـى بـه من بين أعضائه السبعة وهم : عبد الرحمن بن عوف ـ عثمان بن عفان ـ سعد بن أبـي وقاص ـ الزبير بن العوام ـ وعلي بن أبي طالب ـ وطلحة بن عبيد ا لله ـ وعبـد ا لله بـن عمر ـ وعلى الرغم من الخلل والخلاف الذي نشب ابان خلافة عثمان ٦٤٤ ـ ٦٥٦ ـ جاء اختيار علي بن أبي طالب خليفـة للمسـلمين عـام ٦٥٦ ــ ٦٦١ م ــ بعـد مقتـل عثمان عام ٦٥٦ ليمارس نفس الحـزم وليتـابع نفـس المسـيرة فكتـب الى عمالـه علـى الخراج " انصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم ولاتحسموا أحـدا عـن حاجتـه ولاتحبسوه عن طلبته ".

كما كتب الى عامله في مصر " الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم المساكين والمحتاجين وأهل البؤس... وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن مما لاحيلة له ولاينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل ". (١)[١]

فقد وضع على الدولة مسؤولية التعمير قبل أن تستوفي الضرائب قائلا " من طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد و لم يستقم أمره الا قليلا ".

فقد كان بيت مال المسلمين بمثابة صندوق حكومي تتجمع فيه ثروات الفتوحات وأموال المسلمين في العهد الاول، لتوزع على المحاربين والمحتاجين والمحرومين وبذلك كان الخليفة يمثل السلطتين الروحية والزمنية. وكان هذا الدمج بوجود أمثال هؤلاء مفيدا ومقبولا.

الصراع على السلطة والثروة :

ففي حين اعتمد الاوائل وعامة المسلمين في قاعدة ووسط الهرم الاجتماعي **ماجاء في القرآن** والاحاديث والتوجيهات النبوية كأساس للمنطلقات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية والقانونية والدستورية وأصروا على أن يكون نظام الحكم ديمقراطيا وأن لاتتعدى وظيفة وصلاحيات جهاز الدولة الالتزام بتطبيق تلك المنطلقات وفي مقدمتها السهر على راحة ورخاء وأمن الناس كافة وأن يتم اختيار أمير المؤمنين بالوسائل الديمقراطية أيضا **راح فريق ذوي الثروة** والنفوذ الارستقراطي يعمل على تجاوز ذلك نحو الاستئثار بالسلطة وبالثروة العامة وتحويل نظام الحكم الى نظام استبدادي وراثي.

فقد كان مستوى التطور الاقتصادي واتساع الفتوحات والتحديات والمؤامرات وتدفق الثروات على مركز الدولة والولايات وجيوب العديد من القادة والولاة والمتنفذين في جهاز الدولة والمجتمع معا كفيل بحسم الامر في آخر المطاف لصالح الفريق الثاني، الذي وجد الانصار في أكثر من مكان(٢).[٢]

---

[١] بهج البلاغة جزء ص ص ١٠٠

[٢]د. أميل توما الحركات الاجتماعية في الاسلام ص ٥٧ وقد استند في ذلك الى أنور الخطيب في كتابه النزعة الاشتراكية في الاسلام ٢٥٢

فعندما تمكنت الارستقراطية الاموية من السيطرة بالقوة على نظام الحكم عام ٦٦١م(١) وحولته الى وراثي جعلت من الدين أداة لقهر المحرومين والمعارضة والمتمردين هذا في حين لجأت الحركات الاجتماعية السياسية المضادة بالمقابل الى استخدام نفس السلاح الديني في مواجهة خصومها هؤلاء المستبدين بالسلطة وبالثروة، وهذا مابرز بوضوح **من خلال المحاورة بين أبي ذر الغفاري ومعاوية بن أبي سفيان،** أول خليفة - ٦٦١ - ٦٨٠م ، في الدولة الاموية " ٦٦١ - ٧٥٠ " ، حول بيت مال المسلمين، **فقد قال معاوية** " إن المال العام هو مال ا لله، ونحن ألسنا عباد ا لله، أفلا يحق لنا التصرف به؟ ونحن أمير المؤمنين نمثل ارادة ا لله على الارض ..".

هذا في حين أصر أبو ذر الغفاري على " أن المال مال المسلمين وأن الفيء من حقوقهم وليس لك حق أن تختزن منه شيئا، لقد أغنيت الغني يامعاوية وأفقرت الفقير عند ذلك **أعلنها معاوية صريحة** واضحة لالبس فيها ولا مداورة حين قال :" المال مالنا والفيء فيئنا فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه ".

فتصدى له جمهور من المستضعفين بالقول :" بل المال مالنا والفيء فيئنا نحن فمن حال بيننا وبينه حاكمناه الى ا لله بأسيافنا ". وذلك بالاستناد الى الاية الكريمة " والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل ا لله فبشرهم بعذاب أليم ليوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون ".

أما من عارضوا هذا الاتجاه فتمسكوا بالآية التالية :" أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ". الزخرف ٣١ - وكان قد قال علي بن أبي طالب بهذا الخصوص " ماجاع فقير الا بما منع به غني، ومارأيت نعمة موفورة الا والى جانبها حق مضيع ".

---

(١) نشأت الدولة الاموية بعد معارك دامية قادها معاوية ضد علي وأشياعه من المسلمين وكان أهمها : معركة الجمل قرب البصرة عام ٣٦ هـ - ٦٥٦م ومعركة صفين التي انقسم فيها أشياع علي فخرج منهم - الخوارج عام ٣٨هـ ٦٥٨م فهاجمهم علي في معسكرهم على طول قناة النهروان في ضفة الفرات الاعلى .

الحركات السياسية والتيارات والفرق الدينية والفلسفة:

بعد مقتل علي أمير المؤمنين عام ٦٦١ م **نشأت حركة الشيعة** وأصبح عندها رمزا ووعاء للتمرد في الميدانين الروحي والمادي والثورة المستمرة على النظام أمويا كان أم عباسيا، ومن ثم انقسمت الشيعة الى فرق: **الشيعة الزيدية**، التي وقفت عند الامام الخامس - زيد بن حسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكانت تعاليمها قريبة من تعاليم السنة، و لم تكن تعتبر أن الوحي يعين الامامة، فعندها كل فاطمي من صلب علي وفاطمة الزهراء، عالم زاهد... يصح أن يكون اماما.

أما الشيعة الامامية فتتألف من فرق مختلفة من بينها الاثني عشرية، نظرا لوقوفها عند الامام الثاني عشر، بينما الاسماعيلية تقف عند الامام اسماعيل بن جعفر الصادق. وقد عرفت بآفاقها الفكرية الواسعة، ورأت في رسائل اخوان الصفا تراثا علميا... ودعت الى ابطال ملكية الاراضي الكبيرة والى توزيعها على المحتاجين مجانا، كما دعت الى المساواة بين الجنسين، ونتيجة القمع والمطاردة ظهرت فرق المهدوية والتقية أو الباطنية لاتقاء الخطر بالكتمان واظهار ماليس بالباطن.

فلقد لاقى الاكثرية من أئمة الشيعة الاثني عشرية حتفهم أما قتلا أو بالسم، فبعد مقتل علي وولديه الحسن والحسين، فان جعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا ومحمد الجواد ماتوا قتلا وبالسم، هذا بالاضافة الى عدد كبير من الدعاة ابان الثورات والتمردات الشيعية، فقد قتل الحسن عام " ٤٩هـ ، ٦٦٩م " والحسين عام "٦١هـ،٦٨٠م" في كربلاء.

فقد انعكست هذه الظاهرة في المنهج الفكري الفلسفي الشيعي فأصبح لكل شيء ظاهر وباطن ولكل شيء وجهان، مما أفسح في المجال أمام الافكار المتحررة والتوجه النقدي والعقلاني والبناء التنظيمي السري، والمحافظة على المبادئ في أطر تضيق كلما ارتفع الشيعي في المراتب... الخ.

وذكر الشهرستاني :" إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ووضعوا كتبهم على هذا المنهاج فقالوا في الباري تعالي: إنا لانقول هو موجود ولاموجود ، ولاعالم ولاجاهل ولاقادر ولاعاجز، وكذلك في جميع الصفات، فان

الاثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليه، وذلك تشبيه، فلا يمكن الحكم بالاثبات المطلق والنفي المطلق." (١) .

أما **الغزالي** في رسالته التي رد فيها على الباطنية فقرر "... أما الجملة فهو أنه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض، ومفتحه حصر مدارك العلوم في قول الامام المعصوم وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق لما يعتريها من الشبهات" (٢)

ظهور الاسماعيلية :

عندما توفي الامام جعفر الصادق عام " ١٤٨ هـ ، ٧٦٥م " انقسم الشيعة بسبب الخلاف على منصب الامامة، لاسيما وأن جعفر الصادق كان قد أوصى بها الى ابنه اسماعيل، الذي توفي في حياة أبيه، فاوصى ثانية لابنه موسى، الملقب بالكاظم، غير أن بعض الشيعة رفضوا ذلك وقالوا بامامة حبيب ابن اسماعيل وكان ذلك الخلاف سبب ظهور الاسماعيلية، التي أسست الدولة الفاطمية . (٣)

وفي سبيل تدعيم هذا الحق نسبوا الى اسماعيل النبوءة والمعجزات، وقرروا أنه بعث حيا بعد وفاته، أو أنه لم يمت بل اختفى وسيعود الى الظهور ثانية حين تدق الساعة.

وتزامن نشوء الاسماعيلية مع تولي أبي جعفر المنصور الخلافة عام " ٧٥٤ ـ ٧٧٥م" بعد موت أخيه أبي العباس عبد الله السفاح، مؤسس الدولة العباسية عام " ١٣٢ هـ ـ ٧٥٤ م " فأثناء تلك الفترة عاش جعفر الصادق، الذي اشتهر بعلومه وتأملاته الفلسفية، وهناك من يعتقد بأن واصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة كان من تلامذته ـ هذا في حين أكد آخرون على أنه كان من تلامذة الحسن البصري الذي عاش في العهد الاموي وهذا هو الاصح.

---

(١) محمد عبد الله غنان ـ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ـ الطبعة الثانية ١٩٥٩ ص ٢٨٣.

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٨٤

(٣) د. أميل توما نفس المرجع السابق / نقلا عن بتدلي الجوزي من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ـ القدس ١٩٢٨ ص ١٠٣

وقد وجد العباسيون في الشيعة حليفا لهم في نفي حق الامويين في الخلافة على الرغم من عدم اعترافهم بمثل هذا الحق ـ للعباسيين أيضا، ومع ذلك فقد تمكنوا من الترويج لأفكارهم والدعوة لمبادئهم دون اعتراض... ولكن ما ان حقق العباسيون انتصارهم الساحق على الأمويين حتى بدأوا التنكيل بالشيعة، في عهد المنصور " ٧٥٤ ـ ٧٧٥م " فقد كان يعرف طمعهم بالخلافة ويخشى نواياهم، لاسيما وأنه كان مطلعا على أسرارهم، عندما كان يحضر اجتماعات أهل البيت السرية كحليف، قبل ذلك وخصوصا الاجتماع الذي تداولوا فيه عن كيفية الاطاحة بالسلطة الاموية، وبايعوا فيه والمنصور من ضمنهم ـ محمد حفيد الحسين بن علي بن أبي طالب ـ الملقب بالنفس الزكية... وهو مادفع به للتنكيل بهم قبل أن يستفحل خطرهم، خصوصا بعدما تصدى محمد وشقيقة ابراهيم للعباسيين، بعد توليهم الحكم، وحارباهم فكانت النتيجة مقتل الاثنين عام " ١٤٥هـ ٧٦٢م " والكثرة من الشيعة.

ويسود الاعتقاد بان ـ عبد الله بن ميمون ـ هو من أسس المذهب الاسماعيلي أو هو من طوره ووطد أركانه.

فقد آمن الاسماعيليون ـ بسيادة العقل وبإمكانية استيعابه الكون، كما آمنوا بالجدلية باعتبارها اسلوب الوصول الى الحقيقة.

فقد كتب الشهرستاني حول ذلك قائلا:" وقالوا بالقدم أنه ليس بقديم ولامحدث بل القديم أمره وكلمته ـ والمحدث خلقه ونظرته، أبدع بالامر العقل الاول الذي هو تام بالفعل، ثم بتوسطه أبدع النفس ـ الثاني الذي هو غير تام ـ وقالوا ما اشتاقت النفس الى الكمال كما العقل، فقد احتاجت الى حركة من النقص الى الكمال، احتاجت الحركة الى الحركة .. " (١) ويعتقدون أن الدين الحقيقي هو: أن يتوصل الانسان بالتمرين المستمر والترقي في معارج المعرفة لادراك منازل الكون التي قطعتها العوالم المسكونة، بعد أن انفصلت عن الله أي عن الفكر الواحد المطلق. وهذا ما يفسر تمسك الاسماعيليين وفرق شيعية أخرى بعصمة الامام وسلطته التامة، باعتباره تجسيد للفكر الواحد المطلق . (٢) ، وقد تفرع عن الاسماعيلية عدد من الفرق أهمها ـ الفاطميون .

---

(١) محمد عبد الله غنان / مرجع سابق ص ٢٨٢

(٢) د. أميل توما المرجع السابق ص ٨٥

وقد أكد بندلي الجوزي : أن الاسماعيليين، تأثروا بالافكار الاجتماعية التي طرحها مزدك في القرن الخامس ميلادي، في فارس واذربجان، حول العدالة الاجتماعية والمساواة.... فقد كتب أحمد أمين في كتابه " فجر الاسلام " ص ٦٤ ـ ٦٥ ـ نقلا عن الطبري ـ عن مزدك وأصحابه قائلا: "إن ا لله انما جعل الارزاق في الارض ليقسمها العباد بينهم بالتآسي ، ولكن الناس تظالموا فيها... ويأخذون للفقراء من الاغنياء ويردون من المكثرين على المقلين ".

كما أن الشيعة، وخاصة الباطنية منها ، **ناصرت بابك الخرمي** الذي ظهر في اذربيجان ونازل الخلافة العباسية في القرن التاسع ميلادي، وطرح معظم أفكار مزدك، التي استقطبت جماعات كبيرة من المعدمين، من كافة القوميات بما فيها العربية.

القدرية والجبرية والمعتزلة :

عندما تم انتقال الخلافة الى الامويين سنة " ٤٠ ـ ١٣٢هـ ، ٦٦١ ـ ٧٥٠م " واتسعت رقعة الامبراطورية وكبرت التحديات والمواجهات وتعددت ميادينها، وأخذت حركة الترجمة والنقل عن الهندية واليونانية وسواهما تتسع تأثر المفكرون المسلمون بمنجزات تلك الشعوب واغتنوا بها وأغنوها، فاتسع ميدان الجدل وخاصة حول حرية الانسان في الاختيار بين الخير والشر أو قدرة الانسان على ممارسة الحرية **أمام فكرة: قضاء ا لله المسبق، فظهرت القدرية** سنة " ٥٠هـ ، ٦٧١م " حيث قالت القدرية :" إن الانسان حر مخير في كل ما يصنع له قدره ، على ايجاد الفعل مستقلا عن ا لله". (١)

وقد استشهد قادة القدرية بآيات قرآنية حول حرية الاختيار **منها** " إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا " و" إن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " و" فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " و" من يكسب اثما فانه يكسبه على نفسه " و" من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " و" من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد ".

---

(١) عبدو الشمالي دراسات عن : تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية ص ١٣٣

وفي مواجهة القدريـة نشأت الجبرية، واحتـدم الصراع بينهمـا، **فاستعانت** هـي الاخرى بآيات قرآنية ـ منها " ختم الله على قلوبهـم وعلـى سمعهـم وعلـى أبصـارهم غشاوة ولهم عذاب أليم" و" ولاينفعكم نصحـي إن أردت أن أنصـح لكـم ، إن كـان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليـه ترجعـون" و" لقـد بعثنـا في كـل أمـة رسـولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى ومنهم من حقت عليه الضلالة ".

فقد اخافت القدرية التي فسرت أقوالها : بحرية الناس في تغيير نظام الحكم ، كحـق من حقوقهم ـ **الامويين والمحافظين من العلماء ... فصلب الحجاج** أثناء ولايته "٦٩٤ ـ ٧١٤ م " زعيمها معبد الجهني **بأمر من عبد الملك بن مـروان " ٦٨٥ ـ ٧٠٥ م" ومن ثم صلب هشام تلميذه غيلان الدمشقي،** فعلى الرغم من **أن الامويـين وجـدوا بالجبرية سندا لهم، الا أن ـ جهنم بن صفوان ـ مؤسس الجناح الجبري ـ الجهمـي ـ شارك في ثورة أمير خرسان** ـ الحرث بن سريح الفارسي عام ١١٦ هـ، ٧٣٤م، ضـد الامويين في عهد هشام بن عبد الملك الذي بلغت الامبراطورية في عهده ذروة توسعها وازدهارها.

ولقد فتحت كل من القدرية والجبرية باب التـأويل علـى مصراعيـه ـ فقـد قـال جهم بعدم خلود الجنة والنار، على اعتبار أن الله وحده خالد، **بينما قال، قبـل ذلـك جعد بن درهم، زعيم الجبرية** عند نشأتها: **بخلق القرآن،** على اعتبار أن القـول بأزليـة القرآن يعني أنه وجد منذ القدم، ومعاذ الله أن يكون لله شريك في القدم.

المعتزلة :

في ذاك المنـاخ مـن الجـدل الفكـري والديني،والصـراع السياسي، بـين مختلـف الحركات والتيارات والفرق.. مثل : الخوارج والمرجئة والشيعة والقدريـة والجبريـة... **نشأت في عهد هشـام بـن عبـد الملـك " ١٠٦ ـ ١٢٦هـ ٧٢٤ ـ ٧٤٤م " فرقـة المعتزلة بزعامة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيـد،** فوقفـوا حسـب تـأكيد البعـض في وجه غلاة الشيعة والخوارج ، والافكار التي وصف أصحابها بالزندقة.

فقد كتبت الموسوعة الاسلامية المختصرة: أن من المبادئ الجوهريـة للمعتزلـة هـي مكافحة الزندقة والثنوية، أي جذر المانيـة " العربيـة القديمـة " الـتي تقـوم علـى وجـود الهين: النور والظلام ـ أو الخير والشر .

ولهذا لم يصطدم المعتزلة بالنظام الاموي في حين اعتنق الخلفاء منهم مثل: يزيد ٧٢١- ٧٢٤م، بن الوليد ٧٠٥ - ٧١٥م، ومروان بن محمد - مروان الثاني - مذهب المعتزلة.

ومع ذلك **ناصر المعتزلة - العباسيين...** وكان عهد المأمون، الذي اعتنق مذهبهم بمثابة عصرهم الذهبي. (١)

فقد حاول المعتزلة، التوفيق بين الدين والفلسفة، وراحوا يفسرون الدين تفسيرا عقلانيا، من خلال دعوتهم الى التوحيد، **اعتمادا على خمسة أصول هي** " القول بالتوحيد - وبالعدل وبالوعد والوعيد - وبالنزلة بين المنزلتين - والامر بالمعروف وبالنهي عن المنكر " وآمنوا بالتنزيه - **وفسروا الايات القرآنية**، التي تصف الله في مفاهيم انسانية **مثل** " ثم استوى على العرش " بالتأويل ، **فقد اعتقدوا** أن الله واحد ليس كمثله أحد وليس بجسم ولاشبح ولاجثة ولاصورة ولا لحم ولادم ولاشخص ولاجوهر ولاطول ولاعرض ولاعمق... **وقد اعتمدوا في ذلك على الآية** " ليس كمثله شيء " **ونفوا صفات الله**، لان ذلك يعني وجود موصوف نظرا لتعارض ذلك مع الاعتقاد بان الله قائم بذاته، خصوصا وأنه منزه عن الجسمية.

وقد اعتقد قدرية المعتزلة بحرية الاختيار، ونفت قدرة الله على الظلم لان الظلم لايقع الا من ذي حاجة حاملة على ارتكابه أو جاهل بقبحه وعاقبته، وعلى هذا الاساس اقروا بفكرة خلق القرآن.

وقد فتح نفي أزلية القرآن الابواب على مصاريعها للبحث والتحليل ودراسة المظاهر دون تعصب أو ضيق أفق، فالقرآن جاء ليتوافق مع حاجات الانسان، وعليه يمكن للتفسير أن يتلاءم مع التطورات في كل عصر، وبما أن الله لايريد الشر بخلقه فهو لم يخلق **أفعال** العباد - لاخيرا ولاشرا، فارادة الانسان حرة، وهو خالق أفعاله، أي أن الشرور لم تكن قضاءا وقدرا، كما أراد خصومهم أن يبرهنوا، بل من صنع المجتمع وفي وسع المجتمع اصلاح ذلك ولتأكيد ذلك فقد استندوا الى الايات التالية :-

١- من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد.

٢- كل نفس بما كسبت رهينة.

٣- وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

---

(١) د. أميل توما مرجع سابق ص ٩٤

٤ـ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها.

وعندما اصطدموا بآيات تدل على الجبر والتقييد والحد من الحرية العقلية من مثل:

١ـ وكذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء .

٢ـ ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون، ختم الله على قلوبهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم.

٣ـ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء.

حين ذلك ذهبوا الى التأويل والتفسير، حتى تتفق تلك الايات ومايقضي به العقل، أما الجبرية ـ السنة ـ فردت عليهم بعدد من الايات منها: وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا، أماالمنزلة بين المنزلتين فقد جعلوها بين الكفر والايمان ـ حين اختلفوا مع خصومهم على مرتكب الكبيرة على سبيل المثال ـ فقد قال ـ الخوارج : أنه كافرا، وقالت المرجئة: انه مؤمنا، وقال الحسن البصري: انه منافقا، وقال واصل بن عطاء: باسم المعتزلة: انه فاسقا باسمه المعروف به لامؤمن ولاكافرا.

فعلى الرغم من ايمان المعتزلة بالنبوات فلم يسلموا بعصمة الانبياء والرسل، عن الزلل والخطأ باعتبارهم بشرا كغيرهم. فحين أخطأ آدم اخرج من الجنة، وأخطأ موسى بقتل رجل، وعبس محمد بوجه رجل فقير فعاتبه ربه " عبس وتولى ان جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكي... ".

ومع ذلك فهم يؤكدون على أن ذنوب الانبياء مغفورة.

كما انكروا ـ بشكل حذر ـ معجزات الانبياء، كالتي ذكرها ابن مسعود عن انشقاق القمر استنادا للآية " اقتربت الساعة وانشق القمر.." فهي عبارة عن انذار وتنبيه بان القمر سينشق في المستقبل، وليس في الماضي، أي عند قيام القيامة، وكذلك كلام الحصا، ونبع الماء من بين أصابع الرسول محمد... لعدم ثبوتها قطعيا. (١)

---

(١) د. علي فهمي خشيم ـ النزعة العقلية في تفكير المعتزلة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٦ ص ٨٣ ـ ٨٤

فالصراع بين المعتزلة والسنة تمحور حول مسألة جوهرية وأساسية هي: الدين ـ العقل، فاذا ماتعارض العقل مع الدين، بالنسبة للمعتزلة، رجحوا الاول على الثاني، بينما السنة، جعلته خاضعا للشرع للدين أولا وأخيرا. (١).

وقالت المعتزلة ان الحسن والقبح ذاتيان، فالعدل والصدق والشجاعة والكرم هي صفات حسنة بينما تكمن في الظلم والجبن والكذب والبخل ... صفات قبيحة، ورفضوا موقف خصومهم القائل بان الشريعة قررت الاعمال الحسنة والقبيحة معا فالشرع أمر بالمحافظة على الانفس والاموال. ونهي عن القتل والسرقة... وقالوا : ان ليس للعقل حدود الا براهينه ولازلل ولاخطأ متى صح البرهان.(٢)

ابراهيم بن سيار البصري :

في هذا المناخ نشأ ابراهيم بن سيار بن هاني البصري، المعروف بالنظام، في القرن التاسع ميلادي، وهو العصر الذهبي للعباسيين، فسبق فلاسفة القرن الثامن **عشر حين قال:** " ان الشاك اقرب اليك من الجاحد ". وبذلك اخضع كل استنتاج فكري الى الجدل والنقاش.

واستنادا الى الاصل الخامس، أي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، **حدد المعتزلة** مواقفهم من نظام الحكم، **وقد تسلحوا بالاية** " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفحون ". **واكدوا أن النهي** عن المنكر يتم بالقلب وباللسان وباليد ... **اعتمادا على الاية** " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلتا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ".

وكانوا قد تحالفوا في ـ تاهرت ـ قرب تلمسان في المغرب مع الخوارج، وثاروا على المنصور الخليفة العباسي الاول، كما اصطدموا بالعلماء والمفكرين السنة الذين رفضوا فكرة **خلق القرآن، وتعاونوا مع المأمون للفتك بهم،** وعندما انتصرت افكارهم في عهده وتبوأوا مكانة رفيعة، بدأوا بالتراجع عن : حرية الانسان الفكرية

---

(١) د. فهمي ـ نفس المرجع السابق ص ٨٥

(٢) د. أميل توما ـ نفس المرجع السابق ص ٩٦ ـ ٩٧

وعن مبدأ الجدل الحر، للوصول الى الحقيقة ومقارعة الحجة بالحجة، فكانت محنة فكرية وبداية تحول عكسي، مما أدى الى سقوطهم في عهد المتوكل " ٨٤٧ - ٨٦١م " حيث أمر بوقف المناقشة بأمر خلق القرآن، وساعد السنة فقوي ساعدها .

أبو الحسن الاشعري الذي انقلب من معتزلي الى سني :-

فقد جاء بعد ذلك - ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري " ٨٧٣ - ٩٣٦ م - ليفلسف مواقف السنة بافكار تقليدية محافظة، وكان ذلك بداية عهد تراجع الامبراطورية العربية الاسلامية والسير في طريق الجمود والعقم الفكري والعلمي والتخلف... الخ.

ففي رسالة الابانة في أصول الديانة - ناقش الاشعري - المعتزلة قائلا :" خلق الله الاشياء بقدرته ودبرها بمشيئته، أما بعد فان كثيرا من المعتزلة وأهل القدرية مالت بهم أهواؤهم الى التقليد لرؤسائهم ومن مضى من أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله به سلطانا ولاأوضح به برهانا ولانقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف المتقدمين فخالفوا رواية الصحابة عن نبي الله في رؤية الله بالابصار، وانكروا شفاعة رسول الله وحجدوا بعذاب القبر وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون ودانوا بخلق القرآن نظيرا لقول اخوانهم المشركين، وايقنوا أن العباد يخلقون الشر نظيرا لقول المجوس، الذين يثبتون خالقين، أحدهما يخلق الخير وآخر يخلق الشر، وزعمت القدرية أن الله يخلق الخير وأن الشيطان يخلق الشر، وزعموا أنه يشاء مالايكون ويكون مالايشاء، خلافا لما أجمع عليه المسلمون، وردا لقول الله :" ومايشاؤون الا أن يشاء الله والله فعال لما يريد".

وقال... " يا أيها النبي بلغ ما أنزلنا اليك من ربك... ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .. ".

وانكرت الاشعرية وجود نظام أو قانون للطبيعة، كما فتح المجال أمام من روجوا للمعجزات والاعمال الخارقة... وبذلك نفوا دور وقدرة الانسان على التأثير في الطبيعة وفي التطورات التاريخية، وفي تغيير نظام الحكم ووضعية المجتمع... الخ.

وقد أكد محمد أبو حامد الغزالي " ١٠٥٨ - ١١١١م " ماذهبت اليه الاشعرية السنية حين كتب : " ولو نهض لهذا الامر من فيه الشروط كلها سوى شروط القضاء ولكنه مع ذلك يراجع العلماء ويعمل بقولهم فماذا ترون فيه ؟ أيجب خلعه أم يجب

طاعته ؟ أنه يجب خلعه على أن يستبدل عنه من هو موصوف بجميع الشروط من غير اثارة فتنة وتهييج قتال، وان لم يكن ذلك الا بتحريك قتال وجبت طاعته وحكم بامامته ".

ومعنى هذا مناصرة النظام السيء أفضل من السماح بحدوث الفوضى.. عن طريق الثورات لتغيير نظام الحكم ؟.

وقد استند في ذلك الى الاية التالية :" هو الذي أنزل عليك الكتاب من آيات محكمات هن أم الكتاب وأخرى متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله ". آل عمران ١٢.

المرجئة :

أما المرجئة فقد رفضوا تحزب الخوارج والشيعة والامويين وسواهم **وقالوا** " فليترك أمر الجميع الى الله الذي يفصل في الامر، أي ارجاء حسم أمر من يشذ الى يوم الحساب في الاخرة، ومن أبرز مبادئهم : الايمان بالله وبرسله، ولم يؤكدوا على الفرائض وكانوا على درجة كبيرة من التسامح، فقد كانوا في الاصل نواة من أصحاب الرسول، وكانوا قد امتنعوا عن الدخول طرفا في النزاع بين المسلمين في أيام عثمان وعلى ومعاوية، ومن ثم تطوروا الى حركة سياسية وتيار ديني بعد ذلك، ولكنهم لم يؤثروا في التطورات والاحداث والصراع المذهبي الديني والفلسفي بشكل ملموس.

وهكذا ألغت الاشعرية وعموم التيار السني التقليدي المحافظ، حرية الارادة والفكر والمناقشات والنقد والجدل العقلاني، وفرضت الجمود... منذ القرن العاشر ميلادي وحتى عصر النهضة الحديثة.

اخوان الصفا :ـ

تأسست جمعية اخوان الصفا سرا ودون الاعلان عن وجودها في بادئ الامر، كما يرجع البعض في القرن الثاني للهجرة، وفي اطار الحركة الاسماعيلية، وان رسائلها حررت بمعرفة أئمة الاسماعيلية المتنورين، في عهد المأمون " ١٩٧ ــ ٢٠٨ هـ هذا في

حين يذكر ـ **عبدان القرمطي** ـ بأن الامام أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق هو مؤلف رسائل اخوان الصفا (١).[1]

أما ظهورهم على مسرح الاحداث وانتشار رسائلهم بشكل واسع فقد كان، حسب رأي البعض الاخر في القرن الرابع للهجرة، أي عندما ضعفت الدولة العباسية وتمزقت الى دويلات ـ وتمكنت الدولة البويهية ـ الفارسية، من الاستيلاء على بغداد العاصمة " ٣٣٤ هـ ـ ٩٤٥ م.

فقد حاولت دويلات ذاك العصر، الذي شهد تطورات كبيرة وواسعة، استمالة أهل الفكر والحركات المناوئة للعباسيين، وانشأت المدارس وبذلت المال بسخاء حفاظا على وجودها وهيبتها، مما أدى الى ازدهار الفلسفة والعلوم والاداب من جديد وخاصة في مصر وسورية وبغداد واتسع العمران... الخ.

فقد أورد ـ جمال الدين القفطي ـ في كتابه " اخبار العلماء باخبار الحكماء " **نقلا عن البيقهي** نص الحوار الذي دار بين ـ **أبي حيان التوحيدي ـ والوزير صمصام الدولة** البويهي عام ٣٧٣ هـ حول، زيد بن رفاعة، ومحرري رسائل اخوان الصفا، فذكر له الاسماء التالية منهم :

١ـ ابو محمد بن معشر البستي ـ ويعرف بالمقدسي.

٢ـ ابو الحسن علي بن هارون الزنجاني .

٣ـ ابو احمد المهرجاني ـ ويعرف عند ياقوت الحموي احمد النهروجوري من أهل البصرى.

٤ـ ابو الحسن العوفي ـ وذكره " ابن النديم " العوقي ـ بالقاف ـ وقال أنه من أهل البصرة.

٥ـ زيد بن رفاعة ـ ويسميه " العسقلاني " زيد بن رفاعة الهاشمي أبو الخير.

في ضوء ذلك يمكن التأكيد على أنهم عرفوا لدى عامة الناس، في القرن الرابع الهجري نظرا لانتشار رسائلهم وتزايد نشاطهم آنذاك، ويرجح أن ابو حيان التوحيدي منهم.

أما مذهبهم فقد جمع مابين : الشريعة الاسلامية ـ وثمرات الفلسفة اليونانية ـ من جهة وما بين مذهب الشيعة وخاصة الاسماعيلية منها ـ والمعتزلة، من جهة ثانية .

---

[1] خير الله سعيد ـ النظام الداخلي لحركة اخوان الصفا ـ قبرص ـ ١٩٩٢ ص ٩ ـ ١٠

كما كان للصراعات الاجتماعية والسياسية والدينية والمذهبيــة والفلسـفية في تلـك المرحلة والى تساهل الدولة البويهية معهم، بحكم القرابة المذهبية الشيعية بينهمـا، الاثـر الكبير في ظهورهم وتأثيرهم وانتشار رسائلهم الواسع والدعوة لمذهبهم، المستوحى من كافة الاديان والمذاهـب والنحـل، والـذي تـرك أثـره في المذهـب الفـاطمي، وفي نهـج أرباب الدولة الفاطمية " ٩٠٩ - ١١٧١ م " (١).

مما تقدم يمكن ترجيح ظهور اخوان الصفا في البداية كـأول حركـة سياسـية حزبيـة سرية منظمة في العالم في البصرة وليس في السلمية - كما أورد البعض.

فقد تميز عصر ظهورهم ببروز تيارين اساسيين كان لكـل منهمـا فلسـفته ونوازعـه الخاصة ووحدته المتكاملة وهما: الصوفية - والمعتزلة - فشكلا ظاهرة فكريـة.. تقدميـة صاعدة ومتمردة على الايديولوجية اللاهوتية الرجعية، ومتصدية لها، وذلك مـن واقـع المعرفة والالمام والالتصاق بالواقع الاجتماعي... والذود عن حقوق المحرومين.(٢)

فنظرية الفيض الافلاطونية ـــ عنـد الاسمـاعيليين نجدهـا هـي نفسـها عنـد اخـوان الصفا. ويقول بندلي الجوزي: ان الفلسفة مديونة - لرسائل اخوان الصفـا، مضيفـا : انهـا أول دائـرة للعلـوم والمعـارف ظهـرت للعـالم (٣) كمـا كـانت صلتهـم بالفاطميين الاسماعيليين قوية خاصة وأن داعي الدعاة الفـاطمي ـــ الشـهيد المؤيـد في الدين - هبة الله موسى الشيرازي، كان اسلوبه متـأثرا برسـائل اخـوان الصفـا، **قـال التوحيدي** " ان هذه الجماعـة، أي اخـوان الصفـا، قـد تـآلفت بالعشـرة وتصـافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهـم مذهبـا يقربهـم من الفـوز برضـوان الله " وقـالوا " ان الشـريعة قـد دنسـت بالجهـالات واختلطـت بـالضلالات ولاسبيل الى غسـلها وتطهيرهـا الا بالفلسـفة، لانهـا حاويـة للحكمـة الاعتقاديـة والمصلحـة الاجتهاديـة، فمتـى انتظمـت الفلسـفة الاجتهاديـة اليونانيـة والشريعة العربية فقد حصل الكمال .(٤)

---

(١) خير الله سعيد - نفس المرجع السابق ص ٩ - ١٣

(٢) خير الله سعيد - نفس المرجع السابق ص ١٨

(٣) خير الله سعيد - نفس المرجع السابق ص ٣٠

(٤) خير الله سعيد - نفس المرجع السابق ص ٣٥.

الفصل السابع :

مفهوم الامامة - والصراع حولها

جاء في القرآن " فقاتلوا أئمة الكفر " أي قاتلوا رؤساء الكفر. فقد عرف المسلمون "القرآن" بانه امام المسلمين، ومحمد امام الائمة والخليفة امام الرعية، وآمه=ساسة، والامام = الدليل الهادي العارف بالهداية ومن يقتدى به، وهو من القصد، وتطلق ايضا على الجمل المتقدم، والامة ـ بالكسر ـــ الشرعة والدين، وتضم فيطلق عليها الامة، وتشير هذه المعاني الى: الاستقامة والسياسة والقصد والمثل الاعلى والصلاح والتعلم... وكلها دالة على أفعال الخير، أي أنها تشير بمعناها اللغوي الى بعدين ديني ودنيوي، كما تعني من الوجهة التاريخية: الخلافة في حراسة الدين والدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الامة واجب بالاجماع، عند غالبية المسلمين، وان الامامة عند مؤرخي الفرق الاسلامية، ليست من أصول الاعتقاد، بحيث يفضي النظر فيها الى قطع ويقين بالتعيين، ولكن الخطر على من يخطئ فيها يزيد على الخطر على من يجهل أصلها، والتعسف الصادر عن الاهواء المضلة مانع من الانصاف فيها، ولذلك فهي من أشد الاخطار التي واجهت المسلمين، لجسامتها وخطورة منصب صاحبها: دينيا ودنيويا، لذلك كثر الاجتهاد وثار حولها جدل خطير وهام في جميع مراحل الحكم العربي الاسلامي، ولاتزال آثاره قائمة حتى اليوم . (١)

[1] خير الله سعيد ـ نفس المرجع السابق ص ١١٨

أما من جهة ثانية فقد كان العرف الاجتماعي ـ القبلي ـ قد فرض نفسه في هذه المسألة فلو رجعنا الى ما قبل الاسلام لوجدنا أن صاحب الشخصية القوية في هذه القبيلة أو تلك كان يسوس شؤون أصحابها، بغية عدم الفرقة وتوفير الوئام وشد أزرها ككيان... والمحافظة على مكانتها ونفوذها بين القبائل الاخرى.

فالعرف القبلي ـ بهذا المعنى ـ سابق على مفهوم الامامة والامام في الاسلام، ببعده الاجتماعي السياسي والديني، ولذلك أخذ بعده القانوني والمعرفي فيما بعد.

فقدماء العرب كانوا يرون ضرورة وجود " رئيس، شيخ، أمير " يستطيع تحقيق التوازن والتساوي بين أفراد القبيلة الواحدة، وتكون كلمته هي الفصل بما في ذلك خضوع الجميع لسلطته التي هي وفقا للعرف مساوية لقوة القانون.

فقد جسد هذا المفهوم ـ الافوه الاودي بقوله :

" لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم   ولاسراة اذا جهالهم سادوا "

ومعنى ذلك ضرورة توفر المعرفة بصاحب هذا المنصب ولذلك كانوا ينعتونه بالحكيم، أي صاحب المشورة والرأي والعقل الراجح.

ومثل هذه الشروط شكلت أحد الاركان الواجب توفرها في الامام بغية بناء نظام امامته **فقد كان جمهور ـ أصحاب الحديث** ـ يرى ذلك في أئمتهم وباجماع كامل تقريبا، لان هذا الامر يحكم جسامته وخطورته، يوجب توفر المعرفة بالامام، لاسيما باحكام الشريعة الاسلامية.

فالاسلام شكل بالاستناد الى القرآن والسنة النبوية نظاما دينيا ومنظومه اجتماعية اقتصادية امتلكت مقومات الاستمرار والتطور نظرا لتناسبها وقوانين التطور الموضوعية، حين أخذ بعين الاعتبار الواقع الطبقي والتقاليد والعادات الجاهلية القديمة، وعمل على تغييرها نحو الافضل ومع ذلك استمرت باشكال متفاوتة من الضعف والقوة...

على كل حال يمكن الاستدلال على أهمية وخطورة موضوع الامامة من خلال النصوص القرآنية والاحاديث النبوية **فالاية تقول** " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويأتون الزكاة وهم راكعون" و" وأطيعوا الله ورسوله وأولي الامر منكم " **أما في الحديث** " انما جعل الامام ليؤتم به " و" من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية " والحديث الاخير للشيعة الامامية.

فهذه الاسس حددت مفاهيم عامة المسلمين، واوجبت السير على هداها في مختلف الامور فالامام أوجبته القوانين السماوية والحياتية للمسلمين كي يستمر الاسلام بشرائعه ونظامه وأحكامه ودوره في الحياة.

لذلك تعين على الامام الاحاطة الشاملة باحكام الشريعة وقوانينها وبشؤون الحياة وملابساتها... وتحمل مسؤولية قيادة الامة وما يترتب على هذه المسؤولية من نتائج، سلبا وايجابا. فيعود ثوابها وعقابها عليه حسب الشريعة.

وقد اختلف المسلمون حول ما اذا كانت الامامة واجبة بالعقل أم بالشرع، فقد برز في ضوء ذلك اجتهادات ووجهات نظر شكلت فيما بعد نظريات فكرية سياسية اجتماعية اقتصادية... لتيارات عديدة: كالسنة والخوارج والشيعة والمعتزلة، وهي الفرق الاساسية التي خرجت منها بقية الفرق.

فمن هذه الفرق من قال: بوجوب العقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم.

ومنهم من قال : بوجوب الشرع دون العقل، لان الامام يقوم بامور شرعية، قد كان مجوزا في العقل أن لايرد التعبد بها، فلم يكن العقل موجبا لها، وانما أوجب العقل أن يمنع كل واحد نفسه من العقلاء عن التظالم والتقاطع ويأخذ بمقتضى العدل في التناصف والتواصل فيتدبر بعقله لابعقل غيره.

ولكن الشرع جاء بتفويض الامور الى وليه في الدين.

وهذا القول، يعتمد على الاية " ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ".

وبذلك استند الاجتهاد الى الشريعة وبما يوافق مقتضى الحال فاذا ثبت وجوب الامامة ففرضها على الكفاية: كالجهاد وطلب العلم، فاذا قام بها من هو من أهلها سقط فرضها على الكافة وان لم يقم بها أحد وخرج من الناس فريقان، أحدهما أهل الاختيار، حتى يختاروا اماما للامة، والثاني أهل الامامة حتى ينصب أحدهم للامامة، ليس على من عدا هذين الفريقين من الامة فرض الامامة وجب أن يعتبر كل فريق منهما بالشروط المعتبرة.

وعلى هذه القياسات وضعت شروط كلا الفريقين لكي تكون قراراتهم في الاختيار صائبة، ولذلك يجب أن يتصفوا بشروط معتبرة فيهم، أحدها العدالة الجامعة لشروطها، والثاني العلم الذي يتوصل به الى معرفة من يستحق الامامة على الشروط

المعتبرة فيها، وليس لمن كان في بلد الامام على غيره من أهل البلاد فضل مزية تقوم بها عليه وانما صار من يحضر ببلد الامام متوليا لعقد الامامة عرفا لاشرعا، لسبوق علمهم بموته ولان من يصلح للخلافة في الاغلب موجودون في بلده أما أهل الامامة فالشروح المعتبرة فيهم سبعة هي:-

١- العدالة على شروطها الجامعة.
٢- العلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والاحكام.
٣- سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان، ليصح معها مباشرة مايدرك بها.
٤- سلامة الاعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض.
٥- الرأي المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح.
٦- الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو .
٧- النسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الاجماع عليه.

ان الشرط السابع فتح باب النقد والاجتهاد وأبرز الدافع القبلي في هذا الامر، مما يعزز الاعتقاد بأن العصبية القبلية ظلت قائمة بشكل ما منذ بزوغ الاسلام وحتى قرون لاحقة، مما أدى الى ضعف الخلافة الاسلامية، بدليل فوز المهاجرين على الانصار حين تمت مبايعة ابي بكر خليفة للمسلمين " ٦٣٢ - ٦٣٤م، لاسيما عندما وقف عمر وحسم الامر لصالح أبي بكر مما يؤكد أن الجانب السياسي... لعب دورا بارزا في ذلك، ومع ذلك لم تشكل تلك السابقة قاعدة فقهية فيما بعد، **لان عمر بن الخطاب نفسه** كان قد ألغاها في خلافته " ٦٣٤ ــ ٦٤٤ م " حين قال " ان بيعة أبي بكر كانت فلتة فوقي ا لله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه، فايما رجل بايع رجلاً من غير مشورة المسلمين فانها تغره أن يقتلا ".

كما قال عمر لعبد ا لله بن عباس " ان الناس قد كرهوا أن تجمعوا لكم النبوة والخلافة **وان قريش اختارت لنفسها فاصابت** ". أي أن ارستقراطية قريش قد أصابت من الناحيتين الساسية والاقتصادية.

وقد برزت تلك الابعاد القبلية والسياسية والاقتصادية... **بوضوح ابان خلافة عثمان " ٦٤٤ - ٦٥٦م"** .وما بعد وخاصة عندما استولى آل سفيان على الحكم وأقاموا الدولة الاموية " ١٣٢هـ - ٦٦١ ــ ٧٥٠م "هذا في حين أكد بعض فقهاء السنة بان الامامة ليست من اصول الاعتقاد، بينما هي شرط أساس من أصول الاعتقاد لدى الشيعة، فالمسألة الدينية بالنسبة لهم هي أسبق واوجب في الاصلاح ،

أما بالنسبة للناحية الدنيوية فقد كانت محور الصراع الدامي بين المسلمين، مما أدى الى اتساع حركة وآفاق الجدل الذي أدى بدوره الى تطور كبير وشامل في الفكر العربي الاسلامي.

فالمسألة هنا أساسية وتتطلب فهما أدق وأشمل من مفهومها الديني المحض ولذلك كان منصب الامام ـ الخليفة ـ كرأس للسلطة الزمنية أساسا ـ موضوعا للخلاف منذ مؤتمر السقيفة الذي بويع فيه أبو بكر، على الرغم من الجانب الديني للمنصب، ولذلك قيل: ماسل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الامامة في كل زمان، مما أدى الىظهور العديد من التيارات والحركات والفرق... والى تفجر الانتفاضات والثورات بين وقت وآخر، الى أن سقطت الخلافة العربية الاسلامية بيد الاتراك العثمانيين، فحولوا مفهوم الخلافة الى سلطان بمفهوم طبقي واضح ومباشر ومنسجم ولغة السياسة والاقتصاد.

ان مفهوم ـ موضوع ـ الامامة كان الاساس في الخلاف بين السنة والشيعة.

فالخليفة عند السنة: تعقد له البيعة استنادا الى أربعة أركان هي: الكتاب والسنة النبوية والاجماع والقياس، أي القيام على تنفيذ أحكام الشريعة وتسيير شؤون الامة الاسلامية.

أما عند الشيعة : فانه لابد للمسلمين من امام يقوم بتنفيذ احكامهم وينص عليه، فالخليفة عندهم يسترط أن تجتمع في شخصه: السلطة القضائية ـــ والادارية ـــ والعسكرية.. في الدولة ومهما كان يشغل منصب الرئاسة في الدولة فليست له صفة أخرى سوى أنه خليفة. لسلفه، وقد تقلده بصفة بشرية كالانتخاب أو تعيين سلفه له ولم يتقلده بفضل ما يتصف به من صفات كافية في شخصه.

هذا بينما الخليفة عند أهل السنة ليست له سلطة روحية لها حق الهداية والارشاد.. على نقيض ذلك امام الشيعة، فهو بفضل الصفات الشخصية، التي أودعها الله فيه، يعتبره الشيعة هادي المسلمين وفقيههم ووارث رسالة النبي، كما أن الشيعة ترى في الامام أنه: منذ خلق الله آدم تسلسلت في أعقابه المجتبين الواحد بعد الاخر مادة نورانية الهية، انتهت بان وصلت الى صلب الجد المشترك لمحمد وعلي وحينئذ انقسم هذا النور الالهي الى جزأين: جزء أصابه عبد الله والد محمد، وجزء لأخيه ابي طالب والد علي، ومن علي انتقل هذا النور الى امام كل عصر جيلا بعد جيل، وإن وجود هذا النور الالهي الازلي في مادة الروح عند امام العصر ما يهبه قوى روحية فائقة

تتجاوز كثيرا المستوى البشري، فمادة روحه أنقى من روح الادميين، لخلوها من نزعات الشر وتحليها بالصفات القدسية، كما أن الشيعة تعتقد أن الامام المهدي لايصيبه جرح أو أذى، وقد يعد الناس هذه الصفة من خصائص النبي... ونظرا لذلك فالامام معصوم من الخطأ والعيوب والذنوب فهو كامل .

فهذا المذهب هو العقيدة الثابتة الراسخة عند الشيعة، ويعتبر أحد المبادئ الاساسية والاصول الايمانية في عقيدتهم الدينية، بينما تعتبر هذه الصفة، العصمة عند السنة محصورة في الانبياء فقط، كما أضفت الشيعة على - علي - علم الغيب - العلم الباطني، فهو قد ألم بما سوف يحدث حتى قيام الساعة.

فكان أول من طور مفهوم الامامة بشكل أكثر دقة وتنظيما هو الامام جعفر الصادق المتميز بمكانته وبعلمه الواسع وأصحابه وعلى رأسهم المرجعية الامامية ذات الشأن الرفيع - هشام بن الحكم ١٧٩ ـ ٧٩٥ م ـ فاصبحت المفهوم الاساسي في العقيدة الشيعية الامامية.

فكانت المبادئ المركزية الاساسية فيها هي تلك التي كان قد أكدها جعفر الصادق - في رده - على متطلبات الزمان المثيرة للتحدي وبرهنت على فعاليتها في تقوية امامته.

أولى هذه المبادئ : أن الامامة بالنص - وقد عرفت بانها حق خاص، ينعم به الله على شخص مختار من أهل البيت ويقوم هذا الشخص قبيل وفاته وبهداية الهية بنقل الامامة الى خلفه بواسطة نص واضح وجلي.

ولقد ادعى آخرون - الحق بامامة - النص .. الا أن جعفر - أمر أن تبقى متوضعة تبعا لمسؤولية النص - في فرد محدد - سواء كان لهذا الفرد حق مطالب به في الخلافة أم لا، أي أن هناك اماما صاحب حق موجودا بشكل دائم ومعروفا بالنص اجتمعت فيه جميع سلطات الامام الشرعي والوحيد، سواء كان يحكم الامة في زمانه أم لا، وعلاوة على ذلك فان اسبقية - النص - بالنسبة للامام جعفر - تعود للامام علي، الذي قتل غدرا في مسجد الكوفة عام ٤٠هـ، ٦٦١ م.

حيث يسود الاعتقاد لدى الشيعة بانه قد عين وصيا للنبي محمد وخليفة له، وقد بقي هذا النص الاول وهو الذي بدأه النبي، كما يقولون بناء على أمر أو وحي الهي في سلسلة الائمة الحسينيين، فقد انتقل على التوالي من : علي الى الحسن ثم الى الحسين وعلي زين العابدين، ومحم الباقر - حتى وصل الى جعفر الصادق، وهو الذي كان في تلك الفترة المدعي الوحيد من بين الاسرة العلوية لامامة النص.

وكان لمبدأ ـ النص ـ هذا نتيجتان هامتان : **الاولى هي** : أنه لم تعد هناك ضرورة بالنسبة للامام أن يثور على النظام القائم من أجل أن يصبح حاكما فعليا، فقد تم التفريق على أساس ذلك بين مؤسسي الامامة ـ والخلافة: الواحدة عن الاخرى، عن طريق السماح بوجود امام غير حاكم لم يكن ملزما بالقبض على سلطة الخلافة، اذا كانت الظروف لاتسمح بذلك.

الثانية هي : أن امامة النص وفرت اساسا هاما لاستمرارية الحركة الشيعية، لانها جعلت بالامكان استمرار كتلة مخالفة من الناس مرتبطة بسلسلة مستمرة من الائمة، بصرف النظر عن مصير حركات سياسية مخصوصة... الخ.

المبدأ الأساسي الثاني : هو الذي تضمنته عقيدة الامامة وارتبط بمبدأ النص بشكل وثيق وأكده جعفر الصادق أيضا، وهو أن الامامة تقوم على قاعدة من العلم والمعرفة الدينية الخاصة، ويصبح الامام صاحب الحق، في ضوء هذا العلم، الذي يأتي نتيجة الهام الهي وينتقل بالنص من الامام السابق المصدر المأذون الخالص المعرفة... بخصوص تحديد أمور الخير ـ والشر ـ للمسلمين والسير بهم على الصراط المستقيم.

وسيكتسب الامام تبعا لذلك الوظائف ذات الاهمية الكلية التي تهيء الهداية الروحية لمن يوليه، وتشرح المعنى الباطني للقرآن وأوامر الدين وأهميتها، حتى في الوقت الذي لايكون فيه منشغلا بوظيفة الحاكم الزمني للامة.

ويعتقد أن ذلك كان في زمن نشأة الحديث ومحاولات بناء أنظمة شاملة لحياة التقي، وهي التي صدرت بالنتيجة بشكل قانون الشريعة الكامل.

فقد اكتسب الامام جعفر الصادق ضمن هذا السياق، وبفضل امامة النص ونسبه العلوي الفاطمي مركزا فريدا بين جميع المراجع، كما نسب اليه أتباعه علما موثوقا لهداية أرواح وضمائر المؤمنين الحقيقيين، لاسيما وأنه قام بتهذيب مبدأ التقية وجعله أساس في العقيدة الدينية للشيعة.

ولهذا لم يكن مستغربا أن ينهل كل من: امام المذهب الحنفي السني ـ أبو حنيفة النعمان ـ ١٥٠ هـ ، ٧٦٧م ـ وإمام المذهب المالكي السني ـ مالك بن أنس ـ ١٧٩هـ، ٧٩٥م، من معين علمه الواسع (١) ، فقد كان من الخطر على الأئمة وأتباعهم

---

(١) فرهاد دفتري ـ الاسماعيليون ـ تاريخهم وعقائدهم ـ ترجمة : سيف الدين القصير ـ الجزء الاول ١٩٩٤ ص ٦٣ - ٦٦

الدعوة علنا الى معتقداتهم والاعلان على الملأ بأن أفرادا بعينهم غير الخلفاء الحاكمين قد تم تعيينهم بأمر الهي قادة دينيين للمسلمين، حيث وفرت ممارسة التقية حماية مناسبة للشيعة، من الملاحقة والاضطهاد، وخاصة الاسماعيلية فيما بعد.

كما جعل جعفر الصادق: من خلال تأكيده على الصفات الموروثة التي وهبها الله لكل من: النص ـ والعلم ـ أمر قداسة أهل البيت في تلك الآونة مقتصرا ليس على العلويين لاسيما الفاطميين منهم، مستثنيا العباسيين وجميع الهاشميين غير العلويين وحسب ـ بل على سلسلته الخاصة من الأئمة الحسينيين، والسبب هو أن الحسين كان قد ورث الامامة عن أخيه الحسن الذي لم تدع ذريته النص البتة.

فقد قام هذا المفهوم الذي تسمك به الاسماعيليون أيضا، على حاجة البشر الدائمة لامام له هداية الهية ومعصوم لايخطئ وموثوق في علمه ومرشد للناس في شؤونهم الدينية... وهو بخلاف النبي محمد ـ لايأتي برسالة جديدة وتشريع جديد كما حصل مع النبي المرسل وخاتم الانبياء، ومع ذلك إن الامام مخول بالقيادة الزمنية بنفس المقدار الذي هو مخول فيه للسلطة الدينية، الا أن تفويضه بالأمر لايعتمد على ممارسته الحكم فعليا ولا على محاولته الحصول على ذلك.

ويعتقد، اضافة الى ذلك، بأن محمد كان قد عين عليا بن أبي طالب وصيا وخليفة له بموجب نص جلي في ظل أمر الهي، غير أن أكثرية الصحابة تنكروا، كما يقولون، لهذا النص وارتدوا عنه، بتجاهلهم لهذه الوصية التي تؤكدها المصادر الشيعية وهي أن النبي محمد، وقف أثناء حجة الوداع عام " ١١هـ ، ٦٣٢م " وهو عام وفاته في غدير خم بين مكة والمدينة، وقال **وهو يأخذ بيد علي أمام الجميع،** " من كنت مولاه فعلي مولاه " فأخذها الشيعة حجة لأولوية علي بالخلافة وهذا هو المقصود بالنص الجلي، للامامة التي تنتقل من الاب الى الابن عن طريق النص بين ذرية علي وفاطمة الزهراء... وبعد الحسن والحسين في ذرية الاخير وحتى نهاية الزمان، فقد وهب الله هذا الامام، وهو الوارث لعلم محمد السري، أيضا علما خاصا وفهما تاما بجوانب القرآن ومعانيه وبالشريعة الاسلامية: الظاهرية ـ والباطنية معا.

فالعالم حقا لايخلو ولو للحظة واحدة، حسب ذلك، من امام هو حجة الله على الارض وحتى لو لم يبقى على وجه الارض سوى رجلين لكان أحدهما هو الامام، ولايمكن أن يكون هناك سوى امام واحد في وقت واحد، مع أنه من الممكن وجود امام صامت، أي خليفة الى جانبه.

وهذه هي الفكرة التي تعكس أثر تعاليم أبي الخطاب، أي أن وجود الامام في العالم الارضي هو من الضرورة بمكان، بحيث أن معرفته واطاعته أصبحتا الواجب المطلق لكل مؤمن ومؤمنه، ومن هنا كان الحديث الشهير الذي نقل عن الامام جعفر الصادق " من مات و لم يعرف امام زمانه مات كافرا ".

كما يذكر : إن المختار بن أبي عبيد الثقفي أول من أطلق على محمد بن علي ابن الحنفية ـ خولة ـ عام ٦٤هـ ، ٦٨٤م ـ مفهوم الامام المهدي المخلص المنقذ الذي سيقيم العدل على الارض، أيام كان في الكوفة وأصبح بعد وفاة محمد بن الحنفية عام " ٨١هـ ، ٧٠٠م " مفهوما دينيا وركيزة من ركائز العقيدة الدينية للشيعة، وخاصة في صفوف الموالي غير العرب.

وتعرف الوظيفة الروحية ذات الاهمية الكلية للامام في الفكر الشيعي، والتي تقوم على التفسير الباطني لمعاني التنزيل، الذي أعلنه النبي محمد، بالتأويل وأصبح مصطلح ولاية، طبقا للشيعة، في دائرة النبوة، وهي التي تمثل تبليغ شرائع ووظيفة نبوية ظاهرية، وقد وصلت مع النبي محمد الى نهايتها، ولكن عندما ظهرت الحاجة الدائمة الى وظيفة تأويلية ارتبطت بشرح المعنى السري الباطني للرسالة الاسلامية والشخص الذي من واجبه القيام بوظيفة التأويل والولاية، التي لاتنفصل عن الامامة في كل عصر هو الامام صاحب الحق، ومن خلال هذه الوظيفة أصبح الأئمة أولياء الله.

إن فكرة التأويل تؤكد الاعتقاد الشيعي بوجود البعدين: الظاهري والباطني، المنفصلين في جميع الكتب والتعاليم الدينية المقدسة. مما يستدعي بالضرورة الفهم الروحي لمعانيها الحقيقية المستورة وتأويلها، وهذه هي مهمة الامام. وقد وجدت الباطنية الشيعية تطورها الأكمل في الاسماعيلية. ولقد تميز ـ جعفر الصادق... بالتفاف المفكرين من حوله وبمقدرته على ضبط أكثر التيارات الفكرية تطرفا داخل حاشيته.

وكان أول من قال: بشرعية علي وبأحقيته في الامامة الخلافة هم : سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري ـ والمقداد بن الاسود الكندي ـ وعمار بن ياسر...الخ.(١)

أما الأئمة عند الشيعة الاثني عشرية فهم: علي بن أبي طالب ـ الحسن بن علي ـ الحسين بن علي ـ وذريته ، هم : علي زين العابدين ـ ومحمد الباقر ـ وجعفر الصادق ـ

---

(١) مرهاد دفتري ـ نفس المرجع السابق ص ٦٦

وموسى الكاظم - وعلي الرضا - ومحمد التقي - وعلي التقى - والحسن العسكري - ومحمد المهدي بن حسن - صاحب الزمان الذي مازال ظهوره منتظرا .

وكان الاسماعيليون قد اعترضوا على امامة موسى الكاظم وقالوا بأولوية شقيقه اسماعيل فانشقوا بسبب ذلك عن الشيعة الامامية الاثني عشرية، ودعوا بالسبعية.

أما الشيعة الزيدية - اليمنية فلم تقر بفكرة المهدي المستور - ولابفكرة النص في الامامة كمبدأ ولابوراثة الولاية، وقالوا يجب حصرها بأهل البيت، وفيما بعد بالفاطميين وحدهم، ولم يقروا الا بالامام الخامس، محمد الباقر فعرفوا بالخمسية.

أما القرامطة :وهم فرقة اسماعيلية، فقد عرفوا بالسبعية أيضا حيث قالوا : إن أولي العزم سبعة هم : نوح - ابراهيم - موسى - عيسى - محمد - علي - اسماعيل . (١).

وكان الفاطميون : هم أول من أطلق لقب المهدي على أول خليفة فاطمي هو - عبيد الله المهدي با لله - أمير المؤمنين عام ٢٩٢هـ - ٩١٠م ، حين تأسست دولتهم في الجزائر وتونس بعد انتصارهم على الاغالبة السنة، والمدراريين الخوارج في شرق المغرب وفي الجزائر وتونس، فقد كتب العديد من الكتاب السنة المشهورين - الكثير عن الفرق والتيارات الفكرية الشيعية وأهمهم: ابو الحسن الاشعري ٣٢٤هـ ٩٣٥م، والملطي ٣٧٧هـ ٩٩٧م، ومحمد ابو حامد الغزالي والبغدادي ٤٢٩هـ ١٠٣٧م، وابن حزم ٤٥٦هـ ١٠٦٤م، والشهرستاني ٥٤٨هـ ١١٥٣م... الخ. (٢).

فعلى الرغم من الخلافات والتباين في الاجتهادات والمسالك المذهبية بقي مفهوم الامامة متماثلا تقريبا، من حيث الجوهر، لاسيما في جانبه الاعتقادي بما في ذلك عصمة الامام، عند كافة فرق الشيعة، بما فيها اخوان الصفا.

موقف الفرق المختلفة من: الامامة ... والسلطة الدينية :-

كان أول من وضح هذه المسألة وقطع الطريق على من قالوا، فيما بعد، بعصمة الامام وبوجوب تطبيق السلطة الدينية في الحكم، هو الخليفة الراشدي الأول - أبو بكر

(١) د. فرهاد دفتري - نفس المرجع السابق ص ١٥٤ - ١٥٥

(٢) د. فرهاد دفتري - نفس المرجع السابق ص ١٢٦ - ١٣١

الصديق حين أكد أنه لايستطيع أن يسوس الناس بسياسة الرسول، لاختلاف الطبيعة بين من له سلطان ديني، ومن ليس له هذا السلطان، فقد نبه الناس الى أن الرسول كان يوحى اليه أما هو فكان له شيطانا كغيره من عباد الله، فاذا أخطأ فعليهم أن يقوموه... وذلك عندما خطب في الناس قائلا :" أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا منصب الخلافة، كارها ولو وددت أن فيكم من يكفيني أفتظنون أني أعمل فيكم بسنة رسول الله ؟! اذن لأقوم بها، إن رسول الله كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك وأن لي شيطانا يعتريني ألا فأعينوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوموني ". (١)

فلقد تبلور موقف معظم الفرق الاسلامية غير الشيعية، والعلماء والفلاسفة والمفكرين والمتنورين حيال: الامامة والولاية والسلطة الدينية على النحو التالي :

إن ماهو دين جاء به الوحي ــ وانتقل الى الناس في القرآن، الذي هو معجزة الرسول وأوكل أمر التدقيق والتبصر فيه الى العقل ، الذي هو ــ وكيل الله ــ في الانسان حين جعل اليه زمام اموره وقيادة نشاطاته... واذا كان العقل، كدليل، هو من خلق الله ـ والقرآن كدليل ـ من خلق الله، فيستحيل قيام التعارض الحقيقي أو التضاد بين دليلين خلقهما خالق واحد، وتعهد بواسطتهما معا مهمة هداية الانسان، فاذا حدث وبدا هناك تعارض بين ظاهر النص وبرهان العقل، وجب تأويل النص دون تعسف بما يتفق وبرهان العقل، حتى تتوافق في هداية البشر، الادلة النابعة من مصدر واحد، هو الله .

فلقد أجمع المسمون ـ كما يقول ابن رشد :"... على أنه ليس يجب أن تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها، فكل ما أدى اليه البرهان العقلي وخالفه ظاهر الشرع فان ذلك الظاهر بالقطع يقبل التأويل ".

وهذا هو على وجه التقريب، ماقالته فرقة المعتزلة من قبل، لاسيما حول خلق القرآن وتأويل النص، باعتبار القول ــ بقدم القرآن يجعله ندا لله في القدم... الخ. إن الدين لايعني التنكر للعقل وبراهينه، والايمان بالنصوص... لايتجافى مع المصالح المتحددة والمتطورة، بتجدد الحياة وتطورها... والاسلام يدعونا للنظر في سنن الله وقوانينه الكونية، التي تحكم تطور الحياة والمجتمعات، فهو يطلب منا الاستفادة في أمور

---

(١) د. محمد عمارة ـ الاسلام والسلطة الدينية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠ ص ١٦ .

دنيانا بكل ثمار العقل الانساني، سواء في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والادارة والانظمة والعلم عموما، فالدين الاسلامي قد شجع العقل على: النظر والتبصر والبحث والتدبر والاستقراء والتعلم... الخ. فهو يفرق بين العلوم الشرعية بأصول الدين وبين سواها من العلوم، فالعلوم التي تتعلق بالنبوة وباليوم الآخر وبالعبادات وبأركان الدين، هي علوم شرعية، والمرجع الاول فيها النصوص الموحى بها، وهذه هي علوم الدين، أما ما سواها من العلوم فانها علوم عقلية دنيوية، فقد جاءت ثمرة النشاط العقلي الانساني، المحكوم هنا بالحقائق المقررة المكتشفة في ميادين هذه العلوم... فهي علوم الحضارة العربية الاسلامية، وليست علوم الديانة الاسلامية، وهي علوم العقل الاسلامي وليست علوم الوحي الاسلامي، فليست هناك: كيمياء مسلمة وأخرى كافرة، وليس هناك جبر مؤمن وآخر كافر، لان وصف هذه العلوم بالاسلامية انما هو بالمعنى الحضاري وليس بالمعنى الديني، فالنص هو واحد من العلوم الاسلامية، رغم أن الأغلبية تراه علما خارجا عن نطاق علوم الشريعة، فهناك علم شريعة وآخر علم حقيقة وأهل الشريعة ــ وأهل الحقيقة، وكان علم الشريعة أداة البحث في علم الحقيقة، عند المتصوفة، الذين حاولوا التوفيق : بين الدين والفلسفة، ولم يكن في ذلك حرج أو إثم من الناحية الدينية.

فالمقصود هنا ـ بعلم الحقيقة، هو ما أبدعه العقل الانساني، على النحو الذي سبق شرحه، سواء كان اسلاميا أم غير ذلك، كما أن المقصود بالعقل الانساني، هو العقل الجماعي، لمجموع الافراد في المجتمع، عربيا كان أم عالميا، وليس العقل الفردي بحد ذاته لأنه، أي الفرد، أكثر عرضه للخطأ والزلل، من الجماعة، مهما بلغ نضجه ونبوغه العقلي، فاذا كان العقل الجماعي الذي هو كما تقول الجماعة الاسلامية، وكيل الله في الانسان على الارض، يخطئ ويصيب، فهل يعقل لفرد ما مهما بلغت منزلته العقلية أن يكون معصوما عن الخطأ؟!، لاسيما وأن محمدا كان خاتم الانبياء والرسل، الذين كان الوحي خير معين له، وهذا مايدحض، حسب رأي الفرق الاسلامية غير الشيعية، عصمة الامام... عند الشيعة.

أما عن تجليات السلطة الدينيةـ ومعرفة طبيعة المواقف والآراء ازاءها فلنرجع بداية، الى ما ساد قبل الاسلام كمدخل... ففي مصر القديمة كانت السلطة الدينية تستمد قداستها من ملوك وادي النيل أنفسهم، باعتبارهم آلهة أو وكلاء السماء على

الارض، مما كان يعطيهم الحق في اخضاع وتسخير واستغلال جهود العبيد الارقاء...الخ.

وفي فارس كانت كلمة الاكاسرة هي القانون والشريعة الالهيان، باعتبارهم كانوا يمثلون الاله ـ أهورا ـ مزدا ـ على الارض .

وفي العهد الاسلامي كان أول من أضفى على نظام حكمه وسلطته الزمنية ــ قداسة دينية **معاوية بن أبي سفيان، حين قال** :" الارض لله ــ وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي وما تركته للناس فبالفضل مني ". وبذلك جعل نفسه ناطقا باسم الخالق ومنفذا لارادته.

وبانتقال السلطة من الامويين الى العباسيين، لم تتغير فلسفة الحكم وقد تمسك الخلفاء الجدد باهداب السلطة الدينية، **فابو جعفر المنصور ٧١٤ ـ ٧٧٥، خطب في الناس قائلا:**" أيها الناس لقد اصبحنا لكم قادة وعنكم ذادة نحكمكم بحق الله الذي أولانا سلطانه الذي أعطانا، وانما انا سلطان الله في أرضه وحارسه على ماله جعلني عليه قفلا ان شاء أن يفتحني لاعطائكم وإن شاء أن يقفلني ". فجعل من تصرفاته ارادة الله وقانون السماء. حتى يبرر اطلاق يده وتفرده بالقرار ويبعد نفسه عن دائرة المساءلة والمحاسبة أمام الناس باعتباره وكيل الله على الارض وحسابه متروك لمن وكله يوم القيامة، لان الاقرار بمدينة السلطة يعني أن الحاكم وكيل عن الامة، وحينذاك تصبح محاسبته حقا من حقوقها.

وهكذا تصرفت المؤسسات الكهنوتية في أوربا أيضا حينما استندت الى السلطة الدينية، في الحكم على عقائد نفر من العلماء والفلاسفة والمفكرين المستنيرين، واحرقت بعض الكتب وحرمت بعض النظريات وحاربت عددا من الاختراعات والاكتشافات العلمية والفكرية في العصور المظلمة الوسطى.

كما لم تسلم العصور الاسلامية من الظلمة أيضا، حينما حاقت المحن بفلاسفة وعلماء ومفكرين وبمدارس وتيارات وحركات فكرية وسياسية اسلامية بأكملها، ومثال على ذلك المرسوم الذي أصدره الخليفة العباسي القادر "٩٩١ ــ ١٠٣١م " وحرم فيه فكر المعتزلة العقلاني وعده فسقا وكفرا وزندقة والحادا، بل وأحل دماء المخالفين لفكر المرسوم، مما أدى الى انتكاس حركة الخلق والابداع الفكري في حضارتنا... الامر الذي مهد لعصر الجمود والتخلف، وكان الوالي الاموي خالد بن عبد الله القسري " ٦٨٦ ـ ٧٤٣ م " قد نفذ مشيئة الخليفة الاموي هشام بن عبد

الملك، في ذبح المفكر الاسلامي الكبير ـ الجعد بن درهم " ٧٣٦م " يوم عيد الاضحى، لانه قال بخلق القرآن. كما تعرض الفيلسوف المسلم الكبير ابن رشد " ١١٢٦ ـ ١١٩٨م " الى الاضطاد والنفي وحربت فلسفته وأحرقت مؤلفاته، عندما وقف ضد نفر من الفقهاء من ذوي الافق الضيق، واستعانوا عليه بالسلطة الدينية، علما أن بناء الحضارة العربية الاسلامية التي بهرت مختلف الامم قام على ما قدمه أمثال هؤلاء المفكرين (١).

أما نظرية السلطة الدينية ـ فقد نشأت في الاساس باوربا، لتبرر المظالم التي كان يرتكبها أرباب السلطة الزمنية ـ أي المدنية، وفي مقدمتهم أرباب الكنيسة الاقطاعية، الذين كانت لهم سلطة عزل الملوك في اوربا، بموجب السلطة الدينية والحق الالهي.

أما في الحضارة العربية الاسلامية، فقد نشأت... على يد الشيعة في النصف الثاني من القرن الاول الهجري، ولكنها كانت على النقيض مع غايات تلك الاوربية، فالاسرة الاموية، ذات العصبية القبلية استنبدت بالسلطة والسلطان من دون الناس، وعلى يديها تحولت الشورى الى حكم وراثي والى ملك لآل مروان، وقد مارست بالمقابل الاضطهاد والقهر ضد حركات المعارضة عامة وضد الحركة الشيعية خاصة، فأمام السلوك اللاشرعي للخلفاء والحكام والولاة ونظام حكمهم، وأمام فشل سلطتهم في ستر فظائعها بستار ديني وفقدان الثقة فيها، ظهرت نظرية ـ السلطة الدينية ـ الحق الالهي، الشيعية، كرفض لسلطة البشر الظالمة، حيث نادت باستبدال سلطة البشر ـ المدنية، الظالمة، بسلطة السماء العادلة، التي قالوا أن لها وحدها الامر والنهي، وأن السماء عينت لها أئمة عصمتهم وحدهم من الخطأ والضلال، وأنه لاسلطان للبشر على سلطات هؤلاء الائمة سواء في التشريع أو التنفيذ، فحينما جاءت نظرية الحق الالهي، في اوربا المسيحية، لتبرر للسلطة الظالمة أعمالها... جاءت الشيعة لتعبر عن الشوق الى قلب السلطة الظالمة واستبدالها بسلطة العدل الالهي، أي رفض الظلم، والحكم بسلطان ذلك الامام الذي اختاره الله ووهبه العلم غير المحدود وعصمه كالرسل والانبياء من الخطأ والضلال... والذي سيملأ الارض عدلا بعد أن ملئت جورا.

---

(١) د. محمد عمارة ـ نفس المرجع السابق ص ٢٠ ـ ٢٤

بيد أن اختلاف النوايا والغايات لم يمنع اتحاد النتائج عند أصحاب نظرية السلطة الدينية والحق الالهي، في كلا الجانبين: كهنوت الكنيسة وملوك اوربا من جهة والشيعة من جهة ثانية، لان جعل النظام السياسي وقمة السلطة في المجتمع، ركنا من أركان الدين، وشأنا من شؤون السماء، قد أدى الى عزل البشر وأبعاد الامة عن أن تكون هي المصدر الاساس والأصلي للسلطة والسلطان، ولذلك وصل الفكر الشيعي، من خلال ذلك الى نفس النتائج التي وصل اليها أصحاب هذه النظرية في اوربا المسيحية في العصور الوسطى، خاصة عندما قررت الشيعة أن الامامة تقاس على النبوة، والامام مثل الرسول معصوم... وأنه وحده ينفرد بالعصمة من دون سائر أفراد الامة، لان الامة جميعها يجوز عليها الخطأ والاجتماع على الكفر والضلال وليس هناك معصوم سوى ذات الامام، وهذا تأليه لفرد، ترى الشيعة، أن له من الصفات والقدرات ما لا يشاركه فيها فرد آخر ولا الامة مجتمعة، كما ترى أن السلطة ليست مدنية لكي تتولاها الامة، وانما هي دينية تستأثر بها السماء التي أنابت عنها حاكما حسابه أمامها وليس أمام البشر المحكومين، وهذا أن لم يقصد به تحقير الامة وجماهيرها فهو على الاقل إلغاء لعقلها ولحقها ولدورها في أن تكون صاحبة الامر أولا وأخيرا[1] .

ولقد لجأت الشيعة، لتبرير ذلك الى استخدام المنطق النظري الشكلي الصوري، عندما قالت ان الانسان الفرد غير معصوم عن الخطأ... والامة لاتخرج عن أن تكون مجموعة الافراد المكونين لمجموعها، ومن ثم فان مجموع الامة غير معصوم، ولذلك لابد من وجود الفرد المتميز والمعصوم ـ الامام ـ ليكون ضمانا من الانحراف والضلال للامة كلها، كما جعلت من الولاية ركنا من أركان الدين أيضا. هذا في حين رفضت الفرق والتيارات.. الاسلامية الاخرى: كالمعتزلة والخوارج وفرق أهل السنة، هذه النظرية، حين قالت: ان السلطة مدنية وليست دينية، وان العصمة والثقة هي لمجموع الامة ليست لفرد من الافراد، فمجموع الامة ليس كما عدديا يجوز عليه الخطأ والضلال، كما هو جائز على كل فرد بذاته، حين يكون هو منفردا بالرأي والقرار، لان المجموع ليس حصيلة ضم أصفار الى بعضها وانما هو حالة كيفية جديدة تختلف عن حالات افراد المجموع اذا نظرنا لهم كأفراد متفرقين ومثال ذلك: أن الانسان لايرتوي من القطرة ولكنه يرتوي من مجموع القطرات، وهو لايشبع من اللقمة ولكنه

---

(1) د. محمد عمارة ـ نفس المرجع السابق ص ٣٠- ٣١.

يشبع من مجموعها، والفرق واضح بين قوة الشعرة وبين قوة الحبل المكون من مجموع الشعرات، ورأي الفرد ليس كرأي مجموع الافراد ، فللأمة مجتمعة مستوى من الصواب والحكمة والعبقرية لايتوافر للفرد أو لجماعتها اذا تفرقت، ولم يتوافر لها الاجتماع، وعليه فان العصمة قائمة ومتحققة للأمة.(١)

ان هذا الخلاف الذي نشأ ابان الحكم العربي الاسلامي ومايزال حتى اليوم... ليس في حقيقته خلافا نظريا.. وانما هو صراع بين من يريدون للأمة أن تكون كلمتها هي الدستور والقانون... وبين من يريدون التفرد والاستئثار والاستبداد بالسلطة، والسلطان باسم الدين .

فعندما حاول العرب في العصر الحديث، النهوض، منذ القرن التاسع عشر، لازاحة عصور الجمود والانحطاط والتخلف، التي تراكمت مابعد الحكم العباسي ولعب الدور الاساسي في صنعها المماليك والاتراك والعثمانيين ووجهوا بمشيخة الاسلام العثمانية التي أرادت أن تحمي المواريث الرجعية المتخلفة، التي شابت نقاء فكر وتراث الاسلام والمسلمين، المتقدم في تنظيم المجتمعات، وحاولت أن تجعل من سلاطين آل عثمان خلفاء لله على الارض وسيوفا مسلطة على رقاب العباد، ولقد لعبت هذه المشيخة الدور الاساس في احباط محاولات حركات التحرر الوطني القومي العربية، وخاصة عن طريق اشاعة الفكر الديني والمؤسس على الخرافة والشعوذة والمثبط لهمم الشعوب.. وعن طريق اضفاء القداسة الدينية على سلطان آل عثمان ونظام حكمهم، ومناهضة حركات الاصلاح الديني وخاصة ما يعتمد منها على العقل.. بزعم أنها غريبة عن البيئة الاسلامية ووافدة من اوربا، فمن خلال تقديس وحماية النظام السياسي الاجتماعي،.. العثماني دينيا كرس التخلف والاستبداد والقهر والاستغلال، حتى أصبح نقده أو الثورة عليه جرما دينيا وخطيئة يوصم أصحابها بالكفر والزندقة والالحاد والمروق، وكانت مثل هذه الاتهامات كافية لقتل من توجه اليهم ـ شرعا ـ حسب فتاوى تلك المشيخة، اذ سرعان ماكان ينفذ فيهم حكم الاعدام شنقا أو خوزقة، اذا ماوقعوا بايدي السلطة العثمانية.

---

(١) د. محمد عمارة ـ نفس المرجع السابق ص ٣٠ ـ ٣١

ومع ذلك فقد تصدت لها حركة الاصلاح الديني التي تصدرها كل من : جمال الدين الافغاني " ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م والامام الشيخ محمد عبده " ١٨٤٩ - ١٩٠٥م"، وعبد الرحمن الكواكبي... الخ. ووجهوا لها أشد السهام .

فقد كتب الامام محمد عبده عن موقف الاسلام من السلطة الدينية قائلا :" ان الاسلام ينكر جمع السلطتين في شخص واحد، ان الحاكم الاعلى في الدولة هو صاحب الامر في سياسة الامة وهو الذي يولي ويعزل أصحاب الوظائف الدينية، وليس في الاسلام تلك السلطة الدينية التي كانت للبابا عند الامم المسيحية، عندما كان يعزل الملوك ويحرم الامراء .. ويقرر الضرائب ويضع لها القوانين الالهية " .

ويقول :" انه ليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة الى الخير والتنفير من الشر، وهي سلطة خولها الله لادنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم، كما خولها لأعلاهم ليتناول بها أدناهم، أصل من أصول الاسلام ومأأجله من أصل، قلب السلطة الدينية والاتيان عليها من أساسها هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحا أثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولارسم، ولم يدع الاسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيدة أحد ولاسيطرة على ايمانه، على أن الرسول كان مبلغا ومذكرا لامهيمنا ولامسيطرا، وليس لمسلم مهما علا كعبه في الاسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد، والمسلمون يتناصحون وهم يقيمون أمة، اذ ينتخبون هيئة تدعو الى الخير وهم المراقبون عليها يردونها السبيل السوي اذا انحرفت عنه، وتلك الامة الهيئة ليس لها عليهم الا الدعوة والتذكير والانذار، ولايجوز لها ولا لأحد من الناس أن تتبع عورة أحد ولايسوغ لقوي ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد، وليس يجب على مسلم أن يأخذ عقيدة أو يتلقى أصول ما يعمل به أحد الا عن كتاب الله وسنة رسوله، لكل أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله، بدون توسيط أحد من سلف أو خلف وانما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله للفهم ، فليس في الاسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه ".

وقال أيضا :" ان بعض الناس يقولون لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للقاضي أو للمفتي أو لشيخ الاسلام ؟... **وأقول** : إن الاسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتحرير الاحكام، وكل سلطة تناولها أحد من هؤلاء فهي

سلطة مدنية، قدر الشرع الاسلامي... ولايسوغ لاحد منهم حق السيطرة على ايمان أحد أو عبادته لربه أو ينازعه في طريقة نظره... ".

وقال أيضا :" ان الايمان با لله يرفع الخضوع والاستعباد للرؤساء الذين استذلوا البشر بالسلطة الدينية، وهي دعوى القداسة والواسطة عند ا لله، ودعوى التشريع والقول على ا لله دون اذن ا لله، أو السلطة الدينية، وهي سلطة الملك والاستبداد، فالمؤمن لايرضى لنفسه أن يكون عبدا لبشر مثله، للقب ديني أو دنيوي وقد أعزه ا لله بالايمان، وانما أئمة الدين مبلغون لما شرعه ا لله، وأئمة الدنيا منفذون لاحكام ا لله وانما الخضوع لله ولشرعه لا لشخوصهم وألقابهم". (١)

فقد كان الشيخ محمد عبده من أعلام حركة الاصلاح والتجديد: والمعبرعن الأصول الجوهرية للفكر الاسلامي الاول الاصيل والنقي من الشوائب التي تسربت اليه.

فعلى الرغم مما سبق توضيحه مايزال هناك من يخالفون هذه الاراء والاحكام بالقول: " ان نظرية الاسلام السياسية تختلف جوهريا مع الديمقراطية السياسية، لان الديمقراطية هي حكم الشعب والامة، والسلطة فيها للشعب على حين أن السلطة في الاسلام هي لله وحده اذ هو الحاكم والحاكمية له ولاحاكم الا ا لله، وبذلك يحاولون فرض قواعد جبرية حتمية لا ارادية لنظام الحكم باسم الاسلام، لان الارادة الانسانية حسب قولهم تجعل القول الفصل في ذلك للأمة باعتبارها حقا من حقوقها، بينما هو حسب رأيهم خالصا لله. ولذلك فقددفعت البشرية والعرب والمسلمون ثمنا باهظا من التضحيات كي تتخلص من مثل هذه الفلسفات في نظم الحكم والتاريخ العربي الاسلامي يشهد على ذلك، **وفي هذا الخصوص قال ـ الامام جمال الدين الافغاني** :" ان على الامة أن تبايع حاكمها بعد أن تشترط عليه وبعد أن يقسم على الامانة والخضوع لقانونها الاساسي، الدستور ـ وتتوجه على هذا القسم وتعلنه له يبقى التاج على رأسه ما بقي محافظات أمينا على صون الدستور ـ وأنه اذا حنث بقسمه وخان دستور الامة، اما يبقى رأسه بلا تاج أو تاجه بلا رأس ". فالاسلام يدعوا المؤمنين به الى تأسيس نظمهم الدنيوية بارادتهم الحرة ووفق مصلحتهم

---

(١) د. محمد عمارة ـ نقلا عن الامام محمد عبدة ـ الاعمال الكاملة جزء ٣ ـ ص ٢٣٣ ـ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، في مؤلفة ـ الاسلام والسلطة الدينية ـ طبعة بيروت ١٩٧٢ ص ٣٥ ـ ٣٨

الاجتماعية وفي اطار مبادئه العامة ووصاياه الكلية، كما يدعوهم الى النظر في الحضارات المختلفة والاستفادة من كل التجارب الانسانية السابقة واللاحقة بصرف النظر عن عقائد أصحابها ومذاهبهم، وتاريخ الفكر الاسلامي شاهد على ذلك.

فقد استفاد عمر بن الخطاب واسترشد في تدوين الدواوين بتجارب الفرس المجوس والروم النصارى، رغم معارضة بعض الصحابة كما استفاد من النظام الضريبي الذي وضعه كسرى انو شروان ٥٧٩م. ومع ذلك مازلنا نواجه - اليوم - محاولات لاعادة عقارب الساعة الى الوراء، من قبل بعض التيارات والقوى الاصولية السلفية، ومعها من يحاولون التستر بالاسلام من تجار العلم والفكر والحكم والسياسية، لفرض سلطة دينية في حكم الامة، بدلا عن الامة ونيابه عن الله في الارض ؟. ومحاسبة العباد على معتقداتهم وطرق ومستويات ايمانهم... تماما كما كانت في القديم عندما فرضت على المجتمعات وثار حولها الجدل في حضارات قديمة، ودفع الانسان، عندما سادت - ثمنا غاليا من حريته وكرامته ورخائه وانسانيته.

ولم تكن محاكمة - الاستاذ الجامعي والمفكر المصري - نصر حامد ابو زيد - واصدار محكمة الاستئناف المصرية في حزيران ١٩٩٥م حكما عليه، بتكفيره واعتباره مرتدا عن الاسلام، بما في ذلك الحكم بتطليق زوجته منه، لعدم جواز بقاءها معه بعد ذلك، حسب شريعة هؤلاء المنسوبة للاسلام، مما يعني هدر دمه... الا نموذجا وثمرة من ثمرات السلطة الدينية، التي يحولون فرضها من جديد في القرن العشرين، الذي يتميز فيه العرب بتخلفهم عن الامم الاخرى المتقدمة بقرون عديدة، نتيجة ماورثوه، عن عهود الظلام... ففي حين تحاول أمتنا في الحاضر اختزال الزمن، من خلال ما تقدمه من تضحيات... للتخلص من الاضطهاد والتبعية والتخلف بانتزاع حقها في الوجود حرة مستقلة وموحدة، واللحاق بغيرها... وفرض مكانتها والاضطلاع بدورها الحضاري من جديد، يحاول دعاة السلطة الدينية ومن هم في صفهم من المستغلين الانتهازيين، الذين دينهم ومعبودهم المال وليس شيئا آخر تكريس الواقع العربي الراهن بصرف النظر عن نواياهم ودورهم في محاربة الاستعمار والمفسدين والمستغلين والمتسلطين في الحكم وخارجه - على طريقتهم الخاصة - سواء كانت مقبولة من قبل البعض ومرفوضة من قبل آخرين في الدولة والمجتمع معا، **فالاعمال لاتقاس بظواهرها** بل بنتائجها وأهدافها الحقيقية وفيما اذا كانت خطوة للامام أم للوراء بالمقياسين : الديني والدنيوي العقلاني... معا.

فأبو زيد لم يرتكب جريمة دينية، عندما تناول ـ النص ـ بالتأويل والتفسير العقلاني كما فعل العديد من أهل الفرق والتيارات والعلماء والفلاسفة ـ المسلمين المتنورين من قبل، وحاول تبيان دور : الدين ـ والعقل البشري ـ وحدود ـ سلطة كل من: الدين ــ والبشر في الحياة الدنيا.

ولنقرأ ، بهذا الخصوص بعض ما نشرته ـ مجلة الكفاح العربي في عددها ٨٨٢ بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٩٥ م ـ عن مقالة للدكتور أبو زيد تحت عنوان : الفكر الديني بين المعرفة والهيمنة :" في كتابه ـ النص ـ العالم ـ الحقيقة ـ يحاور المفكر د. ابو زيد : الفكر الديني بين ارادة المعرفة وارادة الهيمنة، حيث يبرز الاسلوب العلمي الجاد والبعيد عن كل ما أتهم به من قبل أولئك الذين لايتحملون أي نقاش لأرائهم، ويتمسكون بقراءة النصوص تفرض هيمنتهم وتؤدي الى تجميد الفكر ضمن دائرة تتسع دائما للمحظورات والمحرمات وتؤدي امام كل منعطف الى اعادة الفكر الى الوراء وتمنع أي انفتاح لمناقشة افكارنا بالاستفادة من كل منتجزات الحقول العلمية والمعرفية ـ وهاهو ـ ابو زيد ـ يؤكد على أنه حين يقتحم ببعض أسئلته دوائر المحظور والمحرم، في الوعي الديني السائد والمسيطر، لايقتحمها الا بوصفه خطابا بدوره، لايزعم لنفسه امتلاك الحقيقة، وان الغاية من ذلك كله استنباط الجوهري والانساني والمعرفي، وتعرية المرحلي والعرقي والايديولوجي، انه هنا ينكر على أولئك الذين يتهمونه، احلال انفسهم محل الله، في تفسير وتأويل ما أوحي به فينسبون لأنفسهم المعرفة، وهذا لايعني شيئا سوى الدفاع عن سلطة لاهوتية يغلفونها بكلام عن امساكهم بالحقيقة الالهية، بينما غيرهم على ضلال ، قضية أبو زيد ـ هي قضية المعرفة والتنوير في مواجهة التجهيل والاظلام، ومعركة التجديد في مواجهة الجمود".

ونحن نقول : ان المسلمين لم يحققوا ما حققوا من تقدم حضاري ومن نفوذ عالمي ومن مكانة رفيعة تميزوا بها على أمم الأرض الاخرى، ابان عصرهم الذهبي، الا بقوة الحجة وعدالة الدعوة واستقامة العقول وإيمان واخلاص من حملوا مشعل الدعوة ونشروها بالحسنى وبمنطق الاقناع ومخاطبة العقل ودون اكراه أو تعسف في الدين، وبفضل توغلهم في مباحث الفلسفة والعلم وتفسير الدين تفسيرا عقلانيا، عندما وازنوا بين أوامر السماء ومعطيات العقل وحاجات البشر في الحياة الدنيا، لكي يمكن مماشاة التطور وبلوغ الغايات... الدينية والدنيوية والانسانية النبيلة، في كل عصر، فالاية الكريمة تقول "... والله خلقكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم

السمع والافئدة والابصار لعلكم تشكرون ". ومعناها وجوب التبصـر... واستعما ل العقل... الخ.

فـالدين ـ كمـا هـو في حقيقتـه وغاياتـه، لايقـف حجـر عـثرة في طريـق الانسـان وطموحاته الخيرة، و لم يفرض من القيود ويحدد ما حدد من الحـدود والنواهـي ليكبـل العقل ويشل نشاطاته وفعالياته بل على العكس من ذلـك فقـد جعلـه المقيـاس للايمـان الحقيقي والوسيلة لتعرف الانسان على الخالق ولتصريف شؤون الحياة الدنيا التي أوكل أمر ادارتها الى العقل وضمن الحـدود الـتي حـددت لـه في النصـوص القدسية... الـتي أعطاه حق تفسيرها تحت طائلة الثواب والعقاب يوم الحسـاب في الآخـرة، أي أن ا لله لم يشأ وضع الانسان في دائرة نصوص كتيمة مغلقة لاتقبـل التفسـير والتـأويل، علـى أكثر من وجه، بدليل توغل علمـاء الديـن في الاجتهـاد الـذي تعـددت طرائقـه بتعـدد المذاهب الاسلامية وهو دليل على عدم التحريم....

اذ تقول الاية :" وقل اعملوا فسيرى ا لله عملكم ". وتقـول اخـرى :" وان ليـس للانسان الا ما سعى ". فالعمل والسـعي ايـا كـانت وجهتهمـا وطبيعتهمـا للعبـادة أو للرزق والاعمار ... لايستقيمان أو يعطيـان ثمارهمـا الا بامعـان العقـل في الاشـياء... والتبصر في امور الدين والدنيا والتزود بالمعرفة والعلم وتجاوز مـاهو معلـوم الى مـا هـو مجهول مما أبدعه ا لله في هذا الكون الفسيح، فا لله يطالبنا، عـبر النصـوص القرآنيـة، أن ندقق فيه لنطلع على ما فيه من اعجاز ومن آيات تدل على عظمة الخالق، بما في ذلـك معجزة خلـق القعـل الانسـاني ذاتـه، الـذي لم يخلقـه بهـذه الصـورة البديعـة والقـدرة الفائقة... وأعزه وميزه به عن سائر المخلوقات، ليضعـه في قمقـم، ويحجـر عليـه، بـل ليكـون المـرآة الـتي تعكـس وجـوده وتجعلـه نائبـا عنـه في الارض محـرر الارادة ومخـير التصرف، حتى ولو تعرض للشطط احيانا فالمثيب والمعاقب، في مثـل هـذه الحالـة هـو ا لله، وليس للبشر حق في تنصيب أنفسـهم مكـان ا لله، يحاسـبون النـاس علـى أفعـالهم وأعمالهم، فالحكم لله من قبل ومن بعد، وهو ولي الجميع والطاعة له وحده ولرسـوله ولمن يسير على صراطه المستقيم من أولي الامر.

فالاية الكريمة تقول " من عمل صالحا فلنفسه ومـن أسـاء فعليهـا ومـاربك بظـلام للعبيد". و لم تقل فمن أساء فلغيره ـ من الناحية الدينيـة طبعـا، لـيزعـم هـذا الغـير حـق التدخل ويمارس الاكراه، حيث لااكراه في الدين، لاسيما وأن جوهر الايمان يكمـن في النوايا واغماق النفوس التي لايعلم خباياها الا ا لله، ولذلك قال الرسول " انما الاعمـال

بالنيات ولكل امرئ مانوى " فما دام الواقع كذلك فكيف يمكن المحاسبة على الظواهر، ممن لايملك هذا الحق، في أمور الدين ؟، فلو اجزنا جدلا، حق البعض في محاسبة البعض الاخر من الناس، واصدار الاحكام كالتي صدرت بحق د.ابو زيد، فهل يعني ذلك جوازها شرعا ودون ظلم أو اثم أو شطط؟. وان اقدم... فمن لايعلم النوايا الخبيئة في النفوس لاسيما فيما يتصل منها بالدين يعجز عن محاكمة العباد، وان اقدم فيلسوف يكون حكمه باطلا وجائرا لامحالة، كما أن القوانين الوضعية في المجتمع لاتحاسب هي الاخرى على النوايا الا اذا انعقدت النية واقترنت بالشروع والاقدام على الفعل الجرمي، الذي يمكن في مثل هذه الحالة أن تدل عليه القائن والادوات والاثار الجرمية وماشابه... في حالة الغموض وعدم وجود شهود... الخ. والا فلاحكم... اما بامور الدين وعلاقة المخلوق بالخالق ، التي هي خاصة وذاتية... فالامر مختلف تماما، خاصة وان المحاسبة فيها تعود لله وحده وليس للبشر الذين يحاولون أن يجعلوا من انفسهم انصاف آلهة ؟

اذا فالقضية هنا، في جوهرها هي قضية صراع بين نمطين من التفكير ونهجين مختلفين من الممارسة: اجتماعيا ـ واقتصاديا ـ وسياسيا ـ وثقافيا ـ وسلوكيا ـ ومصلحيا... فلكل منهما نظرته ونظريته ـ للماضي والحاضر والمستقبل، وله مواقفه المضادة للاخر ـ من الواقع الراهن بجميع تعقيداته وتحدياته وأشكالاته وأزماته وتجلياته.. وكيفية مواجهته وأسس وشروط تقويمه... الخ.

فالاول يحاول تكريس السلفي الموروث وحده والدفاع عن الماضي ودون تفريق بين سلبياته ـ وايجابياته، والتشبث بقيمه ومفاهيمه واعرافه... كما هي ودون نقد أو تقييم وتقويم أو تغيير، حتى ولو كان ذلك ضارا بحاضر ومستقبل الأمة، أي أنه مقاوم للتغيير والتطور والتقدم، مهما كانت ضروراته وايجابياته العامة، لانه يضر بمصالح من هم على رأس هذا النمط وهذا النهج ومن هم على شاكلتهم من ذوي تغليب المصالح الخاصة على العامة ومعهم الاتباع والمخدوعين من العامة عموما، في المجتمع الطبقي الراهن الموروث... ولذلك فهم يحاولون تأويل وتفسير واستخدام التراث والاسلام كدين، استخداما نفعيا رخيصا ، وبذات الوقت تحريم التفسير والاجتهاد والتأويل والنقد العقلاني على سواهم من المسلمين أنفسهم، حتى ولو كان بناءا وايجابيا روحيا ودنيويا، ليتسنى لهم التفرد وتلوين قيمه... باللون المناسب الذي يخدم مصالحهم في كل مرحلة، ففي مرحلة المد القومي العربي في هذا القرن العشرين، أيام التصادم

الشامل مع قوى الاستعمار، جعلوه معاد للاستعمار والصهيونية، وفي مرحلة المد الاشتراكي، أثر ذلك، جعلوه اشتراكيا، وفي مرحلة المفاوضات والمساومات... الراهنة من أجل تحقيق مايسمى بالسلام في الشرق الاوسط، جعلوه دين السلام والتسامح... وذلك حفاظا على مصالحهم الخاصة، أي أن الاسلام تحول في تفكير وممارسات هؤلاء الى وسيلة ومصدر قوة كفيلة بارهاب خصومهم وفرض الهزيمة والاستسلام عليهم في آخر المطاف، كما يأملون، و لم يعد منظومة المفاهيم والقيم... الروحية والاخلاقية... الحقة التي يدين بها ابناء المجتمع العربي، فقد استطاعوا فعلا استغلال البسطاء وابتزاز الكثرة من الناس، باساليبهم تلك، خلال محاولاتهم وممارساتهم المتطرفة ـ لفرض نمط تفكيرهم ونهجهم وبسط سيطرتهمعلى المجتمع والدولة معا، في أكثر من قطر عربي في هذه المرحلة من تاريخ امتنا التي تواجه أخطر التحديات المصيرية ـــ وأصعب الازمات... الشاملة التي تحتاج الى حلول سريعة وناجحة... أما أصحاب النمط، والنهج الثاني، المضاد للاول، أي المتنورين والعلمانيين، غير الملحدين، كما يتهمهم أصحاب النمط الاول، من باب الارهاب والابتزاز الرخيص... فهم يحاولون، أي اصحاب النمط الثاني، فهم التراث والدين فهما عقلانيا، بعيدا عن الغايات والمقاصد والمصالح الشخصية أو الفئوية... وذلك انطلاقا من الحرص على مصالح الامة وتطلعاتها نحو مستقبل مشرق أفضل، من خلال الاسهام بجهودهم الخيرة وعطائهم الفكري... لحفز وتطوير وتثمير الوعي العلمي... ودفع عجلة التقدم والابداع... على كافة المستويات وفي كل الميادين خطوات نوعية الى الامام. وهو السلاح الاكثر فعالية وتأثيرا في الذود عن حياضنا وحماية وجودنا وطنا وبشرا ودينا وتراث وثروات وحضارة، وتحقيق التقدم والعدالة والرخاء... لمجتمعنا والمكانة المرموقة لامتنا العربية... مع التمسك بما في التراث من قيم معرفية واخلاقية ودينية، اضافة الى الحؤول دون استخدام التراث والدين استخداما نفعيا رخيصا.

ودراسة التاريخ والتراث دراسة نقدية عقلانية لايحدها قداسة، كتلك التي اضفاها البشر عليه، رغم أنه نتاج للفكر البشري... بما في ذلك تاريخ الفرق والتيارات والاتجاهات الفقهية والكلامية والفلسفية، أي نقد الخطاب الديني النقلي السلفي الموروث، الذي هو بشري المنبت، والذي ينفي العقل ودوره المبدع ويعاديه، كتعبير عن مصالح بشرية متضادة ومتصارعة، منذ وجدت تلك الفرق... والذي يجعل من

الاجتهاد... بدعة والبدعة ضلالة، والضلالة في النار، وهو يختلف بالتأكيد عن النص الديني اي القرآني .

فالخطاب الديني النقلي السلفي، يتسق بطبيعته وغاياته وأهدافه، كما هو تاريخيا، مع أي نظام سياسي... حتى ولو كان متسلطا ومستبدا واستغلاليا، فهو يكرس، من حيث المبدأ، منهج تعليم المسلمين، فروض ومعنى، الطاعة العمياء غالبا، للشيخ للأمير للحاكم للخليفة.. الخ. ويعتبر مخالفة ذلك مساس بالاسلام كدين، رغم أن ذلك غير صحيح، وهكذا يصل اشهار سلاح الدين الى ارهاب وابتزاز وكم أفواه البشر وقمعهم ماديا ومعنويا واستلاب حقوقهم، وحرياتهم... وانتهاك حرماتهم ومضاجع ومخادع الازواج وآدمية وانسانية البشر وتقويض دعائم حرية التفكير وابداء الرأي وحق ممارسة النقد البناء وعموم الحريات الديمقراطية، لذلك فالاسلام كدين براء من مثل هذا الارهاب والاستبداد والطغيان، فالقضية هنا اذن، ليست قضية حقوق فردية، كقضية د. ابو زيد، الذي اتهم من قبل اصحاب النمط والنهج الاول: بالزندقة والمروق والالحاد والارتدا د عن الاسلام والافتاء بتطليق زوجته منه، ظلما وعدوانا، فحسب وانما هي قضية أمة، قضية حياة مجتمع ومستقبل اجيال، قضية تاريخ وحضارة، قضية الحرية الفكرية والاجتماعية والسياسية، قضية التقدم... في مواجهة التجهيل والتخلف لابناء المجتمع العربي في الحاضر والمستقبل معا.

الفصل الثامن :

عوامل ومستويات التطور والتقدم الحضاري العربي الاسلامي

كان للفتوحات العربية الاسلامية الواسعة، ولتحرير المستضعفين والفعلة المنتجين والعديد من المجتمعات وتوحيدها، في اطار الدولة العربية الاسلامية، والحد من الظلم والاضطهاد والاستغلال واشاعة العدل والمساواة، والغاء الحدود والحواجز، وتوحيد السوق، والانفتاح على العالم، وتدفق الاموال والثروات على بيت المال، والتبادل والتناقل والتفاعل والتمازج، المعرفي ـ الثقافي والفلسفي والعلمي والحضاري عموما، الاثر الكبير جدا في التقدم بوتائر مضطردة وشاملة في كل الميادين بما في ذلك تطور قوى وأنماط وعلاقات الانتاج، والتقدم في الزراعة والصناعة الحرفية والتجارة والعمران والخدمات، والاستغلال الامثل للطاقات البشرية والموارد الطبيعية، مما أدى الى نمو ونهوض وازدهار : اقتصادي ـ اجتماعي ـ وثقافي وعلمي، والى تحولات تقدمية هامة في كافة البنى والنظم والمعايير والقيم: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحقوقية والفكرية والفلسفية والاخلاقية... والى قفزات حضارية كبيرة وشاملة.

ويمكن القول: إن الصراع: المذهبي الديني والفكري والفلسفي والسياسي والحقوقي: الاجتماعي ـ الاقتصادي، والمواجهات بين مختلف التيارات والحركات والفرق، قد أسهم والى حد كبير في تحقيق النهوض والتقدم، وفي التعمق في الفلسفة والعلوم، ونشوء علم الكلام واتساع نطاق الجدل العلمي والمحاكمات المنطقية العقلية، والى نشوء التصوف الذي حاول أصحابه الجمع بين الدين والفلسفة، ومن أبرزهم ـ محي الدين بن العربي، والى تقدم حضاري متميز... ويشهد على ذلك ماتحقق من ازدهار شامل منذ الفتح العربي الاسلامي وحتى القرن الحادي عشر ميلادي، حيث برز العديد من الفلاسفة والعلماء... والاساتذة العرب في كل الميادين، سواء في المشرق أو في الاندلس.

ففي القرن الرابع الهجري، الذي اعتبر على سبيل المثال، بالعصر الذهبي للفلسفة والعلوم، اتسعت وبشكل متميز حركة الجدل والمناقشات... وأطلق العنان لملكات العقل وتحكيم المنطق، كما اتسعت عمليات التفاعل بين مختلف الافكار والنظريات والتيارات لدرجة أصبح معها التفكير وفقا للمنهج الفلسفي العلمي هو السائد.

فقد برز ولمع، على الساح خلال القرنين الثالث والرابع هـ، العديد من الفلاسفة والعلماء من أمثال الفارابي وأبو حيان التوحيدي، وابن سينا، والرازي، والبيروني، وابو العلاء المعري ... الخ.

فقد ظل كتاب أبو علي ـ الشيخ الرئيس ابن سينا ــ القانون مرجعا للاوربيين في جامعاتهم الطبية الى أواخر القرن السابع م، كما كانت فلسفته المعين لابن رشد وأول كتاب ترجمه الاوربيون الى لغاتهم كان كتاب القانون.

ففي كتاب المقابسات، يذكر ابو حيان التوحيدي ٤١٤ ــ ١٠٢٣، بأن بغداد كانت في القرن الرابع هـ تعج بمباحث الفلسفة الالهية والطبيعية فكانت جميع المسائل بما فيها اللغة والاداب، تخضع الى معايير فلسفية ونفسية حسب وجهة نظره، كالنفس والعقل والزمان والمكان العلوي والسفلي، الخليقة ـ الميعاد ـ المادة ـ الجوهر ـ النقطة ــ العناصر ــ علاقة النحو العربي بالمنطق اليوناني... والخير والشر والفضيلة والرذيلة...الخ.

فهؤلاء الذين تقابسوا وجمعت بينهم كلمة العلم والحكمة، كانوا يتوافدون على بغداد على مختلف مشاربهم ومللهم، شوقا للمعرفة وسعيا وراء العلم فنبغ منهم: الاطباء والرياضيون والفلكيون والمؤرخون والادباء، ومنهم: ابو سليمان السجستاني الذي تتلمذ على أيدي الفارابي، ومحمد بن طاهر بن بهرام المنطقي ٣٥٧ ــ ٩٨٥م " وهو عالم في الفلسفة أو الحكمة والمنطق ومن أشهر مؤلفاته ـ صوان الحكمة، ويحيى بن عدي ٢٨٠ـ٣٦٤ ـ ٨٩٤ ــ ٩٧٥ ـ وهو فيلسوف اخلاقي مشهور وحكيم، وآلت اليه رئاسة المناطقة في بغداد، وأشهر مؤلفاته تهذيب الاخلاق وترجم عددا من الكتب اليونانية عن السريانية، والحسن بن السمح البغدادي ١٠٢٧م، وله كتاب المنظور ـ وتعليقات على كتاب الطبيعة لارسطو.

- ابو اسحق الصابي ٩٢٥م وكان نابغة عصره في الادب.
- أبو الحسن البديهي الشهرزوري ٩٩٠ م اشتهر في الفلسفة.
- أبو القاسم الانطاكي ٩٨٧م اشتهر في الحساب والهندسة والفلسفة.
- أبو الخير الحسن بن سوار ٩٤٣ ـ ١٠٢٠م اشتهر في الفلسفة اليونانية.
- أبو الحسن العامري المتوفى ٩٩١م عالم في المنطق والفلسفة اليونانية.
- ثابت بن سنان المتوفى ٩٧٦م طبيبا ومؤرخا.
- الرماني النحوي ٩٠٨ ـ ٩٩٤ م فقيه في اللغة والنحو وله حوالي مئة كتاب فيهما.
- بن زرعة البغدادي ٩٧٢ ـ ١٠٥٦م فيلسوف منطقي مشهور ومترجم عن السريانية واليونانية.

- أبو القاسم غلام زحل البغدادي المتوفى ٩٨٦م مشهور بعلوم الفلك والحساب.
- عيسى بن علي الجراح ٩١٤ - ١٠٠١ م من علماء المنطق وعلوم الاوائل.
- أبو سعيد السيرافي ٨٩٧ - ٩٧٩م امام في اللغة والنحو.

وغيرهم الكثير مثل : ابي العباس البخاري - وابي الفتح الشوشجاني - وابي بكر الصيمري - وابن عبد الكاتب ابو محمد الاندلسي النحوي - والخوارزمي الكاتب - وابن مقداد - وماقية المجوسي - وابي بكر القومسي - وابي اسحق النصيبي - ونظيف الرومي - ووهب بن يعيش - وابن العميد .... الخ[١]».

فاذا كان القرن الرابع هـ قد أعطى هذه الثمرات فكيف كان حال القرون الاخرى السابقة واللاحقة في هذه الميادين وسواها ؟! فلا شك بأنها زخرت بالكثير.

ففي علم الفلك :

برع العرب المسلمون في علم الفلك فنبغ منهم - ابو عبد الله محمد بن سنان جابر البتاني، الذي قال عنه المؤرخون أنه كان أحد أشهر الفلكيين في العالم في القرن الثامن ميلادي، وقد استخدم الهندسة والجبر وحساب المثلثات في دراسة علم الفلك ووضع كتابا فيه أسماه " الزيج الصابي وعلم النجوم " علل فيه حركات القمر والكواكب وترجم الى اللاتينية عام ١٥٣٧ واعيد طبعه مرة أخرى عام ١٦٤٥ أما نسخته الخطية فمازالت محفوظة في مكتبة الفاتيكان.

وكان الفرغاني - من أوائل الفلكيين المسلمين في عصر المأمون ومن أهم اعماله: تحديد قطر ومحيط الكرة الارضية - واقطار بعض الكواكب والابعاد بينها.

وقد أكد العرب كروية الارض كما جاء في كتاب - عجائب المخلوقات - للقزويني - وكان عمر الخيام قد أعد تقويما بالغ الدقة عن أيام السنة عام ١٠٧٩م.

وكتب العرب عن الكلف الشمسية ودرسوا القبة السماوية ورسموا الخرائط للنجوم المنظورة في فلكها وأطلقوا عليها أسماء عربية استمرت حتى اليوم، وحسبوا حركة التراجع البطيئة لنقطتي الاعتدال على الخسوف ، وسبقوا - كبلر وكوبر نيك - في اكتشاف الكواكب السيارة، وقالوا أن أفلاكها بيضوية، وهناك جداول تشرح

(١) خير الله سعيد - المرجع السابق ص ١٥ - ١٧

حركات الكواكب في أي وقت من الاوقات قد ورد ذكرها في " الزيج العربي، وأشهرها " زيج الخوارزمي، وزيج البتاني وزيج أبو الوفا، وأزياج المأمون " وكان العالم - جمشيد غياث الدين الكاشي استاذا في علم الفلك والرياضيات في جامعة "سمرقند" باوزيكستان، وله كتاب " مفتاح الحساب " الذي قامت على أساسه المسطرة الحاسبة... وقد أوجد نسبة القطر الى المحيط في الدائرة، كما أوجد الخسوف والكسوف وما يتعلق بهما من حسابات، وقد أكدت ذلك د.يغمريد هونكه الالمانية في كتابها " شمس العرب تسطع على الغرب " كما أوجدوا ورسموا دائرة البروج ومنازل الشمس، أي الدائرة الكبيرة التي تسير عليها الشمس أثناء حركتها الظاهرية السنوية في السماء ويميل مستواها على مستوى دائرة الاستواء السماوي بمقدار ثلاث وعشرين درجة وثمان وعشرين دقيقة حسب الحسابات الحديثة، وتتقاطع مع دائرة الاستواء المساوي في نقطتي الاعتدال الربيعي والخريفي، ونقطة الاعتدال الربيعي، هي النقطة الواقعة على دائرة المعدل، التي عندها تعبر الشمس دائرة المعدل الربيعي في الحادي والعشرين من آذار حال مرورها من نصف الكرة الجنوبي الى النصف الشمالي، ويحدد موقعها عند برج الحمل، ونقطة الاعتدال الخريفي هي النقطة الواقعة على دائرة المعدل التي عندها تعبر الشمس دائرة المعدل وقت الاعتدال الخريفي في الثالث والعشرين من أيلول حال مرورها من النصف الشمالي الى النصف الجنوبي، ويحدد موقعها عند برج الميزان، وسميت كل منهما بنقطة الاعتدال لانه عند حلول الشمس في احدى هاتي النقطتين تكون موجودة على دائرة المعدل، وفي هذين اليومين يتساوى الليل والنهار.

والعقدة هي نقطة تقاطع مدار نجم ودائرة البروج فاذا كان النجم أو الكوكب متقدما من الجنوب نحو الشمال فنقطة تقاطع فلكه ودائرة البروج هي عقدته الصاعدة، واذا كان متقدما من الشمال نحو الجنوب فنقطة تقاطع فلكه ودائرة البروج هي العقدة النازلة، وبينهما مئة وثمانون درجة (١).

ولما كانت الدورة الكاملة للارض وهي " ٣٦٠ " درجة وتتم في " ٢٤ " ساعة فالساعة تساوي " ١٥ " درجة والدرجة الواحدة تعادل " ٤ " دقائق ، وكذلك تقابل الدقيقة الزمنية " ١٥ " دقيقة قوسية ، والثانية الزمنية " ١٥ " ثانية قوسية .. فيبدأ

---

(١)عبد الكريم محمد نصر - الفلك العملي - دمشق ١٩٨٧ ، ص ٢ - ٦

القياس من نقطة الصفر من دائرة نصف النهار في اتجاه الغرب، لان الكواكب تسير في الظاهر من الشرق الى الغرب.

فعندما قاس العلماء العرب في عهد المأمون طول الدرجة ومحيط الارض فحددوا طول الدرجة الواحدة " ٥٦ " ميلا وربع والميل العربي " ٢١٦٤ مترا " فيكون طول الدرجة " ١٢١٧٢٥ مترا "[١]أما في علم الفلك الحديث فان طول الدرجة هو حوالي " ١٦٦ - ١١١ كم .

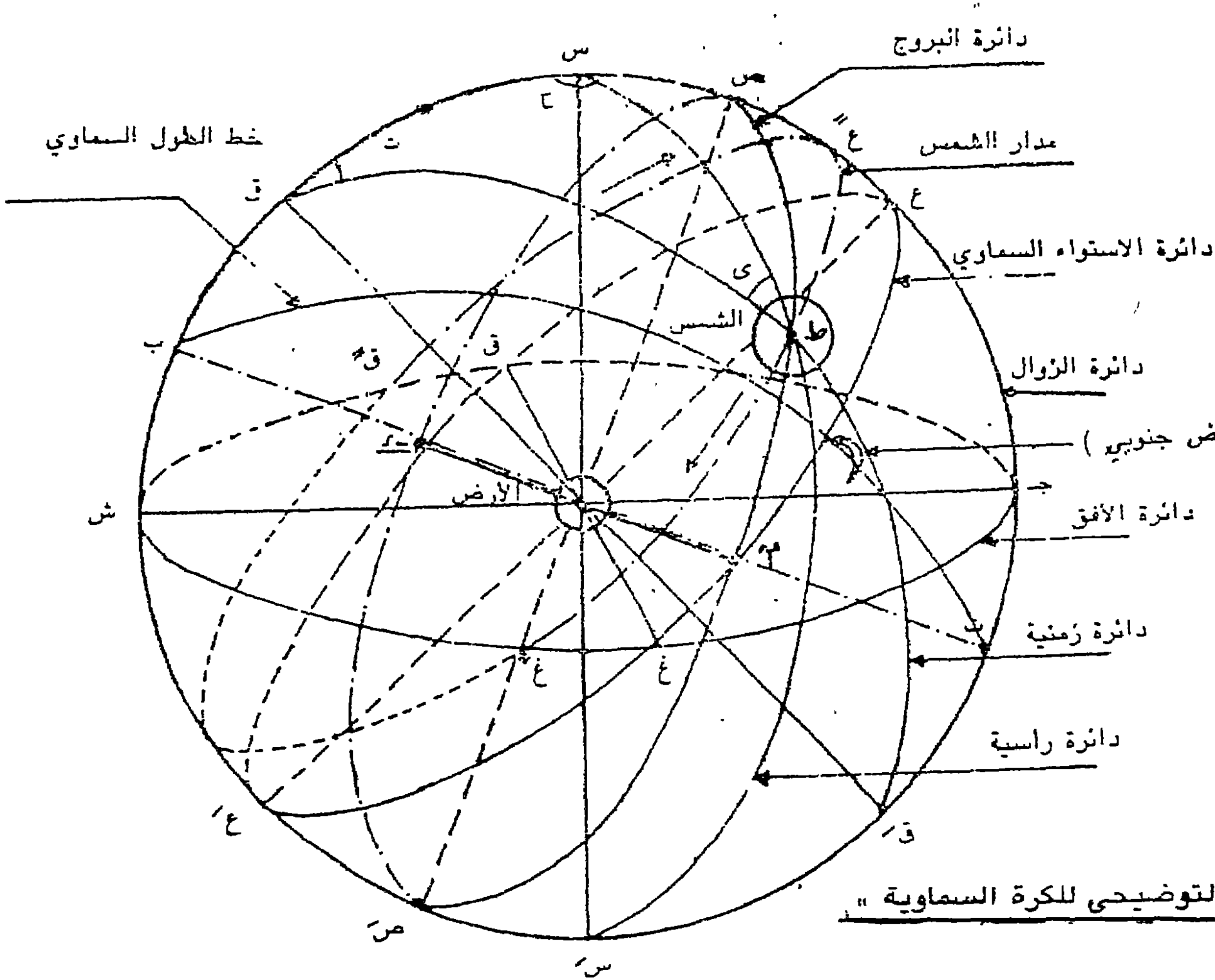
فقد ربط العرب علم الفلك بعلم الجغرافيا، وقام بنو موسى في عصر المأمون بحساب طول درجة من خط النهار... وأثبتوا كروية الارض وعرفوا طول السنة الشمسية، ووضعوا أسماء للنجوم والبروج مازالت دارجة حتى اليوم في كل اللغات، وأقام العرب المراصد الفلكية واستعملت فيها آلات الرصد في بغداد وعلى جبل قاسيون بدمشق، وعلى جبل المقطم قرب القاهرة، وفي اشبيليا... الخ.كما بنى أولاد موسى بن شاكر مرصدا خاصا لهم في بغداد.

ولقد أخذ كوبر نيك وجليلو... عن العلماء العرب الاساس لانطلاقتهما العلمية، وكان ملوك الفرنجة يطلبون منهم حل المشكلات الفلكية لعجزهم عن حلها، وكانت رسلهم وطلابهم تتوافد على الاندلس والمشرق العربيين طلبا للعلم.

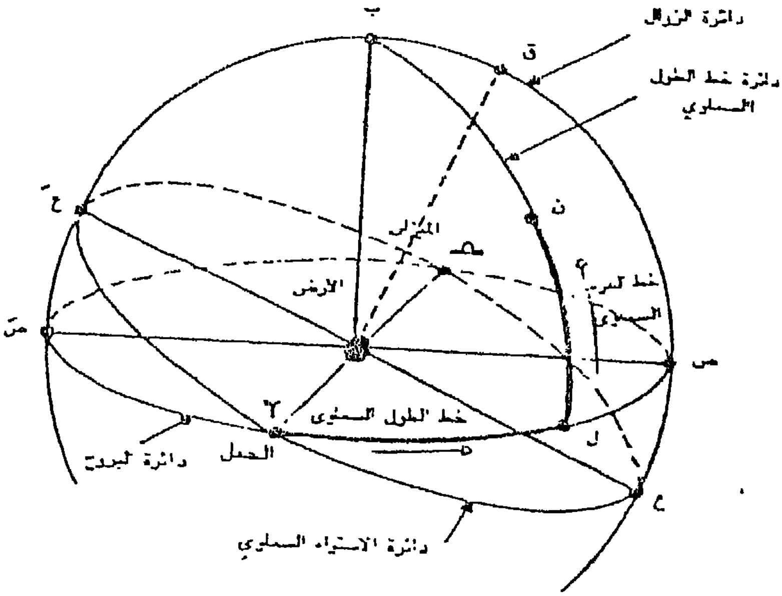
ويقول العالم بيلي - لولا كتاب " نور الدين في الكرة " ماتهيأ لكبلر - أن يدون أحكامه الثلاثة المشهورة، وهي قوانين تتعلق بدوران الكواكب حول الشمس، ومن هذه القواني استخرج نيوتن قانون الجاذبية الكونية، ولولا زيوجهم في السيارات والثوابت ماتسنى لـ " فونسو - الاسباني، أن يخرج زيجة.ومن أشهر علماء الفلك العرب: جابر البتاني،. - وأبو يحيى البطريق، ويحيى ابن ابي منصور - واحمد النهاوندي، وموسى بن شاكر - والطوسي.... وغيرهم.

---

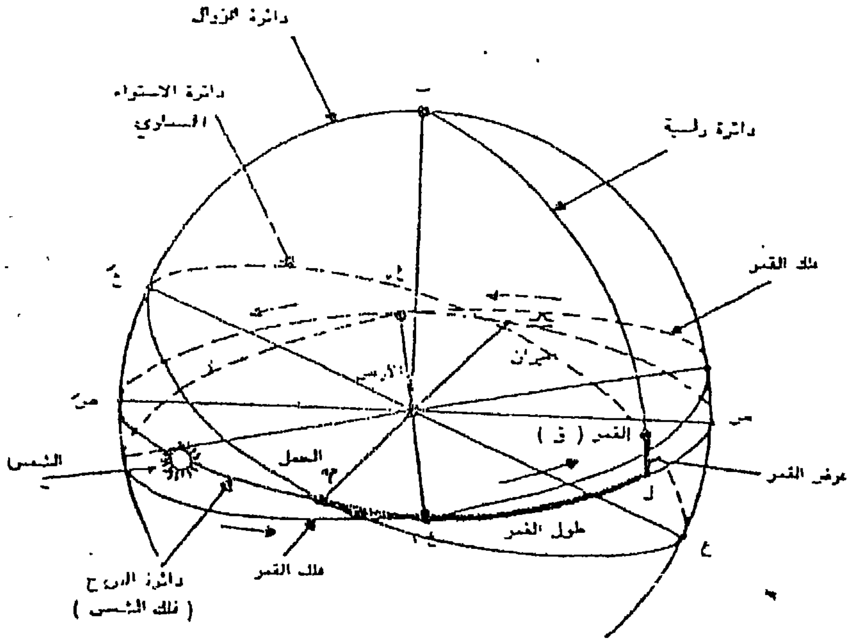
(١) المرجع السابق ص ١٩



« الاسقاط التوضيحي للكرة السماوية »



شكل (٦)



ع١ = عقدة الصعود لعرض القمر
ع٢ = عقدة الهبوط لعرض القمر

وفي علم الفيزياء والرياضيات:

كانت كتب الكندي أساس مؤلفات روجيه باكون - كما كان ابن يونس أول من صنع رقاص الساعة، وقصة الساعة التي أهداها هارون الرشيد - الى ملك الفرنجة " شارلمان " معروفة للجميع. فقد أورد الطبري، في" عيون المسائل في أعيان الرسائل"، جدولا عن الاثقال النوعية للذهب والفضة والزئبق والرصاص والنحاس والحديد والزيت واللبن... وكان العلماء العرب قد قاسوها بالنسبة للماء العادي، فجاء الاختلاف فيها يسيرا، اذ تقاس اليوم بالنسبة للماء المقطر، وكانوا يعرفون ثقل الهواء ولهم طرق محكمة وموازين دقيقة لاستخراج الثقل النوعي لاكثر السوائل التي تذوب في الماء، ولهم جدول في ذلك كالشائعة الان ١- هـ، وكان ابن الهيثم من أشهر العلماء في الفيزياء البصرية والرياضيات، فقد جاء نجاح نيوتن بالاستناد لعلم ابن الهيثم، كما نبغ - كمال الدين الفارسي - في الفيزياء، وله كتاب " تنقيح المناظر لذوي الابصار والبصائر " في نظريات الضوء، كما ألف - الخازن - كتاب " ميزان الحكمة "، الذي وصف فيه الموازين والاوزان النوعية للمعادن والسوائل وسائر المواد ووضع نظريات في الضوء.

كما برع في الرياضيات: ابن حمزة ومحمد البغدادي والطوسي، الذي الف في المثلثات والهندسة كتبا كثيرة وأخذ عنها الاوربيون.

وكان الخوارزمي من أشهر علماء الرياضيات وعلم الجبر، مما أدى الى انطلاق علم الفيزياء والفلك والكيمياء، ومازالت جامعتا كمبردج واكسفورد - تحتفظان بكتبه التي كانت مرجعا حتى القرن العشرين حيث كانت آخر ترجمة لها عام ١٩١٥، كما كان من أشهر الرياضيين العرب أيضا الكاشي، واضع " الكسر العشري "، وكذلك كان، - ثابت بن قره - مشهورا في الرياضيات، وقد اعترف العالم الايطالي جيرو لاموكاردان في القرن السادس عشر، بانه اخذ عنه حل معادلات الدرجة الثالثة، وكان البيروني قد وضع شروحا لجداول الخوارزمي، ولم يكن التيفاشي أقل شهرة في الرياضيات والعلوم، فقد قال المؤرخ سارتون : " كان لابد من ظهور ابن الهيثم وابن سينا والبيروني لكي يتسنى ظهور: جاليلو وكبلر وكوبر نيك.

في علم الكيمياء :

وضع الكيميائيون العرب مئات الكتب في علم الكيمياء مازال منها حوالي "٣٠٠" كتاب، في مكتبات فرنسا وايطاليا والمانيا، و" ٨٠ " في بريطانيا، فقد كانت مراجع اساسية للبحوث والدراسات في اوربا، ويعترف هولمباد ـ أكبر أساتذة الكيمياء في القرن التاسع عشر ميلادي بان سبب نبوغه انما يرجع الى تعلمه اللغة العربية... والى دراسته للكيمياء العربية .

وكان جابر ابن حيان من أشهر علماء العرب في الكيمياء في القرن الثامن م، كما عرف النصف الثاني من القرن التاسع م بعصر الخوارزمي " ٣٨٧هـ في الكيمياء، وقد وضع حوالي " ٨٠ " مؤلفا في الكيمياء، ترجم معظمها الى اللغات العالمية وقال عنهما ـ المؤرخ ـ جورج سارتون ـ وليلكيرك وباكون ـ بأنهما استاذا العالم في الكيمياء ، ونقل عنهما جاليلو ونيوتن وقال ـ لويجي رينالدي : إن العرب كانوا أول من أنشأ صناعة الورق في الاندلس وصقلية، وهي صناعة كيميائية ، ومنها انتشرت في اوربا.

ولا يقل عنهما الكيميائي ـ عز الدين بن علي الجلدكي، الذي نبه من خطر الابخرة الغازية الناتجة عن التفاعلات الكيميائية، وقد تمكن لأول مرة من فصل الذهب عن الفضة وغيرهما من الخامات والسبائك، ومن أهم مؤلفاته "نهاية الطلب والتقريب في اسرارالتركيب والبرهان في علم الميزان والاختصاص ودرة الغواص في اسرار الخواص وجواهر الاسرار في معارف الاحجار ... الخ" ووصف كنه الذرة في المعادن والعناصر الكيميائية وشبهها بالمجموعة الشمسية ، ان الكثير من النظريات والاراء العلمية التي نسبت اليوم الى العلماء في الغرب مثل : نيوتن ، وبيكون ، وشارل ، وبويل ، ووالتن ... وغيرهم كالجاذبية والتطور والضغط الجوي وغيرها ، هي عربية الاصل ، فمن المعروف أن كتب : ابن الهيثم وجابر ابن حيان وابن سينا والزهراوي والرازي وسواهم ، قد ظلت معتمدة في معاهد وجامعات أوربا حتى القرن السابع عشر ميلادي،وترجمت الى اللغات اللاتينية والاجنبية الاخرى(١).

في علم الجغرافيا :

كان أبو عبد الله محمد الشريف الادريسي من أكبر العلماء العرب في الجغرافيا على المستوى العالمي وله كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الافاق " ولقد قال عنه

(١) مجلة العلم والايمان ـ علمية شهرية ـ الادارة تونس ـ طرابلس الغرب ـ العدد ٢٨ ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٤ ـ ٢٢

البارون دي سلان، ان كتاب الادريسي لايوازن بثمن وان بعض اجـزاء مـن المعمـورة لايزال يعود اليه كدليل للمؤرخ ، والجغرافي ... كما قال ـ سيبولد ، انـه واضـع أول خريطة عالمية صحيحة مبنية على أصول علمية وحقائق فنية ثابتة لا تختلف كثيرا عما هـو معـروف في عصرنـا الحـاضر ، وقـال المـؤرخ جوتيـه، ان الادريسـي كـان استاذ الجغرافيا الذي علم اوربا هذا العلم وظل معلمها لمـدة ثلاثـة قـرون، ولم يكـن لاوربـا مصور جغرافي الا مارسمه الادريسي للعالم .

ولما انتهى الحكم العربي في صقلية ، وحكمها النورمانديون اضطروا الى جعل اللغة العربية من بين اللغات الرسمية للبلاد للانتفاع بها، وقربوا العلماء العـرب اليهـم ودعـا حاكم صقلية ، روجار الثاني ـ الادريسي للتأليف في الفلـك... فوضـع كتابـه سـالف الذكر وقسم فيه الارض حسب خطوط العرض والطول ... الخ.

وكان ياقوت الحموي ، قد وضع كتاب " معجم البلدان " ، الذي قال فيه المـؤرخ سارتون ـ أنه منجم للمعرفة ليس له نظير في اللغات.

كما وضع أبو الفدا امير حماة ـ تقويم البلدان الـذي ترجـم الى اللاتينيـة في القـرن الثامن عشر ميلادي ، وكان مرجعا للعديد من علماء الغرب .

وكان العرب قد حققوا الكثير من الاكتشـافات الجغرافية وتعرفوا علـى معظـم مناطق العالم وطبيعتها وكان منهم الرحالة ، وأشهرهم ابن بطوطة .

أما في التاريخ وعلم الاجتماع :

فيكفي ذكر ابن خلدون ـ للتعرف على عظمة مابلغوه في هذا المجال، فقد قال عنه العلامة ـ روبرت فلنت ـ من جامعة ادنبره ـ لا العـالم الكلاسيكي في القـرون القديمـة ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى استطاع أن يقدم اسما يضاهي في لمعانه اسم ابن خلدون، فمن يقـرأ المقدمـة ... بـاخلاص ونزاهـة لايستطيع الا أن يعـترف بـان ابـن خلدون يستحق لقب مؤسس علم التاريخ وفلسفته.

فقد برع العديد من العلماء العرب المسلمين في علمي التاريخ والجغرافيا ... مثل : ابـو ريحـان البـيروني ٩٧٣ ــ ١٠٤٨م ــ وابـو عبـد الله القزويـني ـــ والاصطخـري واليعقوبي والمسعودي ـ والطبري ـ ابن الاثير وابن فضلان ـ والصفدي والبكري ـ ابـن كثير ـ وابن سعيد وابن حوقل ـ وياقوت ـ وابن بطوطة ... وغيرهم.

أما في علم الحيوان والنبات والزراعة :

فقد كان ابن البيطار أعظم عالم نباتي في القرون الوسطى ، وقد كتب " الجامع " لمفردات الادوية والاغذية ، فقد قال عنه ـ مايرهون ـ أنه أعظم كتاب عربي في علم النبات ـ وترجم الى اللغات الاوربية .

ومن أئمة علم النبات أيضا ، موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ، في أوائل القرن الحادي عشر ميلادي ، في بغداد ، واشتهر أيضا في الطب والفلسفة واللغة والجغرافيا والرحلات.

وكان الجاحظ من علماء الحيوان والنبات أيضا ، فالف كتاب " الحيوان والبخلاء والبيان والتبيين "، فقد تقدموا في الزراعة والعلو الزراعية، واستولدوا ـ الورد الاسود ـ بالتهجين .

فقد قال المؤرخ الاسباني ـ بالستر ـ اشتهر العرب في الفلسفة والتاريخ والحساب والجبر والهندسة وعلم الفلك وعلم الطبيعة ، ومن أشهر المدارس التي أسسوها في علم النبات مدارس قرطبة واشبيلية وطليلطة في الاندلس .

وقال المستشرق البرتغالي ــ لويس ــ ان المستنيرين من البرتغاليين يقدرون الامة العربية حق قدرها ويدرسون مابقي من اثارها الخالدة ولاسيما في هندسة المباني مما تفخر به الشعوب المتحضرة الحديثة، كما كانوايحولون الارض خلال سنين قليلة الى جنات حقيقية بفضل مساعيهم وتفوقهم وتدبيرهم.

أما في الطب :

فقد قال جوستاف لوبون ـ لقد كانت كتب العرب في الطب المرجع الوحيد للدراسات الجامعية في اوربا خلال أكثر من ثمانية قرون، وقد كانت مدرسة ـ سالرنو ـ الطبية في ايطاليا في القرن الثاني عشر ميلادي ، متأثرة بالثقافة العربية ، وكانت ام الجامعات الاوربية ، وكانت تستوفد الاساتذة العرب للتدريس فيها خلال حكم العرب في الاندلس، عندما كانت تحرم الكنيسة على الاوربيين احتراف مهنة الطب.

كما قال العلامة ـ جول لابوم ـ : كان الاطباء العرب في القرن العاشر ميلادي يعلمون تشريح الجثث في قاعات مدرجة خصصت لذلك في صقلية.

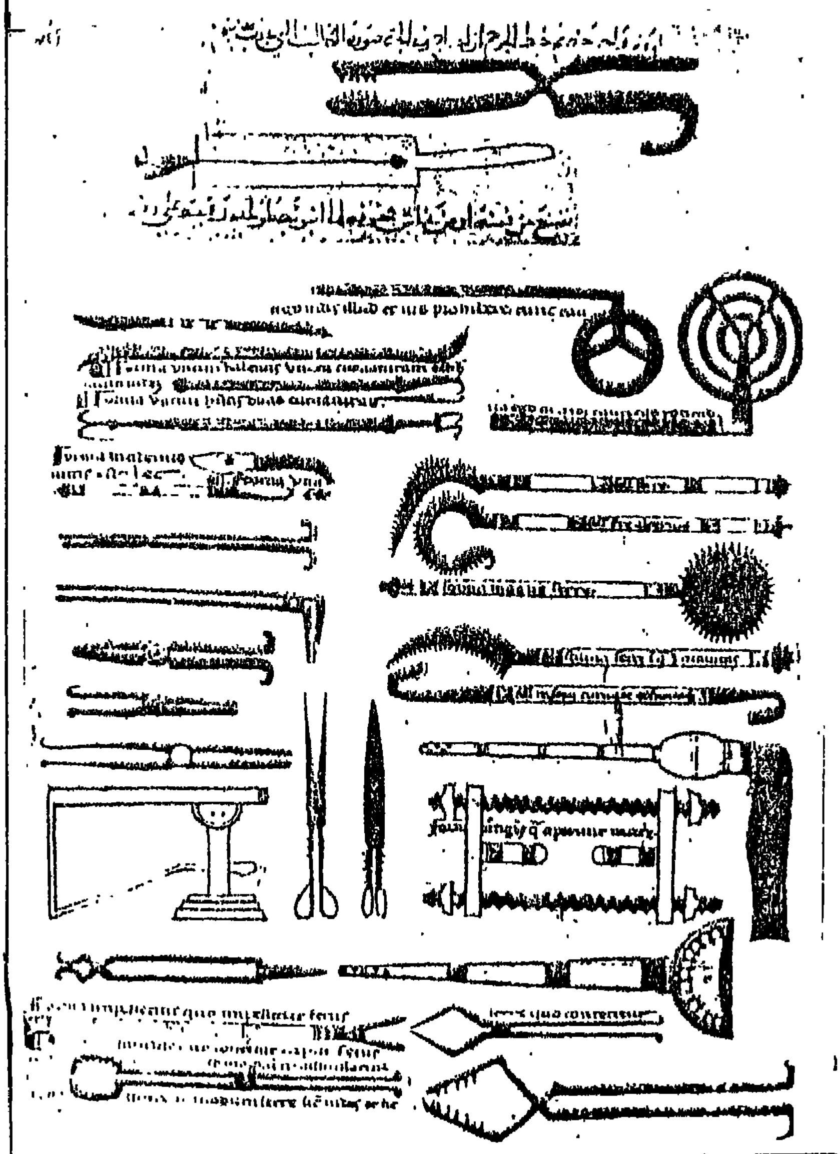
وكان ابن النفيس ، قد اكتشف الدورة الدموية الصغرى، ونقلها عنه ــ هارفي ــ الانكليزي ونسبها الى نفسه.

كما عرف العرب ـ التخدير في الجراحة ـ التي برعوا فيها واستخدموا أكثر من "٢٠٠" اداة جراحية ، وانشأوا المستشفيات العامة والمتخصصة، للرجال والنساء وقسموها الى عدة أقسام حسب اختلاف الامراض، واقاموا المعازل لاتقاء العدوى، كما أوجدوا علم الصيدلة الكيميائية ـ الفارماكوبيا ـ حسب الفيلسوف الالماني ـ هومبولد ـ وعرفوا كثيرا من النباتات الطبية التي ذكرتها كتب : ابن سينا ـ وداوود ـ وابن البيطار ... ومارسوا العلاج النفسي، ويكفي ذكر الشيخ ابن سينا لمعرفة مابلغه العرب من تقدم عظيم في الطب الذي كان علما من أعلامه لقرون عديدة.

وكان المنصور ـ قد أنشأ مدرسة طبية في بغداد ـ كما شاد هارون الرشيد مدرسة أخرى في دمشق، كما أنشأ الخليف الاموي الاندلسي ـ الناصر لدين الله ، مدرسة للطب في قرطبة ، ثم كثرت المدارس لتعليم الطب والجراحة في المشرق والمغرب ـ العربيين معا.

فقد وصل عدد مدرسي الطب وطلبته ورجال الندوة العلمية في بعض تلك المدارس الى ستة آلاف نفس ، فكانت مدارس قرطبة واشبيلية وطليطلة تدرس الطب، كما كان الجامع الازهر في القاهرة ٩٦٩م يدرس الطب والكيمياء والدين، وكان يلحق بكل مدرسة مستشفى يتمرن فيه الطلاب على الدروس السريرية، كما كان في كل مدينة كبيرة مستشفى عام على حساب الدولة، وغالبا ماكان ينفق عليها الخليفة وكبار الامراء ، وكانت تضم أجنحة للذكور وأخرى للاناث، كما كان لكل مستشفى صيدلية وصيدلي مجاز ومجهزة بالادوية ... ولكل مستشفى مكتبته الطبية، وكان هناك العديد من المستشفيات المتخصصة كالمورستانات للامراض العقلية والجذام، وكان أول من أقام المرستانات والمجاذم ـ الوليد بن عبد الملك بن مروان عام ٧٠٧م ، كما كان للجيش مشاف حربية ثابتة وميدانية متنقلة كالتي تداوى فيها ـ رتشارد قلب الاسد على أيدي أطباء صلاح الدين الايوبي فشفي من مرضه، وهو دليل على نبل العرب ورسالتهم الانسانية معا.

أدوات جراحية استخدمها الاطباء العرب المسلمون:



أما في الفلسفة:

فقد برز العديد من الفلاسفة العرب على المستوى العالمي ممن كان لهم الفضل على اوربا واعلام الفكر فيها، في العصور الوسطى وفي عصر النهضة أيضا، فقد قال: رينان

ان البرت الاكبر ـ مدين لابن سينا في كل شيء ـ وان سان توماس الاكويني ـ مدين لابن رشد الذي جعل له في الغرب مدرستان ، فأطلق عليهما المؤرخون : المدرسة اللاتينية ـ والمدرسة العربية.

ويقول ـ لوبون ـ في كتابه " حضارة العرب " ، كان ابن رشد الحجة البالغة في الفلسفة في جامعات اوربا منذ القرن الثالث عشر ميلادي ، ولما حاول ـ لويس الحادي عشر ـ تنظيم شؤون التعليم في سنة ١٤٥٢ م أمر بتدريس الفيلسوف ابن رشد ومذهب ارسطو، وكان دانتي متأثرا علميا وأدبيا بالعرب ، فقد ذكر بعضهم في كتابين له مثل : " البطروجي والفارابي وابن رشد "(١) .

صحيح أن العرب المسلمين ترجموا وأخذوا عن الحضارات الهندية والفارسية والاغريقية، ولكنهم كانوا قد أعطوا وأسسوا في عصور حضاراتهم القديمة تلك الحضارات، وخاصة اليونانية فقد أخذ العرب عن أعلام اليونان مثل : فيثاغورث ـ وابقراط ـ وطاليس ـ وسقراط ـ وافلاطون ـ وارسطو ... كما أخذوا ، بعد انقسام اليونان ، عن البطالمة في مصر ، فقد اشتهرت جامعة الاسكندرية في عهدهم، والتي عرفت في التاريخ باسم مكتبة الحياة، وكانت عبارة عن معهد ومتحف ومكتبة ضمت مئات الالاف من الكتب القيمة واشتهر من علمائها : بطليموس ـ صاحب المجسطي والبصريات والجغرافيا ، والثمرة أو المقالات الاربع ، واقليدس ـ صاحب الاصول في الهندسة ـ وارخميدس وجالينوس وديسقوريدس ـ واوريباسوس ـ وثادن ـ وهوباتيا . واولئك وهؤلاء كانوا عدا العرب منهم قد تتلمذوا على العلماء العر ب في مصر القديمة وفي المشرق العربي، أيام البابليين ومن خلفوهم، فتلك الحضارات العربية تقدمت في التاريخ على الاغريقية وسواها ، فتقدم العرب وعطاؤهم الحضاري كان الاسبق والاغزر والاشمل في مختلف العصور ، فكما أعطوا أخذوا ، ولكنهم عادوا فأعطوا الكثير وخاصة للاوربيين، ومازلنا نلمس آثار العرب المسلمين في اوربا بكل المجالات ومنها الفنون والاداب التي تقدموا فيها كثيرا، حينما كانت اللغة العربية منتشرة في الاوساط الاوربية، باعتبارها لغة العلم والثقافة حتى القرن الثامن عشر ميلادي، ولهذا كان ـ غليوم التاسع ولهلم، قد ذهب الى الاندلس سنة ١١٠١ ـ

(١) المرجع السابق العدد ٣٥ ـ ٣٦ ، ١٩٧٨ ص ٢٤ ـ ٤٢

١١٠٢م لتعلم اللغة العربية وعاد اليها أكثر من مرة، فقلد الازجال العربية في الشعر ــ البروفانسي.

وكان العرب المسلمون قد تقدموا في كافة العلوم والاداب والفلسفة والفنون ... كالكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلك والهندسة والجغرافيا وعلم التاريخ والاجتماع والطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات والزراعة.... وألفوا فيها الكتب الكثيرة، أما من أشتهروا في هذه الميادين فهم كثر مثل : ابن سينا وابن الهيثم والبيروني والخوارزمي وابن زهر والزهراوي وابن النفيس وجابر بن حيان وابن يونس والغافقي والبغدادي والجلدكي والجاحظ وابن الصوري والخازن وابن ماجد والفارابي وابن مسكويه وابن خلدون والبتاني وابن البيطار والانطاكي والدينوري وابن وحشي وابن رضوان والرازي والكندي وثابت بن قره وموسى بن شاكر والمجريطي وابن الجزار وابن رشد وابن جزلة وابن التلميذ وابن العوام والفرغاني .... الخ.

يضاف الى ما تقدم تطور وتقدم الصناعة الحرفية في المدن والاقاليم كافة مثل : غزل الكتان والقطن والصوف والحرير ونسج الاقمشة على أنواعها وألوانها، وصناعة الالبسة والسجاد والمفروشات وصناعة الصباغة والدباغة وصناعة الصابون والورق والعطور والخزف والزجاج والصناعات النحاسية والمعدنية الاخرى ، واستخراج وصهر وتصنيع المعادن وصك النقود وصياغة المجوهرات والحلي من الذهب والفضة والاحجار الكريمة وصناعة السكر والصناعات الجلدية .... ومواد البناء .... وصناعة الاسلحة والعربات والسفن وادوات العمل الحرفي والزراعي والجراحي والرصد والملاحة البحرية والساعة والاسطرلاب والفرجال والمسطرة ... والمكاييل والموازين والمقاييس ... الخ.

أما التقدم في الزراعة فيعود الى استخدام أنظمة وتقنيات متقدمة في ارواء الاراضي بشكل واسع مثل النواعير والغرافات والسدود وخزانات المياه والاقنية مثل : قناة صلاح وقناة الصرصار وقناة نهر عيسى بين دجلة والفرات وقناة النهروان ، والى الطواحين المائية والهوائية، وقد وجد في بغداد طاحونة مائية مؤلفة من مائة حجر رحى، كما بنيت على أطراف البادية الاسوار الطويلة لصد هجوم رمال الصحراء، ونتيجة تزايد الخبرة واستخدام العلم تم التوسع ... وتحسين زراعة الكتان والقطن وتربية دودة القز وزراعة قصب السكر والارز، وبقية الحبوب ودوار الشمس والموز والكرمة والتين والرمان والتوت والنخيل والزيتون واللوزيات والتفاحيات والحمضيات

ومختلف انواع الخضار والبقول وتربية النحل اضافة الى الصيد البحري واستخراج اللؤلؤ والمرجان والاسفنج، وشهدت سنوات القرنين التاسع والعاشر تسارع وتائر انفصال الحرف عن الزراعة وغدت المدن الكبرى مراكز للانتاج السلعي، وكانت حركة البيع والشراء والتبادل في تطور وتقدم مستمرين، كما كانت قوافل التجار على كثرتها، تجوب مختلف الاصقاع، فتصل البلاد ببعضها، كما تصل الداخل مع الخارج، مثل الهند والصين وعموم بلدان آسيا وافريقيا واوربا.

ومع هذا الازدهار التجاري تقدم نظام الصيرفة والقروض وبدئ باستعمال الحوالات... وزاد حجم التبادل التجاري وتوسع الاقتصاد النقدي .

وكانت العاصمة بغداد والمدن الكبيرة الاخرى مراكز للادارة والتنظيم ... والانتاج الصناعي والنشاط الثقافي والفكري والعلمي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، بينما تميزت الارياف بالنشاط الزراعي وبانتاج الوفرة من الغذاء النباتي، والحيواني وتوفير المواد الخام الصناعية كالقطن والصوف والكتان والحرير والالياف والاخشاب والاعشاب الدوائية والاصباغ ... الخ.

هذا في حين تم تطوير وتسهيل وتأمين وسائل الاتصال والمراسلات كالبريد ومنها استخدام الحمام الزاجل ، وتنظيم الادارة في المدن وتأمين المياة للاستهلاك المنزلي، وتنظيم الحرف والأسواق ... وتأسيس النقابات واختيار شيخ لكل صنعة وحرفة لرعاية حقوق العاملين فيها.

كما تم التوسع والتقدم في فنون العمران، والتفنن في الخط والرسم والنقش والزخرفة ولهذا مازال فن العمارة الاسلامية طاغيا على سواه حتى اليوم بروعته وجماله، كما انتشرت المدارس ودور العلم والمنتديات وحلقات الدرس ... وأماكن التطبيب والعلاج وأعمال الصيدلة، وتم بناء المشافي والحمامات العامة والفنادق والملاجيء والتكايا للفقراء وعابري السبيل ، والقلاع والحصون والجسور والمساجد والكنائس ، وتوفير وتحسين وسائل المواصلات والنقل : البرية والنهرية والبحرية...الخ.

كما تم التقدم في مجال العلوم : كالطب والجراحة والتشريح والفلك وعلم الحساب والرياضيات والهندسة والفيزياء والكيمياء وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا والملاحة والتشريح والنظم والقوانين والادارة ، وفي الفنون والثقافة والاداب والفكر والفلسفة ، فالتقدم الحضاري العربي الاسلامي الذي تحقق منذ القرن الثامن وحتى القرن الحادي

عشر ميلادي كان ومايزال جديرا بالتقدير والاعجاب ، وكان كافيا لدفع المجتمع الانساني خطوات جبارة الى الامام ، فيما بعد ، وذلك بدليل ماحققته اوربا لاحقا من تقدم حضاري، عندما استمدت ، من الانجازات الحضارية العربية الاسلامية الفريدة ، في القرون الوسطى أسس ومقومات نهضتها الحضارية منذ القرن الخامس عشر الميلادي .

فلقد انطلق العرب المسلمون في فتوحاتهم مبشرين وداعين الناس للايمان با لله الواحد الاحد ، ومن ثم تابعوا ذلك بنقل ما أنجزوا وأبدعوا حضاريا الى بلدان آسيا وأفريقيا وأوربا ، لتشكل رافعة جبارة لانهاض جميع الشعوب والأمم التي كانت تعيش في ظلمات الوثنية والجهل والتخلف ودفعها نحو الرقي والتقدم الحضاري .

يقول - ارثر كوستلر - وانجلز — وديورانت :" كانت أوربا في القرون الوسطى تعيش على النحو التالي : في شرقها كانت تعيش قبائل رعاة وسكان غابات متخلفة روحيا وثقافيا وماديا ، حين لم تكن الدولة القيصرية الروسية قد ظهرت الى الوجود الا بعد القرن العاشر الميلادي ، وفي الشمال والوسط كان أجداد البرلينيين الالمان — الغيلتاب أو الفيلز لايزالون يأكلون آباءهم في القرن العاشر ... وأن أكل لحوم البشر كان شائعا في الشمال ، لاسيما في الدانمارك ، بينما كانت اسبانيا ، ذات الاصل العربي القديم أرضا وسكانا قبل انهيار الدولة العربية المركزية المشرقية القديمة ، كانت تدين بالمسيحية التي انتشرت وانتقلت اليها في العهد الروماني ، وكانت متقدمة بالمقارنة... على سائر بلدان اوربا، بسبب ماورثته من تراث حضاري عربي قديم ، وما أشاعته المسيحية العربية المنبث أيضا ، ولكن مهاجمتها واحتلالها من قبل قبائل البرابرة - الوندال - والألين والسويف ، والوافدة من الشمال ، ومن ثم جاء أحفادهم القوط فيما بعد فقهروهم وطردوهم واستولوا على اسبانيا في القرن السادس الميلادي، ودمروا وخربوا كل شيء فيها ، ودفعوها الى مهاوي الجهل والتخلف من جديد ، فعندما جاء الفتح العربي الاسلامي أوائل القرن الثامن الميلادي لاسبانيا عادت لتصبح في ظل العرب المسلمين مركز اشعاع حضاري بالغ الرقي والتقدم ، ولقد استمر الاوربيون ينهلون منه ومن بغداد ومن المدارس العربية الاخرى ، المعرفة والعلم وفنون العمران والزراعة والصناعة ... حتى القرن الخامس عشر ميلادي ، مما أدى الى نهوض اوربا وقيام حضارتها المستمرة حتى اليوم على أسس عربية الأصل".

فقد بنى العرب في الاندلس مدنا كثيرة مزدهرة ورائعة الجمال بعمرانها ، وحولوا الاراضي المهملة الى أراض خصبة وحدائق وبساتين غناء حينما أقاموا نظام وشبكات للري ذات تقنية عالية ، كما حققوا تقدما في تقنيات التعدين والصناعة ، كصناعة الاسلحة ...وقذائف النار السائلة والادوات ذات الاغراض والاستخدامات المتعددة في الزراعة والصناعة والحرف على تعددها ، وبرعوا في صناعة السجاد والانسجة الصوفية والقطنية ... والزجاج والخزف ... وصناعة السفن وغيرها وانتشرت أنواع عديدة من الحرف ، وكان لها أسواقها الخاصة ، كما كان الملاحون ذوو الكفاءات العلمية العالية والبحارة المهرة يجوبون بسفنهم البحار والمحيطات، وكان التجار العرب المسلمون أيضا يصلون بسفنهم وبضائعهم الى بلدان العالم كافة ، وعن طريقهم تم دخول العديد من شعوب آسيا وافريقيا في الدين الاسلامي ، مثل اندونيسيا وسواها، وشكلوا احدى القنوات لنقل الحضارة العربية لتلك الشعوب .

كما ازدهرت الفلسفة والثقافة والعلوم والفنون ... في الدولتين العباسية والاندلسية الاموية، بشكل لم يسبق له مثيل فعلى سبيل المثال بلغت في قرطبة وحدها، وهي مقر الخليفة، ثلاثة الاف مدرسة، وكان لكل مدينة كبيرة جامعتها ومكتبتها، فقد تقدم العرب في مجال الفلسفة ووسعوا آفاقها وطرائق النظر في موضوعاتها المتعددة، من جوانبها المختلفة : الروحية ـ والمادية، كما ترجموا للمسيحيين الكتاب المقدس من اللاتينية الى العربية ، وعاملوهم واليهود معاملة الند... وعلى قدم المساواة مع المسلمين وفي مجالات الحياة في المجتمع والدولة معا.

يقول ـ غوستاف لوبون ـ لم يكن في اسبانيا من أعمال الري سوى ما أتمه العرب الذين أدخلوا اليهازراعة قصب السكر والتوت والرمان والموز والارز والقطن وغيرها، وأكثروا من انشاء الموانيء والمرافق والطرق والجسور والمشافي والمساجد والكنائس والفنادق ودور العلم والمدارس في كل مكان ، وكان بيت المال يقوم على الضرائب والمناجم كالذهب والفضة والزئبق، وكانت تتألف من العشر العيني للمحاصيل ... ومن الجمارك والمكوس ، وقد بلغ دخل الخلافة ابان ازدهارها ثلاثمائة مليون .

وكان النصارى يستخدمون في الجيش، ولم يكن التزاوج بينهم وبين المسلمين محرما، فقد كانت ام الخليفة عبد الرحمن الثالث نصرانية ، وهو دليل على انتشار العدل والمساواة واحترام الاديان السماوية كافة .

وقبل خروج العرب من الاندلس ، بلغ سكان مدريد وحدها أربعمائة الف ، تقلص فور خروجهم منها الى مئتي ألف ، وكان في اشبيلية حوالي (١٦٠٠) مؤسسة حرفية يعيش منها حوالي (١٣٠،٠٠٠) انسان ، فتقلصت الى (٣٠٠) مؤسسة ، هذا بالاضافة الى هجرة ثلاثة أرباع سكان البلاد ، كما ورد في تقرير مجلس الكورتس الى الملك فيليب الرابع ، ولم تكن وثائر ومستويات التقدم الحضاري الشامل في أرجاء الامبراطورية العباسية ، أقل شأنا وتنوعا وانتشارا على المستوى العالمي .

إن تلك الشهادات والوقائع لهي دليل دامغ على دور العرب في ظل الحكم العربي الاسلامي، في انهاض العالم واخراجه من دياجير الجهل والتخلف والظلم والتناحر والعبودية ، واعانته على التمدن والتقدم والرخاء ، وفي سبيل التآخي ونشر العدل والمساواة وتحقيق السلام العادل بين الأمم كافة .

فالادارة الاسلامية كانت معنية كغرض ، باشاعة الايمان والعلم والمعرفة ... بين جميع الامم بدون تمييز أو التفات الى مذاهب الناس واجناسهم وألوانهم.

ومع ذلك لم يكن ، على سبيل المثال ، لدى شارل مارتل ومن ثم فرديناند وزوجته ايزابيلا مايحافظون عليه أو يطمعون في بقائه من كل ذلك ، باستثناء الرغبة الجامحة في العودة الى عصور الظلام والبدائية والتخلف والبربرية وسفك الدماء والتسلط والاستغلال وهو دليل على امتناع ، تخلف هؤلاء عن التقدم الحضاري الذي بلغه العرب وقدموه كالهداية والعدالة والمساواة والتآخي ... للآخرين مجانا وبدون مطمع بشيء سوى حب الخير واسعاد الانسانية قاطبة .

ولكن ما الحيلة وقد كانت هناك في أوربا انذاك أقوام وقبائل مازالوا يتقاتلون ويتدافعون فيما بينهم ليطرد الواحد منهم الآخر ليحل مكانه، في أرضه ، ليأتي ثان وثالث ليطردوا بدورهم من سبقوهم ، وهكذا الى مالا نهاية .مما كان يؤدي طيلة تلك المراحل الى اجتياحات وهجرات متواصلة : الجرمن والهون والسلاف والفايكنغ... الخ.[1] .

فاذا كان هذا هو دينهم وديدنهم وشأنهم مع بعضهم البعض فكيف كان شأنهم... مع العرب ؟!.

---

(١) سلسلة القسام الفكرية ـ مصدر سابق ص ١٧٠ ـ ـ ١٧٣

فلقد ذاقوا الويلات على أيديهم في القرن الخامس عشر ميلادي في الاندلس ، كما فعلوا نفس الشيء أي ـ ابناء اوربا ـ وتحت راية الصليب، قبل ذلك في المشرق العربي، وعادوا بعد عصر النهضة ومازالوا حتى اليوم يسيرون على نفس النهج.

ولكن كل ذلك لم يكن ليغير أو يلغي فضل العرب المسلمين عليهم ... وحقيقة تقدمهم الحضاري على كافة الحضارات السابقة .

فقد كانت دمشق وبغداد ومصر والاندلس ... محجة لطلاب العلم من الغرب والشرق والشمال والجنوب حين كانوا ينهلون من معينها كل شيء على أيدي فلاسفة وعلماء كبار ومعلمين ومدرسين ومتخصصين وباحثين ومؤرخين وملاحين وخبراء وصناعيين وزراعيين ... الخ. من العرب على كثرتهم.

ولهذا استحقوا ، حسب شهادات المنصفين من ابناء الغرب والشرق ، لقب المعلمين للامم حتى القرن الخامس عشر الميلادي .

ونظرا لبقاء واستمرار نظامي الرق والاقطاع وتداخلهما ، وباشكال متفاوتة من الضعف والقوة والانتعاش بين مرحلة وأخرى ، ابان مراحل الحكم العربي الاسلامي، الذي نحى منحى استبداديا شرقيا ، في المراحل اللاحقة للفتوحات ، وعاد وكرس بطريقة وأخرى ، الاشكال القديمة لعلاقات الانتاج ، لذينك النظامين اللذين سادا قبل الفتح ... فان التطور والتقدم ، الحضاري العربي آنف الذكر لم يؤد الى تغيير جذري لعلاقات واسلوب ونمط الانتاج القديم ذاك ولأسس وطبيعة نظام الحكم ـ الطبقي ... بحيث يمكن ، على سبيل الافتراض ـ الانتقال الى تشكيلة اجتماعية اقتصادية أرقى ومختلفة نوعيا ، كالتي ظهرت بوادرها في العهد الاول ... ولم نقل الانتقال الى مجتمع ينتفي فيه استغلال الانسان للانسان، باعتبار ذلك كان ولايزال حلما وهدفا انسانيا صعب المنال حتى الان.

فالعوامل الذاتية والموضوعية المحلية والعالمية ، ومجمل ماحققه المجتمع الانساني عامة والعربي الاسلامي خاصة ، في القرون الوسطى لم يكن كافيا لدفع المجتمع الى حد تحقيق قفزة تاريخية نوعية حاسمة من هذا النوع الى الامام.

التراجع والانكفاء .... المقدمات والنهايات

لاشك في أن لكل ظاهرة أو حادثة مادية في الموجود علة سببية ، وأن الاساس المحرك لكافة أشكال الحركة في ـ الوجود المادي يكمن في وجود المتضادات كالسالب والموجب في بناء المادة ـ تماما كوجود الخير والشر جنبا الى جنب في المجتمع الانساني، وأن التأثيرات المتبادلة بين الخاص والعام وبين أفعال الخير والشر أيضا ، ولايمكن وجود أحدهما دون الآخر ، وأن الصلة الوثيقة بين مجموع الظواهر والحوادث في الاطار العام للحركة الكلية للوجود المادي، الخاضع لأنظمة وقوانين موضوعية صارمة، كما في المجتمع والدولة والدين والفكر وحركة وفعل الانسان عموما، كذلك فان تقدم أو تأخر الأمم والدول تلعب فيه التأثيرات المتبادلة بين: الذاتي ـ والموضوعي، بين: الداخلي ـ والخارجي، الدور الحاسم سلبا أو ايجابا أيضا.

كما يمكن التأكيد أيضا على أن تلك التأثيرات لاتكون متوازنة أو متوازية أو متساوية دوما ، بسبب التباين في قوة التأثير ، ولنقل بين طرفي التناقض ـ أو الصراع بين قوتين، أما بالنسبة للحالة التي نحاول هاهنا ـ تشخيص وتحري أسبابها ألا وهي : التراجع والانكفاء والتخلف ... الذي أعقب عهود النهوض وبلوغ القوة ... والتقدم الحضاري العربي الاسلامي فان العامل الذاتي الداخلي العربي أكثر منه الموضوعي والخارجي ، لعب الدور الرئيس والحاسم ، وشكل السبب الأساس في سير العرب خطوات متلاحقة ، تراكمت مع مرور الزمن وعبر قرون مديدة ، كما ونوعا باتجاه التراجع حتى ولو لم تكن مباشرة أو مقصودة أو ملموسة في البدايات والى وقت متأخر حتى اذا ما بلغت المعيار في النهاية ، تشكلت كيفية جديدة، ولكن بالاتجاه المعاكس ، فوصل العرب نتيجة ذلك الى ماهم فيه اليوم.

ويمكن ارجاع تلك البدايات في الاتجاه المعاكس للاستراتيجية التقدمية ... التي سار عليها الرسول والخلفاء الراشدون ... الى عهد الخليفة عثمان بن عفان ، عندما دبت الخلافات في عهده وتفجرت في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ، عندما فشل التحكيم بينه وبين معاوية بن ابي سفيان ، وأدت الى حرب بينهما في معركتي صفين والجمل ، كما أدت الى مقتله غيلة وغدرا ، واستيلاء الارستقراطية القرشية الاموية على السلطة السياسية والاستئثار بها وذلك بتحويل نظام الحكم الى وراثي لبني أمية.

مما أدى الى الاطاحة بالقواعد والأسس والتقاليد الديمقراطية ، التي سار عليها الرسول وصحبه الأوائل من قبل ، واتسمت بالشورى والاختيار الحر النزيه ، وبالعدالة والمساواة ومن ثم تفاقمت الصراعات الدموية ، بسبب ذلك ، وأدت الى مقتل الحسن والحسين ، وفي عهد عبد الملك بن مروان حسم الوضع نهائيا في كافة الاقاليم لصالح الامويين ، عندما استطاع الحجاج بن يوسف الثقفي القضاء على خصومهم ، الذين تمردوا عليهم في العراق والحجاز ورفضوا مبايعتهم ، فقتل عبد الله بن الزبير عام (٦٩٢) على أيدي الحجاج، ولم تنفع شفاعة أمه أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق ، وكان قد قتل شقيقه مصعب أيضا عام (٦٩١ م) ومع ذلك لم يستطع البطش ... منع تزايد المؤامرات والفتن والانقسامات وتأجج الصارع ، الذي أخذ منحى مذهبيا وقبليا وعرقيا شعوبيا في أرجاء الدولة العربية الاسلامية المترامية الاطراف ، فكان الخوارج والشيعة ، والسنة والعديد من الحركات الشعوبية وقد لعبت الأخيرة ، دورا مؤثرا في تغذية الصراع والدفع نحو المزيد من الانقسام، بهدف اضعاف الدولة العربية والانفصال عنها بصرف النظر عن مذهب من كانوا على رأسها أو المعارضين لنظام الحكم الاموي.

وهو ماحفر مجرى عميقا وشكل مؤشرا للتراجع بوقت مبكر ... حتى ولو لم يكن ملموسا أو ملحوظا آنذاك، خصوصا وأن استيلاء العباسيين على السلطة السياسية بالقوة وسفك الدماء بعد حوالي تسعين عاما من حكم الامويين ، واستئثارهم بها كأسلافهم على أساس وراثي ، أدى الى انقسام الدولة المركزية الى دولتين وخلافتين في كل من بغداد والاندلس عام ٧٤٩م، والى السير على نفس النهج وسلوك نفس الطريق ، لتذهب جهود من خدعوا من عامة المسلمين وناصروهم ، على أمل التصحيح والعودة الى الاصول ، هباء ، لاسيما وأنهم تميزوا عن أسلافهم بالجنوح بعيدا نحو البذخ والترف والتبذير على الملذات وليالي الانس والسمر وجمع الجواري والمحظيات ، والحواشي والمريدين والشعراء والمتزلفين والدساسين .. الطامعين بنصيب من الثروة والسلطة والسطان، من حولهم مغلبين وبشكل سافر المصالح الفئوية الخاصة على مصالح جماهير المسلمين عامة ، دون أن يدروا في حينه أنهم بذلك انما يخلقون حفاري قبورهم بأيديهم ، وأنه يترتب على كل ذلك عواقب وخيمة على مستقبل العرب وقوتهم ودولتهم ورسالتهم الدينية والحضارية ، لاسيما وأنهم أرهقوا كاهل الشعب بالخراج والضرائب ومضاعفة السلب والنهب لحصيلة جهود المنتجين

الزراعيين وسواهم ، لتغطية الانفاق المتزايد ... وكانت النتائج اتساع الهوة بينهم وبين الشعب ، واللجوء الى المزيد من القمع لاخضاعه.

ويمكن القول ، من جانب آخر : أن الصراع ، في تلك المرحلة ، بين المذاهب الدينية - والفلسفية وقوى الاصلاح والانفتاح على الحضارات الاخرى عموما ، بهدف الاخذ من فلسفتها وعلومها - وبما لايتعارض والعقيدة الاسلامية ، بل يساعد على التطور والتقدم ... من جهة ، وقوى الاستبداد والقهر والتزمت من جهة ثانية ، أخذ منحى خطيرا ، على الرغم من آثاره الايجابية الكبيرة في دفع النهضة الفلسفية - والعلمية والحضارية ، التي أثارت مخاوف البعض ... خطوات جبارة الى الامام.

حينما استغل ووظف - أي الصراع - من قبلهم ومن قبل الطامعين : سواء بالسلطة والثروة أو بالانفصال عن الدولة المركزية ، مما أدى من جانب آخر الى المزيد من الصراع التناحري والى التمزق والضعف ، والى التمرد وتفجر الانتفاضات والثورات، التي أدت الى تمزق الدولة الى دويلات عديدة متصارعة.

أما بالنسبة للدولة الاموية الاندلسية، فقد تعرضت هي الاخرى الى التمزق، لـذات الاسباب ومنها : البذخ والترف ... والتناحر على السلطة والثروة ، مما أدى عمليا الى المزيد من الدسائس والمؤامرات والفتن، والى تفكك الدولة، التي كانت قوية مزدهرة اجتماعيا واقتصاديا ... وحضاريا، الى دويلات كانت بينها الحرب سجالا طيلة حكم ملوك الطوائف، حين لم يتورع البعض منهم عن التحالف مع الاعداء ملوك الفرنجة ضد البعض الآخر، لاسيما وأن الفرنجة كانوا آنذاك يخوضون حربا لاهوادة فيها لاقتلاع العرب المسلمين جميعا من الاندلس.

ولم تكن دولة العباسيين، بأفضل حال في آخر عهدها، عندما أخذ الخلفاء العباسيون يلجؤون الى الاستعانة بالاعاجم، كالتركمان وسواهم لتدعيم نظام حكمهم ولحماية عروشهم من عضبه الشعب، الذي اتسعت الهوة بينه وبينهم ، لكثرة ما تعرض له من جور وعسف واستغلال على ايدي زبانيتهم، خصوصا وأنهم أبعدوا العناصر العربية المشكوك بولائها لهم، من الحواشي وقيادة الجند والشرطة والمراكز الحساسة في الدولة ، واحلال هؤلاء الأعاجم مكانهم، مما مكنهم تدريجيا من بسط نفوذهم والسيطرة الفعلية على السلطة السياسية، والعسكرية ومقاليد الحكم عموما، والتحكم بأحوال البلاد والعباد ، متخذين من هؤلاء الخلفاء من بني العباس، العوبة وستارا يتخفون وراءه لستر أعجميتهم والقاء مسؤولية أعمالهم وطغيانهم على هؤلاء

الخلفاء ، فكانوا يخلعون ويعينون ما يناسبهم منهم ، وقد ذكرت بعض المراجع التاريخية أنهم قطعوا أيدي وأرجل وسملوا أعين حوالي ثلاثة وثلاثين خليفة منهم ، وتركوهم يزحفون ويستعطون في شوارع بغداد.

تفكك الدولة المركزية الى دويلات متناحرة

يمكن القول أن الخطوات العملية لهذا التفكك، قد بدأت في عهد الخليفة أبي الفضل جعفر المتوكل (٨٤٧ -٨٦١م) ففي عهده بدأ التراجع والتحول نحو الجمود والتفكك ، عندما أمر بترك المباحثات والمناظرات ... والتمسك بالتقليد ، وأقصى أحرار الفكر عن وظائف الدولة ومنع المحاضرات ... في الفلسفة والعلم تحت ضغط ذوي الثروة والنفوذ والاتجاهات والتيارات المحافظة التقليدية، مما زاد الصراعات ... احتداما وخطورة، وفي هذه الاثناء راح الخليفة بدفع بأجهزة الدولة لاستعمال القبضة الحديدية أكثر من ذي قبل، لقهر الفقراء والمحرومين ولضرب التيارات والقوى التقدمية، وبالمقابل زادت قوى الاصلاح والتغيير من ضغوطها لاستبدال نظام الحكم بأفضل منه، مع التمسك بوحدة الدولة، والتي أصبحت عرضة للتفكك والانهيار، بسبب تزايد محاولات ونشاط القوى والحركات السياسية، التي أصطلح على تسميتها بالشعوبية، من أجل الانفصال عن الدولة المركزية، واقامة دويلات قومية خاصة بها .

فقد ذكر بعض المؤرخين أن الحركات الشعوبية كانت قد عبرت عن أمرين: الاول تذمر من التحكم السياسي العربي الاموي ، الذي أنزل ضربات ساحقة بأسياد الارض الفرس ، واعتباره اداة قمع واستغلال ... والثاني نوع من الحنين والمشاعر القومية المنبثقة من التاريخ القديم الذي شهد عظمة امبارطورية الأكاسرة، أي التعصب القومي الشديد، الذي نلمسه في رسالة ـ ابراهيم الامام ـ الفارسي الى أبي مسلم الخراساني، قائد الدعوة العباسية ـ العسكري، حيث قال له فيها: " إن استطعت أن لاتدع في خراسان أحدا يتكلم بالعربية الا قتلته فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، وعليك بمضر القبيلة العربية الكبرى... فانهم العدو القريب الدار ،، فابد خضراءهم ولاتدع على الارض منهم ديارا "[1] .

---

(١) د. عبد اله حنا ـ القضية الزراعيةة والحركات الفلاحية في سورية ولبنان ـ القسم الاول ـ بيروت ١٩٧٥ ص ٢٨

كما يرجع البعض ، ظهور الشعوبية ، الى مابعد قيام الدولة العباسية وقبل أن تحيق الكارثة بالبرامكة ووزراء هارون الرشيد منهم .

ويذكر الشيخ محمد الخضري، في محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية:" أنه عندما غضب المتوكل على الكاتب الوزير ـ عمر بن فرج الرخجي وأخيه ابراهيم، وصادر أملاكهما، فبلغ مقدار ما أخذه منهما "٢٤٠ الف دينار" و"١٥،٠٠٠ الف درهم"، سوى القصر والامتعة والضياع، وقد حمل متاعه وفرشه على خمسين جملا كرات مرارا، علما أنه لم يكن من كبار الاغنياء وملاك الارض والعبيد ". هذا في حين كان جمهور المسلمين يعاني من الفقر والحرمان، فالمتوكل تولى الخلافة في السنة التي تمكنت فيها السلطة المركزية من القضاء على ثورة "بابك الخرمي" العراقي الأصل الاذربيجاني الموطن، وكان أبوه تاجرا صغيرا للزيوت ، وبعد وفاة أبيه عمل راعيا لدى كبار الملاك ثم سائقا للجمال والقوافل وأخيرا صانعا في احدى الورش اليدوية ، ودامت ثورته من عام ٨١٧ وحتى ٨٣٧ميلادي"(١).

ويقول ـ د. عبد الله حنا ـ :" إن تحول الترف والبذخ الى قصور الخلفاء العباسيين واستفحال امر الحريم والغلمان والخصيان والجواري ، وتزايد نفقات أمراء الجيش من الاتراك والاعاجم دفع بالحكم العباسي الى جمع الاراضي الخصبة في أيد قليلة وتلزيم جباية الخراج والعشر الى أشخاص عرفوا بشرههم وشراستهم ، مما أثار نقمة الجماهير العربية والأمم الاخرى التي سعت الى الانفصال عن خلافة بغداد في القرن التاسع الميلادي ".

كما ذكر أن أهم الثورات الفلاحية آنذاك هي تلك التي تفجرت في مصر عام ٨٣١م أيام المأمون ٨١٣ ـ ٨٣٣ م ، وأجبرته على الذهاب الى مصر للقضاء عليها بقوة السلاح وقتل زعماء الحركة وباع النساء والأطفال في سوق العبيد، مما أدى الى انخفاض المحاصيل وتقهقر الانتاج الزراعي لسنوات طويلة في وادي النيل الخصيب(٢) .

وبعد تأسيس الدولة الاموية في الاندلس عام ٧٥٥م ، قام الأغالبة بزعامة ابراهيم بن الأغلب الذي عينه هارون الرشيد ـ حاكما على أفريقيا ، بالانفصال عن بغداد

(١) د. عبد الله حنا ـ نفس المرجع السابق ص ٢٧ ـ ٢٩

(٢) د. أميل توما ـ نفس المرجع السابق ص ١٠٨

وأسسوا دولتهم في الجزائر وتونس عام (٨٠٠ ــ ٩٠٩ م) وعلى أثر ذلك انفصل الادارسة أيضا وأقاموا دولتهم في المغرب بزعامة ادريس بن عبد الله .

وبعد ذلك انفصل أحمد بن طولون وأسس الدولة الطولونية في مصر عام ٨٦٨ـ٩٠٥م ، وشملت فيما بعد ـ دمشق ، وفي عام ٣٢٣ ـ ٣٥٨هـ ، ٩٣٦ـ ٩٧١م، أقام كافور الاخشيدي دولته في مصر وفي عام ٣١٧ ـ ٣٩٤هـ ، ٩٢٩ ـ ١٠٠٣م ، تأسست الدولة الحمدانية في الموصل وشمال سورية ، وجعلت من حلب عاصمتها بزعامة ـ أبا الهيجا عبد الله بن حمدان ومن ثم ابنه الحسن ناصر الدولة وأخيرا ابنه الآخر علي سيف الدولة ، وهم من تغلب ، وفي عهد الخليفة المعتز (٨٦٦ ـ ٨٦٨م) تفجرت ثورة الزنج في كلدة قرب العاصمة بغداد بزعامة علي بن محمد ـ العربي الأصل ، الذي فهم معجم عصره السياسي ، المرتكز على الدين فهما عميقا ، فاسبغ على حركته طابعا دينيا ، لايختلف بشيء عن معظم الحركات الاجتماعية في القرون الوسطى ، التي غلفت أهدافها ومطالبها السياسية والاجتماعية بغلاف ديني[1] مما دفع بالخلفاء العباسيين الى الاحجام عن تجنيد العرب والفرس واللجوء الى تجنيد الاتراك والأعاجم لتشكيل فرق عسكرية منهم تدافع عن النظام في الداخل والخارج ، وكان المعتصم با لله هو أول من توسع في تجنيدهم ، وكان قد ارتكب بهذا الاجراء أبشع الاخطاء والأخطار ، اذ انه أضعف به سلطان الخلافة ودق الأسافين لتقويض دعائمها، وخاصة عندما انتقل مع فرقه العسكرية تلك من بغداد الى سامراء أثر تفاقم الوضع وتزايد تذمر أهالي بغداد من تصرفات هؤلاء المرتزقة ، وخاف من تفجر الوضع الشعبي ، وذكر د. عبد الله حنا عن الخضري : أن عطرسة هؤلاء الجنود فجرت حرب المبرقع اليماني في فلسطين وكان جل رجالها من الحراثين ـ الفلاحين.

وكان المتوكل أول خليفة نصبه هؤلاء القادة المرتزقة الاتراك ، على الرغم من معارضة القاضي الأكبر ومعظم كبار الوزراء ورجال الدولة ، كما كان أول خليفة أغتيل على أيديهم ، وكان المأمون قد منح أشراف الفرس مساحات واسعة من الاراضي في خراسان لقاء تأييدهم له في حربه مع شقيقه الأمين ، مما أدى الى صعود أسرة الطاهريين الى الحكم في الأقاليم الشمالية ، بزعامة عبد الله بن طاهر (٨٢٨-٨٤٤م) وفي عام ٨٧٦ م انتصر يعقوب بن الليث الصفار ، على حفيد عبد

---

(١) د. عبد الله حنا ـ نفس المرجع السابق ص ٣٠

الله ـ محمد ـ وأسس المملكة الصفارية في سجستان ـ خراسان وطبرستان ـ عام٨٧٦-٩٠٣م.

وفي تلك الاثناء تأسست الدولة الزيادية في اليمن، وكذلك الامارة الطاهرية ٨٢١- ٨٧٣م ، كما تأسست الامارة السامانية الاقطاعية في ماوراء النهر بآسيا الوسطى ٨٧٥ـ ٨٩٨ م ـ بزعامة اسماعيل الساماني ، الذي فصل الولايات التي وحدها عن الخلافة العباسية .

كما تأسست الدولة البويهية ٩٣٥ ـ ١٠٥٥ ، والغزنوية ٩٦٢ ـ ١١٨٦م ، في الشرق وفي عام ٨٩٠ م ، تفجرت الثورة القرمطية بقيادة حمدان قرمط ، في أرض السواد بالعراق عام ٨٩٤م ، وامتدت الى اليمن والبحرين، ودامت حوالي ١٥٠ عاما، وفي عام ٩٠٠ ثار القرمطي سكراويه ، بالبدو في بادية الشام وامتدت حركته الى أواسط سورية وفلسطين وحاصروا ودحروا جيوش الخليفة العباسي ـ المعتضد بالقرب من البصرة سنة ٩٠٠ ـ وقد أرسل يومها ـ أبا سعيد الجنابي ـ كبير دعاة القرامطة كتابا الى المعتضد ـ جاء فيه :" وإنما أنا في فلاة ولازرع عندي ولاضرع ولالي بلد ، وقد رضيت بخشونة. العيش والأمن على المهجة والعز بأطراف الرماح".[1] .

كما أقام الفاطميون دولتهم على أنقاض دولة الأغالبة ، ودامت من ٩٠٩ م حتى عام ١١٧١م ، وكانوا قد استولوا على مصر عام ٨٦٩م ، ومن ثم على فلسطين وسورية والحجاز ، وفي عام ١٠٥٥ م ، احتلت القبائل السلجوقية بزعامة ألب أرسلان ، بغداد ودانت لهم أذربيجان وأرمينيا ، وأقاموا أكبر دولة في آسيا الوسطى، وقد استولت الارستقراطية العسكرية السلجوقية على الأراضي ، وقام الملك ـ شاه ـ بتوزيع بعضها على (٤٦،٠٠٠الف مقاتل) من أنصاره .

ويقول د. عبد الله حنا ـ نقلا عن : الجغرافي الاصطخري وعن المقدسي ، بأن ضريبة الارض ارتفعت في تلك المرحلة ، من العشر الى الربع فالثلث ، وفي مناطق الانتاج السلعي ، وجب على الفلاحين الدفع نقدا، وهو الشكل الثالث للريع الاقطاعي ، بعد الريع العيني من المحصول ، وريع العمل ، أي السخرة ، خصوصا بعد تحويل المشاعات الزراعية الى ملكية اقطاعية ... وبعد تحويل عمل الغالبية من العبيد

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٣

على كثرتهم ، الى الخدمة المنزلية ، مما زاد من أعباء الفلاحين وأعاق الزراعة وقلص الانتاج.

ويروي الاصطخري : " إن أسواق النخاسة غصت بالعبيد عن طريق الحروب والتجارة ، وقال : ان احد التجار الايرانيين ، استورد عام ٩٣٦ م على ٤٠٠ سفينة ــ ١٢،٠٠٠ الف عبد من أفريقيا وكان معظم العبيد من : النوبة ، والحبشة ، ومن الأرمن والاتراك واليونان والروس وكانت أسواق العبيد منتشرة في معظم المدن الكبرى ، هذا في حين نشأت دولة ــ عماد ونور الدين زنكي ١١٣٦ ــ ١١٧٤م ، والدولة الايوبية بزعامة صلاح الدين الايوبي ٩٩٢ ـ ١٢٥٠م ، والمملوكية ١٢٥٠ ــ ١٥١٦م .

وفي زمن السلاجقة تحولت الاقطاعية الى اقطاعية عسكرية ، وعلى هذا النهج سار كل من الزنكيين والايوبيين والمماليك ، فاضطرب حبل الامن نتيجة تعديات الجند ، وتم انتزاع الملكيات الصغيرة ، للأرض من الفلاحين فتحولوا الى مستأجرين من الحكام العسكريين ، ويذكر أن نور الدين زنكي أخذ في منح الاقطاعات العسكرية حين عوض صاحب دمشق مجير الدين ، بعد استيلائه عليها عام ١١٥٤ ، باقطاعه عدة قرى بأعمال حمص، كما اقطع شهاب الدين علي بن مالك العقيلي المروج والملاحة، والباب وبزاغة ـ قرب حلب .

هذا فيما استمال ـ صلاح الدين الايوبي ـ العديد من أمراء الجند والمتنفذين، عن طريق منحهم الاقطاعات العسكرية، لمساعدته، في توحيد الصف ومواجهة الصليبيين، وذكر ـ المقريزي " أنه لم يكن في الدولة الفاطمية ـ بديار مصر ولافيما قبلها من دول امراء مصر ـ لعساكر البلاد اقطاعات ، منلما هو عليه الحال اليوم ــ أي في القرن الخامس عشر الميلادي ، وانما كانت تضمن بقبالات الضمان ، ومعروضة لمن شاء من الامراء والاجناد وأهل النواحي من العرب المسلمين والاقباط وسواهم ".

هذه القوى العسكرية ، التي كانت تستأثر مع السلطان وأمراء الجند بفائض الانتاج الزراعي لم يكن بامكانها القيام بأي عمل منتج، اذ لم يوجد على سبيل المثال، عندما وقع وباء سنة ١٣٤٨ م في مصر ، من الفلاحين ، عند حلول موسم الحصاد الا العدد القليل جدا فعجز هؤلاء المتسلطون عن جمع المحصول ، فتركوا معظمه في الارض .

كما يذكر: أن قاضي قضاة الحنفية ــ عبد الله الاذرعي، كان قد تصدى ــ للسلطان المملوكي الظاهر بيبرس ، عندما حاول الاستيلاء على غوطة دمشق ــ قائلا

له في دار العدل " إن الماء والكلأ والمرعى، لله - لايملك - وكل من بيده ملك فهو لـه، والبلد لأرباب الاملاك ولايحل لأحد أن ينازعهم في أملاكهـم، ومـن استحل مـاحرم الله فقد كفر، هذا لما وقعت الحوطة على أملاك الناس "(١) .

وذكر ابن خلدون ، في مقدمته : أن موارد بيت المال أيام ـــ المأمون ـــ بلغـت في العام الواحد أربعة وخمسين مليونا وثمانمائة الف درهم من غلات السواد فقـط. وكـان المحمول الى بيت المال كل سنة ، أيام الرشيد ٧٨٦ - ٨٠٩م - سبعة آلاف وخمسـمائة قنطار ، وحسب الخضري كان الخراج وحده من خراسان " ٣٧مليون " درهـم ومـن فارس "٢٣مليون " ومن الاهواز " ٢٤ مليون " درهم . فاذا كـان الخلفـاء العباسـيون قد تميزوا بالبذخ والترف .. فان اسلافهم الامويـين لم يسـلموا مـن هـذه الميزة، وانمـا بشكل أقل وأضيق مجالا ، فبالمقارنة بـين عهـود البـذخ والـترف وبـين عهـد الاوائـل، المتصف بالاعتدال والعدالة ، يذكر لنا - سعيد بن المسيب - مثالا على ذلـك :" انـه لم يكن مثل ذلك في عهد عمر بن الخطاب الذي حج فانفق في ذهابـه ومجيئـه الى المدينـة ستة عشر دينارا ، وقال لولده عبد الله ، لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا " (٢). ،

ويروى أن الأعور الكلبي الشاعر، وفد على - معاوية - فقال لـه :" اخـترلك مـنزلا فاختار المزة، في ضواحي دمشق - فاقطعه فيها وعشيرته أرضا فقال :

اذا ذكرت أرض لقوم بنعمة	فبلدة قومي تزدهي وتطيب
ومن ينتجع أرضا سواها فانه	سيندم يوما بعدها ويخيـب

ويروى أيضا: أن حفص بن عمـر الازدي، قـال لعبد الملـك بـن مـروان: يـا أمـير المؤمنين إن غوطة دمشق قرية لها ، زملكا - ولي فيها ينوعم وسألوني الاشراف عليهـم وليس لي في الوضع شيء ، فقال له : سل هل لنا في تلك القرية شـيء ، فنظـروا فـاذا بها ضيعة لـ الضيعة(الارض المغلة) من صواقي الروم ، فاقتطعه اياها وكتب لـه عبـد الملك كتابا يشهد على ذلك . " د. عبد الله حنا - نقلا عن كرد علي ص١٠١".وهنا دعونا نرى الفرق بين أفعال هؤلاء وبين أفعال عمر بن الخطاب على سبيل المثال حـين رد على كتاب أبي عبيدة بن الجراح، الذي سأله فيه رأيه في الأرض التي تغلـب عليهـا

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٤٩

(٢) نفس المرجع السابق ص ٥٧ - ٥٨ - نقلا عن كتاب المسعودي - مروج ادهب حرء ص ، ص ٢٤١.

العرب ، فأجابه عليه عمر قائلا :" تضع عليهم الجزية وكف عنهم السباء وامنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحقها ..."[1] .

أما عن الاقطاع العثماني ـ فيمكن التعرف على بشاعته من خلال الاحصائية التالية للاقطاعيات في القرن التاسع عشر، كما أوردها ـ كرد علي[2] ـ في وسط وشمال سورية فقط كمثال فحسب :

نوع الملكية	حمص	حماة	السلمية	حلب
أملاك الاقطاعيين	١١٧قرية	١٠٠قرية	٧٥قرية	٢٠٠قرية
اقطاعية للدولة	١٢١قرية	١٠٦قرية	٤٠قرية	٥٧٥قرية
اقطاعية مشتركة مع الدولة	٢٨قرية	٢٠قرية		
ملكية فلاحية			١٨قرية	

هذا بالاضافة الى أن العائلات والأفراد الذين أوكل اليهم أمر ادارة الأراضي والأملاك الوقفية عموما قد تصرفوا بها وتمتعوا بخيراتها كما لو كان كانوا ملاكا اقطاعيين لها .

إن ماتقدم ذكره من أشكال الظلم والاستبداد والاستئثار بالسلطة والسلطان والثروة بعد العهد العربي الاسلامي الأول ، لم يؤد فقط الى تمزق الدولة العربية الاسلامية المركزية الى دول ودويلات وامارات متعددة ومتناحرة ، وانما مهد الطريق أيضا ـ للغزو التركي المغولي ، التتاري من الشرق ، وللغزو الاوربي الصليبي من الغرب، في القرن الحادي عشر الميلادي ، ومن ثم الى الغزو العثماني في القرن الخامس عشر ، وأخيرا الى الغزو الاوربي الرأسمالي الحديث مابين القرن التاسع عشر والعشرين ومن ثم الى قيام الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨م.

فعندما بدأت اوربا الاستعمارية في غزو المشرق العربي ، تحت راية الصليب وبحجة تحرير المقدسات المسيحية في فلسطين ، كانت الطريق ممهدة أمام هؤلاء الغزاة بسبب ذاك التمزق والتفكك والضعف ... ولهذا نجحوا في احتلال معظم فلسطين والساحل

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٥٦ ـ نقلا عن ـ كرد علي محمد ـ غوطة دمشق ـ ١٩٤٩ ـ ٢٩٩

(٢) د. عبد اله حنا ـ نفس المرجع السابق ص ١٠٣

السوري ، وفي التنكيل بالعرب المسلمين ، واجلاء اعداد كبيرة من السكان العرب عن أراضيهم وطردهم الى خارج وطنهم بالقوة ، فتشكل آنذاك حي المهاجرين بدمشق من الفلسطينيين تماما كما طردوا مرة أخرى في القرن الحالي ، على أيدي الاوربيين أحفاد الصليبيين أنفسهم وأداتهم الحركة الصهيونية ليشكلوا المخيمات المتناثرة في هذا الوقت في العديد من الاقطار العربية ومازال الصهاينة ، وبدعم متواصل وشامل من الغرب الاستعماري يواصلون التنكيل بعرب فلسطين الذين مازالوا داخل وطنهم لاجبارهم على الجلاء عنه ، لكي يحققوا عبرية الارض والسكان والدولة ، لتكون فلسطين بؤرة لأسوأ أشكال العدوان ... ونموذجا لأسوأ أنواع الفاشية العرقية والعنصرية اليهودية والغربية معا.

ولم يكن كل ما تقدم الا النتيجة المنطقية لتناحر وتمزق العرب المسلمين في آخر المطاف حيثما أصبحوا دويلات وامارات وحركات هزيلة متناحرة ... وحينما لم تتورع بعض تلك الدويلات والامارات والحركات ... عن التحالف مع الاعداء ضد البعض الآخر من العرب ، سواء في الاندلس مع ملوك الفرنجة أو في المشرق مع الغزاة الصليبيين.

مما أطال بعمر الاحتلال الصليبي من أوائل القرن الحادي عشر وحتى أواخر القرن الثاني عشر ميلادي ، على الرغم من الحرب السجال بين العرب والمحتلين طوال تلك المدة والتضحيات الكبيرة التي قدمها العرب خلالها ، ولم يفلح العرب ... الى أن جاء صلاح الدين الايوبي واستطاع بمؤازرة دولة نور الدين زنكي من لم شملهم وتوحيد قوتهم في مصر والمشرق العربي وخاض معارك حاسمة تكللت بالنصر المؤزر على الصليبيين، وتشكلت الدولة الايوبية . وعندما شاخت الدولة الايوبية ووهنت قوتها وتزايد نفوذ المماليك في كنفها وراحوا يتناحرون طمعا بوراثتها ، طمع الغزاة مرة أخرى من الغرب والشرق بأرض العرب ...

فقام لويس التاسع ملك فرنسا بمهاجمة دمياط والمنصورة في القرن الثالث عشر ، ولكنه فشل ورد على أعقابه ... نتيجة تدارك العلماء والقادة المخلصين وتضافر الجهود على الصعيدين الشعبي والرسمي والوقوف صفا واحدا في وجه الغزاة، مما أدى الى الانتصار عليهم وأسر ملكهم ومن ثم اطلاقه بشروط..

هذا في حين قام في أعقاب ذلك مباشرة المغول والتتار على التوالي بمهاجمة وتخريب بغداد وبلاد الشام ... ولكنهم فشلوا وردوا على أعقابهم أيضا وهم على أبواب مصر

في فلسطين ، لنفس الاسباب آنفة الذكر ، تحت قيادة السلطان قطز ثم الظاهر بيبرس المملوكيين ، الذين تمكنا من القضاء على بقايا الجيوش الصليبية في بلاد الشام أيضا ، ولكن الحال كان قد اختلف بعد ذلك ، ففي حين استطاع الفرنجة بقيادة الملك فرديناند وزوجته ايزابيلا من الاطاحة بملوك الطوائف والقضاء نهائيا على الوجود العربي الاسلامي في الاندلس عام ١٤٩٢، من جانب استطاع الاتراك العثمانيون من الجانب الاخر ، تحت قيادة محمد الفاتح من فتح القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية ، واحتلال الوطن العربي في القرن الخامس عشر أيضا .

وبذلك زال الحكم العربي ... من الوجود - وانكفأ العرب خاسرين ، ليخضعوا منذ ذاك التاريخ لحكم استعماري عثماني غاشم طيلة أربعة قرون ، ومن ثم الى غزو استعماري عسكري واقتصادي وثقافي غربي شامل منذ القرن الماضي - وحتى اليوم ، ليفرض عليهم خلال قرون عديدة الجهل والتخلف والتفرق وشتى أنواع القهر والاذلال، لابقائهم ضعفاء عاجزين .. والحؤول دون تحررهم وتوحدهم في دولة قومية عربية مركزية واحدة ، تمكنهم من استعادة قوتهم ومكانتهم ودورهم الحضاري بين الامم الاخرى .

وأخيرا يمكن القول إن مرحلة الانحطاط التي مازالت تعصف بالكيان العربي منذ أواخر العهد العباسي وحتى اليوم ، وأصبح العرب بسبب ذلك ... في هذا العصر في مؤخرة أمم الدنيا ، ترجع بجذورها الى البدايات الاولى من الانحراف عن : القواعد والاصول والمناهج والتشريعات القرآنية ، التي طبقها وكرسها الرسول والخلفاء الراشدون والصحابة والقادة وجموع المسلمين بالقول والعمل وحولوها الى وقائع ملموسة ومعاشة فحلت البركات والخيرات والالفة والمحبة وتوحد المسلمون واشتد ساعدهم وفتحت أمامهم الافاق ودانت لهم الدنيا بفضلها وفي ظلها ، وليس من التجني بشيء القول أن الامويين هم من وضع حجر الاساس لتلك البدايات عندما جنحوا ومن بعدهم العباسيون ومن عاصروهم وأعقبوهم في الحكم ... عن تلك القواعد التي طبقها الرسول .. لاسيما في مجال الشورى والديمقراطية في الحكم وفي المجتمع على السواء وأشاعة العدل والمساواة بين الجميع بصرف النظر عن الانساب والعرق واللون والدين.

فعندما استبدوا واستأثروا في الحكم على أساس وراثي وانغمسوا شيئا فشيئا في اللهو والبذخ على الترف والملذات .. وغلبوامصالحهم على مصالح عامة المسلمين

ورعايا الدولة عموما ، وحملوا الشعب أعباء لم يكن له طاقـة عليهـا ، نتيجـة انفـاقهم المتزايد وخاصة على خصوصياتهم .. انما كـانوا بذلـك يدفعـون نحـو الفرقـة والتنـاحر والتشرذم.. والتراجع عن الدور الحضـاري، حتـى أصبحـوا في المراحـل الاخـيرة لقمـة سائغة أمام الاعداء الذين ألحقوا بهم الهزيمة وراء الاخرى الى أن انتهى العرب الى ماهم عليه اليوم.

وهو ما يؤكد أن الاسـباب الرئيسية في ذلـك كـانت ذاتيـة داخليـة أمـا الخارجيـة فكانت نتيجة لتلك ... أي إن ماوصلوا اليه في النهاية كان من صنع ايديهم ولم يكـن من صنع الغزاة الاستعماريين ، الذين لم يستطيعوا بمجرد التفكـير في غـزو أرض العـرب عندما كانوا أقوياء وكانت دولتهم تمتد من الصين الى الاطلسي ومن الفولغا الى المحيط الهندي .

فمن يغرس قمحا يحصد قمحا ... والا فزوانا ، فمـن عمـل صالحـا فلنفسـه ومـن أساء فعليها ما ربك بظلام للعبيد.

أما كيف السبيل الى التغيير نحو الافضل فتقول الايـة الكريمـة :" لايغـير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " .

فهل نتعظ ونتعمـل في سـبيل الخـلاص والحريـة والعـزة والكرامـة ... لاسـيما وأن الطريق الصحيح الى ذلك واضح جلـي ـ لمـن شـاء سـلوكه ؟ وهنـا لا أدعـي المقـدرة على رسم كروكي لتشعبات ومسالك الطريق وتحديد ما يتخلله من مصاعب وعقبـات وتحديات ومخاطر ومنزلقات كثيرة شتى ... الخ .

فمن أراد السير في هذا الطريق وخوض غمار معترك الحياة الحرة الكريمـة .. يحتـاج الى تهذيب النفوس وتقويم الاعوجاج ومنـع الانحـراف واشـاعة الحريـات الديمقراطيـة وتغيير واقع التجزئة والفرقة والتخلف العربي ... وهـذا يحتـاج الى زاد وزواد : مـادي وبشري وروحي واخلاقي كاف ، والى تظافر وتوحيد الجهود على المسـتويين الشـعبي والرسمي، بعد اصلاح المؤسسات ... القائمـة واستبدالها بأحسـن منهـا ، والى معرفـة العدو من الصديق في الداخل والخارج معا ، والقـدرات الذاتيـة لكـل منهمـا ... والى رسم الخطط والبرامج المناسبة واتقان البنـاء الذاتـي وتنظيـم وشـحذ القـوى وتوظيـف الطاقات البشرية والموارد المادية ، أي توفير العدة والعدد وتأمين المدد وايجاد القيـادات الكفـوءة المخلصـة المتفانيـة ... واسـتعداد الشـعب للبـذل والتضحيـة وتحمـل أقصـى المعاناة.. الخ. لكي نبدأ بوضع أقدامنا على الطريـق الصحيـح ويصبح بالامكـان تجـاوز

مانحن فيه ... أولا ـ وتحقيق الانتصار على قوى الاستعمار ... ثانيا ـ وتحقيق الاهداف والطموحات القومية العربية في الحرية والوحدة والتنمية الشاملة وتوفير الرخاء ... وتحقيق العدالة والمساواة ، دون تفرقة أو تمييز من أي نوع كان وتحقيق التقدم الحضاري المنشود ... ثالثا .

إن ماتقدم ذكره قد يكون من وجهة نظر البعض مجرد أوهام يستحيل تحقيقها إلا في الاحلام وفي خيال المتفائلين فحسب.

وأنا أقول أنه ليس هناك في الوجود ماهو مستحيل التحقق ... فالمسألة هنا تتوقف على ارادة ودور وقدرات الانسان وحسن تدبيره وطرق واتجاهات وحدود ومستويات تفكيره وطموحاته وأساليب معالجته للواقع ، المقصود تغييره.

ومع ذلك فانا أوافق على استحالة تغيير واقعنا العربي ـ الراهن الذي هو عبارة عن مجال حيوي لقوى الاستعمار ... وميراث قرون من التراجع والتخلف ، الذي بدأت تراكماته منذ انحراف بعض اسلافنا ، ممن حكموا الدولة العربية الاسلامية وخاصة في آخر عهودها بعد القرن الحادي عشر الميلادي ، وحادوا عن جادة الصواب ... مما أدى الى أفول نجم العرب المسلمين وانهيار دولتهم في آخر المطاف ، وعلى النحو الذي مر ذكره وعللنا أسبابه حتى ولو لم يعوا في حينه أنهم بذلك .. انما يسرون نحو تلك النهاية المأساوية التي مازلنا نرزح تحت عبئها الثقيل حتى اليوم.

كما يمكن القول أيضا : إن بعض العرب ممن تولوا الحكم ، بعد دحر الاستعمار الكولونيالي الغربي في النصف الثاني من هذا القرن ، عن أقطار الوطن العربي ، لعبوا الدور الاساس ، ليس في تكريس ذاك الميراث ... الذي لعب ـ المماليك والاتراك العثمانيون الدور الاساس في صنعه فحسب وانما بددوا الثروة العربية ... وكرسوا التجزئة التي فرضها الاستعمار الغربي بعد الحرب العالمية الاولى ١٩١٨ـ وألحق ذلك بغرس الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨ م ، رغم أنف العرب والمجتمع الدولي معا ، كما فرض التبعية على العرب وجعل المنطقة في اطار نفوذه ، مما زاد في تهديد مستقبل الكيان العربي وفي تفرق وتخاذل وضعف وتخلف العرب عن ركب الحضارة والتقدم الذي حققته البشرية في العصر الراهن .

لذلك لا خلاص ، منظور أو متوقع في المستقبل ـ بعيدا كان أم قريبا مالم نبدأ بذاتنا أولا ونغير من عقليتنا وطرق تفكيرنا وأساليبناووسائلناوممارساتنا ، وفي المقدمة احترام حرية الرأي والتعبير وحرية الانسان أي اشاعة الحريات الديمقراطية ، والاقلاع عن

التعصب سواء كان طائفيا أو مذهبيا أو قبليا أو قطريا أو قوميا ، ووضع حد للاستغلال واهدار الثروات والتلاعب بمقدرات الامة والحرص على حماية المواطنين وحقوقهم وأمنهم ، والنزاهة في تطبيق الانظمة والقوانين والدساتير مع وجوب تعديلها لتتماشى مع هذه التوجهات ، لضمان تعبئة وتنظيم وتوحيد جهودنا وقوانا البشرية والمادية ، وتوظيفها لصالح معركة الحرية والوحدة والتقدم....

فما لم نغير من واقع دولنا ودساتيرها وأنظمتها وقوانينها ومن طبيعة أجهزتها ووظيفتها لتصبح دولة كل الشعب ، والا فان بقاء الوضع .. على ماهو عليه لايجدي نفعا، خصوصا وإننا نرى الفساد ... بأم أعيننا هو يستشري ... كما نرى في المقابل في عصر الفضاء مايثير الدهشة والاستغراب، من خلال محاولات من ـ يسعون الى فرض الجمود والانغلاق والتقوقع والتخلف من جديد باسم الدين؟ فأين هذا من عقلية وتفكير المسلمين الرواد الاوائل؟!، الذين اتسم منهجهم بالانفتاح واحترام حرية الرأي واشاعة العدل والمساواة في الحقوق والواجبات ، ومحاربة الجهل والجمود والتحلف والحض على نهل العلم والمعرفة حتى ولو كان ذلك في الصين ، حسب قول الرسول محمد ، الذي حض على التعلم من المهد الى للحد، فالاية تقول"ربي زدني علما "، وهو ماجعل المسلمين يتوغلون ودون خشية على دينهم .. في مباحث الفلسفة والعلوم، مما ساعدهم على تحقيق أعظم حضارة انسانية ، مازلنا نباهي بها الأمم ، فخرا واعتزازا حتى اليوم، فهل هناك من عاقل غيور يقبل أن نعود وتحت أية حجة من الحجج، القهقرى قرونا عديدة الى الوراء؟! ونقطع الطريق على امكانية نهوضنا للتخلص من ميراث قرون الانحطاط ومختلف أشكال التبعية والاستعمار والاستغلال بأيدينا ؟! فهذا محال لأمة باتت تدرك أسباب ما أصابها من ضعف ووهن وتخلف ... وتتعشق الحرية وتتلمس سبل خلاصها ، لتحقيق استقلالها ووحدتها القومية وتقدمها الاجتماعي والحضاري ، أن تنثني عزيمتها عن المضي في هذا الاتجاه مهما كلفها من تضحيات أو طال الزمن .

يقول بهذا الخصوص الشاعر القروي ـ رشيد سليم الخوري :

صلى الاله على النبي — ويوم مولده الكريم
يوم نراجع فيه ماضينا — وحاضرنا الاليم
ونعيد في العهد الجديد — جلائل العهد القديم
يوم نراجع فيه سيرة — ذلك البطل العظيم

ويقول أيضا :

ولكنني أصبو الى عيـــدامـــة ... محررة الاعناق من رق أعجمي
الى علم من نسيج عيسى وأحمد ... وفاطمـــة في ظله أخت مريم
أروني عيدا يجعل العرب امـــة ... وسيروا بجثماني على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننـــا ... وأهـــلا وسهلا بعده بجهنم

كما أنشد عمر أبو ريشة عن الوطن مايلي :ـ

وطن عليه من الزمان وقـــار ... النور ملء شعابه والنـــار
تغفو أساطير البطولة فوقـــه ... ويهزها من مهدها التذكار
فتطل من أفق الجهاد قوافل ... مضر يشد ركابها ونـــزار
في كل صقع جماجم نشتها ... حرم على شرف الجهاد يزار

وقال أيضا :ـ

أولست من نسل الألى نسلوا العلى ... وكسوا دياجير الورى بمنائر
وتطلعوا صوب الشمس وأسرجوا ... للفتح صهوة كل مهر ضامر
ومضوا الى غاياتهم ثم انثنـــوا ... وعلى خدود النجم وشم حوافر

الفصل التاسع :

اليهود والغرب يستخدمون الدين منذ القدم ضد العرب

أثبتت الوقائع والتجارب أن اليهود والغرب كانوا منذ القدم ومازالوا يضمرون الشر للعرب، ويتربصون بهم الدوائر، ويواصلو العدوان عليهم طمعا بأرضهم وثرواتهم وسعيا لاقتلاعهم من الوجود ، كبشر وكيان وتاريخ وحضارة ، فلو عدنا الى الوراء وتتبعنا خطواتهم عبر التاريخ ، فاننا نجد أنهم كانوا بالمرصاد لهم ابدا، يتحينون الفرص ولحظات .. الضعف .. لينقضوا عليهم ... فعندما استطاع : الفرس - والاغريق - والرومان على التوالي تحطيم الدولة العربية المركزية الشرقية القديمة ، كان أسلاف اليهود من الاسرائيليين يعملون كجواسيس عندهم مما سهل انتصارهم على العرب. وهو ماجعل هؤلاء يساعدونهم ويسهلون عليهم بدورهم العودة الى مضاربهم القديمة بغرب شبه الجزيرة العربية وتزوير التاريخ وسرقة التراث الثقافي والروحي والحضاري العربي القديم فقد اجتمع في القرن الثالث ق.م حوالي سبعين كاهنا يهوديا برئاسة كبيرهم " عزرا " وراحوا يألفون التوراة حتى اذا ما أنتهوا منه وظهر الى الوجود ، كانوا قد اتخموه تزويرا وحقدا وتطاولا لامثيل له - على العرب — اضافة الى شتى الادعاءات والمزاعم ، التي حولت الانجازات والابداعات والبطولات العربية الى انجازات وبطولات اسرائيلية، عبرانية - يهودية ، وقد بالغ التوراة في سردها وتمجيدها ... كما أضافوا اليها التأكيد على مجيء المخلص ، وقد أخذوها كفكرة عقائدية تنبؤية عن المردوكية البابلية — وعن الزردشتية التي وضع أسسها زردشت " ٦٦٠ -٥٨٣ " قبل الميلاد، وقد ساعدتهم السبية الاسرائيلية — استير — والدة الامبراطور " قورش " في تبنيه لموضوع عودتهم ... حيث يقول "سفر أشعيا — ٤٥" هكذا يقول الرب لمسيحه قورش الذي أمسكت بيمينه لادوس أمامه أمما ... لاجل عبدي يعقوب ... واسرائيل مختاري ... دعوتك باسمك - لقيتك وأنت لست تعرفني - أنا الرب وليس آخر ".

وأشعيا هذا الاسرائيلي كان عميلا وجاسوسا لقورش ، في بابل ، وبعد ذلك جاء الامبراطور أرتحتسيا فاصدر امرا الى الكاهن " عزرا " ، لاتمام تلك العودة من السبي[1]

فقد تأسس التعصب العرقي العنصري والنزعة الاستعمارية ... لأول مرة في التاريخ الانساني آنذاك ومازالت تمارسه أوربا واليهود والغرب عموما ، وتجلى بشكل واضح، في بداية الامر في الغزو الفارسي والاغريقي والروماني ، ومن ثم في الحروب

---

[1] د. جرجي كنعان - سقوط الامبراطورية الاسرائيلية - بيروت ١٩٨٢ - ص ٨٦

الصليبية التي دفعت اليها الكنيسة الكاثوليكية - الغربية - ضد العرب في المشرق ، وفي الاندلس أيضا ، وتجلت فيها التعاليم والاحقاد ، والادعاءات والمزاعم التوراتية ، والاطماع الاستعمارية في أرض العرب بأبشع صورها، ولنأخذ ماقاله - سانت برنارد - رئيس دير - كليرفو - مثلا على ذلك ، عندما أشاد بفرسان الهيكل الذين كانوا ، أثناء سيطرة الملك بولدوين - على القدس ، في القرن الثاني عشر ميلادي قوة صليبية رئيسية ، خاصة مميزة وموضع اهتمام وعناية ملوك اوربا وباباوات الكنيسة الكاثوليكية في روما أثناء الحروب الصليبية غير المقدسة - قائلا عنهم:" انهم يتوجهون في ساحة المعركة كأبناء حقيقيين لاسرائيل - وأنهم يقاتلون العدو كالاسود "[(١)] .

كذلك فان أعضاء الجمعية السرية ـ الطائفية ـ العنصرية ـ المعادية للسامية " الكاردونا " وذات العلاقة الوثيقة : باليهودية - والصهيونية ـ والنازية ـ والفاشية ـ والتي تأسست أيام الملك ، فرديناند وزوجته ازابيلا ، ١٤٩٢ـ ومن ثم استعادت نشاطها أوائل هذا القرن بعد انكفاء طويل ، وانتشرت في العديد من بلدان اوربا واميريكا وخاصة اللاتينية - يقولون " ان القضاء على آخر عربي ومسلم في اوربا ... استغرق منهم الف ومائتي عام ، أي حين كان أجدادهم في الجمعية الاداة المفضلة لفرق التفتيش الكاثوليكية - التي قضت على المسلمين وجميع أشكال الهرطقة ـ التي ابتليت بها اسبانيا - ".[(٢)] وعلى نفس الارضية ظهرت وتأسست النظرية الثقافية العرقية العنصرية المركزية الغربية في مطلع عصر النهضة الاوربية ، وبزوغ فجر البرجوازية الرأسمالية - ذات المنطلق العنصري - التوفيني - والميكافيلي - والبرغماتي ـ والاهداف الاستغلالية الاستعمارية ـ على مسرح الاحداث والتي ترجمع فيما بعد الى غزو متواصل ومتعدد الوسائل والجوانب ضد العرب وأرضهم وتاريخهم الحضاري منذ حملة نابليون بونابرت ، وحتى اليوم - وكانوا ومازالوا يستهدفون ـ قبل أي شيء آخر اغتيال التاريخ الحضاري ، والكيان القومي العربي معا، حتى لايبقى هناك ما يهدد مصالحهم ووجودهم على أرضنا في المستقبل . ولا حتى دليل يذكر الاجيال العربية بتاريخها - الذي هو تاريخ التمدن البشري ، لاسيما وأن هذا التاريخ يشكل ، اذا ماأزيح عنه غبار التزوير وركام التدمير ، رافعة عملاقة لانهاض وحفز ابناء الامة

---

(١) ركون كارول - الجمعيات السرية بين الأمس واليوم -.ترجمة : آسيا الطريحي ـ مراجعة : د. عزمي الصالحي ـ بيروت ١٩٩٤ ص ٣٨ - ٣٩

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٠٩

العربية من جديد لتحرير أرضهم وتحقيق وحدتهم القومية في اطار دولـة مركزيـة ذات سيادة وذات شأن وقوة يرهب جانبها .

إن ماتقدم ذكره عن التاريخ والدور الحضاري الرائد للأمة العربية عبر العصور ليس الا غيضا من فيض ، ولانستطيع مهمـا حاولنـا ايفـاءه حقـه، وذلـك لكـبره وتطاولـه وامتداده في الزمان والمكان، كتطاول وامتداد الاوابد، التي مازالت شامخة راسخة في الارض العربية حتى اليوم ، ولسوف تبقى مستعصية على الطمس والـتزوير ولـو كـره الحاقدون المتربصون بأمتنا العربية وبأرضها وتاريخها وجودها الخالد أبدا.

وليس من باب المبالغة بشيء القول : إن ماتتعرض له اليوم من فرقة وتمـزق وتجزئـة وسيطرة استعمارية ... لايعدو كونه غيمة صيف عابرة ـ بالمقياس التاريخي لعمر ودور الامم الراسخة الخالدة ، فهي تختزن من الطاقات وعوامل وعناصر القوة ، مايمكنها من النهـوض، وبقـوة مـرة أخـرى ، لتسـتعيد مكانتهـا ودورهـا الحضـاري علـى المسـرح الاقليمي والعالمي ، في المستقبل ، خصوصا وأنهـا تعرضـت لمثـل ذلـك عـبر التـاريخ ، واستطاعت تجاوزه ، حينما انطلقت في ظل الفتـح العربـي الاسـلامي في مطلـع القـرن السابع الميلادي ، واستعادت زمام المبـادرة بالاسـتناد لذلـك الارث الحضـاري العربـي العظيم القديم، والى عزيمة المؤمنين المتطلعـين الى المسـتقبل بثقـة واقـدام لاحـراز المكانة اللائقة بين الامم ، فكانت انطلاقتهم الحضارية وما حققـوه مـن انجـازات حضاريـة ، تناظر حضارة الاجداد والامم كافة ، وتتجاوزها باشواط كبيرة جدا، وذلك بدليل أن العرب استطاعوا عبر العصـور انتشـال العـالم عامـة وأوربـا خاصـة مـن براثـن الجهـل والتخلف لثلاث مرات متباعدة:

الاولى :ـ هي تلك التي نقل الانسان العاقل ــ جد العرب الاعلـى ــ حضارتـه الى العالم قبل عشرات الالاف من السنين.

والثانية :ـ هي التي نقل خلالها أجدادنـا العـرب القدمـاء حضـارتهم مباشـرة الى الاغريق والرومـان وسـواهم ، الى العـالم عامـة واوربـا خاصـة قبـل بضعـة آلاف مـن السنين.

الثالثة:ـ هي التي نقلها العرب المسلمون الى اوربـا ــ في القـرون الوسـطى ــ عندمـا كان بعض سكان اوربا يأكلون لحوم البشر.

لذلك يجب على الاوربيين الاقرار بفضل العرب عليهم، اذ ليس من شيم الاخـلاق بشيء ذاك العقوق ونكران الجميل ومحـاولات قطـع اليـد الـتي امتـدت لانتشـالهم مـن

جهالتهم لمرات متعاقبة عبر العصور التي احتل العرب فيها موضع الصدارة حتى عصر النهضة الاوربية وريثة العرب. فعلى العكس من ذلك ، لم تستطع اوربا واحفادها في العالم الجديد ، الامريكان البيض الخروج عن طبيعتها : الطائفية ـ العنصرية ـــ الاستعمارية ـ ذات الاطماع التاريخيةفي الشرق متقفية بذلك ومعها الصهاينة ـــ خطى اليهود التوراتيين القدامى والرومان والصليبيين في الحقد على العرب وطمعا في أرضهم وخيراتهم، حيث مازال الغرب يتخذ من التوراة المشبع بالحقد والتعصب ... والتزوير والادعاءات والاكاذيب ـ سندا ومرجعا لمتابعة العمل ، لطمس التاريخ الحضاري العربي... ومبررا لدعم ومشاركة الصهاينة لتحقيق ادعاءاتهم وماليس لهم حق فيه في أرض العرب ... حيث لم يكن بمقدور أجدادهم المزعومين القدامى تحقيق أي شيء من تلك الادعاءات و المزاعم والبطولات ومنها الحقوق التي يطالبون بها استنادا الى اكاذيب التوراة والتلمود ، التي يندى لها الجبين .

الحرب ضد العرب تشمل كل الميادين :

وهكذا مازال الغرب واليهود والصهاينة على رأسهم مندفعين بهذا الاتجاه حتى اليوم من خلال عمليات التزوير وقلب الحقائق ... والغزو الثقافي والاعلامي ومختلف أشكال الدعاية والتضليل والتشكيك .. المتواصل والتجهيل بحقائق التاريخ وبمعطيات العلوم ذات الصلة .. لفرض المزيد من التخلف والتبعية على العرب ـــ وتهميش الامة العربية ودورها التاريخي الحضاري ـ ولجعل العرب منذ وجدوا بجرد قبائل وأقوام رعوية متناحرة متصارعة على بئر ماء ، أو مرعى في صحاري شبه الجزيرة العربية وليس لهم تاريخ حضاري يجمعهم ليشكلوا أمة واحدة لها كيانها القومي الواحد ... ليكون لهم الحق بالنضال في سبيل تقرر المصير والاستقلال ، كالشعوب والامم الاخرى .. في اطار دولة مركزية واحدة ، وذلك بهدف تحطيم نفسية المواطن العربي وخداعه وابهامه بعدم وجود أية روابط قومية عربية بينه وبين أبناء الاقطار العربية الاخرى حيث يفقد عند ذلك المشاعر المشتركة التي تشده اليها.. مما يدفعه ـــ حسب ما يراهنون ـ الى اليأس والخنوع والاستسلام امام كل طامع بأرضه وخيراتها.

مما يؤدي الى قطع الطريق على امكانية يقظة ونهوض الامة العربية من جديد والحؤول دو تحقيق حريتها ووحدتها القومية وبناء دولتها المركزية في الوطن العربي مستقبلا. لما في ذلك من أخطار تهدد مصالح ومطامع ووجود الاستعمار في الوطن

العربي وبلدان آسيا وافريقيا أيضا، خصوصا وأن موقعه الجغرافي يتحكم بخطوط المواصلات والملاحة والتجارة الدولية برا بحرا وجوا، هذا فضلا عن أهميته الاستراتيجية : العسكرية والاقتصادية لقوى الاستعمار الامبريالي في الغرب.

وجاء اكتشاف مخزون هائل من البترول في الوطن العربي أوائل هذا القرن ليزيد من أهميته ... ومن مطامع قوى الاستعمار وتكالبها لبسط سيطرتها الكاملة الدائمة عليه بالقوة العسكرية والعدوان المتواصل .

و لم يكن احتلال الغرب للوطن العربي جزءا بعد الاخر منذ القرن الماضي وحتى الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ ــ ١٩١٨ م ، وتجزئته وتقاسمه واقامة الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨ ومده بكل اسباب القوة والعدوان والتوسع، والبقاء وحماية أمنه ووجوده حتى اليوم الا نصرا مرحليا ، حسب الاستراتيجية بعيدة المدى والاشمل للامبريالية والصهيونية ، رغم سيطرتها العسكرية والسياسية والاقتصادية على الوطن العربي ، باعتبار هذه السيطرة قابلة للزوال مع حدوث متغيرات معاكسة وذات شأن عربيا ودوليا في المستقبل.

فالنصر الاستراتيجي الاكبر بنظر الغرب والصهاينة لايتحقق الا بتمزيق شمل الامة العربية وازالتها نهائيا من الوجود ـ ككيان وتاريخ وحضارة وهوية ... اذ لم يكن تجزئة الوطن العربي الى كيانات وامارات متعددة هزيلة وتابعة ، وصنع اسرائيل ــ الا خطوة اساسية بهذا الاتجاه ، وذلك كي لايبقى هناك مايربط العربي بأخيه او ما يكفي من الروابط والمشاعر والمصالح المشتركة .. لدفع الجماهير في الاقطار العربية الى تحسس مسؤولياتها وواجباتها المشتركة ، أو تبني شعارات تحررية قومية عربية وحدوية والقيام بعمل نضالي موحد لتحقيقها لاسيما وأن العمل المعادي في هذه المرحلة يتضاعف وتتسع مجالاته ، في سبيل احداث المزيد من التجزئة والتبعية والتفتيت والتناحر والتمزق والانكفاء والتباعد بين الاقطار العربية وجماهير كل منها، من خلال تضييق قنوات التواصل والتبادل والتمازج والتعاون والتعاضد، وتغذية الصراعات القبلية والمذهبية والطائفية والعرقية والقطرية ... لخلق كيانات طائفية واثنية جديدة، وبنى وأنماط ومنظومات اقتصادية وثقافية واجتماعية ... ومشاعر نفسية متعددة متباينة ومتباعدة ـ وولاءات وانتماءات وطنية قطرية .. بديلة شتى.

ومما يساعد على تحقيق ذلك أيضا التهافت العربي الرسمي لتمرير الحلو الامبريالية الصهيونية ـ التصفوية لقضية فلسطين وقضايا النضال التحرري العربي عموما.

والاندفاع لغرض تطبيع العلاقات مع اسرائيل في اطار مايسمى بعملية تحقيق السلام المزعوم، في الشرق الاوسط، والى جانب ذلك العمل بالتعاون مع أجهزة العدو الصهيوني والامبريالي لترويض وقمع واحباط المواطن العربي وتكبيل حريته ومنعه من مزاولة أي نشاط مقاوم واكراهه بشتى الوسائل على الصمت وعدم الاعتراض على ما يجري من ترتيبات واجراءات تتناول وجوده وكيانه الوطني والقومي ومجمل تراثه وتاريخه الحضاري بالهدم والتدمير الشامل بما في ذلك انهاء حالة الحرب واستبدالها بالصلح والاعتراف والتآخي والتعاون في شتى المجالات على النطاق العربي بالاضافة الى الغاء قوانين المقاطعة ومناهج التعليم التي تشتمل على عبارات معادية لاسرائيل وتحض على مقاومتها أو تتنكر الى وجودها والى الحق التاريخي المزعوم ـ لليهود في فلسطين.

مما يفسح في المجال أمام الصهاينة لتحقيق حلمهم باقامة اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل ، وحجتهم في ذلك ما أورده التوراة من مزاعم وأباطيل :

" لنسلك أعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير - سفر التكوين - ١٨ ـــ و لم يكن قادة الصهاينة ليخفوا نواياهم العدوانية التوسعية تلك ـ فهاهم يعلنون بصراحة وبوضوح عن مساعيهم الحثيثة لتحقيق ذاك الحلم ، فعلى سبيل المثال ـ قال حاييم بيغن - في تصريح له يوم ١٢/٣/ ١٩٥٦، " اننا نرى شمالنا في سهول سورية ولبنان الخصيبة ، وشرقنا في وديان الفرات ودجلة الغنية ، وفي الغرب بلاد مصر ".

أما بن غوريون ـ فقد قال :" ان اسرائيل لن تقنع بحدودها الحالية ... وان الامبراطورية الاسرائيلية سوف تمتد من النيل الى الفرات ". (١)

فاذا ماتحقق كل ذلك يكون عندئذ قد أوشك هدم كيان الامة العربية وتقويض وجودها على الانتهاء. وهو ما يطمح الغرب والصهاينة الى تحقيقه كهدف استراتيجي في المستقبل غير البعيد.

ولما كانت الارض وبالبشرواللغة والتاريخ والشعور النفسي المشترك - هي شروط ومقومات وجود الامة - وضمان استمرارها ورسوخها فان غيابها وافتقادها ـ لتلك الشروط - نتيجة مايجري على أرضها من محاولات وترتيبات وتطبيقات بشكل محموم ومتواصل ، فانه يعني في المحصلة النهائية غياب الامة العربية وانعدام وجودها مع

---

(١) د. جورجي كنعان - نفس المرجع السابق ص ١٥

مرور الزمن ـ وبالتالي لايبقى هناك ثمة جدوى أو أساس مادي ملمــوس يثير الجماهـير العربية ويدفعها لتبني سشعار امة عربية واحدة ... على سبيل المثال ، مع احتمال تغيـير المفاهيم والقناعات والانتماءات ... باخرى بديلة ، مع ماقد يرافق ذلك مـن تبـاين في المصالح ... بين الاقطار العرببية وجماهيرها معا.

فالعمل المعادي الذي يلقى كل عون من الداخل العربي الرسمي والرجعـي والاتبـاع والعملاء وذوي المصالح الخاصة الضيقة ـ لم ولن يتوقف عن العمل في سبيل خلق تلك البدائل الا بالمقاومة ، والجهاد المتواصـل وتقديـم التضحيـات وتوحيـد المواجهـة علـى الصعيد القومي العربي وبالانتصار على هؤلاء الاعداء مجتمعين.

التاريخ والآثار العربية أخضعا للتزوير والتــوراة كان السنـــد والمرجع الاســـــاسي

فلقد استبق الغرب : واليهود وقادتهم الصهاينة ماتقدم ذكره ، بعمـل خطـير علـى وجود الامة العربية ومستقبلها عندما أقدموا منـذ قـرون علـى صياغـة التـاريخ العربـي وخاصة القديم منه فجعلوه قزما مسخا، عبر التزوير وقلب الحقائق ... لكل ما أ نجزه العرب من ابداعات حضارية عبر العصور .. وعلى نحو يضلل الشـعب العربـي ويخـدم اهدافه الاستعمارية بأرضنا .

فقد صنفوا وقسموا شعوب العالم عامة والشعب العربي خاصة الى أعراق وأصول وألوان عديدة مختلفة ومتباينة الهوية .. واخترعوا لها أسماء وصفات وخصائص .. لاتتطابق مع الواقع والحقائق التاريخية والتكوينية العرقية، والاسهامات والابداعات الحضارية ليصلوا الى التأكيد على وجود عرق متميز ومتفوق وحده : تكوينيا ـ واصطفائيا ـ ووراتيا ـ برقيه وبعبقريته . ألا وهو العرق الابيض في الغرب .

وهو الاساس الذي قامت عليه النظرية الثقافية العرقية العنصرية المركزية الاوربية الغربية التي أطلت على العالم مع اطلالة البرجوازية والنظام الرأسمالي في الغرب، وهذا الاساس شكل المنطلق لاعمال التزوير الشامل لكل ماهو عربي وذلك باضفاء صبغة علمية عليه ، حينما سخروا مختلف العلوم وأسسوا الجمعيات الاستشراقية ومراكز الابحاث والدراسات، ودفعو بالمستشرقين والعلماء والباحتين والمتخصصين في التنقيب عن الاثار واللغات القديمة والتاريخ والجيولوجيا والعلوم الاخرى المساعدة ، الى الوطن العربي الغني بالاثار.

وشهد منتصف القرن الماضي وحتى مطلع هذا القرن ذروة توافدهم وخصوصا الى المشرق العرب ـ وكان العديد من بينهم من اليهود التوراتيين والصهاينة ، وذلك بهدف الاستئثار في الكشف عن الآثار التاريخية العربية الهائلة التنوع والرقي ، قبل أن يتمكن العرب أنفسهم من امتلاك القدرة والمعارف العلمية ... الكافية للكشف عنها واستنطاقها، لتفضي بما تكتنزه من حقائق دامغة ينهزم أمامها كل من سولت لهم أنفسهم العبث والتزوير : كما سوف نرى على أيدي هؤلاء الذين احتكروا التنقيب والاشراف عليه ـ دون تدخل أو رقابة عربية ما فعالة ـ وأخضعوا كل ما تم اكتشافه الى تحليلات وتفسيرات واحكام .. اعد لها سلفا ـ لتكون مطابقة مع الغاية التي أتوا من أجل تحقيقها.

مما جعلهم يأخذون الحرية التامة في التزوير ـ الذي كانت نتيجته بتر العرب عن ماضيهم الحضاري ـ وتقزيم دورهم وشكل وجودهم على أرضهم .. التي كانت مسرحا لاحداث تلك الايام والسنين والعصور الغابرة، وتحويله الى وجود هامشي متخلف ومتطفل على حضارات الاخرين. (١)

---

(١) د. أحمد داوود سلسلة القسام الفكرية ... مرجع سابق ص ٨.

فالتاريخ الحضاري العربي القديم ـ لم يتجاوز بنظر هؤلاء ومعهم المؤرخون الغربيون وتلامذتهم من المؤرخين ... العرب عموما ـ حدود حركة مجاميع قبلية عربية تجوب صحارى شبه الجزيرة العربية وبادية الشام واقامة مملكة تدمر ومملكة الانباط في البتراء وامارتي الغساسنة والمناذرة في كل من جنوب سورية والعراق في أحضان امبراطوريتي الروم والفرس.

هذا بالاضافة الى التعرض الى الحضارة العربية الاسلامية بشيء من التفصيل ولكن مع انكار اصالتها صراحة وارجاع الفضل في تأسيسها الى الحضارة الاغريقية اليونانية، التي نقل عنها العرب المسلمون كل شيء ـ كما يزعمون ـ وخاصة الفلسفة والعلوم.

ومما ساعد على تغييب وطمس التاريخ العربي القديم ـ أيضا هو أن المؤرخين العرب المسلمين كانوا يجهلون عظمة التاريخ الحضاري العربي القديم، خاصة وأنهم كانوا قد صرفوا أنظارهم عن تناولة أو اعلاء شأنه وابرازه ، لانشدادهم الى ابراز دور العرب المسلمين في نشر دين التوحيد الاسلامي والاشادة بفتوحاتهم وانجازاتهم الحضارية، مما جعلهم يتجاهلون تاريخ الاجداد وانجازاتهم .. باعتبارهم كفرة وعبدة أوثان ليس الا ، الى جانب نعتهم المجتمع العربي ماقبل الاسلام بالجاهلية ـ والعصر الجاهلي ـ جزافا وظلما ، مما أدى الى الانقطاع وتكريس الجهل بتاريخ الاجداد ومآثرهم الخالدة، وعدم التواصل لقرون طويلة ، تعرض خلالها الوطن العربي لغزوات كبرى : فارسية واغريقية ورومانية وحبشية ، منذ منتصف الالف الاول قبل الميلاد وحتى الفتح العربي الاسلامي في القرن السابع الميلادي.

ولم يغفل الغرب أثناء عصر النهضة الاوربية عن استغلال هذا الفراغ والتسلل من تلك الثغرات .. ليعمل على تزوير التاريخ العربي وجعله خاويا ، من كل انجاز وابداع.. وهو ماجعل العربي المعاصر مضللا ومخدوعا ومتطفلا...

وبسبب ذلك الجهل ... نجد العربي مندفعا دونما حذر أو تبصر نحو الالتحاق بجامعات الغرب ليتلقن تاريخه حسب الصورة القزمية المشوهة التي رسمها الغرب له ليتحول بعد ذلك الى مجرد وسيط لنقل تلك الصورة للاجيال العربية المتعاقبة ، عبر المدارس أو الجامعات العربية دون أن يدري أن ذلك زور وبهتان ، وشكل من أشكال التبعية والعمالة والاجرام غير المباشر ، والمقصود بحق الامة العربية فكيف اذا كان يدري ومتعصب للغرب ومذاهبه الثقافية والفلسفية والدينية والعقائدية ؟! ولنأخذ على سبيل المثال: فيليب حتي ـ المولع بالتوراة وبما أرخه الغرب عن العرب في كتابه تاريخ

سورية ولبنان وفلسطين ـ لتأكيد وتعظيم مايسمى بالتاريخ العبري ، حينما يقول " فكان الفلسطينيون من أقوى المنافسين للعبرانيين فكان عليهم أن يقاتلوهم لامتلاك البلاد .....". مؤكدا في الوقت ذاته " ... إن الفلسطينيين من شعوب البحر ومن نشطاء القراصنة ولصوص البحر في شرق المتوسط ...". وذلك نقلا عن المجلة الامريكية الصهيونية ـ للاركيولوجيا لعام ١٩٤٦ ـ وبذلك يسهم عن وعي بتمرير تلك الاعمال المعادية للعرب .

والأخطر من ذلك أن تلك الصورة الشوهاء مازالت هي مادة التاريخ المعتمدة حتى الان في مناهج التعليم الرسمي في الوطن العربي.

يقول ـ بيير روسي ـ :" مايزال العرب يجهلون أنهم أسسوا الحضارة العالمية واستمروا في توجيهها : علميا وفلسفيا وروحيا ... حتى القرن الخامس عشر على الاقل ، وهو مطلع النهضة الاوربية التي قامت على هذا التأسيس وهذا التوجيه ..". فمن واجب العرب انقاذ الحضارة الانسانية من الانهيار الذي يدفعها الغرب الليبرالي اليه بسرعة ، مع ازدياد غرقه في عبادة التكنولوجيا والابتذال الاستهلاكي التعفني ولو أدى ذلك الى دماره وافنائه" (١).

وتجدر الاشارة هنا الى أنه كان لليهود وقادتهم الصهاينة باع طويل في أعمال التزوير تلك، كما كانت التوراة السند والمرجع الاساسي ، للغالبية من هؤلاء الذين كلفوا بالكشف عن الآثار العربية ، بالاضافة الى من احترفوا الاستشراق ومن ورائهم العديد من الجمعيات والمؤسسات ومراكز الابحاث والدراسات والدول في الغرب.

فعلى سبيل المثال لا الحصر : تأسست في لندن عام ١٨٦٥، جمعية اكتشاف فلسطين ، والغاية من ذلك هي اسقاط احداث التوراة ، على ما يتم اكتشافه من آثارها ، كما تأسست مؤسسة ـ فون اوبنهايم ـ الاستشراقية في المانيا ـ والكثير من المؤسسات الاخرى (٢) .

---

(١) بيير روسي ـ مدينة ايزيس ـ التاريخ الحقيقي للعرب ـ باريس ١٩٧٦ ـ ترجمة : فريد جحا ـ دمشق ١٩٨٠ ص ٢١٣.

(٢) فرح الله صالح ديب ـ نفس المرجع السابق ص ٢٩ ـ ٣٠

كما قام العالم البريطاني ـ نلسون جلوك ـ بالبحث في تاريخ فلسطين ، وتوصل الى نتيجة قائلا :" كلما ذهبت مستكشفا في وادي الاردن كنت استعمل التوراة كدليل للآثار وأثق ثقة مطلقة بمعلوماتها وشواهدها".

وعلى نفس النهج سار الفرنسي ـ لويس فيليسيان دي موليه ـ ١٨٠٧ ـ ١٨٨٠ـ في كتابه رحلة الى البحر الميت والاراضي المقدسة سنة ١٨٥٠.

وكذلك العالم ـ ارنست رينان ـ في كتابه " بعثة الى فينيقية وكذلك الاب ـ ماري جوزيف دو جيران ـ ومثله العالم تشارلز دي مورين ـ في كتابه الذي يقول فيه " ان اباءنا الصليبيون تركوا على هذه الارض ذكرى بطولاتهم واثار دمائهم ، التي أراقوها في سبيل المسيحية ، وهنا نحن نقتفي آثارهم ".

و لم يقل حقدا أوعنصرية عنه الكونت ـ دوباري ـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٤ ـ والبارون لدفيك دوفو (١) ـ

هذا الى جانب الكثير من العلماء والباحثين والمتخصصين ـ ممن اسهموا سواء في أعمال التنقيب عن الآثار أو في تصنيف ما أكتشف منها وتحديد اقدميتها وطبيعتها وهويتها التاريخية وذلك استنادا الى مدونات التوراة مثل : دورتي غارود ـ دايانا كيرليرد ـ وتيرنيل بيتري ـ وهم انكليز ـ ونوفيل الفرنسي وغيرهم ممن تولوا التنقيب في مغاور جبل الكرمل والصحارى الفلسطينية وغيرها في الثلاثينات من هذا القرن.

هذا بالاضافة الى العديد من المستشرقين والعلماء اليهود من أمثال : اليهودي الالماني ـ ابراهام جيجر ـ وجوزيف ديرا نبوغ ـ ولويس سبرانجر ـ واليهودي الروسي دانيال شولون ـ وغيرهم ، ممن توافدوا الى المشرق العربي وكان جل اهتمامهم اسقاط أحداث ومدونات التوراة على آثار وجغرافية فلسطين وبلاد الشام (٢) .

هذا في حين كانت تعرض نتائج الأبحاث والآراء حول ماكان يتم اكتشافه من آثار على مؤتمرات المستشرقين التي كانت تعقد بين الحين والآخر في احدى البلدان الأوربية ذات الصلة وكذلك على المؤسسات والجمعيات... والدول المعنية عند الضرورة

---

(١) حسن الباش ـ الميثولوجيا الكنعانية والاعتصاب التوراتي ص ٦٦ .

(٢) حسن الباش ـ نفس المرجع السابق ص ٩٩

لمراجعتها وأخذ رأيها وموافقتها واقرارها كمادة تاريخية كان يجري تعميمها بعد ذلك على الجامعات لتدريسها.

ولنتصور ما يمكن أن يكتبه هؤلاء العنصريون الحاقدون الطامعون بأرض العرب وثرواتهم عن العرب وتاريخهم الحضاري ؟!. وهنا يكفي القول ، أن ماجاء في كتب التاريخ التي وضع مادتها وصاغها الغرب عن العرب من تزوير مكشوف وفاضح لدليل على ذلك.

فعلى سبيل المثال لم نجد في تلك المؤلفات الغربية ، المتداولة وحدها ، لعدم وجود مصادر سواها،عن التاريخ العربي ـ أي دور ذي قيمة تذكر ـ على مسرح الأحداث ، بينما نجد صفحات كثيرة كرست لابراز مايسمى بالتاريخ العبري المزعوم، اضافة الى ما أبتدعوا من أسماء لأقوام وشعوب لم يكن لها وجود على النحو الذي أرادوه.

لتكون بديلا وينسبوا اليها تلك الاحداث وتلك الانجازات الحضارية العربية العظيمة التي حققها الأجداد العرب القدماء، امعانا في الحقد والتنكر لكل ما هو عربي:

١ـ **أطلق الباحث اليهودي** النمساوي تسلوتسر عام ١٧٨١ مصطلح الشعوب السامية ، على قسم من السكان العرب في المشرق تجنبا للاعتراف بعروبتهم وبدورهم في أحداث المنطقة، وشاركه في هذا الاختراع للسامية المستشرق الالماني شلوزك في القرن الثامن عشر.

٢ـ **اخترعوا ما أسموهم بالحثيين** والحثية الجديدة وجعلوهم من آسيا الصغرى تارة ومن آسيا الوسطى والشعوب الهندو ـ اوربية، أي الآرية ، تارة أخرى ، علما أن آسيا الصغرى كانت آنذاك احدى مقاطعات الدولة العربية السورية المركزية القديمة (١) .

٣ـ **قسموا ماتبقى من سكان المشرق العربي** الى شعوب متعددة ومتباينة الأصول ومتناحرة أبدا لتجنب الاعتراف بعروبتها أيضا، كالآكاديين والسومريين والآموريين والكلدانيين ،والبابليين ، والآشوريين والآراميين والفينيقيين والعبرانيين ...

---

(١) راجع ص ١٤ ـ ١٦ ـ من كتاب : هـ أ ـ ديل ميديكو ـ التوراة الكنعانية ـ من خلال النصوص المكتشفة في أوغاريت ـ رأس شمرة ـ للتأكد من ذلك كدليل على اعتماد المؤلف على مدونات التورات ـ كمرجع أساس ـ ترجم الكتاب جهاد هواش ـ وعبد الهادي عباس ـ دمشق ١٩٨٨ .

الخ.(١). هذا في حين اخرجوا ملوك وادي النيل أيضا عن عروبتهم وأطلقوا عليهم اسم الفراعنة ليوحوا أنهم ليسوا بعرب .

٤- **قالوا عن السومريين أنهم غرباء** عن المنطقة ومن أصل هندوا - اوربي ليصلوا في النهاية الى القول : إن من بنى حضارة المشرق العربي القديمة ليسوا العرب بل تلك الشعوب سالفة الذكر والتي كانت في حالة حرب دائمة للسيطرة على المنطقة، مما يعني وجود العديد من الدول فيها - ليس من بينها ولو دولة عربية واحدة، لكي يفسحوا في المجال لابراز دور وقوة الاسرائيليين والعبرانيين المزعومين - على مسرح الأحداث، خاصة وأنهم جعلوه أساسيا ومركزيا ومحورا لكل تلك الأحداث في الشرق قديما، لاسيما في عهد دولتي اسرائيل ويهودا المزعومتين أيضا، حيث لم يكن هناك ثمة وجود لهما أصلا، لافي فلسطين ولافي سواها من أرض العرب ليكون ثمة وجود لذاك الدور المزعوم. الذي أورده التزوير التوراتي ، وشكل سندا للمزورين الجدد من صهاينة وغربيين ، حيث أورد سفر الخروج - ٢٣ - التوراتي ، أن الاله يهوه ، دفع بموسى ليقود الاسرائيليين الى غزو وقتل شعوب المنطقة وتدمير بيوتهم وحرق محاصيلهم ... قائلا له :" إن ملاكي يسير أمامك ويجيء بك الى الآموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين ، فأبيدهم ... وأعطيك جميع أعدائك مدبرين .. واجعل تخومك من بحر سوف الى بحر فلسطين ، ومن البرية الى النهر". هذا في حين لم يكن لموسى اله غير الله ، وهو النبي وحامل لواء رسالة التوحيد السماوية ، كما أن فلسطين لم تحمل اسم فلسطين أيام موسى في القرن الثالث عشر ق.م ولوقت متأخر جدا، فمن أين جاء به التوراة ؟!أليس هذا دليلا على أن المزورين أعادوا كتابته وتزويره في مراحل متأخرة ومتباعدة لأكثر من مرة؟!.

فالمسرح الجغرافي لأحداث التوراة لم يتعد في الواقع عشرات الكيلومترات طولا وعرضا في جبال غامد والسراة بمنطقة عسير في عرب الحجاز ، حيث كانت تعيش

---

(١) قال - طه الهاشمي - في كتابه : تاريخ الأديان وفلسفتها - ص ٤٨ :" ان أول من اطلق اصطلاح - الآراميين وجعل السيادة للعتهم ... في التاريخ القديم للمشرق العربي وأرجع نسبهم الى القبائل السامية - السوبو - أو - السويتو - أي الرحل - التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية الى منطقة الهلال الخصيب حوالي ٣١٠٠ق.م هو المؤرخ الغربي - كروهمان - الذي قال مالغا لإبرارهم : انهم أسسوا دولة امتدت حتى الهند ، كما أرجع نسب ابراهيم اليهم ".

هناك القبائل التي أسماها التوراة بالاسرائيليين والعبرانيين ، وتلك التي ذكرها الاله " يهوه " في سفر الخروج ٢٣، وذلك حسب تأكيد العديد من المراجع التاريخية العربية والأجنبية التي ذكرنا بعضها في متون هذا الكتاب.

هذا بالاضافة الى أن تلك المنطقة كانت خاضعة وتابعة منذ " ١٣٠٠ - ٦٣٠ق.م" الى الدولة العربية اليمنية المعينية التي كانت طيلة تلك المرحلة التاريخية قوية ومسيطرة ومزدهرة وكانت قوافلها التجارية تنقل السلع والبضائع عبر طربق الحرير من الجنوب العربي الى البحر الابيض المتوسط والى الشرق والشمال عموما[١] ومن جهة ثانية يقول عالم الآثار الفرنسي - ريمي أودوين - الذي عمل في التنقيب عن الآثار في اليمن مدة ٢٠ عاما " أنه كان في اليمن في القرن الخامس ق.م، خمسة ممالك سهلية كل منها قرب نهر وهي : مملكة حضرموت في الشرق، ومملكة قتبان وموسان في الجنوب، ومملكة معين في الشمال ، ومملكة سبأ وحمير في الوسط، وكانت أكثرها قوة ونفوذا". وقال أن أطياب حضرموت خاصة - كالصبر والبخور، كانت أثمن من الذهب في العالم القديم، وقد ذكرها - هيرودوت - فقد كانت تستخدم في الطقوس الدينية في المعابد وفي تطييب الأجساد عند العطارين وفي الطب والتجميل ، ولهذا كانت من أهم وأغلى المواد التي ينقلها التجار، اضافة الى ماكان يجلبه التجار اليمنيون من آسيا وافريقيا من توابل وسواها ويتاجرون به مع بلدان الشمال عبر طريق الحرير البري حتى موانئ البحر الابيض المتوسط، كما ذكر أن الامبراطور هيلاسيلاسي - كان يدعي أنه من سلالة ملكة سبأ " بلقيس " ، هذا الى جانب ازدهار الزراعة وخاصة المروية ، ومنها البساتين الكثيرة التنوع والانتشار، بما في ذلك اقامة مراكز مدنية كبرى على الطريق التجاري الدولي، كدليل على سيطرة اليمن عليه في النصف الجنوبي لشبه الجزية العربية على الأقل، كما قال : إن عبادة آلهة سبأ الفلكية الكبرى كانت تسمى " الماقة " ولكن حين تم الاستغناء عن طريق الحرير البري الى حد ما بعد اكتشاف طريق الحرير البحري في القرن الاول ق.م حدث التراجع ... وكانت حمير آخر ممالك اليمن التي أخضعت باقي الممالك لنفوذها وسيطرت على مرافئ البحر الاحمر وكانت تنقل التوابل والأطياب الى الشمال والغرب ... واستمرت حتى داهمها الغزو الحبشي في القرن السادس ميلادي ، فأحدث فيها خرابا ودمارا كبيرا.

---

(١) مصطفى مراد الدباغ - القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين - فلسطينيات - ١ - ص ٣٣.

وقد أدت الحفريات الأثرية الافرنسية في الثمانينات من هذا القرن الى الكشف عن مئات النصوص المنقوشة على الحجارة، ومعظمها يعود الى القرن التاسع والعاشرق.م، كما أدت الحفريات تحت آثار القرن الخامس ق.م الى الكشف عن مدن وحصون هامة وحوالي خمسين برجا يزيد ارتفاعها عن عشرين مترا ، وأرخت على المرحلة الواقعة مابين القرن الثاني والخامس عشرق.م.

كما أكد بأن ملكة سبأ " بلقيس " لم تكن الوحيدة ممن حكمن اليمن ، بل هناك الملكة " سماسي أو سمسي " التي هزمها الملك الآشوري " تجلات بيلسر الثاني " عام ٧٧٢ ق.م ، حيث قال:" لقد هزمت ٩٤٠٠ محارب من قوات " سماسي ملكة اليمن في جبل سفيري وغنمت ٣٠٠٠٠ جملا، ٥٠٠٠ كيس من التوابل المنوعة... الخ." كما أكد ـ أودوين ـ قائلا: إننا مازلنا في بداية الحفريات مما يؤكد أن تلك الدول اليمنية القديمة كانت قد بسطت سيطرتها على أجزاء من أريتيريا، والحبشة والصومال، وعلى طريق الحرير الدولي في شبه الجزية العربية والبحر الاحمر وجنوب الخليج العربي في بعض المراحل على الأقل ، وخاصة عندما كانت الدولة الأقوى فيها تبسط نفوذها على بقية الدول اليمنية الاخرى ، مثلما كانت تخضع بدورها في بعض المراحل لنفوذ الدولة السورية المركزية القديمة ، التي كان مركزها وادي الرافدين ، كما يؤكد أيضا عراقة وقدم وازدهار الحضارة في اليمن التي ظهرت وترسخت منذ عدة آلاف من السنين ق.م.

فنون ممالك اليمن



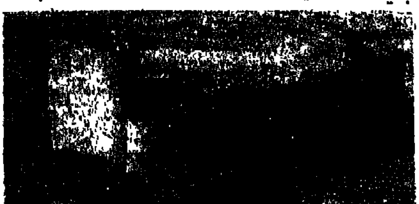
تاج مزخرف بعنقاء مجنحة ذات قرون اكتشف في شبوا عاصمة مملكة حضرموت القديمة (من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الأول بعد الميلاد).



غطاء تابوت: نصب تذكاري سبئي من القرن الرابع قبل الميلاد.

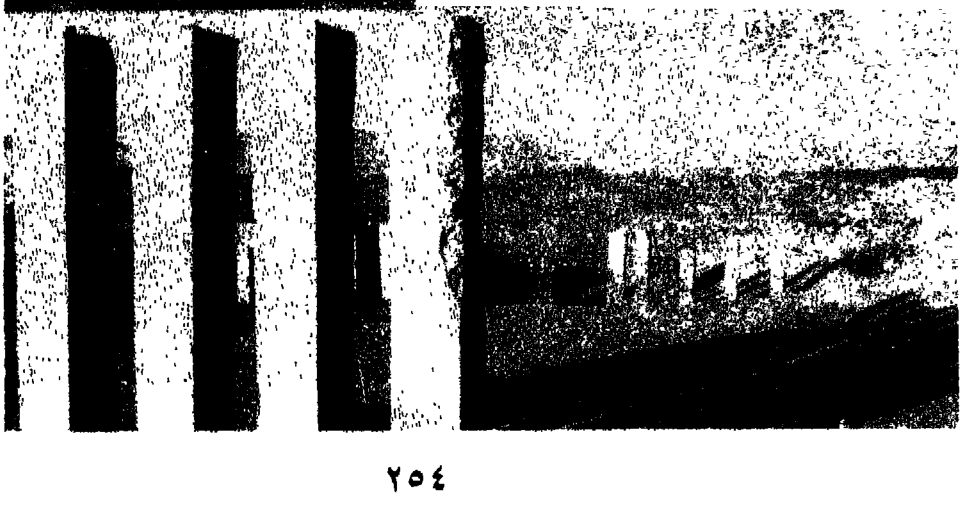


قناع امرأة شابة من مملكة قطبان (القرن الأول قبل الميلاد) نقل المؤمنون هذه الرؤوس الجاهزة لترمز لوجودهم ولصلاتهم الأبدية



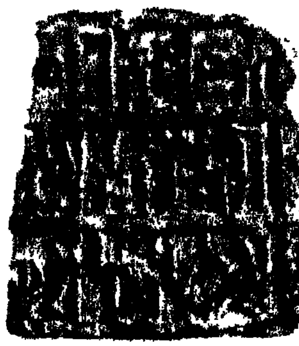
سد مأرب ←

معبد الماقة أحد أجمل الآثار السبئية ↓



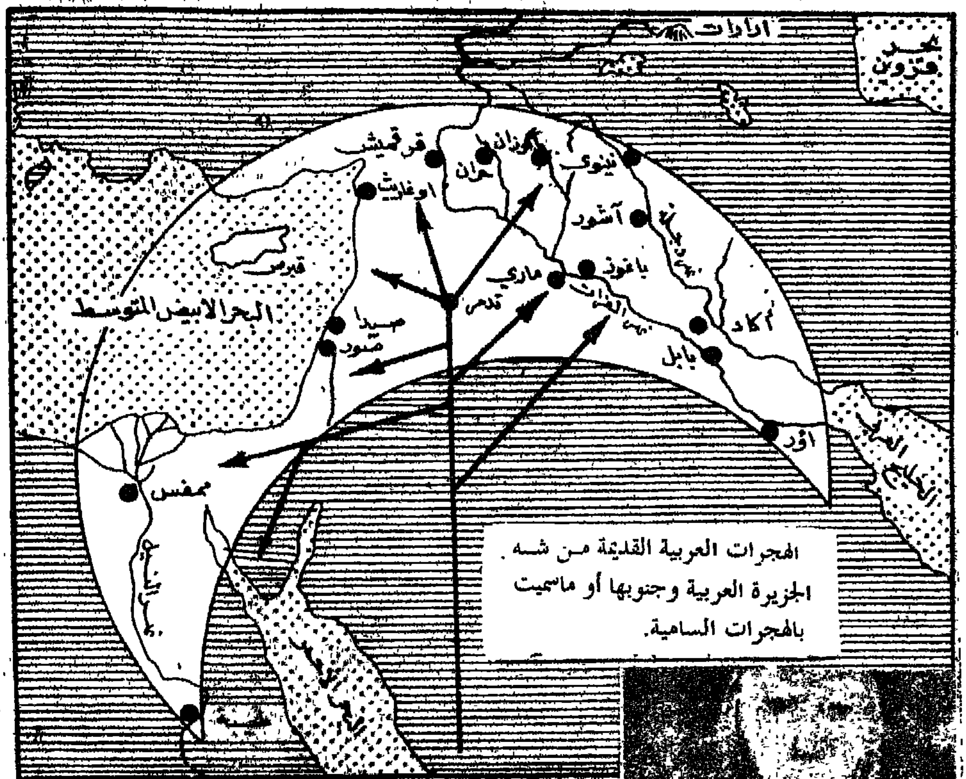


تاج لاحد الاعمدة في مملكة
سبأ موجود في كتدرائية بارم

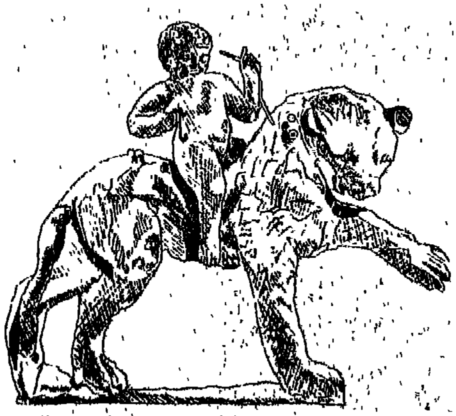


نقش
منقول من
معبد تمنا
ومكتوب
بلهجة
مملكة
قطبان

★ الهجرات ... العربية من جنوب الجزيرة العربية تتجه نحو الواديين العظيمين الفرات والنيل ★



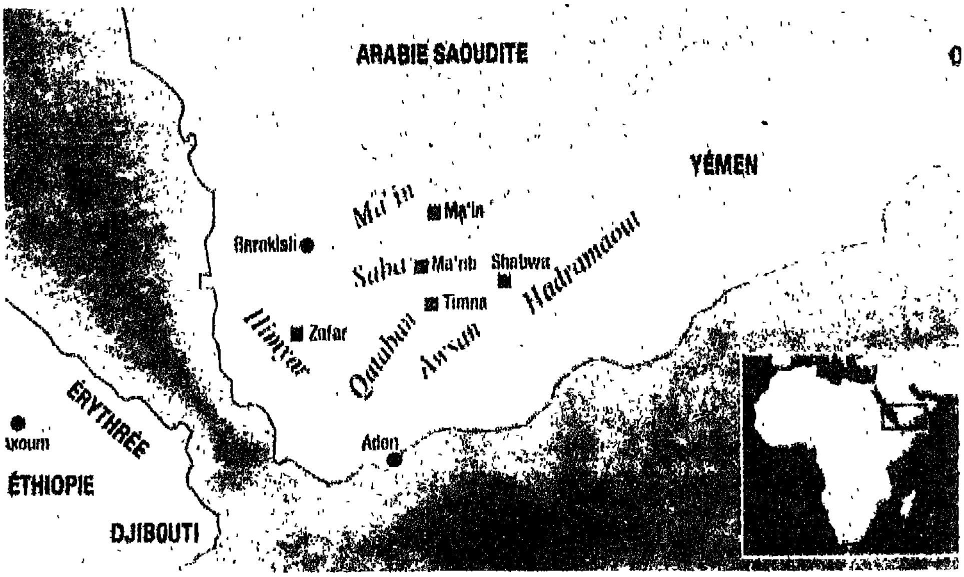
الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وجنوبها أو ماسميت بالهجرات السامية.



★ أحد التماثيل البرونزية المكتشفة في مقبرة في «تمنة» (تمنع) في جنوب الجزيرة العربية يعود تاريخه إلى ٧٥ــ ٥٠ ق.م. ★



★ الملك «معد ايل» سلبان (يصدق ايل) ملك أوسان. (عن مارجوليوث) ★





كانت اليمن متمكنة من تقنيات الري، ومنها الزراعة في المصاطب قبل الميلاد بآلاف الأعوام

وقد خلف دولة معين دول يمنية أخرى قوية ومزدهرة بعد ذاك التاريخ ، مثل دولتي سبأ وحمير ... واستمرت الى أن دمرها الغـزو الخـارجي والعوامـل الطبيعيـة معـا. ولم تكن قوة اليمن ودورها الحضاري في عهد الدول الأكثر قدما بقرون عديـدة، في زمـن القبائل العربية البائدة بأقل قوة وسطوة وازدهـارا، فالدولـة المعينيـة ورث عنهـا الكثير كما كانت اليمن قديما مصدر معظم الهجرات العربية الكبرى شمالا ، الى منطقة الهلال الخصيب ، وغربا الى وادي النيل ، وبلدان المغرب العربي.

أما بالنسبة لفسطين التي جعلوها ومحيطهـا العربـي مسـرحا لأحـداث التـوراة فقـد كانت آنذاك جزءا من الدولة العربيـة السـورية المركزيـة ، الـتي شملـت منطقـة البحـار الخمس وكانت سطوتها مطلقة في العالم القديم الذي لم يعهـد أي وجـود لأيـة دولـة قبل ألف سنة من الميلاد سوى الدولتين العربيتين المركزيتين : الدولة السـورية وماكـان في اطارها من دول وممالك محليه ، ودوله وادي النيل ، التي أسموها حاليا بالفرعونيـة ، ولذلك لايعقل أن يكون باستطاعة حفنة مـن القبـائل الرعويـة المتخلفـة كـالتي أسماهـا التوراة بالاسرائيليين والعبرانيين أن تتحداها في عقـر دارهـا، لتكـون فلسـطين مسـرحا لأحداث التوراة والبطولات الاسرائيلية... المزعومة.

فلقد جاءت المكتشفات الأثرية في الأماكن الجغرافية التي جعلوها مسرحا لأحداث التوراة في فلسطين وبلاد الشام وسواها لتكذب مدونات التوراة والادعاءات والمزاعـم اليهودية الصهيونية والغربية أيضا، فقد فشلوا في ايجاد ولـو دليـل أثـري تـاريخي واحـد يثبت أن الارض الممتدة من الفرات الى النيل ، كانت في يوم من الايام أرضا اسرائيلية، أو كان لهم دولة فيها كدولة " شاؤل وداوود وسليمان " أو ما أسموها بدولتي اسرائيل ويهوذا - وكذلك بالنسبة لما أسموه بهيكل سليمان، وزعموا أنـه كـان في القـدس ، في حين لم يكن لهما وله من وجود اصلا.

ومع ذلك مازالوا مصرين ومتمسكين بتلك الادعاءات ... ليجعلوا مـن فلسـطين أرض الميعاد وليضفوا على الأعمال العدوانية ، لما أسموه بشـعب الله المختـار ـ وعلـى الاحتلال الصهيوني لفلسطين والأرض العربيه صبغه شرعية ، باعتبار ما قـاموا بـه مـن أعمال عدوانية .؟.. حتى الآن لايتعدى حقهم في تحرير وطنهم التـاريخي المزعـوم مـن مغتصبيه العرب.

٥ـ **أخضعوا المكتشفات الأثرية في المشـرق العربـي** الى قـراءات ومقارنـات مـع عدد من اللغات القديمة وفي مقدمتها ما يسمى بالعبرية، فقد كانت بالنسبة لهم ومعهـا

التوراة المرجع والدليل وأداة القياس واصدار الاحكـام والقـرارات، علمـا أنـه لم يكـن هناك في العالم القديم ثمة وجود للعبرية واللغـات الأخـرى الـتي أقحموهـا في أعمـالهم كالحثية القديمة والجديدة والسامية والآرامية ... الخ. بل كان هناك لغـة عربيـة واحـدة ذات لهجات رئيسية كالعرباء الجنوبية والسريانية الشرقية والآموريـة الغربيـة والفينيقيـة منها ، اضافـة الى لهجـات أخـرى في وادي النيـل والمغـرب ولهجـات وكتابـات محلية ومناطقية متعددة قبـل اكتشـاف الابجديـة الحرفيـة الفينيقيـة ـ الكنعانيـة: كالتصويريـة والمقطعية والمسمارية والمسند والهيروغليفية.. الخ.

فالعبرية حديثة المنشأ ، فقد تم جمع معظم مفرداتها مـن اللغـة العربيـة القديمـة ذات اللهجات المتعددة ليجعلوها قديمـة العهـد وتتوافـق مـع لغـة وأحـداث ومزاعـم وقـدم التوراة.

فلقد صاغها : اليهودي " اليعازر بن يهوه " بنكليف من الحركـة الصهيونيـة مـابين ١٩١٠ ـ ١٩٢٠م، لتخرج الى حيز الوجود ، ومع ذلك مازالت رغم كـل المحـاولات محدودة الانتشار والتداول في الأوساط اليهودية نفسها وخاصة خارج فلسطين، حيث أجبر اليهودي فيها وبقـوة الواقـع علـى تعلمهـا واسـتعمالها ، باعتبارهـا اللغـة الرسميـة للكيان الصهيوني .

٦ـ **كان بحثهم منصبا** مـن جـانـب آخـر أيضـا علـى اسـتظهار التـاريخ البيزنطي وتـاريخ المسـيحية ، وعندمـا وجـدوا أرثـا كبـيرا مـن الأناشـيد والهتافـات والـتراتيل والمراسم... التي سادت في الطقوس العربية القديمة عامة والغنوصية خاصة ، في المشرق العربي ومازالت باقية في المسيحية ـ البيزنطية ــ أرجعوهـا الى ماسـاد مـن أشـباهها في آسيا الوسطى ، وهم يعلمون أنها عربية المنشأ والهوية (١) .

٧ـ **زعموا بأن الفلسطينيين ليسـوا بعـرب** وأنهـم أتـوا مـن جزيـرة " كريـت " وأطلقوا عليهم اسم شعوب البحر ، وألصقوا بهم تهمة ممارسـة اللصوصيـة والقرصنـة في شرق البحر الأبيض المتوسـط، وبالتـالي فـان وجودهـم فيهـا قـام علـى الاغتصـاب والعدوان أصلا، ولذلك فلاحرج من طردهم بالقوة ليعودوا من حيث أتوا أو فليذهبوا الى الجحيم ، لافرق مادام الهـدف هـو اعـادة الامـور الى نصابهـا التـاريخي ، واعـادة الحقوق الى أصحابها الاصليين أي اليهود...؟!

---

(١) هـ أ ـ ديل ميديكو ـ نفس المرجع السابق ص ١٦ ـ ١٨ .

فكما جعلوا الفلسطينيين والسومريين والحنيين وسواهم من تلك الشعوب التي أبرزوا ذكرها وأكثروا في تعدادها، غرباء وفدوا الى المنطقة من خارجها ليبني بعضهم والاسرائيليون والعبرانيون ، كما زعموا ، الحضارة فيها ، فقد شككوا ، إن لم ينفوا بالكامل ، عروبة المنطقة بآن واحد ، ليفسحوا في المجال لاسقاط المدونات التوراتية عليها ... ولجعل الاساس الراسخ فيها واليد الطولى في بنائها الحضاري للاسرائيليين والعبرانيين ، اذ ليس أدل على ذلك من اصرار الغربيين ومن ضمنهم اليهود وعلى رأسهم الصهاينة على التمسك بالتوراة واللغة العبرية كمرجع تاريخي وأساس في أعمال البحث والتنقيب عن الآثار واصدار الاحكام والقرارات ... بشأنها.

٨ـ **اخترعوا دولتي اسرائيل ويهوذا** ــ في جنوب سوريا وحولوهما الى قوة ضاربة وذات سطوة، وزعموا أن اليهود سيطروا ببطولاتهم الخارقة على مسرح الأحداث في المشرق العربي منذ القرن الثاني عشر وحتى ما بعد الثامن ق.م فمن لايسمع بقصة شمشون التوراتي ، الذي هزم جوليان الفلسطيني وقتل وحده آلاف الفلسطينيين بفك حمار...الخ.؟!

فكيف يمكن أن تتواجد عشرات الشعوب والدول ــ ومنها : اسرائيل ويهوذا ــ المزعومتين ، وذات الأصول واللغات المتعددة ـ غير العربية ــ في المشرق العربي، في التاريخ القديم، في ظل الدولة العربية المركزية القديمة التي بسطت سيطرتها المطلقة من الالف الرابع وحتى منتصف الالف الاول ق.م ، بدون منازع على المنطقة الواقعة مابين : البحر الاسود وقزوين والهضبة الايرانية شمالا والمحيط الهندي جنوبا ومن وادي السند شرقا وحتى حوض المتوسط واسبانيا والشواطئ الامريكية غربا ، بما في ذلك السيطرة على البحار والانهار والممرات والمضائق وخطوط المواصلات وطرق التجارة الدولية في تلك المناطق، وفي اطارها سيطرت دول اليمن قديما على النصف الجنوبي للجزيرة العربية والبحر الاحمر وعلى جزء من ارتيريا واثيوبيا والصومال ، هذا بالاضافة الى سيطرة دولة وادي النيل العربية المركزية ، الى جانب دولة قرطاج العربية الفينيقية التي تأسست في الالف الثاني ق.م بتونس ـ على النصف الشمالي من القارة الافريقية ـ وتقاسم السيطرة والنفوذ على حوض المتوسط ، مع الدولة العربية السورية المركزية القديمة.

ولهذا كان الوطن العربي محط أنظار القوى الاستعمارية وعرضة للغزوات الكبرى واستهدافاتها في التاريخ القديم والمتوسط والحديث ، كما كان تاريخه هدفا للتزوير أيضا.

وهو ماجعل الغرب ومعه الصهاينة مندفعا لاخراج العرب من على هذا المسرح الجغرافي - البشري - الحضاري، الذي كان مفعما بالحركة والنشاط والتطور والقوة والانتاج المادي والروحي والتقدم والرقي الحضاري ، وبالاستقرار وبانتشار وانتقال الناس والافكار والعقائد والعلوم والفنون واللغة والسلع والبضائع والقوى العسكرية... شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ... ولما كانت التوراة أكبر مصدر تاريخي مزور فقد أصبحت بنظر الغرب ليس الاب الشرعي للمسيحية فحسب ، وانما السلاح والمرجع الأساس الموثوق ومصدر المعلومات التاريخية أيضا ، مما جعل اليهود التوراتيين وقادتهم الصهاينة العنصريين ... وما يضمرون من حقد على العرب ومن أطماع في استعمار أرضهم يجدون مرتعا خصبا في أوساط المسيحية والاستجابة والدعم المتواصل من كافة الأوساط الاستعمارية في الغرب ... والتي مازالت تلقي بكل ثقلها لفرض سيطرة مطلقة ودائمة على الوطن العربي ، ولذلك ينبغي التعرف على هوينهم وما يدعون ويطرحون ويستخدمون من حجج ووسائل في سبيل دحضها وكشف المدونات التوراتية على حقيقتها الزائفة.

يقول ابن خلدون - في بحث التمهيد لعلم الاجتماع - للدكتور - عبد الكريم اليافي".... أخبار يتطرق اليها الكذب من نواح شتى ... لذلك لايكفي مجرد النقل فيه بل لابد من عرض محتوياته على معيار العقل والبرهان وشواهد التجربة والواقع وقياسها بأشباهها ... لتمحيص ما خامرها من تزييف وداخلها من مغالط وأنساب اليها من افتراء ، وكان لابد أيضا من ربط الحوادث بأسبابها والمعلولات بعللها ، فان الظروف المتشابهة تثمر نتائج متشابهة لهذا ترانا نبذل غاية الجهد لتجريد أخبار التوراة المصدر الوحيد على العموم لأخبار المراحل الأولى ... من الروايات والمبالغات والغيبيات والتحريف وغيره من ظلمات ساترة للحقائق "[1] .

وتقول الآية الكريمة :" ويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكتبون ".

---

(١) طه الهاشمي - نفس المرجع السابق ص ٨٣.

يقول المستشرق ـ جليوت ١٩٢٤ م ـ عن اليهود ومسرح الأحداث في التوراة: "…. علينا أن نبحث عن وطن القبائل العبرية وديانتها في شمال غرب الجزيرة العربية، وهي منطقة كانت مركزا من مراكز الثقافة العربية القديمة ". كما أعلن ـ ديورانت ـ في قصة الحضارة :" إن أساطير الجزيرة العربية كانت المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلود والغواية والطوفان … التوراتية ، ومنها أخذت قصة شعب الله المختار أيضا، الذي تدور حوله قصة الخليفة وقيام الكون بكلبته ، والتي يرجع عهدها في تلك البلاد الى ثلاثة آلاف سنة ق.م ، كما أن القرآن … تناول في أكثر من آية أنبياء العشائر العربية التي جمعت حكاياتهم الشعبية في التوراة التي بين أيدينا بعد أن كتبها أحبار اليهود بلهجتهم فيما بعد ".

يقول ـ ماركس وانجلز ـ في رسائلهما المتبادلة عام ١٨٥٣ :" إن الانساب الواردة في التوراة في سفر التكوين حسب التسلسل: نوح … هي تعداد صحيح تقريبا للبدو في شمال اليمن ، في ذاك العصر طبقا لقرابتهم وأن التراث اليهودي والتوراة المسمى بالكتاب المقدس ليس سوى ذكرى تقليد عربي قديم وقبلي في الجنوب العربي …. وأن الدمار والخراب والجفاف والتصحر الذي أودى بالانتاج.. وبالحضارة اليمنية بسبب تلك العوامل الطبيعية والغزوات الاجنبية المتلاحقة … طمعا بخيراتها أيام ازدهارها … ومن أجل السيطرة على الخط التجاري ـ طريق الحرير ـ كالغزو الفارسي والاغريقي والروماني والحبشي ، شكل سببا رئيسيا لثورة النبي محمد وأيقظ الشعور القومي العربي" (١) .

كذلك فقد أكد العديد من الأكاديميين والباحثين والمؤرخين العرب والأجانب على أن مسرح أحداث التوراة ومساكن القبائل التي اعتبرها شعوبا ، بما فيها عشائر بني اسرائيل ـ البدوية الرعوية المتنقلة ـ التي لم ينعد سكنها الخيام والمغاور ـ وعملها رعي الابل والأغنام …في أراضي تلك القبائل التي كان أكثرها يسكن القرى وأقلها الخيام وبعضها كان يجمع بين السكن في القرى والخيام معا.

هناك في بلاد زهران وأودية وسفوح جبال غامد والسراة ومحيطها بمنطقة عسير المطلة على البحر الاحمر في غرب شبه الجزيرة العربية ، حينما كانت كثيرة الينابيع والخصب قبل الجفاف وحتى الالف الاول ق.م ، ولم تكن تلك العشائر والقبائل التي

---

(١) فرح الله صالح ديب ـ نفس المرجع السابق ص ١٥ ـ ١٧.

أسماها التوراة بالشعوب ، وبالغ في ذكر انتصارات الاسرائيليين وما أسماهم بالعبرانيين عليها ، الا بعض تلك القبائل العربية التي عاشت هناك بما فيها من أسماها : بالعماليق - والكنعانيين ، والفلسطينيين ، والحثيين، والفرريين ... الخ. وللمزيد من المعلومات والايضاحات والبراهين المقنعة يمكن لمن شاء الرجوع الى كتاب " د. احمد داوود" — العرب والساميون .... كمرجع موثوق.

كذلك يمكن الرجوع الى كتاب البروفسور — كمال الصليبي[1]"الذي قال: "إن شرح وتفسير التوراة على النحو الشائع خاطئان تماما فالتوراة لم تأت من فلسطين وشبه جزيرة سيناء، وانما جاءت من غرب شبه الجزيرة العربية، بمحاذاة البحر الاحمر، وتحديدا من منطقة السراة بين الطائف ومشارف اليمن ، وهذه المناطق هي أماكن سكن قبيلة بني اسرائيل وليست فلسطين.

و د. أحمد داوود - والبروفسور كمال الصليبي — ود. جمال العظم ... ليسوا وحدهم ممن أكدوا ذلك بل هناك العديد من الكتاب والباحثين والمؤرخين ... الذين تطرقوا الى نفس الموضوع ونطقوا بتلك الحقائق الدامغة ، فقد أورد - كتاب فلسطين والكتاب المقدس - الذي ترجمه د. عمر التومي الشيباني عن الانكليزية الى العربية لنخبة من كبار علماء اللاهوت والمهتمين بدراسة الكتاب المقدس والقضية الفلسطينية: كالاستاذ - غليوم - والاب شيرمان - والاستاذ ستاج - ود. ستلرز - وقد أجمع هؤلاء الذين ينتمون الى بلدان وفرق دينية مختلفة ، على أنه لا أساس ديني لا في العهد القديم ولا في العهد الجديد لما تدعيه الحركة الصهيونية على أن الدولة اليهودية القائمة الآن في فلسطين لها مايبررها ... فنبوءة العودة الى أرض الميعاد التي وردت في الكتاب المقدس قد تحققت بالفعل بعد السبي البابلي الاول ، وتجدر الاشارة الى أن السبي الأول

---

(١) البروفيسور كمال الصلبي - مؤلف كتاب .. التوراة جاءت من جزيرة العرب - هو مسيحي بروتستانتي - لبناني - واستاذ جامعي - درس مادة التاريخ واللغات السامية وتاريخ الشرق الاوسط القديم لأكثر من ثلاثة عقود في كل من الجامعة الامريكية ببيروت وجامعة لندن - وهو مسؤول دائرة التاريخ والآثار بالجامعة الامريكية في لبنان أيضا — وله العديد من المؤلفات في هذا المجال - اما كتابه المذكور فقد طبعه في مؤسسة دير شبيغل الالمانية حسب من رفض طبعه في بلدان عربية استجابة لمعارضة السعودية له - نظرا للحقائق التاريخية — الجغرافية التي اكتشفها عن الموطن الاصلي لعشائر بني اسرائيل - وقال أنها كانت في عرب السعودية.

وقع عام ٧٢٢ق.م ، والثاني عام ٥٨٦ق.م ، وأعاد قورش بعضهم بعد احتلال بابل عام ٥٣٨ق.م، الى منطقة السراة وبلاد زهران في غرب شبه الجزيرة العربية.

كما قال ـ د. كمال الصليبي ماملخصة: أن استقرار الشعب العربي الفلسطيني في أرض فلسطين منذ آلاف السنين ، وعدم نزوحه عنها البتة ... اضافة الى الغموض في التفسيرات التوراتية وعدم وجود معطيات وحقائق في فلسطين وبلاد الشام سواء آثارية أو سواها ، تؤكد ما أورده ، فضلا عن التباين بين ماذكره وبين ماجاء في القرآن حول بني اسرائيل الأوائل ومكان... تواجدهم ، لاسيما وأن القرآن قال :" ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ...".

كما أن القرآن لم يأت بأي نص يربط فيه بني اسرائيل بفلسطين، ناهيك عن لفظ فلسطين أو حتى بلاد كنعان اذ لم يأت القرآن على ذكرها اطلاقا ، لانها لم تكن تحمل هذا الاسم ، وكذلك اورشليم آنذاك، ولان موطن بني اسرائيل الأوائل لم يكن فيها.

لهذه الاسباب مجتمعة ولسواها راح يمعن النظر والعقل ويجمع المعلومات ويستعين بالمعطيات والحقائق التي قدمتها المكتشفات الاثرية ... فتمكن من حل تلك الالغاز وازالة الغموض باكتشاف الاماكن الجغرافية التي كانت مسرحا لأحداث التوراة ، وموطنا لبني اسرائيل الاوائل. واستنادا الى ذلك يؤكد أن تلك الاماكن هي بالضبط في السراة في غرب شبه الجزيرة العربية، وأن السبي البابلي لبني اسرائيل الاول والثاني وقع وهم هناك في تلك المنطقة، وأن جميع أنبيائهم عاشوا وماتوا هناك وأن معظم من تم سبيهم رفضوا العودة حينما تيسر لهم ذلك، لانهم رفضوا العودة الى الحياة البدوية البدائية، بعد أن عاشوا حياة حضرية ، وأثرى بعضهم ، واكتسبوا مكانة اقتصادية واجتماعية مرموقة.

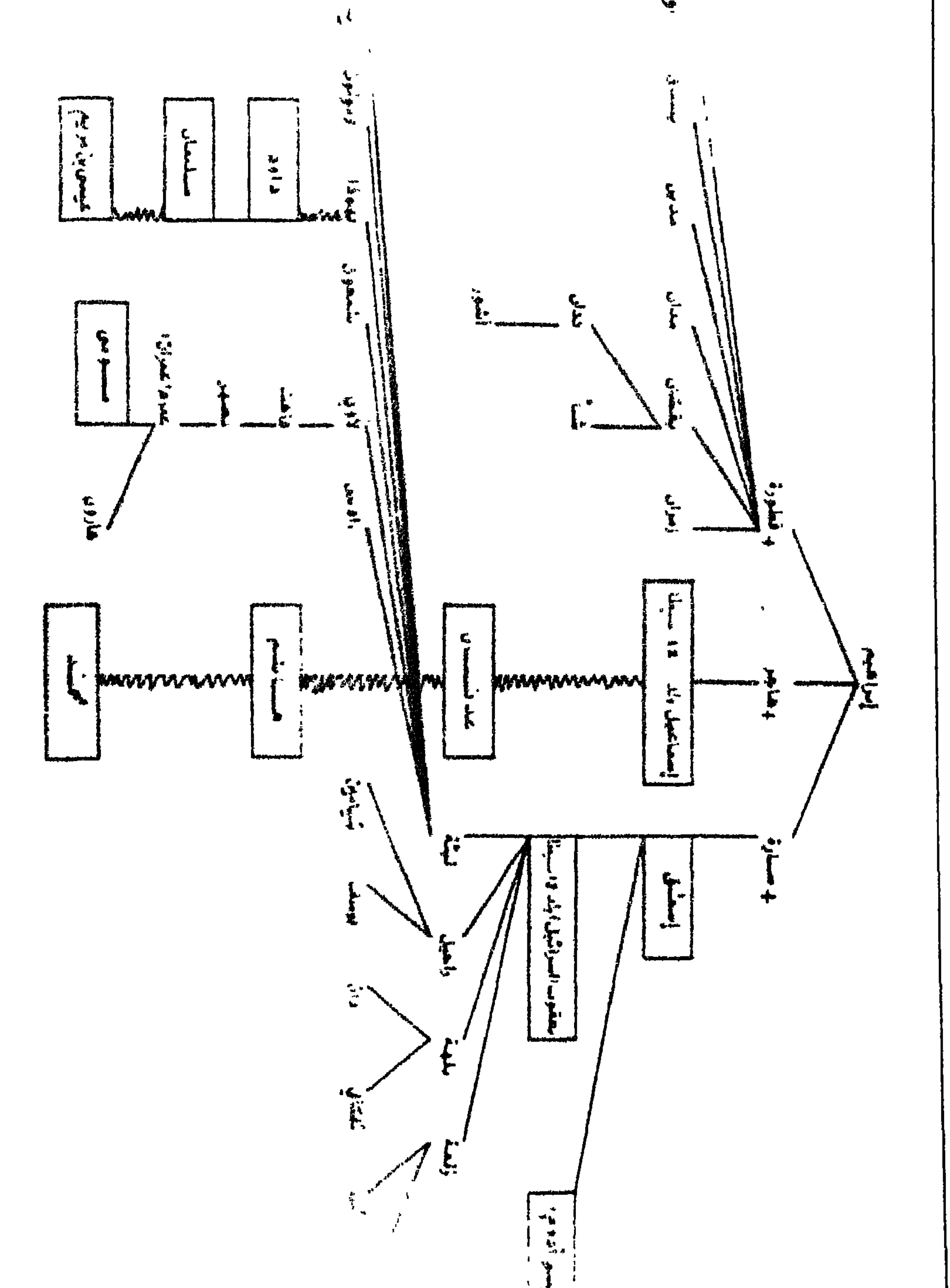
كما يؤكد ، أن بعض عشائر بني اسرائيل هاجرت من تلك المنطقة الى اليمن والعراق وبلاد الشام أثناء الهجرات العربية الاربعة التي يسميها البعض بالسامية والتي سبقت الاسلام، وذلك أثر الجفاف الذي تعرضت له هضبة شبه الجزيرة العربية ، وهو مايفسر ، كما يقول : تشابه أسماء الاماكن التي حلوا فيها بعد الهجرة في تلك البلدان العربية ، لان من عادة الاعراب ومن ضمنهم العبرانيون، تسمية الاراضي التي ينزلون فيها باسم أراضيهم التي رحلوا عنها، كما قال ... وقد ثبت لنا بأن دراسة النصوص

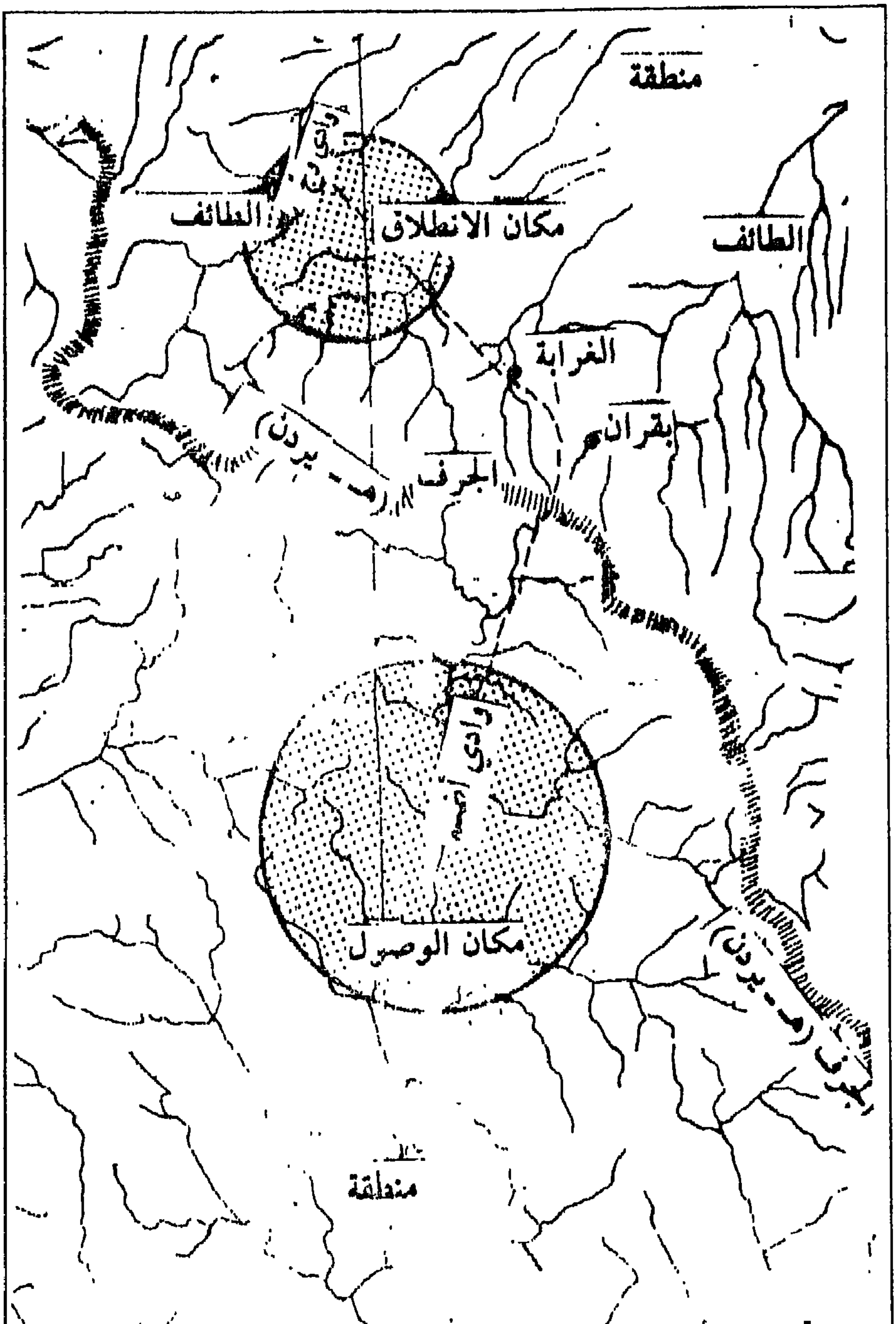
التوراتية على الافتراض القائل بأن جغرافيـة التـوراة هـي جغرافيـة فلسـطين ، قـد أدى وسيؤدي الى الابقاء على بحـر مـن الغمـوض ومـن الاسئلة ... بـلا جـواب ، ولكـن الصورة ستختلف في حال نقل جغرافية التـوراة مـن فلسـطين الى غـرب شـبه الجزيـرة العربية ، فعند ذلك لن تبقى هناك أية صعوبة ، حيث سـيعود كـل شـيء الى نصابـه ، خاصة ما يتعلق بقراءة السـجلات المصرية والشامية وسجلات العراق القديمـة، أي أنهـا هي وحدها مفتاح اللغز لكل الاحاجي الغامضـة الـتي أوردهـا التـوراة لتـاريخ الشـرق الأدنى القديم، حيث سيصبح كل شيء واضحا تماما، بعد التصحيح لجغرافية أحـداث التوراة ومسرحها الحقيقي الذي لم يكن في بلاد الشام بل غرب الجزيرة العربية [١] .

---

(١) الصليبي - نفس المرجع السابق ص ٥٤.

ذرية ابراهيم:




منطقة
الطائف
مكان الانطلاق
الطائف
الغرابة
بقران
الجرف
مكان الوصول
الليث

وقد استعان ــ **كمال الصليبي** ـ على كشف تلك الحقائق ليس فقط بتلك السجلات والعديد من المعطيات والحقائق التي قدمتها المكتشفات الاثرية فحسب ، بل من خلال ماورد في النصوص التوراتية أيضا، كأسماء الاماكن الجغرافية ووصف الاحداث... ومنها ما ورد في سفر التكوين ـ ١٩، ٢٤ ، ٤٨ـ الذي يذكر أن الرب أمطر على سدوم وعمورة كبريتا من عند الرب من السماء، ولما كانت سدوم وعمورة هما مناطق في غرب شبه الجزيرة العربية ، أضف الى ذلك وجود بركان أو آثار بركانية في الغرب من المكانين المذكورين علما أنه لاتوجد براكين أو آثار بركانية بالقرب من المكانين المذكورين المزعومين في فلسطين.

كما يتناول الامثلة المشابهة المقنعة من سفر الملوك الاول ــ ٦ ، ٧ ، ٩ ـ[1] .. ليستخلص منها الحقائق الدامغة التي توصل اليها وذلك بالاعتماد على الجغرافية والطبوغرافية والجيولوجيا والمعادن والمياه والنبات .. الخ. حيث يقول : لايوجد معدن الذهب لافي الحاضر ولا في الماضي ، في فلسطين كما ذكرت التوراة أنه يوجد في مكان بني اسرائيل ، فهذا المعدن وجد في غرب شبه الجزيرة العربية...الخ. كما يقول: إن الميثاق الاسطوري الذي عقد بين الرب يهوه وابراهيم ، الذي يقول فيه " لنسلك أعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير "سفر التكوين ١٨ـ فان تلك الارض تقع في تلك المنطقة آنفة الذكر، وأن نهر مصريم في وعد يهوه ـ لابرام ـ لم يكن نيل مصر، بل وادي مصريم أو نحل مصريم نسبه الى قرية مصريم في تلك المنطقة ، أما النهر الكبير ـ فهو نهر " فرت " ـ نسبه الى قرية الفرت ـ وقريتا الفرت السفلى وشعبة الفرات هناك أيضا، اذ لم يكن هناك لانيل مصري ولافرات عراقي في وعد الرب يهوه، كما ورد في التوراة[2] .

أما عشائر الكنعانيين التي حل ـ ابراهيم ـ بين ظهرانيها ... فهي حسب مدونات التوراة على النحو التالي :ــ " ولد كنعان ــ صيدون بكره ــ وحثا ــ واليبوسي ــ والعموري ـ والجرجاشي ـ والحوي ـ والعرقي ـ والصيني ــ والعرادي ــو الصماري ــ والحمتي ، وكان ـ ابراهيم وكذلك ابنه اسحق من بعده ، يرعى في أرض بني حت

(١) الصليبي ـ نفس المرجع السابق ص ٦٦.

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٦٠.

الكنعاني ، كما اشترى أو أخذ ـ مغارة المكفيلة ـ هدية من عفرون الحتي الكنعاني، ليدفن فيها امرأته سارة ، وقد تمنى أن يبقى ذلك المرعى مستقرا له ولنسله من بعده، وهذا المرعى ـ الارض ـ هي التي ورد ذكرها في وعد الرب ـ يهوه ـ لابراهيم ـ لنسلك أعطي ...الخ.

ومرت السنون ـ حتى عاد ـ موسى بعشيرة بني اسرائيل من أرض المصريين ـ حيث كان فرعونها قد أذلهم واستعبدهم لاعماله، الى الارض التي كان قد عاش ورعي فيها: ابراهيم واسحق ويعقوب ، فاصطدم ببعض احفاد كنعان واحدا بعد الاخر ، وكانوا وذرياتهم قد أصبحوا عشائر منتشرة في طريق موسى الى أرض بني حث الكنعاني، الوارد ذكرها في ـ الوعد ـ والدليل على ذلك أن موسى كان يطلب من زعماء تلك العشائر أن يأذنوا له ولجماعته بأن يمروا بمجرد مرور " وبعث اسرائيل رسلا الى سيحون ملك العموريين قائلا : دعني أمر في أرضك، ونحن لا نميل الى حقل أو كرم ولانشرب ماء بئر، وانما نسير في الطريق الى أن نجوز تخمك ". وسمع الكنعاني ملك عراد أن بني اسرائيل قد جاؤوا على طريق آتاريم فقاتلهم وسبى منهم سبيا.

ان الحلم بالعودة هو اذن ليس الى كل أرض الكنعانيين ، بل الى المرعى في أرض عشيرة بني حث ، ثاني أولاد كنعان ، حيث كان ابراهيم واسحق ويعقوب ، وحيث ماتوا ودفنوا ، هناك في بلاد زهران، كما تقول التوراة "وأقبل بنوا اسرائيل الى برية صين فأقام الشعب بقادش ". ان قادش هي اذن في البرية التي كان فيها ، صين ثامن أولاد كنعان ، ويقول التوراة " وانفذ موسى رسلا من قادش الى ملك ادوم قائلا : هكذا قال أخوك اسرائيل ، قد علمت بجميع ما لنا من المشقة ، وها نحن في مدينة قادش " فقادش هي الاخرى في تخم آدوم اذن ، وآدوم هو عيسوا الذي هو أخو يعقوب ـ اسرائيل ـ ولذلك فان هذه التسميات كغيرها من التسميات التوراتية ليست تسميات لمدن أو مناطق جغرافية بل هي تسمية لاشخاص أرباب أسر وزعماء عشائر، ولما لم يسمح لهم آدوم بالمرور كلم الرب موسى وهارون في جبل ـ هور ـ عند تخم آدوم ، تم رحلوا من جبل هور على طريق بحر القلزم ليدوروا من حول أرض آدوم.

إن ماتقدم يؤكد أن : قادش وصين وآدوم وجبل هور وبحر القلزم ، انما هي جميعا منطقة واحدة ضيقة تحركت فيها عشيرة ضئيلة بنسائها وأطفالها وشيوخها وأغنامها ، وهي أرض عشائر الكنعانيين المتجاورة ومع ذلك فقد أضحت ـ تلك التسميات العشائرية ـ في التزوير : الاستشراقي الاستعماري والصهيوني اليوم ـ على النحو التالي:

عشيرة " صين بن كنعان " صارت نهر السن في سورية ، و " بحر القلزم " صار البحر الاحمر ، و " آدوم " عند البحر الاحمر ، و " قادش " التي هي في برية صين ، صارت اطلال جبل النبي ، مند على العاصي جنوبي حمص ، وعشيرة "عردة" الذي هو تاسع أولاد كنعان ، والذي هو على تخم " آدوم " صار حزيرة أرواد السوريه ، و" صمميرا بن كنعان " صار اليوم تل الكزل جنوب طرطوس ، وحمتا بن كنعان صار مدينة حماة السورية...الخ.

فقد ذكر الطبري ، والهمداني ـ في أكليله ـ أن فرعون موسى هو : سنان بن علوان بن عريج بن عملاق بن لاوذ ، وأنه كان أخا للضحاك ، وذلك في بلدة مصر في غرب شبه الجزيرة العربية ، أما فرعون يوسف فقد كان ، الوليد بن الريان ، في بلدة مصر أيضا بغرب شبه الجزيرة العربية ، كما أن يوسف تزوج ابنة كاهن مصر ـ"مصريم" واسمها " اسنات " تماما كما تزوج موسى بعد حوالي خمسة قرون من ابنه كاهن مديان ـ المعروف بالنبي " شعيب " هناك في بلاد زهران .

كما يؤكد ـ عبد القادر بافقية ـ في تاريخ اليمن القديم أيضا على وجود بلدة مصر تلك في شمال اليمن فقد نقل عن المستشرق ـ جلاسر ـ أنه عثر على نقش ـ معيني في شمال اليمن يؤكد على أن حربا دارت قديما بين مذي وبين مصر ، أي بلدة مصر في شمال اليمن ، هذا في حين أوردت المدونات التاريخية على جداران المعابد المصرية القديمة في الأقصر ومنها ما هو في عهد الملكة ــ حتشبسوت ١٤٨٢ق.م ـ أن حملة شيشنق الاول المصرية ٩٤٥ ـ ٩٢٤ ق.م قد وقعت هناك في غرب شبه الجزيرة العربية حيث الخط التجاري طريق الحرير وليس في فلسطين التي جعلها المزورون مسرحا لاحداث التوراة.

فقد ظهرت اليهودية ـ كدين هناك أيضا بعد عودة أبناء العشيرة ... من الجلاء ــ السبي ـ في بابلون المحطة الواقعة على نهر كفار ، الذي يرفد نهر الثرات ـ شرقي غامد في السراة الى حورانينا ـ أورنينا ، وتعني كهف السيدة ـ أي مغارة أو حصن المتعبدين " اورشليم "، التي كانت غزيرة الينابيع، اذ اجتمع هناك ٧٢ كاهنا ووضعوا جملة أسفار التوراة بالحرف اليوناني ، أي الفينيقي القديم، في زمن بطليموس ، وكيل الاسكندر على المحطة في القرن الثالث قبل الميلاد ، وليس في اسكندرية مصر وادي النيل اذ أن وكيله على المحطة دعي باسمه ، كما دعيت المحطة باسم الاسكندرية ...

والاسكندر هذا الذي قطع رأسه - زبرئيل العربي كما روت التوراة ليس الاسكندر المقدوني - الذي عاد من فارس ومات في بابل بالعراق بسبب حمى أصابته.

فقد كان الخط التجاري - طريق الحرير - البري - أكبر شريان حيوي اقتصادي في العالم القديم حيث كان يخترق شبه الجزيرة العربية من الجنوب الى الشمال وكانت القوافل تنطلق من شبام - تمريم - شبوه - الشحر - همذان - مأرب - صرواح - ونجران، وفرع آخر من عدن الى نجران مرورا بمنطقة خميس مشيط وتصعد شمالا بموازاة وادي بيشة الى سفوح جبال غامد وزهران وفي جنوب غرب العقيق كان يتفرع منه فرع يمر في وادي الثرات ليصل الى وادي الدواسر ومنه الى شمال الخليج العربي بينما كان الخط الرئيسي يتابع سيره شمالا الى مكة فيثرب وتيماء والبتراء، ومنها الى غزة والى بصرى الشام فدمشق - ليذهب منه فرع بعد ذلك الى تدمر فأور وبابل وآشور ومن ثم الى الشرق حتى الصين في حين كان يذهب الفرع الآخر من دمشق الى ايبلا فحلب والاناضول فاليونان واوربا، ولذلك كان على الدوام عرضة لغارات القبائل البدوية عليه. مما اضطر دولة وادي النيل - وبابل ... وتجار المدن الكبيرة أن تنشئ عليه في غرب شبه الجزيرة العربية محطات لحماية قوافلها ... وغالبا ماكانت تلك المحطات تحمل اسم الدول والعواصم والمدن التي أنشأتها كما كان الوكلاء يكنون بالملوك والفراعين، وذلك تبعا لاسماء ملوك الدول التابعين لها، ولذلك التبس الامر على البحاثة والمؤرخين وفسح المجال للمزورين ...الخ.

فقد ذكرت المدونات التاريخية: أن " سرجون الثاني " قام بحملة تأديبية، لملوك تلك العشائر والمحطات على الخط التجاري في تلك المناطق، في السنة السابعة من حكمه وأنه فرض الجزية على " شمسي أو سمسي " ملكة عريبي في الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية، وقد فعل الملك " شمنصر الثالث " نفس الشيء معها في السنة التاسعة من حكمه، بسبب تعرض قبيلتها والاعراب لقوافل آشور، وهناك الكثير من الحملات البابلية والمصرية، ومن ثم الاغريقية والفارسية والرومانية التي استهدفت حماية الخط التجاري، وتأديب تلك العشائر، ومن كان يتمرد من ملوك تلك المحطات... بما في ذلك العشائر الاسرائيلية واليهودية، التي كانت تمارس الاغارة والسطو على القوافل التجارية، ولم يكن ماعرف بالسبي البابلي لهم الا من هذا القبيل هناك.

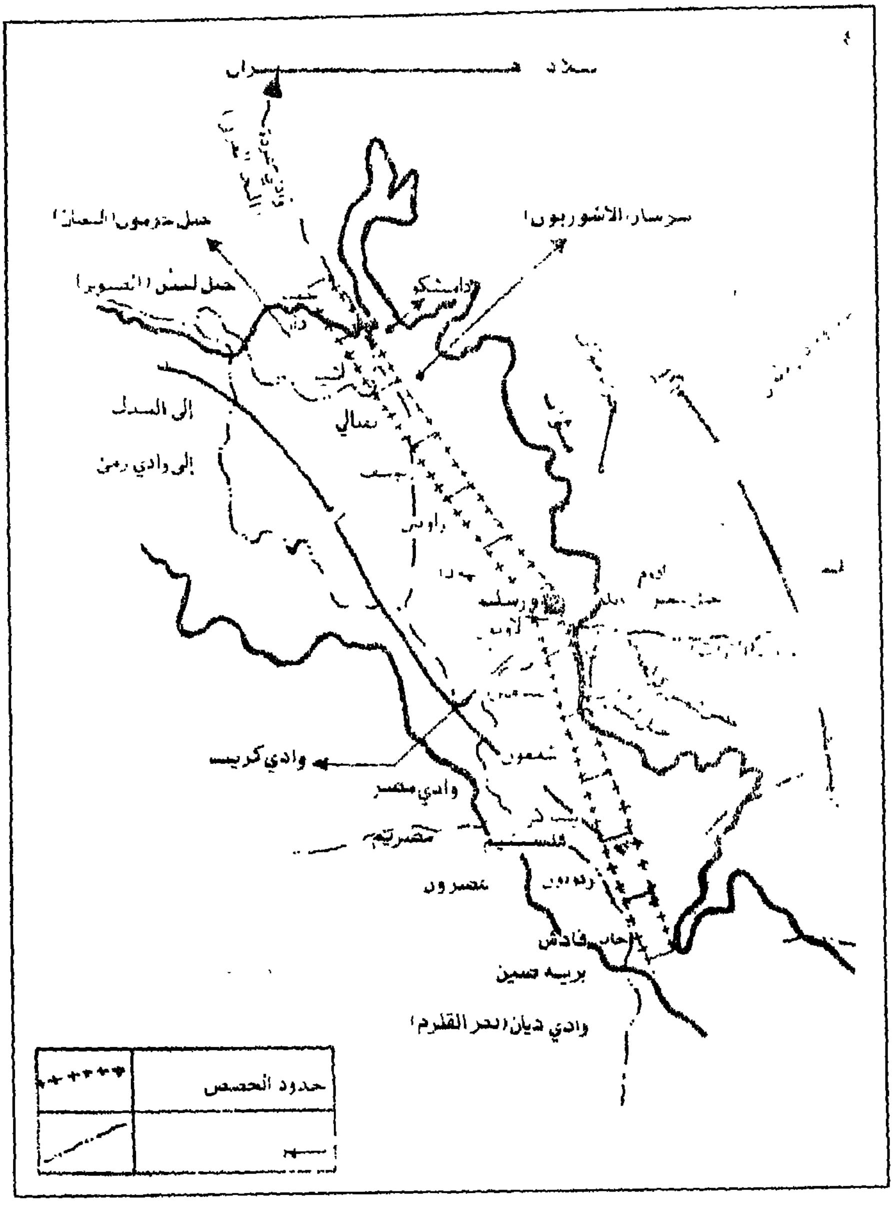
فقد أورد الطبري ـ في تاريخ الامم والملوك : أسماء فراعنة مدينة مصر في غرب الحجاز، وأكد أن فرعون يوسف ـ والعزيز صاحب خزائن مصر وفرعون موسى هم فراعنة تلك المدينة.

العبرانيون واليهود ـ ليسوا اسرائيليين أو شعبا ما :

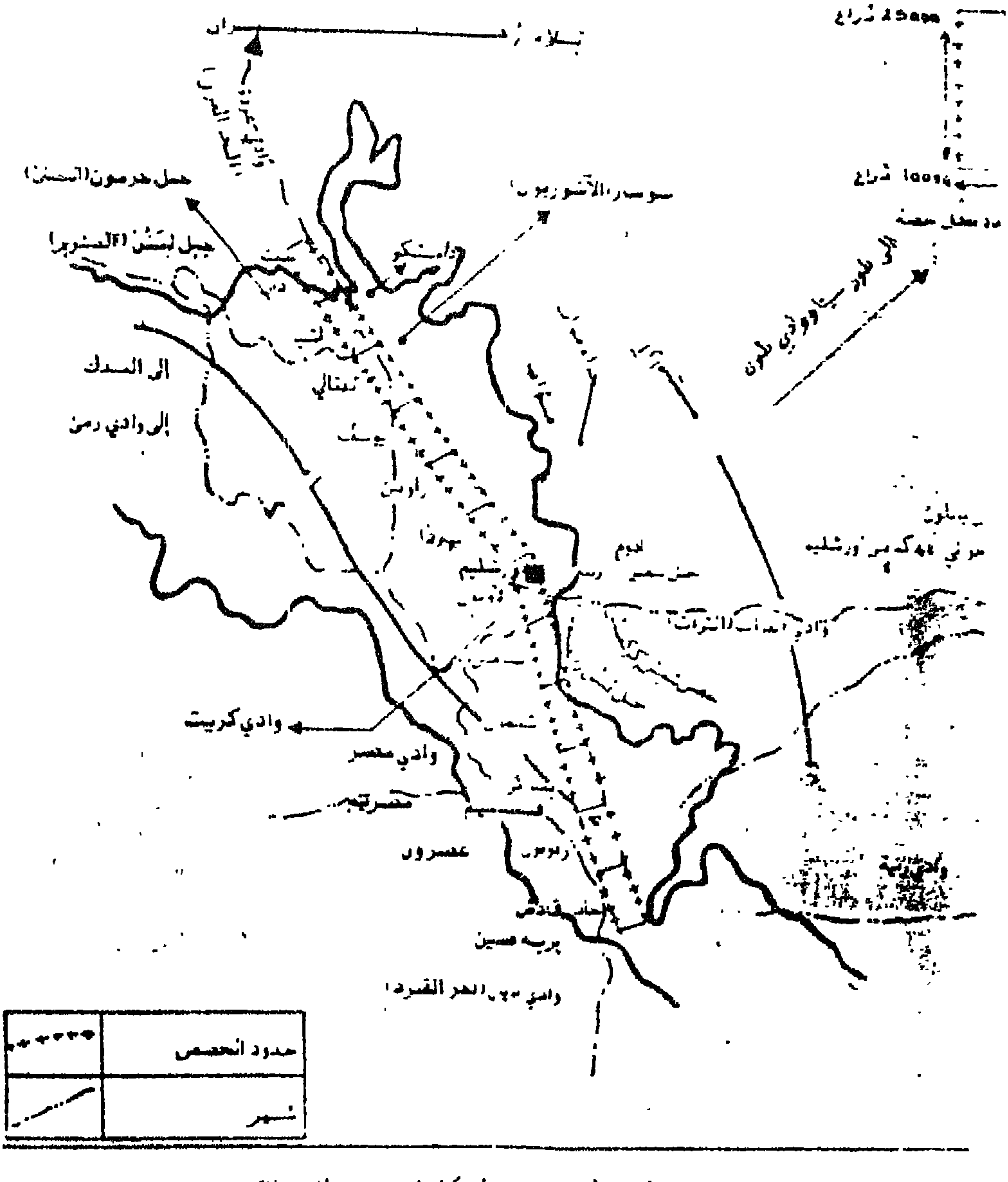
لم يكن الرقيم المسماري المكتشف في تل العمارنة في مصر وادي النيل ، الا أحد الرسائل التي كان يبعثها الى ـ أخناتون ١٣٧٥ ـ ١٣٥٨ ـ وكيله الفرعون على محطة الحماية للخط التجاري في تلك المنطقة ، هذا مع التأكيد أن ذلك الرقيم لم يذكر كلمة " عبرانيون " بتاتا وانما أضافها داوود قربان أثناء ترجمته للرقيم ـ كتفسير خاطئ لكلمة " خبيرو " التي تعني في العربية المحاصص ، أو الشريك ، أما " الاخلامو " الذين يرد ذكرهم في التوراة ... فهم والخبيرو من عشائر الآراميين العربية البدوية والزراعية في برية آرام على وادي الثرات والتي كانت تمارس السطو على القوافل وتنهبها.

إن الآراميين هم أبناء " آرام بن سام بن نوح " وهم من العرب العاربة البائدة ، ومن سكان قلب شبه الجزيرة العربية ، ومنهم قوم " عاد وثمود " ولم يبقى من فروعهم من يستحق الذكر غير فرع " نبيط بن ماش بن آرام "، الذي كان مسكنه في كوثى ـ عند بابل المحطة ، على نهر كبار الذي يرفد الثرات ،قبل التقائه بنهر " رنيا " شرقي غامد في عسير ، ومن هذا الفرع كانت عشيرة " ابراهيم العربية الآرامية "، و" نبيط " تعني : أهل الزراعة المستقرين في الارض ، وللمزيد من الاستيضاح راجع ـ فرج الله صالح ـ مرجع سابق .

أما لفظة " عابر و عابرون وعبران " فقد كانت تطلق على كل من كان يعبر نهر الثرات من البرية الى قرى الكنعانيين ، في سفوح جبال غامد غربا وبالعكس ، سواء كان فردا أم جماعة ، فيعبر مخاوض الماء والسيول الكثيرة المنحدرة من بين تلك الجبال في السراة ، وهي المقصود في النص التوراتي ، بكلمة " يردن " التي هي بصيغة الجمع، ومفردها " يردو " والتي جعلها التزوير : " نهر الاردن " أما النهر الكبير الوارد ذكره في التوراة أيضا ، فهو نهر الثرات هناك وليس نهر الفرات العراقي ، والنهر الذي وصفته نبوءة حزقيال في الفصل ٤٧ ـ منه بأنه ينبع من جانب بيت المقدس وينحدر غزيرا نحو الشرق الى البرية محدثا كثيرا من المستنقعات ، قبل أن يصب في البحر موزعا



وادي كريت
شمعون
مصرون
حدود الحصص
نهر



عشائر بني اسرائيل واقتسام ارض كنعان، حسب التوراة

على جانبيه الخصب وينتشر على ضفتبه الصيادون من عين جدي الى عـين عجلائيـم، فانه بكل تأكيد نهر الترات في منطقة السراة، لأنه ليس هناك في بيت المقدس أي نهـر، فالمقصود ببيت المقدس اذن هو حصن مغارة المتعبدين أورشليم في غامد ، فقـد كـانت كثيرة الينابيع الـتي ترفـد الـثرات، فحكايـة ابراهيـم وأحفـاده وبـني اسـرائيل عمومـا ، وموسى وأسماء الاماكن التي كانت مسرحا لأحداث التوراة نجدهـا مفصلـة في كتـاب د. أحمد داوود :" العرب والساميون "، وهو مرجع مر ذكـره ومما ذكـره نقـلا عـن كتاب د. جواد علي ـ تاريخ العرب قبل الاسلام، الذي يستشهد بدوره بما قاله العـالم الالماني " وينكلر : أن ارض كوش تقابل مصري... وأنه قد اكتشف نص في خرائـب جامع حران الكبير عام ١٩٥٦ ، يحكي أن " نبونيـد " ملـك بـابل قـام بحملـة تأديبيـة لملوك تلك العشائر والمحطات ومنها محطة أورشليم في أعالي الثرات ، اضافة الى : فـدك وخيبر ويترب وتيمـا وددان ... وأنـه قتـل وكيـل تيمـا ، وكلهـا تقـع في غـرب شـبه الجزيرة العربية لاسيما وأن حملة " سرجون الثاني " قبل ذلك على ملوك تلك العشـائر والمحطات مثل : ثمودي ـ وعباديدي ـ ومارسيماني ـ وجيافة ـ وسمسي ملكة عريـبي ــ وفرعو ، أي فرعون ملك مصري ... تؤكد على أن جغرافية تلك الاحداث والاماكن هي غرب شبه الجزيرة العربية ، وليست فلسطين وسيناء وبلاد الشام ، ولامصر وادي النيل ، التي جعلها التزوير مسرحا للاحداث التوراتية ووطنا للاسرائيليين الاوائل ، ولما يسمى باليهود والعبرانيين ولدولتي اسرائيل ويهوذا المزعومتين.

وتجدر الاشارة هنا الى أن هدفنا ليس استبدال أرض عربية باخرى ، فكلهـا عزيـزة علينا .. وانما اعادة الامور الى نصابها ، بارجاع أحداث التوراة التي جعلها الـتزوير في فلسطين وبلاد الشام بدلا من منطقة عسير ... حيث كان مسرحها الحقيقي هنـاك في غرب شبه الجزيرة العربية ، اضافة الى كشف وحذف مـا أضيـف اليهـا مـن مبالغـات وتضخيم والتأكيد علـى أنـه لم تقـم أيـة دولـة لبـني اسـرائيل ولا لليهـود أو مايسـمى بالعـبرانيين لافي فلسـطين ولافي سـواها مـن أرض العـرب في أيـة مرحلـة مـن مراحـل التاريخ، لان هؤلاء كانوا عبارة عن عشائر بدوية ... والبدو لايبنـون دولـة ، فالدولـة لاتبنى الا في مراحل الاستقرار والانتاج والعمران والتقـدم الحضـاري، وهـم لم يبلغـوا ذلك الطور المتقدم آنذاك، لكي تصدق مزاعمهم وادعاءاتهم المعاصرة، الـتي تدحضهـا المعلومات الاثرية والوقائع التاريخية.

يقول ـ فرج الله صالح ـ بهذا الخصـوص في كتابـه معجـم معـاني وأصـول وأسمـاء المدن والقرى الفلسطينية ـ اليمن هي الاصل ٢ ما ملخصـه ص ٢٧ :" ... لقـد رتـب

التاريخ على الشكل التالي:... العبران وممالكهم في فلسطين ـ صارعوا الفلسطينيين الذين جاؤوا ـ حسب التزوير ـ من بحر ايجة ، ثم زالوا ـ وذلك بالاستناد الى قراءة خاصة للتوراة ـ وقد وسعت المادة الاخبارية في اسفار صموئيل الاول والثاني والملوك الاول ، مع اسقاط أسماء القرى والمدن على فلسطين دون وجودها الفعلي ، بل ما أعتبر فعليا بحكم الموجود هو الترجمة الصهيونية لاسماء الاماكن في فلسطين وأولها افتراض القدس هي أورشليم ـ

فاذا تطلعنا الى سفر صموئيل الاول ، نراه يتحدث عن صراع بين عشيرة فلستينية وأخرى عبرانية وتحديدا بين حضر وبداوة بزعامة " شاوول وداوود " ، وصراع الاخيرين على الزعامة... وبأنهم كانوا يضاجعون النساء ـ المجتمعات ـ في باب خيمة الاجتماع ، سفر صموئيل الاول ـ اصحاح ٢ وحارب الفلسطينيون وانكسر اسرائيل وهربوا كل واحد الى خيمته ، اصحاح ٤ـ وانه كان صلحا بين اسرائيل والاموريين تم أخذ " شاوول " ـ الملك ـ على اسرائيل وحارب عماليق ورجع الفلسطينيون الى مكانهم وقتل "داوود" جليات وهربوا جميعا الى محلتهم، اصحاح ١٦ـ ان مضاجعة النساء في باب الخيمة ، والهروب الى الخيام... يدل على أن ذلك لم يتعد صراع بداوة ـ عابرون ـ وحضر ... فجوليان كان يلبس درعا نحاسيا ويحمل رمحا ـ و"داوود" يحمل مقلاعا للرعاة؛ مما يدل على أن الصراع لم يكن بين ممالك حسب المفهوم المعاصر... وأن " داوود " هرب من " شاوول " الى أراضي الفلستينيين حيث أسكنه " أخيش " بن معوك ملك جت ـ في صقلع ... وصعد ورجاله وغزوا الجثوريين والجرزيين والعماليق، لان هؤلاء سكان الارض من عند "شور" الى أرض " مصر ، اصحاح٢٧ـ وعندما أصبح " داوود " ملكا على عشيرة اسرائيل قاتل بقية جماعة " شاوول " وصرعهم وانكسر "ابنير" ورجال اسرائيل أمام عبيد "داوود"... كما الفلسطينيين... وحارب عزر بن رحوب ملك صوبة ـ وآرام دمشق وملك بني عمون وملك معكة... وجريا على وضعية زعيم العشيرة أكثر من النساء وسرق امرأة أحد رجاله ... واغتصب أحد أبنائه، أخته، مما دفع شقيق الصبية المغتصبة ـ " ابشالوم " للانفصال عن أبيه ... ومقاتلته فهرب .. اصحاح ١٦ ـ سفر صموئيل الثاني... وهكذا قاتل " ابشالوم " والده " داوود " وسبى سراري أبيه قبل أن يقتل من قبل عبيد داوود ... وهرب كل اسرائيل الى خيمته وأثر ذلك حدث خصام بين عشائر يهوذا وبنيامين فقال البنياميني ليس لنا قسم في داوود ... كل رجل الى خيمته يا اسرائيل اصحاح ٢٠ـ وبعدما شاخ داوود عين ابنه سليمان ملكا على عشيرة اسرائيل ـ الذي صاهر

فرعون مصر ملوك أول اصحاح ٣- وبعد سليمان عين "لاسا " ملكا على يهوذا ، وكان الشعب نازلا على جبشون التي للفلستينيين - ملوك اول اصحاح١٦.

هذه الروايات عن حالة الصراع بين العشائر وداخلها ... وأسماء الاماكن والمدن التي تذكرها التوراة أثناء سردها ليست بالاساس الا أسماء عشائر في سببية تسميتها ، وقد اعتبر الافراد والجماعات البدوية الجوالة : عبرانيون " أي اسرائيليين ويهود في آن واحد - صاحبة ملك لكل الاراضي التي رادتها في تجوالها وهي اسماء لايعثر لها على أثر الا في منطقة عسير، علما أن الخلط بين الاسرائيليين والعبرانيين واليهود غير صحيح .

إن اسم فلسطين هو اسم عربي اساسا - فالطاء مبدلة عن التاء لهجة - أي انها من جذر "فلس" حيث كانت تلفظ مع النسبة المؤنثة " فلست " التي أبدلت بالطاء " فلسطين " وهذا اسم للعشيرة الاولى المهيمنة التي رادتها في البدء ...الخ.

ويكفي هنا أن نشير الى تكرار ورود لفظة الخيام ، في النصوص التوراتية لتدرك أن عشائر بني اسرائيل ، لم تسكن القرى والمدن آنذاك ، بل الخيام والمغاور ، بحكم بداوتها وحلها وترحالها ... كما ندرك بأنها كانت عالة على أصحاب الارض المنتجين الزراعيين ، في بعض جوانب معيشتها ، لاسيما وأن بعضها لم يملك من الماشية شيئا ، ولذلك كانت تمارس الغزو والاغارة على قوافل الخط التجاري لتأمين معيشتها.

ولهذا لم تسهم في بناء الحضارة بحكم عدم استقرارها في الارض ، او ولوج عالم الزراعة والانتاج والعمران والحضارة ، مما جعلها مميزة في تخلفها بالمقارنة مع من كانت تعيش بين ظهرانيهم من عرب غرب شبه الجزيرة العربية ، ولهذا نجزم بأنهم لم يبلغوا في تاريخهم الطور الذي يمكنهم من تشكيل شعب أو قومية أو دولة -- كدولة اسرائيل ويهوذا المزعومتين -- في أية بقعة من أرض العرب ، فكيف يمكن لهم أن يشكلوا شعبا أو قومية خاصة بهم -- لاسيما وأنهم كانوا قلة من العرب آنذاك؟!.والعرب كانوا ومازالوا يشكلون أمة واحدة لا أمم متعددة .

ظهور النصرانية كشف زيف اليهودية :

وعند ظهور - النصرانية - المسيحية - شعر اليهود بخطرها على اليهودية وتراثها ونفوذها... لأنها كشفت زيفها، مما دفعهم لمعاداتها والمبشرين بها وعلى رأسهم المسيح، والعمل على تشويه صورتها وتزوير أسماء الاشخاص والاماكن الجغرافية لنشاطاتهم ، واستبدالها باخرى ... ونقل وتدوين صورة عن التجربة النصرانية ، لأسيما في طورها الاول مغايرة لواقعية احداثها ، كقلب الحقائق والمعطيات .. في تلك المرحلة وكلما تسنى لهم ذلك ، حينما استغلوا علاقتهم التجسسية ونفوذهم لدى الرومان ، وسيادة وتأثير اليهودية وتراثها ، آنذاك ، للاضرار بها وبرموزها ومحاولة خنقها في المهد ، وهوسر نجاح الكثير مما حبكوه من مؤامرات ، للايقاع بالمسيحيين ، كالوشاية بالمسيح واتباعه وتلفيق آلتهم لهم والتشنيع بهم وبمريم العذراء... الخ.

فقد كان لليهودية وللتراث اليهودي تأثير كبير على الفكر والوعي الديني لدى عامة الناس وخصوصا في الجزيرة العربية في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ النصرانية ، وهو ماساعد اليهود في تزوير الكثير من أحداث التاريخ العربي القديم قبل وأثناء ظهور المسيحية ، اضافة الى تاريخ الاديان والتأثير في طقوسها وتقاليدها وتراثها عموما، وخاصة المسيحية منها والتي بدت، نظرا لذلك وكأنها الابنة االبكر لليهودية، علما أن ذلك غير صحيح على الاطلاق، ومع ذلك استمر ذاك التأثير عبر قرون مديدة لاحقة ، ليصيب والى حد لايستهان به الوعي والفكر والتراث الديني الاسلامي - بسلبياته ، التي مازلنا نعاني من بقاياها - الخفية على الاكثرية ... حتى اليوم.

وهوماجعل الغرب ، فيما بعد - يجد ضالته في التوراة والفكر والتراث اليهودي - وما تسرب منه الى أناجيل العهد الجديد ، أثناء تدوينها وتسجيلها لتاريخ التجربة الاولى والاهم للمسيحية ، سواء مباشرة من قبل تلامذة وحواريي المسيح الذين عايشوه أو فيما بعد اعتمادا على المرويات الشفهية... اذ سرعان ما تلقفها الغرب ومعه الصهاينة، بعد عصر النهضة وانتصار الرأسمالية وظهرو الجحافل الاولى للاستعمار المعاصر ، حيث راح يوظفها في أعمال التزوير الشامل للتاريخ العربي وبخاصة القديم منه، ومعه تاريخ الاديان وفي مقدمتها تاريخ المسيحية وجغرافية ... منطلقها ومسرحها الاول .. وذلك اعتمادا على التوراة والكتب الاخرى للتراث الديني اليهودي ، فكانت المرجع والسند التاريخي الاساس لتلك الاعمال الشيطانية ، لتمهيد

الطريق أمام الاستعمار...الخ. فعلى الرغم من محدودية معلوماتنا الصحيحة عن تاريخ المرحلة الاولى للمسيحية ، فاننا نسجل فيما يلي بعض الحقائق التاريخية ، غير المألوفة... التي استطاع بعض الباحثين الكشف عنها بجهودهم المضنية المشكورة، على النحو التالي :ـ

١ـ يقول ـ زياد منى ـ نقلا عن ـ كمال الصليبي ـ (١) "... إن شرح أسباب التباينات بين محتويات ولغة الاناجيل الاربعة التي تحمل أسماء حواريي (رسل) يسوع ـ المسيح ـ أي : متي ـ ومرقس ـ ولوقا ـ ويوحنا ـ وكذلك سفر أعمال المنسوب الى ـ بولس ـ والتي أخذت شكلها النهائي في القرن الاول للميلاد ... والتي كتبت باليونانية القديمة أو الهلينية ... يعود الى أن بعض نصوصها كتبت من قبل شخص مرتبط مباشرة بأحداثها ـ أي بتوظيف صيغة المتكلم " نحن " (سفر أعمال ١٦: ١٠ ـ ١٩ ـ و ـ ٢٠: ٦ ـ ٢١) وغيرها على سبيل المثال : ولكن هناك نصوصا أخرى تنقل معلومات عن " بولس " مما يعني وجود عنصرين أو تقليدين على الاقل ـ في العهد الجديد ـ وجب التمييز بينهما ... وتحديد الفروقات بين الاناجيل الاربعة نفسها وبين ما تحتويه من معلومات عن شخص يسوع ـ المسيح ـ وبين تلك التي تنقل على لسان بولس الذي لم يعرف اليسوع بشكل شخصي .."

ويتابع ـ الصليبي ـ فيقول :" ... ان مرد هذه الاختلافات ليس سوء نقل للنصوص وانما وجود فريقين في ذلك الوقت ، تمسك كل منهما بأنه الممثل الحقيقي للتعاليم التي ارتبطت أخيرا باسم يسوع ـ الذي أضحى المسيح ـ ومن هذه الاشارات الصريحة المضمون قول ـ بولس ـ (لأني لا أحب أن أنقص شيئا عن فائقي الرسل ... ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضا في ما يفخرون به) ـ ٢ كور نثوس ١١: ٥ ـ ١٢) ويضاف الى ذلك القول ـ بعد لقائه في مدينة القدس مع بعض الحواريين (وأما أولئك الذين يبدون وكأنهم قادة ـ وأقول هذا لأنه لافرق عندي من هم ـ فا لله لايأخذ بوجه انسان ، فان هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على شيء (غلاطية ٢ : ٦). بل انه يدين تعاليمهم الدينية قائلا : ولكن ان بشرناكم

---

(١) زياد منى ـ وهو كاتب وباحث فلسطيني ـ في تلخيص له ـ لكتاب كمال الصليبي ـ مؤامرة في القدس ـ الاصول المخفية ـ الصادر بالانكليزية ـ لندن ١٩٨٨ الذي نشرته مجلة الناقد في عددها ٨٤ ـ حزيران ١٩٩٦ تحت عنوان ـ مؤامرة ـ ص ٤٨ ـ ٥٤.

نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن أناثيما ـ أي ليذهب الى الجحيم.م) ـ كماسبقنا فقلنا أقول الان أيضا ـ ان كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما ـــ (غلاطية ١ :٨ ـ ٩)، فالتعاليم التي نشرها الحواريون في القدس كانت بالنسبة الى بولس خرافات وانسابا (لاحد لها تسبب دون بنيان ا الله الذي في الايمان) (اثيماثاوس ٤) ، ومن الواضح أن المقصود بمسألة الانساب هو مايرد في انجلي ـ متي ـــ ولوقا، أما قوله (أما الخرافات الدنسة العجائزية فأرفضها)ـ (٢ ثيماثاوس ٤ : ٧)، فهي بلا شك اشارات للروايات التي نقلت عن يسوع ... ولذا فان تعاليم ـ بولس ـــ التي أطلقها بعدما ظهر له يسوع ـ المسيح ـ في دمشق ـ هي الصحيحة ـ لان (الانجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب انسان ، لأني لا أقبله من عند انسان ولاعلمته ـــ بل باعلان يسوع المسيح (غلاطية ١ : ١١ ـــ ١٢)، ومن الواضح أن بولس يعتبر أن الكثير مما ورد عن يسوع في الاناجيل الاربعة غير صحيح حرفيا، (خرافات)...الخ.

٢ـ أما حول الالتباس والخلط بين : يسوع الشخصي التاريخي السياسي ـ وبين ـــ عيسى المسيح ـ الرسول الديني ـــ فان ـــ الصليبي ـــ يجهد في البحث عن المعلومات ويقارن بين النصوص للعهدين القديم والجديد لاستخلاص ماهو صحيح ـ عن يسوع ـ يشوع ـ التاريخي ... فيثبت أن المعلومات المرتكزة على أقواله والموجودة في العهد القديم عنه ... غير صحيحة .. لانها اقحمت في الكتاب المقدس في محاولة لاثبات أنه المسيح .. كما يقول ـ الصليبي ـ ومن ذلك قصة ولادة ـ يسوع ـــ التي كانت على النحو التالي : (لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف النجار قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس ... وهذا كله كان لكي يتم ماقيل من الرب بالنبي القائل هي ذي العذراء تحبل وتلد ابنا اسمه عمانويل ...((متي ١ : ١٨ ـــ ٢٣) والذي هو استشهاد بالعهد القديم (سفر أشعيا ٧ : ١٤). والامر عينه ينطبق على مسألة مكان مولد ـ يسوع ـ أي في بيت لحم ـ والوارد في انجيل متي (٢ : ٥ ـــ٦)، والذي هو استشهاد بالعهد القديم (سفر ميخا ٥ : ٢)... وان انجيل يوحنا يصرح بأن الناس لم يعترفوا بيسوع كمسيح ـ لانه كان من الجليل، والقصة الثالثة هي القائلة بأن المسيح أخذ الى مصر حتى ينفذ من أمر الاعدام الذي أمره " حرذ " ملك يهوذا (متي٢ :١٥) والذي هو استشهاد بالعهد القديم (سفر يوشع ١١ : ١) .."

٣ـ كما يناقش الصليبي ـــ موضوع صلب المسيح في عيد االفصح اليهودي ـــ والذي هو ـ كما يقول : تأويل للتضحية في ذلك العيد ـ ليثبت أنهاجميعا مأخوذة من

العهد القديم ـ بهدف تثبيت صحة مسيحية يسوع ، وأنها بالتالي لايمكن أن تكون مرجعا عن يسوع التاريخي ـ المسجل اسمه في انجيل مرقس (٦ ـ ٣) على نحو النجار ـ وفي انجيل متي (١٣ : ٥٥) ابن النجار ، ويستنتج ـ الصليبي ــ أن الاسم يمكن أن يكون لقبا عائليا وليس بالضرورة مهنة والده ، وبينما يلاحظ أن الاناجيل الاربعة تتفق على أن اسم والده كان يوسف ، ينتبه الى حقيقة أن انجيل يوحنا لايذكر اسم والدته التي عرفت باسم مريم في الاناجيل الثلاثة الاخرى ... على الرغم من أنه كان لها اخت باسم مريم (يوحنا ١٩ : ٢٥) ، ولذلك لايمكن أن يكون الاسم ـ مريم ــ هو اسم والدة يسوع واسم خالته في آن معا .

٤ـ يقول ـ الصليبي ـ في نفس كتابه المذكور في الهامش " ان الامر الثاني المرتبط في شخص يسوع التاريخي ـ مايذكر عن عائلته واخواته واخوته ومنهم : يعقوب وسمعان وبيسي ويهوذا (متي ١٣ : ٥٥ ـ و ـ مرقس ٦ : ٣) الذي يسجل الاسم بصيغة يوسف) مثلا (سفر الخروج ٤١ : ٤٦ ـ و ـ صموئيل الثاني ٥ : ٤) ..."

وليؤكد صحة تاريخية ـ يسوع ـ يذكر ـ الصليبي ـ بمقولة التلمود عنه ـ وكذلك بما ورد في كتاب ـ اوزيبيوس (تاريخ الكنيسة) الذي تيحدث عن قيام الامبراطور الروماني ـ دوميتان ٨١ ـ ٩٦م ـ باعدام سلالة داوود ومنهم حفيد المسيح ــ كما يؤكد أن رسالته كانت سياسية ــ بدليل دعوته اتباعه الى الالتزام بأوامر السلطة الرومانية (أعط لقيصر ما لقيصر) .. (مرقس ١٢ : ١٤ ـ ١٦ ,.,) وحتى موافقته على معاقبة اليهوذ الذين نشطوا ضدها (لوقا ١٣ : ٢ ـ ٣) .. وقيام يسوع بمعارضة الفريسيين وهيردوس حاكم اقليم يهوذا الروماني (مرقس ٨ : ١٥)... وأنه كان يقول أنه أي ـ يسوع ـ من سلالة داوود ـ حيث طالب بالسلطة في مواجهة طائفتين يهوذيتين هما الفريسيون والصدوقيون اللتين كانتا تتنازعان السلطة على الجماهير اليهوذية في فلسطين ـ ومع ذلك كانتا ترفضان القبول بمنافس جديد ــ وأن اعدامه ــ اي يسوع ـ تم باصرار من الطائفتين المذكورتين اللتين حرضتاالرومان ضده (مثلا لوقا ٢٣ : ٢ ـ ٤) ، بل ان القائد الروماني ـ بيلاطس ـ كان ضد الحاق الاذى به (لوقا ٢٣ : ١٣ ـ ١٧).

٥ـ بعد أن كشف ـ الصليبي ـ الالتباس والخلط بين : يسوع التاريخي ... وبين عيسى المسيح ـ يستشهد بالايات القرآنية لتأكيد صحة ماذهب اليه ـ على الرغم من غرابة ذلك بحكم مخالفته للمألوف .... حيث يقول ما ملخصة "... ان ولادة عيسى

كانت في الحجاز الى الشرق من مكة، وانه كان آية ــ أي معجزة ــ ورسولا لبني اسرائيل وليس لليهود ، كما أن القرآن لايشير الى عيسى بأنه كان يهوديا ، كما أن يوحنا المعمدان ليس هو يحيى الوارد ذكره في القرآن بالارتباط مع عيسى ابن مريم ، وان النصرانية المسيحية لم تولد من اليهودية ، بل كانت موازية لها وانها نشأت من ديانة بني اسرائيل التوحيدية ، ثم اخذت منحى آخر على يد ــ بولس الرسول ــ والكنيسة من بعده... وان الحواريين اخذوا شخصية عيسى ابن مريم ــ الذي كان ينشط في الحجاز ـ وركبوها على شخص يسوع بن يوسف النجار ــ الذي جاء الى فلسطين قادما من جزيرة العرب ـ مطالبا بالسلطة على اقليم اليهوذية ... وهذا ما يفسر قيام ـ بولس الرسول بعد ظهور يسوع له في دمشق بالذهاب فورا الى الجزيرة العربية وليس الى القدس ، وتجاهل العهد الجديد ــ ليسوع ــ الشخصية التاريخية وتركيزه عليه كفكرة دينية .

٦ـ ثم ينتقل ـ الصليبي ـ لنقصي جغرافية تنقل يسوع ــ الناصري بن يوسف النجار (يوحنا ١ : ٤٥) محللا النصوص ومفرداتها ذات العلاقة وفي لغتها الاصلية... مبينا خطأ الجغرافية التقليدية ـ من خلال تحركات ــ يسوع ــ كما هي واردة في الاناجيل ، ليؤكد أنها لايمكن أن تنطبق على جغرافية فلسطين ـ لاسيما وأن التنقيبات الاثرية في فلسطين والناصرة تحديدا تبين أن المدينة لم تكن قائمة قبل القرن الثالث للميلاد ، ولهذا يقول : من غير المعقول أن يسوع الناصري قد أتى من هناك ــ خصوصا وأن العهد الجديد لايشير الى أي مدن فلسطينية هامة كانت قائمة في زمان نشاط يسوع ـ على الرغم من وجود عدد منها ــ هذا لو أنه كان فعلا في الجليل الفلسطيني.

ويتابع فيقول " ولكن عند أخذ تحركات ـ يسوع بن يوسف النجار ضمن الحجاز، تنحل المشكلة فورا ، حيث يعثر هناك على أسماء المواقع ذات العلاقة ، ومنها بيت صيدا (مثلا انجيل متي ١١ : ٢١ ـ و ـ لوقا ١٠ : ١٣) ... ويعرفها على أنها قرية ـ صياده ـ في منطقة الطائف ـ حيث يقع وادي الجليل ـ الذي تقطنه قبيلة ــ نصيرة ــ وحيث أن العهد الجديد (مثلا لوقا ١٠ : ١٣) يربط بين بيت صيدا وبين موقع آخر باسم ـ كورزين (الاصح قرزين ـ قرزن) الذي لم يعثر على أثر له في فلسطين، مما يؤكد بأن تحركان يسوع الاول ـ كانت في الحجاز حيث قرية قرزمة ـ قرزم...".

أما اسم يسوع - الذي قيل بأنه نجارا أو ابن نجار - فيقول " يمكن أن يعني أن والده كان نجارا - كما يمكن أن يكون اسم موطنه - وهذا مايرجحه - ولذلك فهو يؤكد بأنه من قرية النجيرة - نجر - قرب ام لحج - التي تحمل الاسم بجذره الثلاثي - في جزيرة العرب - وليس في فلسطين ، فالصليبي يربط بين دافع قيام والده بمغادرة بلدته الاصلية - النجيرة - بشمال الحجاز ، الى وادي جليل - قرب الطائف وبين الخراب الذي أحدثته القوات الرومانية في بلدته الاصلية نحو عام ٢٤ ق.م تحت قيادة - ايلوس جالوس - ولكن الاب حافظ - في اسمه - على اسم موطنه الاصلي - فصار يعرف بالنجار ، أما الاماكن الاخرى ذات العلاقة فمرتبطة باسم اثنين من حوارييه - أي الاخوين : يوحنا و- ويعقوب - المعروفين بانهما ابنا - زبدي - أي من - زبيدة الواقعة على نحو ٣٠كم ، جنوب الطائف قرب وادي جليل وصيادة وقرزمة - اما اصل الحواري ، يهوذا - الموصوف بانه الاسخربوطي - الاسخربوتي - فيتضح من خلال بنية الاسم أن المقصود - يهوذا العسكري - وحيث أنه لم يعثر في فلسطين على موقع بهذا الاسم ضمن الجغرافية التقليدية لتحركات - يسوع - المسيح - فان المقصود اذن هو بلدة عساكر - عسكر - قرب زبيدة والقرى الاخرى سالفة الذكر في وادي الجليل - وكلها مواقع متجاورة قريبة من الطائف - والامر عينه ينطبق على - سمعان الزعلوطي - الزعلوتي - في النص العربي - الغيور - (مثلا لوقا ٦ : ١٥) الموصوف بانه القانوي - لابد أنه من قرية - زعلة - بمنطقة زهران جنوب الطائف ، حيث تقع قربها قرية - قنان - وحيث أن بعض الاناجيل تقول بأن - يهوذا الاسخربوطي مات أو انتحر في مكان عرف باسم حقل - دم - الذي لم يعثر له على أثر في فلسطين فان المقصود بذلك هو وادي - دما - بمنطقة الطائف قرب عسكر ووادي الجليل وغيرهما".

٧- ان ماتقدم يؤكد بان يسوع التاريخي السياسي - الذي تم صلبه هو ليس عيسى المسيح - النبي - الرسول الديني ، فقد قال القرآن عن عيسى :" وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم "، فالاول كان له اخوات واخوة بينما الثاني ولد لأمه مريم العذراء وحيدا ، من روح الله - حسب القرآن - وليس ابن يوسف النجار الذي الصقت به وبمريم تهمة الزنى - من قبل اليهود - وهي براء منها - حسب القرآن أيضا... الخ.

ان ماتقدم يدل بوضوح على قذارة الدور اليهودي في ذلك - وعلى شمولية التزوير الذي أحدثوه في التاريخ الحضاري العربي القديم عامة وتاريخ الاديان ذات المنبت العربي خاصة - وعلى الاثر السلبي - لكل ذلك في الوعي والفكر والتراث الديني

وبخاصة المسيحي منه ، حيث وظف فيما بعد من قبل الغرب والصهاينة لمتابعة عمليات التزوير... كنوع من الغزو والتخريب الثقافي والتشويه والتقزيم الحضاري للعرب ، وصولا لتحطيم الكيان القومي العربي الواحد : بشرا وارضا ولغة وتاريخا وتراثا حضاريا ـ وجعل العرب متفرقين متخلفين عاجزين دائما عن حماية أنفسهم ولقمة سائغة لهؤلاء الاستعماريين.

الامازيغية ـ ليست أمة أو وطنا :

تجدر الاشارة هنا ـ الى أن اعمال التزوير والتآمر على العرب ـ مازالت مستمرة ومتصاعدة الوثائر ومتعددة الاشكال والاساليب ومنها ـ على سبيل المثال : اثارة قضية مايدعى بالامازيغية ـ أو تمازغة ـ أي بلاد أو وطن البربر ـ حيث يحاول الاستعماريون في الغرب ـ والصهاينة ـ واذنابهما من البربر المغاربة ، في هذا الوقت الذي يحاول فيه هؤلاء اقامة ما أسموه بالنظام الشرق أوسطي ، بعد أن أوشكوا ـ كما يتراءى لهم على تصفية الصراع العربي ـ الصهيوني أي قضية فلسطين وقضايا النضال التحرري القومي العربي ـ وبالتالي الغاء عروبة المنطقة ـ باختيار اسم جديد لها وهو النظام الشرق اوسطي ـ الذي يراهنون أن تكون اسرائيل على رأسه ... والولايات المتحدة الامريكية ولية أمره ، نعم إنهم يحاولون أن يجعلوا من البربر أمة قائمة بذاتها قوميا وتاريخيا وليس لها صلة بالعروبة ـ ومن تمازغة وطنا بربريا ـ يمتد جغرافيا ـ كما حددوه أخيرا من جزر الكناري غربا وحتى واحة سيوة ، اي مصر شرقا ـ ومن البحر الابيض المتوسط شمالا وحتى بوركينا فاصو جنوبا ـ أي الشمال العربي الافريقي باسره ، وقد عقد هؤلاء من البربر ـ برعاية أسيادهم هؤلاء مؤتمرا دوليا لهم في باريس في أيلول عام ١٩٩٥ ، وذلك بهدف تدويل هذه القضية المصطنعة الزائفة ـ عن الوطن والقومية البربريتين ـ لتسويغ التدخل الخراجي عند اللزوم في الشؤون الداخلية لبلدان المغرب العربي ـ والنيل من استقلالها وسيادتها وعروبتها ـ تمهيدا لاقامة دولة للبرابرة أو مايسمى بالنظام الشمال افريقي ـ الى جانب النظام الشرق أوسطي الذي يجري الاعداد له ـ وبذلك تكتمل حلقات الاجهاز على الكيان القومي العربي والغاء الهوية القومية العربية لمجموع البشر في النطاق الجغرافي المعروف بالوطن العربي ، الممتد من المحيط الاطلسي وحتى الخليج العربي البالغ عددهم أكثر من ٢٣٠ مليونا حتى الان .

إن بلدان المغرب العربي كانت وماتزال : وطنا وبشرا ولغة ولهجات وتاريخا وتراثا حضاريا - عربية منذ استقر فيها الانسان العربي العاقل الاول قبل التاريخ - حيث تم بعد ذلك استقرار موجات من الهجرات اليمنية القديمة ق.م بآلاف السنين فيها ومن ثم استقر فيها في مراحل لاحقة موجات أخرى من الهجرات العربية التي انطلقت من بلدان الهلال الخصيب، وكان أهمها الموجة الفينيقية التي أسست دولة قرطاج - قرطاجنة في الالف الثاني ق.م وكادت في أواخر عهدها أن تهزم روما - بقيادة - هانيبال ... الخ.

فقد بات من المؤكد أن المغرب العربي لم يكن منذ استقر فيه الانسان العربي العاقل الاول - وتلك الموجات من الهجرات العربية ... موطنا لغير العرب - باستثناء قلة من الزنوج الافارقة - وخاصة في الواحات أي بأقصى الصحراء الكبرى جنوبا ، هذا مع العلم أنه كان يتجاوز جغرافيا - قبل احتلال وتقاسم الاستعمار الغربي الحديث لافريقيا - حدوده الحالية جنوبا ، أما الهجرات العربية اليه - في ظل الاسلام - فلا تعني انها كانت كما يتوهم البعض أو يزعم البعض الاخر - الاساس في اكساب المغرب عروبته - وانما عملت على بعث الحياة باوصاله العربية القديمة التي كادت تصاب بالجفاف والموات نتيجة السيطرة الرومانية عليه لحوالي الف عام متواصلة ، اضافة الى استعادة ما اقتطع منه جغرافيا : فقد قام المرابطون في المغرب ، بفتح بلدان جنوب الصحراء الكبرى الافريقية التي كانت تسمى بالسودان - من جديد - في بداية القرن الخامس عشر ميلادي ، فتكونت نتيجة ذلك عدة ممالك اسلامية مثل : مملكة غانا - وعاصمتها كومبي صالح ، ومملكة السنغاي - السنغال - الاسلامية وعاصمتها تمبكتو ، وتقع في حوض النيجر وتعرف اليوم بدولة مالي ، وكانتا تتبعان للمرابطين ، كما كانت تلك المنطقة تسمى بالسودان الغربي ، كما تم فتح مدينة كانوا ، ونيجيريا في السودان الاوسط ، ومن ثم السودان الشرقي على أيديهم ايضا فقد تمكن زعيم قبائل، الغونج - عمارة دونفس ، وحليفه - زعيم عرب القواسمة من أسقاط دولة علوه عام ٩١٠ هـ - ١٥٠٥ م بالتعاون مع المرابطون والقضاء على بقايا النفوذ البيزنطي واقامة سلطنة الغونج العربية الاسلامية وكانت النواة لدولة السودان الحديث - مما زاد في انتشار الاسلام في بلدان افريقيا الوسطى - حيث سادت فيها اللغة والثقافة العربية الاسلامية - الى أن وقعت تحت الاحتلال الاوربي - الذي حارب وبضراوة اللغة

والثقافة العربية الاسلامية فيها ، وفي عموم افريقيا سواء عن طريق البعثات التبشيرية... أو بالقوة مباشرة - بهدف القضاء على العروبة والاسلام.

وكان الاسلام والثقافة العربية الاسلامية قد انتشرا أيضا في شرق افريقيا وجزرها مثل مدغشقر وسواها اضافة الى انتشاره في الهند واندونيسيا والملايو والفيلبين وسيلان وسنغافوره وسيام والهند الصينية والصين ، وقد اصدر امبراطور الصين عام ١٧٣١ م مرسوما سمح فيه بالحرية الدينية للعرب المسلمين هناك وكان معظمهم من التجار ، مما أتاح لهم فرص أكبر لنشر الاسلام في شرق وجنوب شرق آسيا.

ومع ذلك مازال الاستعماريون في الغرب ومعهم الصهاينة ... مندفعون في تهورهم وتآمرهم على العرب ، فكما زوروا التاريخ ومسخوا الدور الحضاري الانساني المتقدم للعرب ، وجعلوهم شعوبا وقوميات متعددة كالفرعونية والسومرية والاشورية والفينيقية ... يحاولون من جديد اضافة مايسمى بالامازيغية البربرية وسواها الى القائمة .. الخ. اذ لم تخرج محاولات قطاع من اللبنانيين المتطرفين والمتعصبين طائفيا والمتنكرين لعروبتهم - عن هذه المحاولات — عندما طرحوا وعملوا وبدعم من قوى ودول غربية ومن اسرائيل خلال العقود الماضية - من أجل اقامة ما اسموه بالامة الفينيقية في لبنان ، منطلقين في ذلك من اعتبار أن الفينيقيين غير عرب اصلا ، وبحكم انهم من ذريتهم - كما يدعون - فانهم حكما غير عرب أيضا ، مما يبرر وعلى نحو خاطئ ومضلل وغير صحيح — اطروحاتهم تلك — كما يعتقدون — ويجعل لهم الحق في العمل على النحو الذي حصل و أدى الى تدمير لبنان - لاقامة الامة والدولة الفينيقيتين - رغم علم المثقفين منهم على الاقل بان الفينيقيين هم عرب اقحاح اصلا - وبالتالي فان دعواهم باطلة من أساسها ومحاولاتهم فاشلة من بدايتها ، وان ماقاموا به لايختلف عن دور غيرهم ممن استخدموا ويستخدمون من قبل أعداء الامة العربية في هذا العصر - للمساهمة في الاجهاز على الامة العربية وكيانها القومي وازالة كل ومايثبت ويؤكد وجودها وسوخها : بشرا ووطنا ولغة وثقافة وتاريخ وحضارة — من المحيط الى الخليج.

الفصل العاشر :

مايعجز عنه اليهود يستكمله الغرب ضد العرب

في الوقت الذي تصدى فيه اليهود ـ لمحمد ورسالته ـ فور ظهورها وشاركوا في الحرب التي قادتها قريش ضد الاسلام والمسلمين عادوا بعد فشل وهزيمة فاندسوا في صفوف المسلمين بحجة الدخول في الاسلام والايمان برسالة محمد ، ليكيدوا له من الداخل وليخربوا ماشاء لهم التخريب بالدس والتحريف... والايقاع بين المسلمين، وكان عبد الله بن سبأ ـ ووهب بن منبه ـ وكعب الاحبار ... وهم من علية اليهود، على رأس من انخرط من القبائل اليهودية في الاسلام لهذا الغرض مثل : بني عكرمة ـ وبني ثعلبة ـ وبني النجار ـ وبني وائل ـ وبني القينقاع ـ وبني النضير ـ وبني قريظة..الخ. تلك التي عاشت في شبه الجزيرة العربية وانتشرت مثل السرطان في جسد المجتمع الاسلامي الاول مستغلين عروبتهم ولسانهم العربي الفصيح الذي كان المرجع في تفسير معاني المفردات اللغوية والاصطلاحات والاحاديث والايات القرآنية .

فمع ظهور الاسلام كاد التاريخ أن يخرج من بيت الطاعة اليهودي، ليستعيد شموله الانساني ولترتاح الطبيعة والمجتمع من مزاج ـ يهوه ـ العصبي فتعود للعمل وفق قوانينها الموضوعية ودون عبث أو تحريف أو تزوير.

إن تدوين التاريخ والسير والمغازي والانساب وعلوم اللغة والحديث .. لم يبدأ ، **كما يقول السيوطي** : في عهد الخلفاء الراشدين بل في نهاية النصف الاول من القرن الثامن الميلادي ١٤٣ هـ، أي بعد أن كانت الثقافة اليهودية قد افترست الوعي

الاسلامي ـ للتاريخ والانسان والطبيعة ولم تبق منه الا أشلاء ممزقة[1] ومـازالت آثارهـا السلبية في واقعنا الاجتماعي وبنية بعض أنظمتنا المعرفية، والفكرية والدينية ، ولذلك نجح الاستعمار البريطاني وغيره ، للوطن العربي ، في احيائها ... ولم يكن ذاك التراث الثقافي اليهودي أقل خطرا على فلسطين والامة العربية والاسلام والمسلمين من الحركة الصهيونية نفسها.

إن الثقافة اليهودية ـ التوراتية والاسطورية ، التي شغلت حيزا كبيرا في المجتمع العربي، أثناء تبلور عالم الاسلام كانت وحدها المستبدة بوعي : الكون ، والتاريخ ، والانسان ، والانساب ، والطبيعة ، هذه الثقافة المتوارثة التي اختلطت فيها شتى الاساطير الشعبية والخرافات الدينية وقصص المعجزات والخوارق وامتزجت االروايات الشفهية المتداولة ، عن أسفار التوراة وعبادات اليهود وأنسابهم وأمجادهم... في شبه الجزيرة العربية ، ومنقولاتها المشوهة عن الأمم القديمة بما فيها أقاصيص الكهان وترهات الخيال البدوي اليهودي ـ والعربي معا، كانت تعتبر تاريخ اليهود ، كما وصل اليها من أصداء العهد القديم ، تاريخا طبيعيا مقدسا للسماء والارض والانسانية معا، وكان هذا الخليط المشوه ... يحول الطبيعة نفسها الى عرض هامشي، في حركة التاريخ اليهودي ومسيرته نحو غاية نهائية مقدسة ، تتمثل في مجيء ـ الميساءـ المخلص وقيام مملكة اسرائيل، على أنقاض مدنياتنا الانسانية[2] .

ومما يؤكد تأثير الثقافة اليهودية ... واليهود في المجتمع الاسلامي، منذ العهد الاول، ليس القاسم المشترك بين الديانتين السماويتين التوحيديتين الموسوية ـ والمحمدية ـ الاسلامية، ولا الدور الذي لعبه اليهود الذين استبدلوا ديانة التوحيد الموسوية بالتوراة ـ والذين انخرطوا في الاسلام، فحسب وانما تأثير الكثرة من السبايا اليهوديات اللواتي صرن أمهات وجدات للكثير ممن صنعوا ثقافة القرن الاسلامي الاول ، فبعد غزوة خيبر مثلا ، كما يروي الطبري ... فشت السبايا من خيبر بين المسلمين ، ثم ذاب الباقي

---

(١) دراسة للباحث ـ منير العكش ـ مراجعة : د. طه ابراهيم الحلواني ـ رئيس المجلس الفقهي في أمريكا الشمالية ـ نشرتها جريدة المحرر في عددها ٧٧ / ١١٩ أيلول ١٩٩٥ ص ١١ ـ تحت عنوان : عبادة اسرائيل .

(٢) نفس المرجع السابق .

من يهود ـ الجزيرة ، داخـل المجتمـع الاسـلامي الاول بطـرق مـاتزال الى الان غامضـة ومريبة.

وهناك رواية في العقيدة اليعقوبية، وهي وثيقة تاريخية نادرة تركها شاهد عيان من فلسطين وترجع الى ماقبل سنة ٦٤٠م ـ ١٩هـ ، ونشـرت في برلـين عـام ١٩١٠م ـ تتحدث عن اشتراك اليهود مع جيوش المسلمين في فتح فلسطين وبيت المقدس .

وكذلك يذكر ـ سيبيوس ـ في تاريخ " هرقل " شيئا عن هذا الاختلاط بـين اليهـود والمسلمين في فتـح فلسـطين ، ويضيـف الى ذلـك : أن الخـلاف شـجر بـين المسـلمين واليهود حول مخطط بناء المعبد ، ومهما كان الامر فقد ظل يهـود الجزيـرة ... داخـل النواة القبلية الارستقراطية للمجتمع الاسلامي الاول ، وظلوا أعظـم أركـان الثقافـة ـ التي صنعت وعي المسلمين، بالطبيعة والخلق وتاريخ الانسـانية وانسـابها، وفـوق هـذا كله ظلوا يهودا مستترين [١] .

يؤكد ـ ابن خلدون ـ " ان يهود الجزيرة ، الذين أعلنوا الاسلام ، بقوا على ماكان عندهم من العقائد اليهودية ، بينما لم يأخذوا مـن الاسـلام الا أحكامـه الشـرعية الـتي وافقت ماكانوا عليه من يهودية، قبل الاسلام، بينما استمدوا بعضها من آيات قرآنية اقتطعت من سياق قصص بني اسرائيل ، وان عامـة الجـاهليين ـ الذيـن غلبـت عليهـم الامية ، على اختلاف قبـائلهم وعقـائدهم اعتـبروا مـا يسـمى بكتـاب اليهـود مرجعـا مقدسا، فيه علم كل شيء وآمنوا بأن اليهودي يقرأ عقل الله وأفكاره ، ويعتبر مرجعا لتفسير ظواهر العالم الطبيعي، وتاريخ الانسان والأزمنة التي سبقت خلق الكون ، وأنـه يعرف تفاصيل القيامة والبعث والحشر والخرائط المجسمة للسـموات ولتضـاريس الجنـة والنار ". فلقد كانت قريش نفسها تقدس كتاب اليهود وتعتبرهم مرجعـا ، فعـدا عـن تحالفها معهم في غزوتي الخندق ، والاحزاب وغيرهما لجأ ت الى استفتائهم عـن ديـن محمد ، حسب ما يقوله كتابهم، وذلك بتأكيد الطبري حيث قال:" ان قريشـا سـألت نفرا من اليهود قدموا اليهـا : يامعشر يهـود انكـم أهـل الكتـاب الاول ، والعلـم بمـا أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟!".

---

(١) نفس المرجع السابق .

الجذور الاسرائيلية في الجزيرة العربية ـ والعرب بنظر الغرب[1]،

قبل أن يخترع المستشرق الالماني ـ سلوزل ـ اصطلاح السامية في القرن الثامن عشر ـ كان ابن خلدون وقبله هشام الكلبي ـ أول من أشار الى أن الجزيرة كانت مهد اليهودية ومسرح أحداث توراتها وقصصها، وأن قبيلتي بني قريظة وبني النضير ، كانتا تسكنان بعد موت موسى بنواحي يثرب، وأن جدي القبيلتين ـ قريظة والنضير ـ كانا كاهنين من ولد الكاهن بن هارون اخي موسى، كذلك يؤكد ابن خلدون أن وجود اليهود في المدينة ومنهم بنو بهدل ـ يرجع الى أيام العماليق ... كما أكد أبو الفدا في " المختصر من أخبار البشر " أن سكنى اليهود خيبرا وسواها تم في زمان موسى ، وأن يهود الحجاز هم احفاد بني اسرائيل ... الذين حاربوا العماليق بأمر من موسى ثم استقروا في مساكنهم واستوطنوا الحجاز.

وفي شهادة نادرة ـ نشرت في باريس عام ١٩٠٤م ـ عن كتاب " هرقل " : ان موجة من اليهود عادوا من " الرها " الى الجزيرة العربية ، بعد أن استردها من الفرس عام ٦٢٨م ـ فالتقوا ـ كما يقول ـ سيبيوس ـ بمحمد التاجر ، الذي قال لهم أنه رسول الله ـ ودعاهم الى الايمان باله ابراهيم ، وكان واسع العلم والمعرفة ـ محيطا بقصة موسى ، وقال لهم أن الله أعطى هذه الارض لابراهيم وذريته ... وهذه شهادة تؤكد أن القرآن لم ينسب ابراهيم الى فلسطين بل الى الجزيرة العربية ، كما يؤكد أن الارض المباركة التي مضى اليها ابراهيم مع لوط ... هي تلك الارض التي بوأ الله فيها مكان البيت الحرام ، بمكة والحجاز.

كان حديث اليهود عن ظهور نبي الكون ـ المخلص المنتظر ... من أبرز معالم الثقافة اليهودية ، وهو الذي أوهم كثيرا من أصحاب السير والتواريخ ـ المسلمين بأن اليهود يبشرون فعلا ببعثة محمد وأنهم ينتظرونه ، **ففي فتح الشام وفلسطين** ، اختلط الامر على اليهود فظن أكثرهم بأن خلاص ـ اسرائيل قد جاء ، فانضموا الى جيوش الفتح على هذا الاساس ، الى أن وضع الخليفة عمر حدا لهم ، في كتاب الامان الذي أعطاه الى أهل فلسطين وبيت المقدس ، **وكان أهل فلسطين وبيت المقدس** مثل أهل الشام والعراق عربا مسيحيين ، ليس لليهود بينهم وجود سياسي أو ديني أوتجمع

---

(١) نفس المرجع السابق

سكاني يذكر ، على غرار وجودهم في الجزيرة العربية ، وكانوا أكثر النـاس حساسية وخوفا من اختلاط اليهود بجيش الفتح ومن تدفقهم من الجزيرة تحت مظلـة المسلمين، وكان اليهود قد أشاعوا بأن فتح فلسطين وبيت المقدس، هو زواج مقدس بين خلاص بني اسرائيل ومُلك بني اسماعيل (١) .

وهكذا ومن غير أساس ديني أو تاريخي تمكنت ـ الثقافة اليهودية ـ الموروثة في ظل الفتح من القيام بأكبر حملة تهويد جغرافية ... شهدتها فلسطين قبل احتلالها مـن قبـل الصهاينة بزمن طويل جدا اذ تم ـ خـلال ذاك الزمـن ، اطـلاق الاسمـاء اليهوديـة علـى الكثير من المواقع الجغرافية والقبور والآثار التاريخية في بيت المقدس وعموم فلسطين.

إن هذا التلمود الثقافي ـ اليهودي ــ مـازال متغلغـلا ــ ربما دون أن نـدري ــ في حياتنا: الثقافية والدينية والسياسية... كما يتغلغل سم الافاعي ... وقـد اتخـذ أشـكالا حديثة لاتختلف في توجهاتها وطبيعة أهدافها عما قرره ، كعب الاحبار ـ بعيد اسـلامه ـ في بيت المقدس ـ وفي أول عبارة قالها أمام ـ عمر بن الخطاب ـ : " ان بني اسرائيل ــ في كتاب الله هم أهل فلسطين".

إن العقل العربي الاسلامي ــ ومنـذ حجـة الرئيـس أنـور السـادات الى الكنيسـت الاسرائيلي وتصدع جبهة المواجهة العربية ـ وذهاب : عرفات والملـك حسـين ... الى أبعد من ذلك في مسيرة الاستسلام العربيـة أخـذ يفقـد معـاقل استقلاله الواحـد بعـد الآخر، وان كل خصائصـه ومقاوماتـه التاريخيـة والوطنيـة ... تغسـل الان بسـيل مـن فتاوى التطبيع والتهويد، فهناك أساطيل : سياسية واعلاميـة وايديولوجيـة وثقافيـة ... تمسك بخناق العقل العربي ـ العلماني ـ والاصولي ، على حـد سـواء ، لتحقنـه بقابليـة الهيمنة الاستعمارية والصهينة ، إن أخطـر الاسـلحة فتكـا ، علـى مجتمـع متديـن حتـى العظم مثل المجتمع العربي ، هو تزوير الوعي الديني والثقافي والفكري والسياسي...الخ.

لذلك فانه يتعين على أية حركة سياسية عربية تتوق الى النجاح والخلاص ، سواء في الحاضر أو المستقبل ، أن توجه برنامجها ودورها السياسي والثقافي ، الاعلامي ، نحو تفكيك المستعمرات اليهودية ، في الوعي العربي ... وبهدف تحريـر الارض والانسـان والوعي والتراث الحضاري العربي ، عن هذاا الطريق وبـالتلازم مـع العمـل العسـكري وكل عمل يؤدي الى الانعتاق والحرية التقدم.

---

(١) نفس المرجع السابق .

أما عن اليهود المعاصرين الذين تجمعوا في فلسطين أو الذين مازالوا متنشرين في أنحاء العالم وتدعي الحركة الصهيونية .. نيابة عنهم بأنهم ينتسبون الى بني اسرائيل الاوائل، وأنهم شعب الله المختار الذي أعطاه الرب " يهوه " تلك الارض من نهر مصر الى النهر الكبير ...

يقول - آرثر كوستلر - اليهودي المجري - في كتابه " امبراطورية الخزر وميراثها " الذي ترجمه عن الانكليزية د. حمدي متولي مصطفى — وطبعته دار الجليل في بيروت عام ١٩٧٦ - " إن ما يسمى بالشعب اليهودي الذي يحتل فلسطين حاليا والذي تجمع فيها خلال القرنين الاخيرين عبر الهجرات المتلاحقة ... انما هو ليس الشعب الاسرائيلي الذي ذكره الكتاب المقدس والذي كان يعيش في شبه الجزيرة العربية ، بل هو شعب من البدو وتركي الاصل ، كان يسكن مابين البحر الاسود وبحر قزوين - في القوقاز - خلال القرنين الثامن والتاسع ميلادي ، وتحول الى الديانة اليهودية عندما اعتنقها أمير قبيلة الخزر ، " كاجان يوسف كاجان " وتبعته قبيلته في ذلك ". ويذكر: أن كاجان بعث برسالة الى - حسداي — اليهودي المشهور بين يهود الاندلس أيام الحكم العربي هناك يذكر له فيها أن الخزر هم أتراك وليسوا ساميين ... ومن باب التأكيد يذكر له أسماء أجداده في ص ٨٩- على النحو التالي : يوجار - دورسو - آفار - باسيلي - تارنياخ - خزر - وهو الجد السابع له .

كما يذكر - كوستلر - :" ان امارة الخزر — اندحرت على أيدي الدولة العربية الاسلامية العباسية وعلى أيدي الروس والمغول ، مما اضطرهم الى الهجرة بشكل جماعي وواسع الى بلدان : روسيا والمجر وبلغاريا وبولندا ولتوانيا وا كرانيا ... ومن ابرز تلك الهجرات تلك التي حدثت خلال القرنين الخامس والسادس عشر م، ص١٨٨ - حيث أقاموا المستوطنات الخاصة بهم — الغيتوات — في تلك البلدان التي عاشوا فيها متقوقعين منعزلين ...

كما يذكر - كوستلر - في ص ١٧٦ - ١٧٩ - أنهم استقدموا معلمين توراتيين من بغداد عاصمة العباسيين ، لكي يحافظوا على طبائعهم ويتعلموا أصول الدين اليهودي والعادات الاسرائيلية ... مما دفعهم الى المزيد من الانزواء والعمل بالتجارة والمراباة — فاصبحوا من كبار المرابين خلال فترة قصيرة من الزمن في تلك البلدان ، كما ازداد نفوذهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وبما لايتناسب مع عددهم المحدودص٢٠٠.

فعلى الرغم من تلك الحقائق الدامغة التي تكشف زيف الادعاءات اليهودية والمزاعم الصهيونية مازال اليهود والصهاينة يجدون في الغرب المسيحي الارض العطشى لتعاليمهم وأكاذيبهم التوراتية والسياسية... ويزداد نفوذهم وتتسع دائرة سطوتهم وتكبر مكانتهم، **اذ ليس أدل على ذلك مما كتبته ـ الكاتبة الامريكية ـ" غريس هالسل "** ، المعروفة بتعاطفها مع المقهورين كالسود وسواهم والتي زارت فلسطين ومخيمات الفلسطينيين في لبنان ، قبل عام ١٩٨٢م ـ وعرفت مقدار معاناتهم ورأت قصف مخيماتهم من قبل اسرائيل ، فقد اصدرت كتابا نشر على حلقات في صحيفة البيان الاماراتية ، تحدثت فيه عن الاصولية المسيحية كتيار ديني في الولايات المتحدة الامريكية ، وتقول أنه مسخر لخدمة اسرائيل والصهيونية ، **اذ تقول** :" يعتمد هؤلاء الاصوليون البالغ عددهم نحو ستون مليونا على النبوءات التوراتية ، ويعملون على اسقاطها على واقع فلسطين الحالي، معتبرين اسرائيل تجسيدا للحلقة قبل الاخيرة من خطة الرب الالهية ... لنهاية الكون، ويؤمنون بالمرحلية أو بالالفية اليهودية السعيدة لمجيء المسيح المنتظر ... كما يؤمنون بحتمية حدوث حرب شاملة مدمرة، قبل تلك الالفية، التي تسبق نهاية الكون ، بين قوى الشر وبين قوى الخير ، المتمثلة بالولايات المتحدة واسرائيل اللتين تمثلان المسيح الحق ، وستكون المعركة الفاصلة في تلك الحرب في فلسطين على تلة مجدو ، في مرج ابن عامر ، وان شعب الله المختار ، أي اليهود ، والاصوليين المسيحيين المتصهينين هؤلاء هم الوحيدون الذين سينجون من تلك المعركة، أما الشعوب الاخرى فان الرب الصهيوني سيفنيها ، لعدم ايمانها ... وعندئذ سيعيش شعب الله المختار الفيته السعيدة قبل نهاية الكون ".

وتعتمد هذه الخزعبلات الدينية على ماجاء في سفر الرؤيا الفصل ١١٦ الفقرة١٦، وعلى نبوءة حزقيال في الفصلين ٣٧ ـ ٣٩ ـ حول المعركة الفاصلة والتي ستتم بالنار والكبريت . ويفسرها هؤلاء الاصوليون الحرفيون التوراتيون ، على أنها تعني القنابل النووية .

وتبث مثل تلك الخرافات التوراتية يوميا من على شاشات التلفزة الامريكية ، ويروج لها فئة من المبشرين الاصوليين المتصهينين المخادعين ... من أمثال : جري فالول ـ وبلي غرا هام ـ وجيم بيكر ـ وجيمي سويغارت ـ وروبرت شولر ـ وأورال روبرتس ـ وبات روبرتسون ، الذي رشح نفسه لرئاسة الجمهورية ، هذا في حين نشرت مجلة " نيوز ويك " الامريكية العديد من الفضائح الجنسية كالاغتصاب وسواه

ـ ومنهم بيكر ، كم يقومون بجمع مئات الملايين من الدولارات سنويا ، من هؤلاء الاصوليين المغفلين الذين يعتقدون أن تبرعهم سيضمن لهم الآخرة السعيدة.

وذلك بدليل أنهم يؤكدون بأن قيام اسرائيل سيعجل في قدوم المسيح المنتظر... وأن منع الاموال والدعم عنها سيؤخر ذلك ، كما أن أي تنازل للعرب يتناقض مع خطة الرب، ولم يكن الرئيس ريغان الا واحدا منهم ، اضافة الى غيره من المسؤولين ... فاذا كان لليهود وعلى رأسهم الصهاينة ، مثل هذا النفوذ وتلك السطوة على المجتمع والادارة الامريكيين ، في الجانب الديني وحده فماهو مقدار نفوذهم وسطوتهم في الجوانب الاخرى : المالية والاقتصادية والاعلامية والسياسية ..الخ.؟

نقول ذلك للتذكير والتنبيه والتدقيق بهوية من يمكن أن يكون محايدا أو صديقا أو منحازا ـ وعدوا لنا وطامعا بنا وبأرضنا وبخيراتنا العربية.

إن ماتقدم ذكره من أدلة وبراهين ليس الا قليلا من كثير مما يمكن ايراده عن الحرب المستعرة الشاملة والمستمرة من قبل اليهود والصهاينة والغرب عموما ضد العرب وعلى كافة الجبهات والميادين ... بما في ذلك الغزو الثقافي والتزوير للتاريخ الحضاري العربي .. والتضليل والتجهيل... الذي يجري تكريسه وباضطراد من قبل هؤلاء الاعداء ..ومايملكون من امكانيات وقدرات... والذين يحاولون ، كما ذكرنا، فيما تم عرضه جعل العرب مجرد خليط بشري من أقوام وأصول متباينة غير متجانسة لا تجمعهم أية رابطة حقيقة : لغوية ـ أو تاريخية ـ أو حضارية مشتركة..الخ.

وبالتالي فان الشعارات القومية الوحدوية العربية التي نرفعها هي شعارات فارغة وللاستهلاك الرسمي والحزبي ... وليس لها نصيب من النجاح البتة ، لان ليس لها أساس من الواقعية ولاتنسجم مع الحقائق التاريخية : اللغوية والحضارية ... لشعوب المنطقة، التي يطلقون عليها اصطلاحات : كالشرق الادنى ، والشرق الاوسط ، تجنبا للاعتراف بعروبتها ، **ولنأخذ على الاقل مثالا واحدا على ذلك مما كتبه ، " مايلز كوبلاند**[1] قائلا :" اللغة ـ ان من ضمن أشهر الاجابات على السؤال الشهير : ماهو تعريف العربي ؟!: هو كل من يتكلم العربية كلغته الاصلية ــ الا أن حقيقة اشتراك العرب بلغة واحدة لاتعدو أكثر من صورة طبق الاصل للحقيقة أن أوربا لم يكن لها في القرون الوسطى سوى لغة لاتينية واحدة ، إن العربية الفصحى ، لغة الكتابة ، هي

---

(1) مايلز كوبلاند ـ لعبة الامم : اللا خلاقية في سياسة القوة الامريكية ـ تعريب مروان خير ـ ص ٢١٦ـ ٢١٧

الوحيدة التي تفهمها القلة المثقفة المنتشرة من العراق شرقا حتى مراكش غربا ، وعلاقتها باللهجات العربية المتداولة والمختلفة ليست الا كعلاقة اللغة اللاتينية بكل من اللغات : الايطالية ـ والبرتغالية ـ والاسبانية ـ والرومانية ـ في القرون الوسطى ، إن سائق التاكسي ، في بغداد يعجز عن فهم زميله سائق التاكسي في تونس اذا ما نشب بينهما أي حديث ما ، وإن نجاح المثقف من بغداد في فهم حديث المثقف الاخر في تونس مرده الى اطلاع واسع لكل منهما على لهجة الآخر وعلى العربية الفصحى".

ويتابع قائلا حول الحضارة :" إن تعريفا أكثر شمولا ـ لـ من هو العربي ـ يعني بالضرورة الاخذ بعين الاعتبار مفهوم ـ الحضارة المشتركة ـ والحقيقة أن هناك تشابها كبيرا في حضارة مختلف البلاد العربية ، الا أن هذه الحضارة لم تكن سوى وليدة الدين السائد ـ وهو الاسلام في تلك البقعة من العالم ، كما أن أوجه الشبه هذه ليست وقفا على العرب وحدهم ـ بل ويشاطرهم إياها ملايين المسلمين المنتشرين خارج العالم العربي ، كما أن التشابه البسيط في الذوق الموسيقي وفي طعام المطاعم ، وليس ما يطهى في البيوت ، وفي بعض المهن الشعبية المختلفة ، مرده الى تأثير الافلام السينمائية المصرية ، وانتشار المطاعم اللبنانية في كل أرجاء الشرق الاوسط وافريقيا، وباستثناء أوجه الشبه هذه فان الفوارق في الحضارة بين القرويين في العراق وقبائل البدو ، وأهل الريف في لبنان والفلاحين في مصر وغيرها من الاقاليم العربية ليست أقل من تلك التي تبدوا بين مجتمعات الشرق الاقصى ، الصين واليابان ، والهند ، هذا إن لم تكن أكثر منها ، وعلاوة على ذلك فان الضغائن المستحكمة بين مختلف المجتمعات ـ ويقصد العربية ـ تجعل الانصهار في بوتقة حضارية واحدة أمرا مستحيلا من الناحية العملية فالدروز والعلويون والمتاولة والاكراد والاشوريون ومختلف الطوائف المسيحية واليهودية والارمن والشيعة ومذاهب أهل السنة المختلفة وغيرهم يميلون الى عدم احترام بعضهم البعض ، الى جانب دفاعهم عن تقاليدهم الاقليمية في اللباس والزواج والاواصر العائليةبشيء من التعصب والتزمت اللذين يتحديان جميع نواحي الحياة الاخرى باستثناء الافلام المصرية والمطربة الشعبية الشهيرة أم كلثوم ".؟!!!

ويستطرد ـ كوبلاند ـ الذي كان يقوم بمهام سرية في الشرق الاوسط طيلة حكم ـ جمال عبد الناصر ـ ، لحساب وزارتي الخارجية والدفاع .. الامريكيتين قائلا:"..... إن غالبية سكان الجزيرة العربية هم عرب أصلاء في عرقهم ، أما المصريون قادة العالم العربي فليس هناك قطرة دم واحدة من دم عربي تجري في عروقهم ، وكذلك الامر

بالنسبة للسودانيين واللبنانيين وعرب شمال افريقيا، كما أن الاتراك والشراكس والأكراد هم من أبرز العناصر التي تتركب منها الخلطة السورية ، وكذلك العراقية... مع اضافة شيء من النكهة الهندية اليها .."؟!

١ـ **إن كوبلاند يتجاهل تماما** وجود حضارة عربية قديمة، بقوله : " إن التشابه الحضاري لمختلف البلاد العربية مرده الى الحضارة المشتركة ـ وليدة الدين الاسلامي، والتي لم تكن وقفا على العرب وحدهم ، وهذا يعني أنهم لم ينجزوا وحدهم أية حضارة حتى في مرحلة الحكم العربي الاسلامي ، أن ذلك يعني عدم وجود شرط أو مقومات لوحدتهم القومية العربية ، التي يعملون من أجل تحقيقها من حيث اللغة والعرق والدم والتاريخ المشترك .. الخ؟ " وعندما نعلم أن كتابه يؤرخ للأعمال والنشاطات الامريكية والغربية وللأحداث والتطورات التي شهدتها المنطقة العربية... في مرحلة الحكم الناصري بمصر ونهوض الحركة القومية العربية، ندرك تماما ما الغاية من مثل هذه الكتابات المعبرة عن وجهة نظر الغرب وأهدافه بهذا الخصوص، ألا وهي قطع االطريق على امكانية نجاح العرب في تحقيق أهدافهم القومية العربية ، أو أية محاولة أخرى شبيهة بالتجربة الناصرية ، رغم ما تخللها من ثغرات وسلبيات وأخطاء ، وهو ما يذكرنا بدور الغرب في احباط محاولات ـــ محمد علي باشا وابنه ابراهيم ـــ لاقامة دولة عصرية قوية في المنطقة من الاقطار العربية.

٢ـ أما وحدة اللغة العربية بين الاقطار العربية ، فيعتبرها ـ كوبلاند ـ غير موجودة أيضا ، تبعا للمثل الذي قدمه عن وضع ودور اللغة اللاتينية، مقابل اللغات الاوربية الاخرى ليخرج بنتيجة مؤداها أنه ليس هناك لغة واحدة جامعة وسائدة بين الاقطار العربية، بل كانت هناك ومازالت لغات ولهجات عديدة متباينة سادت منذ القدم وحتى اليوم تماما كما هو الحال في اوربا التي تضم جغرافيا أمما متعددة ، ولكن مع فارق جوهري هو أن العرب لم يشكلوا أمة واحدة أو أكثر ، في أقطارهم في تاريخهم كالنموذج الاوربي مثلا. وهذا انكار واضح لوجود الامة العربية حتى ولو لم ينطق به صراحة ، فهو لايعلم على مايبدو، أن اللغة العربية كانت قد شكلت الاساس الذي قامت عليه اللغات الرئيسية القديمة في العالم القديم لغة الحضارات وفي مقدمتها اللغة اليونانية ، واللاتينية الاوروبيتين القديمتين وسواهما ...الخ.

٣ـ **أما حول العرق والدم... فيقول ـــ كوبلاند ـــ** .. باستثناء سكان الجزيرة العربية فان المصريين قادة العالم العربي فليس هناك قطرة دم واحدة من دم عربي تجري

في عروقهم وكذلك السودانيين وسكان شمال افريقيا واللبنانيين ... وليس بينهم شيء مشترك سوى التعصب والتزمت والتحدي في كل نواحي الحياة وعدم الاحترام، باستثناء الاطعمة اللبنانية المنتشرة .. والافلام المصرية والاغاني الشعبية - لأم كلثوم - ، ويضيف كما أن الاتراك والشراكس والاكراد هم من أبرز العناصر التي تتشكل منها الخلطة السورية وكذلك العراقية، مع اضافة شيء من النكهة الهندية اليها. وهذا انكار واضح أيضا لوجود الامة العربية - من حيث العنصر البشري واللغة والتاريخ الحضاري والشعور النفسي المشترك...الخ. وهنا لابد من تصحيح تلك المفاهيم والاحكام الجائرة المتعلقة بذلك وتوضيح ختل واسفاف ما نطق به وذهب اليه ــ كوبلاند ــ الذي لم يستطع اخفاء عنصرية الغرب واحقاده .. في أمثلته وتشبيهاته ومعلوماته وتلفيقاته تلك؟!.

أ ـ إن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة السائدة في الوطن العربي ، وان تعددت لهجاتها المحلية ، منذ آلاف السنين وحتى اليوم، وإن ماتسرب االيها من كلمات أعجمية دخيلة في مراحل تاريخية مختلفة ، اضافة الى استعمال كلمات عامية محلية صعبة الفهم لدى أبناء الاقطار العربية الاخرى ، لايعني طغيانها وحلولها محل اللغة العربية الأم، كما لايعني شيئا آخر غير العربية ، مادامت الفصحى، بحكم سيادتها بدون منازع .. هي الضابط والحكم والضمانة والعامل المشترك في الكتابة والتخاطب وتصريف الاعمال والانتاج الثقافي والفلسفي ولغة العلم والمعرفة والحضارة في نهاية المطاف ، لكل الاقطار العربية الآخذة أكثر فأكثر في تغليب الفصحى لكي تحقق نهضتها الثقافية المعاصرة الهادفة الى تجاوز مرحلة الركود والجمود االتي سادت وألقت بظلالها القاتم على الربوع العربية لقرون عديدة مضت، حيث تعرضت خلالها اللغة العربية لتحديات وأخطار حقيقية، تمثلت بما حاول جلبه وفرضه الدخلاء ممن تحكموا بمصير وبمقدرات العرب ، ردحا غير قصير من الزمن وآلت اليهم مقاليد الحكم والسيطرة على المنطقة، كالمماليك والعثمانيين الذين حاولوا تتريك العرب، وكذلك الفرنسيون الذين حاولوا الغاء اللغة العربية وجعل الجزائر مقاطعة فرنسية...الخ.

ومع ذلك كان العرب ولغتهم .. أقوى من ارادة هؤلاء ، فمن يشك في ذلك فليأتنا بقطر عربي واحد تكلم منذ فجر التاريخ بغير العربية واحدى لهجاتها، سواء القديمة أو الحديثة؟!، اضافة الى أن اللهجات العامية الشعبية المحلية آخذة في التراجع أمام الفصحى ، وخصوصا في المدن بشكل ملموس، نتيجة للنهضة الثقافية وضغوطات

العصر، ومنها محاولات تعريب المصطلحات العلمية ومناهج التعليم، عدا عن دور وسائل الاعلام والنشر والمؤسسات العامة المشتركة واتساع حركة التفاعل بين أبناء الاقطار العربية ودورها في تسريع ذلك. فالسينما والتلفزيون والراديو والصحافة والصحف وانتشار الكتب .. واتساع سوق العمالة وتدفق العمال من والى ... مع مايرافق ذلك من توسيع في مجال التجارة والسياحة وتبادل البعثات المتعددة الجوانب والاغراض، وعقد الندوات والاجتماعات والمؤتمرات المشتركة على المستويين الشعبي والرسمي، وتدفق طلاب العلم في المعاهد والجامعات ما بين الاقطار العربية .. الخ.، سوف يزيد في افساح المجال أمام اللغة العربية الفصحى لتضييق نطاق اللهجات العامية المحلية ودحر الكلمات الاعجمية وتلك المحلية غير المفهومة من التداول على المستوى العربي لتنتهي الى الزوال في المستقبل.

ب ـ أما في اوربا التي جعلها ـ كوبلاند ـ مثالا لتأكيد صواب وجهة نظر الغرب في ذلك فانها ، أي أوربا ، لاتتكلم العديد من اللغات واللهجات الشعبية العامية المحلية فحسب ، وانما تشكل الى جانب ذلك العديد من الاعراق والاقوام والامم والدول المستقلة بعضها عن البعض الآخر، لعدم وجود روابط وتاريخ .. مشترك واحد بينها، مما يحول دون تشكيل أمة أوربية واحدة ، وعلى عكس العرب .. مما يجعل المثال غير موفق والمقارنة ساقطة من أساسها.

ج ـ **أما حول العرق والدم ... الذي حاول ـ كوبلاند** ـ أن ينفي وجود وحدة العرق والدم بين أبناء الاقطار العربية، **فنقول** : بصرف النظر عن رأيه ووجهة نظر الغرب ومزاعمه : إن أية أمة من الأمم ومنها العربية لم تتشكل من سلالة عرقية واحدة نقية وصافية الدم، ومع ذلك كانت السلالات العربية صافية الدم ونقية العرق ـ الاساس الذي قامت عليه الامة العربية، عند بدء تكونها في الأصل، منذ نحو عشرة آلاف سنة، حينما بدأت بتأسيس أول حضارة عالمية .. ودون أن يكون بامكان البشر في مناطق أخرى من العالم آنذاك القيام بمثل ذلك، كما قامت بتأسيس أول دولتين في التاريخ ، وفي زمن متقارب ، في كل من المشرق ووادي النيل العربيين، منذ أكثر من ستة آلاف سنة، وقبل أن يكون هنالك أية دولة في أية بقعة من العالم، وأخذت الامة العربية في التكامل والرسوخ والتطور والاستمرار عبر العصور من خلال تبلور اللغة العربية الواحدة ذات اللهجات والفروع الرئيسية الثلاث التي تكلمناعنها في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

كما تطور وتكامل بنيـان العربيـة في لغة فصحى واحـدة وشـاع تداولهـا في جميـع المناطق العربية عند اكتشاف الابجدية الحرفية، فحلت الكتابـة بهـا مكـان : التصويريـة والمسـمارية والمسنروالهيروغليفيـة.. الخ.، هـذا مـع التـأكيد أن أبنـاء الأمـة العربيـة لم يتحدروا جميعا من تلك السلالات آنفة الذكر وحدها ومع ذلك فقد شكلت اللبنـات الاولى والأساس المتين في بنيانها الراسخ تاريخيا ولغويـا وحضاريـا في النطـاق الجغـرافي المعـروف بـالوطن العربي... ولهـذا استطاعت أن تصهـر في بوتقتهـا ، في المراحـل المختلفة، جميع الاقليات من السلالات والجماعات العرقية الاخرى ، التي اسـتقرت في الوطن العربي وأصبحت في عداد الامة العربية، بدليل أننا لانجد اليوم أي أثر عرقـي أو لغوي آخر غير عربي في الوطـن العربـي، فالاشـوري والسـرياني والـبربري..الخ. هـم عرب أصلا، كما أثبتنا في متون هذا الكتاب ...

أما تعدد المذاهب والطائف من : اسلامية ومسيحية ويهودية ، الـتي أشـار اليهـا ـ كوبلاند ـ بقصد تجريدهـا مـن عروبتهـا ـ أصـلا ـ فـان مـا انطبـق علـى السـلالات والجماعات العرقية المنصهرة... ينطبق عليها أيضا، فمنها من هم أفرادا وجماعات مـن سلالات عربية أصيلـة، ومنهـم مـن وفـد الى أرض العـرب واستقر فيهـا وانصهـر في بوتقتها فأصبح عربيا عبر الأجيال المتعاقبة في المواطنيـة العربيـة، سـواء كـان مسـلما أم مسيحيا أم يهوديا شرقيا ، وليس شيء آخر غير عربي بصرف النظر عن : لون سحنته وتقاسيم وجهه وشكل جمجمته ، فالمذاهب سـواء كـانت دينيـة أو فلسـفية وكذلـك السلالات العرقية ليست شرطا أساس في بناء ووجود الأمم حتى ولـو أسـهمت بهـذا القدر أو ذاك هنا وهناك في ذلك، فان ذلك ليس قاعدة أو قانونا ينطبقان في كل زمان ومكان: فكما لعبت كلهـا أو بعضهـا دورا ملموسـا في تطـور الأمـم والحضـارة هنـا وهناك وعلى المستوى الانساني ، فانها وبدرجات متفاوتة لعبت نفس الدور أيضـا في مراحل تاريخية مختلفة في تأخرها وتخلفها استنادا لتاريخ كل منها.

هـ ـ **أما عن الخلطة السورية العراقية التي ذكرها كوبلاند** ـ واعتبرها ثغـرة يمكـن أن يتسلل منها لنفث سمومه ـ لقوله : بانها تتشكل من : الاتراك والشراكس والاكراد والارمن والهنـود .. ليصـل الى نتيجـة مؤداهـا أن أهـالي القطريـن ... ليسـوا بعـرب، فنقول: إن التوفيق لم يحالفه البتة في كـل ماطرحـة، وهـو يعلـم أنـه غـير صحيـح ، إن وجود تلك الاقليات هو حديث العهد على الارض العربية، وهو من مخلفات السـيطرة العثمانية ـ هنا ـ والحروب التي خاضتها وسواها من الدول ضد بلدان هؤلاء وغيرهم

ـ خلال القرنين المنصرمين فعلى الرغم من أن لكل منها حقوقا قومية في أوطانها الأصلية يجب الاعتراف بها، الا أن بقائها على حالها الراهن .. لايشكل تحديا أو تهديدا للأمة العربة الحاضنة لها، ولالحركتها القومية ، وليس من المستبعد أنصهارها في بوتقتها مع مرور الزمن، وخاصة غير الكردية منها، كأنصهار الاقليات الاخرى عبر التاريخ ، كالمماليك وبقايا الفرنجة ومن سبقهم أو أعقبهم على سبيل المثال.

٤ـ فاذا كانت اوربا ذات الاعراق والاقوام .. واللغات ... المتعددة، وذات الحضارة الحديثة العهد وغيرالإصيلة ، بالمقارنة مع العربية التي أمدتها بمقومات بنائها في التاريخين القديم والمتوسط، قد شكلت أمما بعد نهضتها من الطراز المعاصر، فكيف يمكن تجاهل مثل هذه الحقيقة، من قبل الغرب ، عندما يتعلق الامر بالعرب وأمتهم الأقدم والأكثر رسوخا في كل شيء منذآلاف السنين؟!!، حتما أنه الحقد والبغضاء والطمع بأرضهم وخيراتها وليس شيء آخر.

٥ـ فاذا كانت ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ التي ينتمي اليها ـ كوبلاند ـ والتي هي جزء من القارة الامريكية التي لم يمض على اكتشافها خمسمائة عام، قد شكلت أمة من خليط غريب عجيب عرقيا ولغويا وحضاريا ، جله من المهاجرين المعدمين والهاربين من وجه العدالة في اوربا ، اضافة الى بقايا الهنود الحمر الذين نجوا من الذبح والابادة الفردية والجماعية، على أيديهم وأوشكوا بسبب ذلك على الانقارض ، وهم أصحاب الارض الأصليون، يضاف الى ذلك نحو خمسين مليونا من الزنوج الافارقة الاصل، حسب التقديرات المعاصرة، والذين يتعرضون لأبشع أنواع الاضطهاد والحرمان والعزل العنصري من قبل هؤلاء البيض اوربيوا الاصل الذين كان أجدادهم يمارسون القرصنة والنخاسة، ويصطادون الافارقة وينقلونهم بحرا الى أمريكا ويحولونهم الى عبيد عند البيض، ليعملوا مكرهين في مزارعهم وسواها...الخ.

هذا بالاضافة الى أعداد كبيرة من الامريكيين الجنوبيين والآسيويين : كالعرب والهنود والاتراك والصينيين واليابانيين...الخ. وجلهم حصل على الجنسية وبات في عداد أبناء الامة الامريكية، رغم التفرقة والتمييز والفصل العنصري مابين البيض والملونين من هؤلاء الأبناء، الذين مازالوا يشكلون جاليات وغيتوات قائمة بذاتها وخاصة بكل منهم ... هذا عدا عن الأدمغة ـ الوافدةوالمستقطبة من العلماء والخبراء والمفكرين والباحثين وذوي الكفاءات العالية عموما الذين يشكلون الركن الأساس في

نهضـة الولايـات المتحـدة الامريكيـة وتقدمهـا العلمـي والتكنولوجـي والصنـاعي والحضاري.

ولذلك نقول: اذا كانت الولايات المتحدة الامريكية ـ كأمة ـ حديثة العهد قد تشكلت بعد الحرب الاهلية بين الشمال والجنوب في القرن التاسع عشر الميلادي ، من ذاك الخليط الغريب العجيب المتنافر وغير المتجانس في أي شيء ... وتدعي فوق ذلك بأصالتها وعراقتها ورقيها الحضـاري وتفوقها العرقـي المشـوب بكـل شـائبة...الخ؟!! فكيف يمكن لها وللغرب معا انكار حقيقة وجود الأمة العربية أو الجزم باستحالة تحقيق وحدتهـا القوميـة في دولـة مركزيـة واحـدة في المستقبل ، ولنقـل علـى غـرار الدولـة الاتحادية الامريكية بالمقارنة على الأقل ، إن لم تكن وحدة اندماجية كاملة... ؟!

ونحن نقول : ارفعوا أيديكم عنا أيها الغربيون وصنائعكم الصهاينة ـ وارحلـوا عـن أرضنا وأتركونا بحالنا ... ولسوف تـرون بـأم أعينكـم كيـف نحقـق تقدمنـا ووحدتنـا ونقيم دولتنا القومية العربية المركزية الواحدة. إن تللك الاستحالة غير موجـودة الا في مخيلة ورغبات الغربيين واليهود والصهاينة... حيث دأبوا منذ زمن بعيد علـى العـدوان والتآمر والتزوير والتضليل والتشـكيك والغـزو الثقـافي والاعلامـي... وكـان هدفهـم ولايزال ـ تمزيق العرب ووطنهم وزرع اليأس والخنوع في نفوسهم ـ ودفعهـم للتنـاحر والاقتتال والفرقة ... للحيلولـة دون توحدهـم واستقلالهم وتقدمهـم، لكـي لاتقـوى شوكتهم أو يشكلوا بتوحدهم قوة ينهزم الغرب والصهاينة... أمامها ، كما حصل في الماضي ـ مما يجعله يفقد المواقع الهامة ومناطق النفوذ والأسواق ومصادر الثروة والثراء ـ ليس في الوطن العربـي فحسـب وانمـا في العـالم أيضـا... ممـا يدفـع ـ نتيجـة ذلـك ـ بالازمات الداخلية في دول الغرب الى التفجر ... ولهذا يستميت ـ بل يلقي بكل ثقلـة في هذه المنطقة كيما تفلت من قبضته أبدا ، ولكن الى متى ؟!!.

الصهاينة ومشروعهم الاستعماري — التوراتي

ظهرت الحركة الصهيونية العالمية ـ ومشروعها الاستعماري ... الى الوجود عندمـا عقد المؤتمر الصهيوني العالمي في بـال بسـويره أواخـر القـرن المـاضي ـ برعايـة الـدول الامبريالية، وقرر انشـاءها وصـاغ وأقـر مشروعها ... الـذي حـدد أهدافهـا وشـكل المرتكز لمطالبها ونشاطاتها كافة، ولسـوف نسـتعرض فيمـا يلـي وباختصـار التعريـف بالصهيونية وبايديولوجيتها وببرنامجها وادعاءاتها وأهدافها العدوانية الاستعمارية :ـ

١ـ الهوية والايديولوجيا :ـ[1] ـ

الصهيونية هي حزب البرجوازية اليهودية وممثلها المعبر عن مصالحها الطبقية الاستغلالية ـ والاستعمارية العدوانية ـ المرتبطة بالدوائر الاحتكارية الاستعمارية الامبريالية في الغرب.

وهي أيضا صنيعة الامبريالية واحدى أدواتها المميزة في مواجهة حركة التحرر العربية ومناهضة قوى التحرر والتقدم والاشتراكية في العالم.

أما رجعيتها فتكمن في طبيعتها وفي ايديولوجيتها وبرنامجها السياسي الاستغلالي الاستعماري ـ وفي دورها .. ووسائلها اللاأخلاقية ومؤامراتها ... ومحاولاتها من أجل تجميع يهود العالم في دولة يهودية صهيونية صرفة ... تطمح أن تكون من الفرات الى النيل. ولذلك لم تكن فلسطين بالنظر الى ذلك الا مجرد خطوة على هذا الطريق ، تبعا لبرنامجها الاستعماري الاستيطاني التوسعي.

فلقد استخدمت شتى الوسائل والاساليب القذرة وارتكبت الجرائم ... في سبيل تهجير يهود العالم الى فلسطين ، وأطلقت الادعاءات والمزاعم ـ التوراتية الباطلة المضللة لاضفاء شرعية حقوقية تاريخية ، لمساعيها وأعمالها العدوانية، من أجل اقامة دولة صهيون على الأرض العربية، ومن أجل كسب عطف وتأييد شعوب ودول العالم ودعمها لتحقيق ذلك الهدف.

١ـ أكذوبة النزعة اللاسامية ـ المعادية لليهود ...

لابد بادئ ذي بدء من التأكيد على أن اليهود ... يقعون في مغالطات كبرى عندما يؤكدون على انتسابهم لبني اسرائيل الذين هم أبناء وأحفاد يعقوب ـ المكنى بهذا الاسم ، وهو العربي الصميم، حفيد النبي ابراهيم الآرامي الأصل من جهة، والتصريح في آن واحد باحتقار العرب ... والادعاء بتفوقهم العرقي عليهم واتهام من أسموهم بالشعوب السامية بمعاداتهم .. من جهة ثانية، ولما كانت السامية والساميون واسرائيل وأحفاده هم عرب أقحاح فانهم بذلك يكذبون أنفسهم بأنفسهم، ويقعون في تناقض فاضح ويرتد كيدهم الى نحورهم، فهم الذين يكيدون الى السامية والعرب

---

[1] راجع ـ ايفون ردليخ ـ مذكرات صهيوني ـ ترجمة : عبد الحسين شعبان ـ منشورات دار الصمود العربي ـ ١٩٨٦

عموما، وهم الذين اختاروا لانفسهم سلوك طريق الشر والتآمر المستمر... وحياة العزلة والتقوقع في الغيتوات منذ القدم، ولم تكن نظرة الشك والريبة في نوايا الآخرين تجاههم الا بسبب ما مارسوا هم من غدر وتآمر ضدهم .. مما عمق روح الكراهية والعدوان التي تأصلت فيهم أبا عن جد، بما في ذلك الشعور بالقهر والاضطهاد والدونية، حتى ولو لم يعترفوا بذلك الا عندما يكون لهم مصلحة في التظاهر بالضعف والمسكنة... وهم يبيتون الغدر اشباعا للحقد الدفين في نفوسهم، إن مرد ذلك يكمن في أن اليهود وقعوا على الدوام تحت تأثير تعبئة مركزة وتعاليم دينية توراتية ، غاية في العنصرية والحقد والكراهية للشعوب كافة وللعرب والاسلام والمسلمين خاصة.

وجاءت الحركة الصهيونية لتتفنن في شحذ هذه التعاليم وتغذيتها واستثمارها بخسة ولؤم بما في ذلك التآمر على اليهود أنفسهم مع ألمانيا النازية وتعريضهم للمجازر لدفعهم للهجرة الى فلسطين.

٣- مقولة الجنس اليهودي النقي :-

يدعي الصهاينة أن اليهود هم أنقى الاجناس كافة - عرقيا - وأعلاهم مرتبة ، من حيث التكوين المتفوق وبالغ الذكاء، ويزيدون فوق ذلك أنهم شعب الله المختار، كما جاء في نصوص التوراة ، فلو افترضنا أن ذلك صحيح فانه ينطبق فقط على أسباط اسرائيل وهم أبناء وأحفاد يعقوب - الذين لاتربطهم صلة باليهود والصهاينة، كما سبق ذكره ، ولا بديانة التوحيد التي جاء بها النبي العربي موسى في القرن الثالث عشر ق.م.

فقد أثبتت الابحاث العلمية المعاصرة والوقائع التاريخية ، أنه ليس هناك سلالة عرقية متميزة وفائقة التكوين بالمعنى الشامل : بيولوجيا - وفيزيولوجيا - ووراثيا أو عصية على التهجين والتحول... من خلال الاختلاط والتمازج مع السلالات الاخرى، او عدم التأثر بالبيئة والمتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وأشكال التطور ، التي مرت بها هنا وهناك من المناطق عبر العصور، خصوصا وأن الكائنات الحية وفي مقدمتها الانسان تتأثر - كما يؤكد جهابذة علم الحياة - البيولوجيا - وعلم التشريح الفيزيولوجيا - مثل : داروين - ومورغان - وبافلوف - وليسنكو - وميتشورين وتلامذته الافذاذ وغيرهم ... تأثرا مناسبا : بيولوجيا وفيزيولوجيا ..الخ. بتلك

المتغيرات حيث تجري سلسلة معقدة .. داخل الكائن الحي ـ ليكتسب الشروط والخصائص الذاتية الملائمة ليستطيع التكيف معها والبقاء والتطور باستمرار، والا فان النتيجة هي الانقراض، وطالما أن الانسان هو كائن اجتماعي وبتعذر عليه الحياة والتقدم منعزلا خارج المجتمع فانه والحالة هذه واقع لامحالة تحت تأثير المجتمع ودرجة تطوره وقيمه وتقاليده وعاداته ومعتقداته ... ودرجة رقيه الحضاري..الخ.

فعلى الرغم من أن المجتمع الانساني الكبير يضم بداخله مجتمعات وشعوبا وأمما متعددة فان ذلك لايغير من واقع الحال بشيء على صعيد التكوين البيولوجي ... العام الواحد حتى وإن تميز كل منها بظروف وشروط وخصائص ذاتية ومحلية ... تؤثر الى هذا الحد أو ذاك في تسريع أو تباطؤ وتائر ـ تطورها وتقدمها ـ خصوصا وأن المجتمع الانساني كان ومايزال يكمل بعضه البعض الآخر في كل شيء دون ريب عبر العصور.

لذلك فان نقاوة الجنس أو العرق اليهودي هي مقولة لا أساس لها من الصحة علميا وواقعيا ، فتكوين اليهود ، هو نفسه عند جميع البشر ، اضافة الى أنهم تهجنوا وفقدوا صفاتهم وخصائصهم االعرقية ، حتى ولو كانوا على سبيل الافتراض من سلالة واحدة في الأصل علما بان ذلك غير صحيح ، بحكم توزعهم في أكثر من تسعين بلدا في كافة القارات، فكيف وهم في حقيقة الامر يتحدرون من عشرات الاعراق ولا يجمعهم من هذه الناحية ، أي جامع ، كوحدة الدم والخصائص الانتروبيولوجية ـــ والسيكولوجية واللغة ...الخ. وعلى هذا الاساس لايوجد أيضا ثمة قومية أو أمة يهودية قطعا.

٤ـ الامة اليهودية العالمية الواحدة :ـ

إن الادعاء بوجود أمة يهودية عالمية واحدة ، هو ادعاء لا أساس له من الصحة ، فاليهود يتحدرون من عشرات الأعراق ويشكلون أقليات طائفية دينية في أكثر من تسعين بلدا... ويخضعون فيها لأنظمة حكم ومستويات وتقاليد .. حضارية متعددة، مما يستحيل معها الادعاء بوجود وحدة : سياسية جغرافية، واقتصادية وثقافية ولغوية واحدة، ولا تاريخ وشعور نفسي مشترك واحد.

فحينما يقولون أن اليهود يشكلون أمة لا مكانية فانهم لا يتعدون المعنى الديني في ذلك الادعاء، وبالتالي فان اعتناقهم لليهودية لايعني أنهم أصبحوا أمة حتى وإن ادعوا بأن اليهودية هي : ظاهرة ثقافية فريدة وخارقة، لها رسالة روحية وقومية خاصة،

فالدين لم يشكل قط في تاريخ الانسانية الأساس لتكون الأمم، ومثالنا على ذلك المسيحية والاسلام اللذين لم يصل معتنقوا كل منهما الى تشكيل أمة واحدة رغم الصلة الدينية الوطيدة الواحدة بينهم.

٥- الوحدة الطبقية اليهودية - المزعومة :-

يدعي الصهاينة أن الطبقات والتناقضات والصراعات الطبقية غير موجودة في الأوساط اليهودية، علما أنه لم توجد هناك جماعة أو مجتمع منذ نظام الرق وحتى الرأسمالية والاشتراكية، بدون مراتب أو طبقات اجتماعية .. لذلك فان هذا الادعاء ساقط، فاليهودي الكادح يخضع كغيره من أبناء المجتمعات التي ينتمي اليها ويعيش فيها الى الاضطهاد والاستغلال الطبقي، وإن البرجوازية استغلت وتستغل اليهودي وغير اليهودي ودون تمييز حيث توجد، وإن الاستغلال والقهر الطبقي داخل الكيان الصهيوني في فلسطين ، لايقل قسوة وبشاعة عما هو في خارجه، وهو متلازم بوضوح مع التفرقة العنصرية بين اليهود البيض الغربيين وسواهم من الألوان اليهودية الأخرى.

فأين هو هذا الادعاء عن الأخوة والوحدة ـــ من الواقع الطبقي المأساوي داخل الكيان الصهيوني؟؟!

٦- حول اندماج اليهود في مجتمعاتهم :-

يحاول الصهاينة بكل الوسائل منع اندماج اليهود في مجتمعاتهم المختلفة، بحجة أن ذلك يؤدي الى الخروج عن التعاليم اليهودية الدينية والروح القومية ـــ للأمة اليهودية المزعومة - وضار بمستقبل اليهود وقضيتهم، ولهذا عملت على الدوام لإثارة مايسمى بالنزعة اللاسامية، وعلى ابراز مايسمى بالمسألة اليهودية، وافتعال كل مامن شأنه دفع اليهود الى احضان الصهيونية، كي يتسنى لها التحكم بمصيرهم وبمستقبلهم في فلسطين مقتفية بذلك ما درج عليه كهنة اليهود وزعماؤهم السابقون عندما فرضوا عليهم نتيجة التعبئة... التعصب والحقد ... والعيش في غيتوات مغلقة، مما عرضهم لردات فعل وللاضطهاد والطرد من البلدان التي عاثوا فيها فسادا.

فقد طردوا من انكلترا أواخر القرن الثالث عشر ومن فرنسا أواخر القرن الرابع عشر، ومن اسبانيا أواخر القرن الخامس عشر، وطرد وهاجر من روسيا وبولونيا ما

بين ١٨٨١ ـ ١٩١٤، الاعداد التالية:ـ حوالي مليونـان الى امريكـا ، و ٣٥٠ الفـا الى اوربا الغربية ، و٢٧٠الفا الى استراليا، و٥٠ الفا الى فلسطين[1] .

٧ـ الصهيونية والدين وأرض الميعاد :ـ

كان ومايزال من العسير على الحركة الصهيونية كسب ولاء جميع اليهود في العـالم وضمان التفافهم حول برنامجهـا ومخططاتهـا في الهجـرة والاستيطان في فلسـطين دون استخدام الدين والاستفادة من تعاليم التلمود، وبعث الحنين الى أرض الميعـاد والمملكـة اليهودية والمعتقدات والمثـل العليـا التقليديـة للديانـة اليهوديـة، ورجـال الديـن اليهـود وخاصة حول دور الديـن في خدمـة البرنـامج الصهيونـي فـان الغلبـة كـانت للحركـة الصهيونية، عندما استطاعت كسب معظم رجال الدين والحركات الاصوليـة المتطرفـة وعلى الأخص بعـد نجاحهـا في اقامـة الكيـان الصهيونـي في فلسـطين عـام ١٩٤٨ الى جانبها.

ومع ذلك فان هذا النجاح مازال محدودا لعدم اقتناع الكثرة من اليهـود حتـى الآن في الهجرة الى فلسطين وخاصة يهود الولايات المتحدة الامريكية واوربا الغربيـة وذلـك لشـكهم بـالدعوة الصهيونيـة وبمستقبل اسرائيل علـى المـدى البعيـد، وحرصـا علـى مصالحهم الخاصة ومواطنيتهم الحالية.

٨ـ عالمية الدولة اليهودية :ـ

تدعي الحركة الصهيونية وركيزتها ـ اسرائيل ـ أن الدولة اليهودية تتمتع بخصـائص مميزة عن سائر الدول الاخرى ـ من حيث لايحدها مكان معين من العـالم، وهـذا يعـني أن كل يهودي في العالم هو مواطن اسرائيلي، ولذلك يحق للاسرائيلي بموجب القوانين الاسرائيلية الاحتفاظ بجنسـيته السـابقة الى جـانب جنسـيته الاسـرائيلية، ولذلـك فمـن واجب الدول التي فيها مواطنون يهود أن تراعي هذه الخصوصية، والفريدة من نوعها، وأن تسلم بهذه الازدواجية لليهودي وأن تحترم ولاءه وارتباطه بدولـة اسـرائيل وعـدم الاعتراض على قيامه بواجباته العملية تجاهها.

---

(١)د. جرجي كنعان ـ مرجع سابق ص ٩٦ ـ ٩٧ .

هذا الى جانب رفض الصهاينة حتى الان رسم حدود نهائية لدولة الاغتصاب الصهيوني في فلسطين، فهم ينظرون الى هذه المسألة انطلاقا من اعتبارات وتطلعات عدوانية توسعية وملخصها: إن حدود اسرائيل تكون في المكان الذي تستطيع الوصول اليه واحتلاله داخل الوطن العربي.

وتجدر الاشارة هنا أخيرا الى أن الدعم الامبريالي المتواصل بزعامة الولايات المتحدة الامريكية، الى الكيان الصهيوني حتى الآن جعله يواصل عدوانه على البلدان العربية ويضرب كل القرارات الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية والقضايا العربية الاخرى بعرض الحائط، وهكذا فقد كانت التعبئة واثارة المشاعر الدينية والعرقية العنصرية والتحالف ـ الاستراتيجي بين الصهيونية وقوى الاستعمار في الغرب السلاح الفعال ومصدر القوة لدى الصهيونية واسرائيل، تماما كما كان من قبل عند كهنة وزعماء اليهود والغرب المسيحي العنصري في الماضي.

الفصل الحادي عشر :

المرتكزات – الثقافية العرقية العنصرية الغربية

لا غرابة في أن يكون اليهود والصهاينة ـ والقوى الرجعية ـ الاستعمارية في الغرب مجتمعين هم في آن واحد الأبناء المخلصون للتعاليم التوراتية ـ والنظرية الثقافية العرقية العنصرية المركزية ـ للبرجوازية في الغرب.

فعلى هذه الأرضية بزغ فجر المشروع الثقافي ـ آنفُ الذكر ـ الذي وضع أساسه كل من ديكارت، وسبينوزا ، اليهودي التوراتي المتنور ، في مطلع عصر ــ التنوير الاوربي، عندما أكدا : أن الحضارة الاغريقية، وملحقتها الرومانية، كانت أول حضارة عالمية أصيلة عرفها الانسان.

وهذا يعني تجاهل متعمد للحضارة العربية القديمة ــ الأم ــ وشطبها من الوجود ومعها الحضارة العربية الاسلامية في العصور الوسطى ــ أيضا، اللتان دفعتا خلال مرحلتين متباعدتين زمنيا ـ بالغرب الى رحاب التحضر والتمدن والرقي.

ولقد شكل هذا العقوق والجحود والتنكر من جانب الغرب ــ للعرب ــ حجر الاساس لتلك النظرية الثقافية العرقية العنصرية الغربية، التي قسمت شعوب العالم الى فئتين رئيسيتين على أساس : لغوي ـ عرقي ـ الفئة الأولى : الشعوب السامية ــ والفئة الثانية الشعوب الهندو ـ اوربية ـ أي الآرية، علما أن ذلك محض اختلاق ولاأساس له من الصحة، وبناء عليه جردت الشعوب السامية ، والمقصود بها العرب، من قابليات التطور الى مستوى الابداع الفلسفي والعلمي والحضاري ـ الغربي عموما، فيما جعلت الشعوب الأخرى وخصوصا الانسان الأبيض في الغرب يتمتع وحده باصطفاء طبيعي وبقابليات عالية للتطور والنبوغ.

ولقد شكل هذان المرتكزان : اللغوي ـ والعرقي ـ الأساس الكلي للنظرية الثقافية للبرجوازية، ذات الجوهر والمنطلق : العنصري ــ الاستعماري في الغرب والتي تقوم على معجزتين عرقيتين أيضا: المعجزة الحضارية الاغريقية وحفيدتها الاوربية المعاصرة

في الغرب ــ وخاصــة في الفلسـفة والعلـوم، والمعجـزة العبرانيـة في حمـل رسـالة التوحيدالموسوية الى مختلف أرجاء العالم، والتي كرستها التوراة - كما يزعمـون في وسط بحر من الوثنيين الشرقيين[1] ويقصد بهم العرب خصوم التوحيد والايمان با لله؟!.

يقول باور مـاركس :" إن المسيحية ــ وخاصة المذهب الاورثوذكسي ــ يعتبر اليهودية تمهيدا للمسيحية، وأن هذه تحقيق لتلك، إن المسيحية هـي اليهودية الناجزة، وأن اليهودية هي المسيحية الناقصة وغير الناجزة "(٢).

وأضاف في - ص ١٦ - من " المسألة اليهودية " - أن اليهودية هي دين المال ــ دين المتاجرة والعمل الربوي وعبادة المال.

الميكافيليون - البرغمايتون - ليسوا من ديانات التوحيد بشيء

إن أتباع الثقافة العرقية العنصرية وأساطين البرجوازية والاستعمار ومنطلقاتهم النظرية والايديولوجية والسياسية... ذات الجوهر الميكافيلي - البرغمـاتي ــ في الغرب لايؤمنون، نظرا لطبيعتهم تلك، بأية ديانة توحيدية سواء كـانت اليهودية أو المسيحية الحقة، أو سواهما، إلا رياءا وبحدود ماتمليه الضرورة والمصالح الاستغلالية الاستعمارية لرفع راية الدين، كسلاح فعـال ضـد الخصـوم والمستضعفين والمستهدفين بالاستعباد والاستغلال الاستعماري والطبقي.

ولهذا ابتدعت مايسمى بالعبرانيين ورفعت راية التوراة باسـم الدفاع عنهـم كما خلقت ما يسمى بالمسألة اليهودية أيضا، بالتعاون مع البرجوازية اليهودية لتبرير تبني واحتضان الحركة الصهيونية وبرنامجها ومطالبها وأهدافها الاستعمارية بأرض العرب، فقـد كـان الغـرب الاسـتعماري قـد عقـد الرهـان علـى خدمـات ومسـاهمات وامكانيات... الحركة الصهيونية، واليهود من ورائها، لتحقيق مطامعه وحماية مصالحه الاستعمارية، من خلال اقامة مخفر أمامي للامبريالية في المشرق العرب، وذلك بتسهيل تهجير اليهود واقامـة المستوطنات والكيـان الصهيونـي، بكـل الوسـائل وفي مقدمتها استخدام القوة، **كما حصل عام ١٩٤٨ في فلسطين**، متذرعين بما جـاء في التـوراة

---

(١)د. أحمد داوود - سلسلة القسام الفكرية - مرجع سابق - ص ٢١٦.

(٢) باور ماركس - حول المسألة اليهودية - ترجمة: الياس مرقس - دار الحقيقة بيروت.

حول أرض الميعاد والمملكة اليهودية القديمة، المزعومة... لخداع الرأي العام ... واضفاء مشروعية حقوقية تاريخية لأعمالهم العدوانية، من أجل استعادة تلك الحقوق، باقامة دولة عبرية في فلسطين، ومن أجل ذلك كان لابد من رفع لواء التآخي واعادة اللحمة وتعزيز أواصر القُربى من جديد، بين اليهودية والمسيحية، وتسخير العواطف والمشاعر الدينية لجماهير الديانتين، لخدمة المشروع الاستعماري الغربي وملحقة الصهيوني، الذي أطل بشروره في أعقاب الثورة اللوثرية وانتصار البروتستانتية واندحار الكنيسة الكاثوليكية التقليدية الاقطاعية، المتشددة، وفصل الدين عن الدولة، وبزوغ فجر الرأسمالية، التي ما إن بلغت طورها الأعلى ـ الامبريالي، في القرن التاسع عشر، واندفعت بقوة لغزو بلدان آسيا وافريقيا عامة والوطن العربي خاصة، لتأمين الخامات الصناعية والأسواق وتصدير الفائض من انتاجها... راح الصهاينة يتنادون... فعقدوا مؤتمرهم التوحيدي الاول... أواخر القرن الماضي، برعاية الامبريالية، فتم انشاء المنظمة الصهيونية العالمية واقرار المشروع الاستعماري للبرجوازية اليهودية، ودمجه من ثم بالمشروع الامبريالي العام، فجاء متخما بالوعود والأماني... بالعودة الى أرض الاجداد، الوطن التاريخي، المزعوم ــ لليهود، من الفرات الى النيل لاقامة اسرائيل الكبرى عليه.

وفي غمرة تنافس الدول الامبريالية على كسب اليهود والصهاينة استطاعت الحركة الصهيونية تحقيق الكثير من المكاسب : كوعد بلفور وسواه وشق طريقها بنجاح نحو أهدافها، وفي ظروف عربية وعالمية مناسبة، رافعة راية الخلاص حينما أطلقت الدعوات والنداءات الى يهود العالم من أجل الهجرة الى فلسطين، ملوحة بانتهاء عصر الاضطهاد والذل في المنفى وبلدان الاغتراب، لخداع اليهود والتغرير بهم ... ليكونوا وقودا على مذبح شهواتها وأطماعها الاستعمارية.

ولقد استخدمت كافة الوسائل الدعائية والتشويقية والاغرائية والاكراهية، لتحقيق تلك الغاية العدوانية... بما في ذلك خداع واثارة حماس الجماهير المسيحية في الغرب واستدرار عطفها وتأييدها، لما يسمى بالقضية اليهودية العادلة، خصوصا وأنهم استطاعوا اثارة شعورها الديني والاحساس بعقدة الذنب... من أجل التكفير عما لحق باليهود من اضطهاد واذلال على أيدي الغرب المسيحي، لاسيما وأن أجهزة الدعاية والاعلام استطاعت أن تجعل من التوراة ـ والانجيل ـ شيئا واحدا ومتممين دينيا وايمانيا لبعضهما.

وأن المسيحية هي بنت اليهودية البكر ، مما أدى الى التغرير بالجماهير المسيحية في الغرب وجعلها تسهم بطريقة أو أخرى بارتكاب أكبر جريمة عرفتها الانسانية بحق العرب في فلسطين ومحيطها.

فاذا كان هناك ثمة اضطهاد حقيقي وتصفيات جماعية لليهود، كما يزعمون في الواقع ـــ فعلى يد الغرب ، فمن واجب الغرب ازاء ذلك إذن أن يتحمل وحده مسؤولية التكفير عن ذلك... ولكن ليس على حساب العرب الذين ليس لهم يد فيها.

ومع ذلك قام الغرب والصهاينة معا باجلاء الشعب العربي الفلسطيني عن وطنه فلسطين بقوة السلاح الى البلدان العربية المجاورة عام ١٩٤٨، وأقاموا مكانه كيانا استيطانيا صهيونيا استعماريا عدوانيا توسعيا ـ اسمه ـ اسرائيل ـ على الرغم من أنه ليس هناك ما يثبت صحة الادعاءات الصهيونية حول الحقوق التاريخية لليهود في فلسطين ، والتي أوردها التزوير التوراتي، وتلقفها الغرب والصهاينة معا، ليجعلوامنها حجة وذريعة للغزو والعدوان... خصوصا وأن جميع الآثار المكتشفة حتى الآن في فلسطين وبلاد الشام، التي جعلت مسرحا للأحداث التوراتية جاءت لتكذب كل تلك الادعاءات والمزاعم لخلوها من أي شاهد أثري واحد يؤكد صحتها، وبمقدار فشلهم في العثور على مثل تلك الشواهد نجحوا في التزوير في العديد من جوانب التاريخ العربي القديم، كما نجحوا من جانب آخر في خداع الجماهير المسيحية في الغرب وتسخيرها حتى الآن لتحقيق المزيد من أهدافهم الاستعمارية... تماما مثلما استطاع الغرب خداعها وزجها كوقود في الحروب الصليبية باسم الدين وتحت شعار تحرير المقدسات المسيحية من الوثنيين العرب في الماضي، وهكذا فهم يلجأون كلما استدعت الضرورة لرفع شعار الدين وشعار القرابة بين اليهودية والمسيحية، موهمين أنهما من منبت واحد، بدليل أن الكتاب المقدس يجمع في دفتيه كل من التوراة والانجيل، علما أن تلك الوحدة الدينية مجرد هراء ولا أساس لها من الصحة، للاختلاف الجوهري بينهما في العقيدة والتعاليم والاخلاق.

فالبرجوازية لايهمها الدين الا بمقدار مايخدم مصالحها، والا فانها تقف ضده وتحاربه بلا هوادة، فعلى سبيل المثال : حاول ـ روبسبير كبير قادة الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، صياغة دين جديد يقوم على عقائد من العدالة الاجتماعية، ولكنه فشل لان البرجوازية الصاعدة لم يكن يهمها هذا الامر آنذاك، بعد أن استطاعت فصل الدين عن الدولة وحطمت مقاومة الاقطاعيين وأرباب الكنيسة، هذا في حين عادت في

وقت آخر لتتحالف مع الاكليريكيين عندما وجدت أن ذلك يخدم مصالحها ويساعدها على مقاومة القوى الثائرة واخضاع الجماهير المتمردة على سلطتها ونظام حكمها الاستغلالي.

المسيحية تنقض اليهودية :

يقول ـ فولتير ـ :" إن التوراة ككتاب هو من صنع البشر ووضعهم، إذ كيف السبيل الى الاعتقاد بأن كل ما يقصه التوراة هو من وحي الهي؟؟!! فاذا كان الله هو الذي أملى التوراة حق لنا أن نعجب، اذ أن الله ذو أفكار خاطئة جدا في علم الفلك، كما أنه يجهل علم التاريخ والحوادث ويجهل الجغرافية جهلا تاما ويناقض نفسه بنفسه فيما يختص بالاخلاق "(١) .

أما صحيفة النهار العربي والدولي اللبنانية، فقد نشرت في الصفحة الثقافية بتاريخ ١٦/١٠/١٩٨٨، مقابلة أجراها ـ نازك باسيلا ـ مع الاب " لويس خليفة " مدرس اللاهوت في جامعة الكسليك اللبنانية، تحت عنوان : " هل يسقط العهد القديم من الكتاب المقدس ؟!" وجه فيها اليه سؤالا من ست نقاط تعكس بوضوح نظرة الشك والاتياب للكثرة من المسيحيين وبخاصة الشرقيين وغير المتعصبين منهم أو المعنيين باللاهوت وبالعهد القديم من الكتاب المقدس، أي التوراة، ولأهمية الموضوع في الكشف عن كل واه وزائف وباطل ، نكتفي هنا بنقل تلك النقاط حرفيا، مع صرف النظر عن أجوبة الاب خليفة عليها، وهي :ـ

---

(١) حسن الباش ـ مرجع سابق ص ٦٠.

١- العهد القديم متخلف وليس من رفعة الأخلاق المسيحية بشيء.
٢- ديانة العهد القديم أرضية أكثر منها سماوية.
٣- عقلية العهد القديم عشائرية متزمتة.
٤- عدم تجاوب العهد القديم ومقتضيات الفكر المعاصر.
٥- أتى المسيح بكل جديد وناقض العهد القديم.
٦- العهد القديم منتحل أغلبية نصوصه مأخوذة من آداب شعوب مجاورة.

فالنصرانية - المسيحية - كامتداد وتجسيد لديانة بني اسرائيل - ذرية يعقوب - حفيد ابراهيم - التوحيدية، ليست بنت اليهودية التي ظهرت بعد تأليف التوراة في القرن الثالث ق.م، واعتمدته والتلمود من بعده ، وجعلته سماويا مقدسا، وهو ما يعرف بالعهد القديم، بل جاءت النصرانية ، مناقضة لها ولتعاليم التوراة والتلمود.. من حيث الجوهر : الديني — والدور والغاية الانسانيين، ومن حيث طبيعة المهمة الرسولية التبشيرية - لعيسى المسيح - بالدين التوحيدي النصراني الجديد الذي هو بالتأكيد غير — يسوع - يشوع - التاريخي السياسي المنافس للطوائف اليهودية على زعامة يهوذا... والذي أضحى - المسيح - سواء عند اليهود أو المسيحيين أنفسهم، وصلب خطأ عوضا عن المسيح عيسى ابن مريم ، المقصود بالصلب ، من قبل الرومان ، وبتحريض من تلك الطوائف اليهوذية اذ ليس أدل على ذلك مما ورد في القرآن بهذا الخصوص حيث قال " وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم " أي اختلط الامر عليهم فاعتقدوا أنه عيسى ابن مريم.

إن عيسى ابن مريم - المسيح - لم يقم بدور سياسي و لم يطالب بميراث أو ملك أو زعامة، و لم يسع الى الحكم، و لم يكن له أخوات وأخوة - كيسوع بن يوسف النجار - ومنهم: يعقوب - وسمعان - وبيسي - ويهوذا (متي ١٣: ٥٥— و — مرقس ٦: ٣)، فالقرآن لايشير الى وجود أب بشري لعيسى - بل يذكر في صورة مريم — أنه ولد وحيدا - لأمه مريم العذراء - البتول - من روح الله - لقوله تعالى : " ونفخنا فيها من روحنا فكان آية - أي معجزة - ورسولا لبني اسرائيل — وليس لليهود — كما أنه لم يذكر أنه كان يهوديا - وعرف الانصار بالحواريين ، أي ذوي الملابس البيضاء ، من المفردة الآرامية حور - بمعنى أبيض - كما أن يوحنا المعمدان — من الجذر — حنان —

المذكور في العهد الجديد ، ليس هو - يحيى - من الجذر - حياه - الوارد ذكره في القرآن بالارتباط مع عيسى ابن مريم العذراء ..الخ.(١)

لذلك فان النصرانية - المسيحية - لم تولد من اليهودية وانما مثلت اتجاها مستقلا مغايرا وموازيا لليهوذية في آن واحد ، فقد نشأت على أرضية الديانة التوحيدية لبني اسرائيل، ثم أخذت منحى آخر على يد بولس الرسول والكنيسة من بعده ــ لايتسع المجال لشرحه.

وعلى أساس ما جاء في القرآن.. آمن الكثير من النصارى - العرب - بنبوة ورسالة محمد ومنهم ورقة بن نوفل .. اضافة الى الموقف الايجابي للنجاشي ... تجاه ماجاء في القرآن عن عيسى ابن مريم.(٢)

إن بولس الرسول والحواريين من بعده أخذوا شخصية عيسى ابن مريم ــ الذي كان ينشط في الحجاز - وركبوها على شخص - يسوع بن يوسف النجار - الذي جاء الى فلسطين قادما من جزيرة العرب ــ التي لم تكن تحت سيطرة الرومان ــ مطالبا بالسلطة على اقليم اليهوذية الروماني... وهذا مايشرح تجاهل العهد الجديد - ليسوع - الشخصية التاريخية ــ وتركيزه عليه كفكرة دينية وتأسيسا على ذلك الاختلاف الجوهري بين الديانتين : اليهودية - والنصرانية - وماهية وفكر وفلسفة وغايات كل منهما ، استمرت العداوة بين اتباعهما والمؤسسات الدينية لكل منهما، نتيجة جنوح وتطرف المؤسسة الكهنوتية اليهودية وحقدها وازدياد تآمرها... وعلى النحو الذي تسنى لنا الالمام به نورد مايلي:-

تآمر اليهود ودورهم في شق الكنائس المسيحية - والتربص بالمسلمين:

١- تآمر اليهود على المسيح وتلامذته ... وناصبوا دعوته الدينية واتباعه العداء السافر بالتعاون مع الرومان، مما عرض المسيحيين آنذاك للاضطهاد والمطاردة حتى اذا ما اعتنق الامبراطور الروماني - قسطنطين - المسيحية تنفس هؤلاء الصعداء ، الامر

(١) رياد حنى - ملخص لكتاب - كمال الصليبي " مؤامرة في القدس" نشرته مجلة الناقد في العدد٨٤ حزيران١٩٩٥ تحت عنوان - مؤامرة ص ٤٨ - ٥٤

(٢) نفس المرجع السابق ص ٤٨ - ٥٤.

الذي ساعد على انتشار المسيحية. فقد كـان وراء اعتنـاق الامـبراطور ... والطبقـات الغنية الرومانية الحالكمة ـ للمسيحية ثلاثة أسباب رئيسية هي :

أ ـ منح الطبقات المعدومة أمل السعادة والعدالة في الحياة الاخرى بعد الموت ، أي تضليلها وصرف نظر الناس عن شؤون الحياة المعاشة وما يتخللها من ظلم.

ب ـ زودت الامبراطورية بدين جديد واحد، كانت قد احتاجت اليه لتوحد من حوله الناس عامة بغض النظر عن الفروق الطبقية والقومية.

ج ـ رأت فيه مصادقة الهية على نظـام الاستغلال والعبودية... خاصة وأن دعاة المسيحية لم يطالبوا في تلك المرحلة بتغيير أسس المجتمع أو بتغيير نظام الحكم.

صحيح أن المسيحية نشأت في تربـة اليهوديـة، ولكنهـا لم تنمـو في اطارهـا الرسمـي الاكليركي الذي ساند الطبقات الغنية وزودها بقيم اجتماعية تتوافق مع مصالحها ، بـل كفرت بدعوتها الطبقية تلك وانعـزل أشياعها ــ الاسينيين ــ كجماعـة مـن النسـاك المتمسكين بالفضائل والمثل الروحيـة والمساواة بين الأفـراد، في المغاور والصوامع... بعيدا عن العالم، كما كان يعيش يوحنا المعمـدان، فقد رأوا أن الصـراع الأزلي يـدور بين قوى الظلام وقوى النور التي يناضلون لانتصارها.

فعندما ظهرت المسيحية اعتبرهـا اليهـود نقضـا لديـانتهم وخطـرا يتهددهـا بالهزيمـة والزوال، فتصدى لها المجلـس الكهنوتـي اليهـودي ــ السنهدرين ــ وللمسيـح وأتباعـه واعتبرهم كفـارا يجـب محاربتهم، فـأمر اليهـود بشـتمهم والتشـنيع بهـم في صلواتهـم والوشاية بهم وتحريض الرومان عليهم، **فيقول التلمود ـ عن المسيح:** "... إن يسـوع الناصري موجود في الجحيم بين القار والنار ... وقد أتت به أمـه مـن ــ العسـكري ــ باندارا ـ عن طريق الخطيئة، أما الكنائس النصرانية فهي قاذورات والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة، وقتل المسيحيين من التعاليم المأمور بها، والعهد مع المسيحين لايكون عهدا صحيحا ليلتزم به اليهـودي، ومـن الواجـب أن يلعـن اليهـودي ثـلاث مـرات ــ رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني اسرائيل (١) .

كما يذكر التلمود أيضا " أنه بعد القضاء على الأشرار في العـالم الخـارجين علـى دين بني اسرائيل يجيء المسيح اليهودي ـ المخلص ـ ويبسط سلطة مطلقـة علـى العـالم. **كما يقول:** "... ويدخـل النـاس كلهـم أفواجـا في ديـن اليهـود ويقبلـون جميعـا عـدا

---

(١) سليمان مظهر ـ قصة الديانات ـ الطبعة الاولى بيروت ١٩٨٤ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

المسيحيين فانهم يهلكون، لانهم من نسل الشيطان". فالاسرائيلي في التلمود أفضل من الملائكة عند الله... لأن اليهودي جزء من الله . والفرق بين درجة الانسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب. ذلك أن النطفة التي خلقت منها بقية الشعوب الخارجين على الديانة اليهودية هي نطفة حصان، والشعب المختار هو الذي يستحق الحياة الابدية، أما باقي الشعوب كمثل الحمير، ولا قرابة بين اليهود وبين الامم الخارجة عن الدين اليهودي، لانهم أشبه بالحمير ، وبيوت العبادة في باقي الامم ليست سوى زرائب حيوانات" (١).

أما الكفار في التلمود: فهم كل من ليس يهوديا، فقد حظر على اليهود أن يحيوا الكفار بالسلام ما لم يخشوا ضررهم أو عداوتهم، ومعنى ذلك أن : النفاق والكذب جائز تبعا لذلك خشية الأذية... فالسرقة من غير اليهود ليست سرقة، وكذلك الغش والخداع والغدر.. والمراباة واستباحة الأعراض...الخ. واذا لم يفعل اليهودي بهؤلاء الكفرة ذلك يأثم؟! **ويذكر ـ س ـ ناجي** ـ في كتابه " المفسدون في الارض " ـ ص٩ـ: إن المستشار اليهودي للامبراطور الروماني " انتونان التقي " تمكن من التغرير بسيده المذكور ـ عندما اقنعه بالتخلص من خطر النصارى، فأمر بقتل جميع العازاريين عام١٥٥م، كما أن اليهود ساهموا في قتل العازاريين عام ١٧٧م، في عهد الامبراطور "مارك أوريل " كما يروي سفر ـ جوشاسن اليهودي أن الامبراطور الروماني ديوكليشان أعدم عددا كبيرا من النصارى من ضمنهم البابا كايوس والبابا مارسيفلوس ارضاءا لأصدقائه ومرابيه اليهود(٢) .

وعلى الرغم من أن الغلبة كانت للمسيحية بعد أن أصبحت الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية استمر اليهود في الكيد لهم والتربص بهم والتآمر عليهم وعلى غير اليهود عموما. تطبيقا للتعاليم التوراتية والتلمودية، ومنها العمل على تهديم المجتمع المسيحي والمجتمعات الاخرى وبكل الوسائل الممكنة، بما في ذلك الدس والتخريب والتجسس والتحريض وغرس الفتن وتغذية الاحقاد والضغائن واثارة النعرات...

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

(٢) س. ناجي ـ المفسدون في الارض ـ جرائم اليهود ـ الاجتماعية والسياسية في العالم ـ الطبعة الثالثة دمشق ١٩٩٤ ص ٩٨ ـ ٩٩.

والحض على الاقتتال واشعال نار الحرب لانهاك الخصوم... والتشنيع بهم، واستغلال الفرص للانقضاض على من يقع فريسة الحاجة لهم لامتصاص دمه والفتك به.

٢ـ **تآمر اليهود على المسيح والمسيحيين** حينما اججوا وغذوا الصراع المذهبي الديني بين الكنائس المسيحية، في عهد الامبراطورية الرومانية، مما أدى الى الانقسام وتعمق الخلافات ومضاعفة التناحر وذلك على النحو التالي:ـ " **قال الاسقف الكندري أريوس** ـ في القرن الرابع الميلادي : إن المسيح ليس إلها ، حين أكد على طبيعته الانسانية، وحكم عليه بسبب ذلك. وكان قد التقى بقناعته تلك مع ما طرحته ـ المانية ـ التي أسسها " ماني " في القرن الثالث الميلادي، بهدف تطوير الزردشتية الفارسية، عندما كانت فارس في حالة حرب سجالية مع بيزنطة، **وحينما عارضه الأسقف الاسكندري، اثاناس** ـ مبشرا بألوهية المسيح وأقر مجمع نيقيا ، آراءه حدث الانقسام في الامبراطورية الرومانية ، خصوصا حين حرض مجمع القسطنطينية الكنيسة الانطاكية على التمرد والانفصال ، فانشقت الى امبراطوريتين. ونتيجة الدسائس والتآمر اليهودي المتواصل زادت حدة النزاعات المذهبية الدينية في الامبراطورية البيزنطية أيضا، بعد انفصالها عن روما، وخاصة حينما **أعلن " بطريرك القسطنطينية ـ نسطور السوري** " تأييد آراء الاسقف الاسكندراني " اريوس " **ووقف بطريرك الاسكندرية " سيريلا " في وجهه مؤيدا** آراء "اثاناس" بدعم من روما، **مما جعل مجمعي "افسوس ٤٣١ ــ ٤٤٩"، يؤيدانه** ويحكمان على أسقفي انطاكية والقسطنطينية بالهرطقة (١) .

هذا في حين كان الغنوصيون في المشرق العربي يؤمنون بأن هناك قوتان تتمثلان: بالخير ـ والشر ، ويتعين ايجاد نوع من التوازن بين تينك القوتين، وبعضهم بشر بأن المسيح لم يمت على الصليب، في جبل الجلجلة، في ضواحي القدس ـ كما زعموا ـ لأن المادة هي جزء من العالم الدنيوي غير الروحاني (٢) .

٣ـ **يمكن القول** بأن الصراع المذهبي الديني ، والحرب ضد الشرق في هذا المجال كانت قد بدأت في آن واحد ، عندما تآمر اليهود على المسيح وأتباعه ودفعوا بالرومان للفتك بهم، بينما قامت الكنائس الرومانية الغربية اللاتينية، بعد ذلك، بشن

---

(١) د. أحمد داوود ـ سلسلة القسام الفكرية ـ مرجع سابق ص ٢٣٣ـ ٢٣٤.

(٢) أركون كارول ـ نفس المرجع السابق ص ٨٤.

الحرب على الكنائس الشرقية، المفعمة بالايمان والتقاليد الانجيلية، في القرن الرابع ميلادي، وبالتعاون مع اليهود، الذين مازالوا يزعمون حتى اليوم، بأن اليهودية هي الأب الشرعي للمسيحية وأن راية التآخي بينهما كانت ومازالت مرفوعة ، وستبقى أبدا.

ففي الوقت الذي دفع فيه اليهود، من خلال التآمر والتحريض... الى انقسام الامبراطورية الرومانية الى : غربية وشرقية، كانوا في الامبراطورية الفارسية عدوة بيزنطة يؤججون الصراع الديني والسياسي والحرب في الميدان العسكري بين الامبراطوريتين، ويقفون الى جانب الفرس، ضاربين عرض الحائط بذاك التآخي ... المزعوم - بين اليهودية والمسيحية.

٤- من يقرأ تعاليم التوراة والتلمود، وكيف يجيزان القتل ...ويدفعان لسفك دماء البشر والبهائم، واحراق المزروعات وهدم البيوت والعمران واستباحة كل شيء دون وجه حق أو وازع ديني واخلاقي... اللهم الا اشباعا للحقد والكرااهية وطمعا بما لدى الآخرين.. يخرج بنتيجة مؤداها أنهم وتوراتهم ليسوا من ديانات التوحيد بشيء سواء كان الموسوية أو المسيحية ، أو الاسلامية.

يقول انجيل القديس "مرقس": فدخل السيد المسيح وجعل يخرج الذين يبيعون ويشترون في الهيكل ، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام – وكما يؤنبهم مستنكرا - أليس مكتوبا أن بيتي بيت صلاة؟! يدعى لجميع الامم وانتم جعلتموه مغارة لصوص..."

وتقول نبوءة أشعيا التوراتية " ويل للأمة الخاطئة - الشعب الموقر بالأثم من ذرية المجرمين البنين الفجار ، أنهم تركوا الرب وارتدوا على الأعقاب ، كيف صارت المدينة الآمنة زانية ، فان فيها قتلة عصاة وشركاء للسراق كل يحب الرشوة .."

وعند ميلاد المسيح، اتّهم اليهود - مريم البتول - بالزنى مع يوسف النجار، ومعنى ذلك أن المسيح، من وجهة نظرهم لقيط وابن حرام، وليس بنبي مرسل...

٥- حينما بلغ النبي العربي محمد بالنبوة، ودعا الى الدخول في دين التوحيد الاسلامي والاقلاع عن عبادة الاوثان... ناصبه اليهود، ودعوته والمسلمين، العداء السافر، حين كادوا له وتربصوا به وانقلب عليه كل من: بني النضير – وقريظة – وقينقاع وأهل خيبر ... على الرغم من العهد الذي قطعوه على أنفسهم بعدم التعرض له وللمسلمين ولدينه بأي سوء، وهم لايعلمون أنهم سيقعون في شر أعمالهم، التي

ذكرها القرآن الكريم في سورة الحشر بوضوح لالبس فيه، **اذ قال**:"... هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لايحسبون وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولي الابصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار، ذلك أنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب".

وعندما تحالف اليهود مع المشركين ضد محمد ـ سأل ابو سفيان ـ " حيي ابن أخطب "، وهو من سادة اليهود " هل دين محمد خير من ديننا ؟! ـ فأجاب : كلا إن دينكم خير من دينه ". **وقال تعالى** بعد ذلك :" لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا ـ اليهود والذين اشركوا ". المائدة٨٨ ـ **كما قال** :" الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ".

وقال سفر ـ حازوحار ـ الذي طبع بالافرنسية عام ١٩٠٧ الجزء الثاني الصحيفة٨٨ :" يا أبناء اسرائيل : اعلموا اننا لن نفي محمدا حقه من العقوبة التي يستحقها حتى ولو سلقناه في قدر طافح بالاقذار وألقينا عظامه النخرة الى الكلاب المسعورة لتعود كما كانت نفايات كلاب، لانه أهاننا وأرغم خيرة أبنائنا وأنصارنا على اعتناق بدعته الكاذبة وقضى على أعز آمالنا في الوجود ولذا يجب عليكم أن تلعنوه في صلواتكم المباركة أيام السبت، وليكن مقره في جهنم وبئس المصير"(١) .

دور المجالس والجمعيات ... السرية ـ والمحافل الماسونية ـ اليهودية :

وفي سبيل المضي في أعمالهم الشريرة وضمان الاستمرار في التآمر والتخريب جيلا بعد جيل، والنجاح في غرس كل مايؤدي الى تهديم المجتمع الانساني... **كان اليهود قد شكلوا ـ سلسلة من المجالس** والجمعيات والمؤسسات والاتحادات والمنظمات... العلنية والسرية وحسب الضرورة وتحت أسماء مختلفة ، لا توحي مظاهرها الخارجية بحقيقة عملها ودورها المرسوم وأهدافها المحددة الخفية، وكان أولها : **تشكيل المجلس الكهنوتي الأعلى** السنهدرين ، الذي عمل على **تأليف التوراة** في القرن الثالث ق.م

(١) س. ناجي ـ المرجع السابق ص ١٢٣.

وزعموا أنه يتحدر عن المجلس السبعيني الذي رافق موسى لتلقي ــ الكلمة ــ والذي كلفة الهم ـ يهوه ـ بالاشراف على شعبه المختار وادارة شؤونه الدينية والدنيوية... **وكانت الدولة الرومانية** قد اعترفت به رسميا وبسلطته على الشؤون اليهودية العامة ، كما يدعون، وبدأ بكتابة التلمود ووزعه على أتباعه ، وقام بدوره ، **بتشكيل هيئة ــ الميشنا** ـ لتثابر على كتابة التلمود... ثم ألحقها بتشكيل هيئة أخرى سميت ــ **بهيئة الكهنة** أو الكتاب، لتساعد حكماء ميشنا في الأقاليم ... **كما شكل هيئة الكحالة السرية**، وكلفها في القرون الوسطى بادارة شؤون السياسية العنصرية، وضمت الاثرياء والعلماء والفلاسفة والكهنة والكتاب والاخصائيين والسياسيين والعمال ومختلف النزعات ... ولكن أسماءهم ظلت مجهولة على اليهود أنفسهم، ويلي مجلس الكحالة بجلس آخر يدعى **الهابورا** ، ويختص بتوثيق الروابط العامة بين اليهود على مستوى العالم ويشرف على خمسة فروع تحمل الاسماء التالية : أخوة العلماء والمثقفين ـ وأخوة رجال الدين ـ وأخوة الكادحين ـ الاخوة العامة ـ وأخوة أبناء العهد القديم التي تأسست عام ١٨٤٣ في نيويورك من " ١٢ " عضوا معظمهم من المحفل الماسوني، **وشكل المحفل الماسوني** ، وأخضعوه والعديد من الجمعيات التي انتشرت في العديد من بلدان العالم الى هيئة الكحالة السرية، كما أخضعوا العديد من الجمعيات في العالم الى المحفل الماسوني أيضا، كما أسس اليهود العديد من المنظمات والهيئات .. الرئيسية العلنية على المستوى العالمي مثل المجلس النيابي اليهودي في انكلترا والكونغرس اليهودي في امريكا وجمعية حكماء صهيون في روسيا عام ١٨٤٥م ـ الى جانب جمعية أخرى سرية في روسيا تحت اسم النهليست ، فقامت بالكثير من الاعمال الاجرامية في عهد القيصرية، كما شكل اليهود جمعيتين هما : الاتحاد الاسرائيلي العالمي ــ والجمعية الصهيونية العالمية، التي انبثقت عن المؤتمر اليهودي العالمي الذي انعقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧، كما شكل اليهود مايعرف ــ بشهود يهوه وأندية الروتاري والعديد من المنظمات والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والثقافية الاعلامية الصحافية والعمالية... مثل الوكالة اليهودية ـ والبنوك والشركات .. الخ.، وتعمل جميعها تحت اشراف هيئة الكحالة، الدينية السرية ولها مهام محددة... اضافة الى أعمالها العادية

المعلنة[1] ولقد سيطرت المحافل الماسونية على جمعية الانسانيين في اوربا وعلى جمعية المفكرين الاحرار المنتشرة في العالم وتعد بالملايين...الخ.

وحول الماسونية ـ قال الأستاذ الأكبر لمحفل ـ لسينك " نحن الماسون ننتسب الى عائلة كبير الابالسة، فصليبنا هو المثلث ومعبدنا هو المحفل ".

إن فلسفة الماسون التي تبدو من خلال مظهرها العلني ذات طابع انساني تقدمي ونظريات فكرية، تعتمد على العقل والمنطق .. تنطوي على أخس انواع التخريب للمفاهيم والقيم والاعراف والتقاليد التي يناضل الانسان في سبيلها خاصة وأنها تسخر من المعتقدات السماوية وتدعوا أعضاءها لتجنب اعتناقها الا اذا كان ذلك للخداع والتضليل ، باعتبارها تناقض العلم... واليهود لاينكرون ذلك، فقد **قال ـ الحاخام الأكبر** ـ .. اسحق وايز :" **ان الماسونية هي مؤسسة يهودية خالصة** وإن تقاليدها وأنظمتها وتعاليمها مأخوذة من مصادرنا ، فهي لنا ومنا من البداية حتى النهاية ".

والمناهج اليهودية... تقول أيضا بأن الماسونية حليفة اليهود ونصيرتهم " لماذا أوجدنا أساليبنا السياسية المعقدة، إن لم تكن بغية تلقينها للخوارج الاغبياء ؟! الذين لا يدركون من أغراضها الخفية أي شيء، بل يكتفون بالتعلق بظواهرها، لقد اعتمدنا أساليب الغش والخداع في الوصول الى أهدافنا لأننا أعجز من أن نصل اليها بالقوة، وعندما شكلنا الماسونية جعلنا أغراضها الحقيقية وقفا على أنفسنا، ولهذا يظل الأغراب المنتسبون اليها جاهلين لاغراضها الحقيقية ، ولقد نجح اسلوبنا أكثر مما كنا نتوقعه فاجتذب الى الماسونية رغم ما يحيطها من الغموض والابهام كثيرا من الخوارج... الذين أخذوا بظواهرها البراقة، فجعلناهم في خدمتنا دون أن نشعرهم بأهدافنا الخفية، فهم الآن يعملون بحماس لايقاد نيران الثورات والحروب التي ستقضي على الدول والانظمة... عندها سنفرض عليها سلطتنا الكونية العامة ومن ثم سنسحق كل من يقف في وجهنا دون رحمة أو شفقة، وسيكون جهابذة الماسون في مقدمة قافلة الغير مرغوب فيهم وريثما يتحقق ذلك سنكثر من المحافل الماسونية وستضم اليها أكبر عدد من الوصوليين الانتهازيين وسنوصلهم الى مراكز الجاه والسلطان، ليوفروا لنا بدورهم

---

[1] س. ناجي ـ نفس المرجع السابق ص ٤٠٤ـ٤٠٨.

الفرص المواتية لننفث جراثيمنا الفتاكة في نفوس شعوبهم، ومن ثم ستفرض عليها سطوتنا ونحقق مآربنا ".(١) .

على كل حال فملخص القول هو : إن اليهودية واليهود والتوراة والتلمود... وكل التعاليم والقيم .. هي أشبه ماتكون بالوباء القاتل الذي يتوجب على البشرية استئصاله حرصا على سلامة العالم ، بدليل أن الكتب اليهودية ــ الملفقة والمزورة والمسماة بالمقدسة، تذكر أن الههم - يهوة - كان يحرض أتباعه على اغتراف مباذل الحياة، واشباع الغرائز الحيوانية واحتقار القيم والمثل الاخلاقية، ويحضهم على أن يكون القتل عند المقدرة والدس والخداع والغذر وبذل الاعراض... في سبيل تحقيق غاياتهم الشريرة، شريعتهم، كما يتهم ملوكهم بالاعتداء على أموال اتباعهم واستباحة أعراضهم ويصم نساءهم اللواتي لقبن بالقديسات بتعاطي الفسق والفجور..الخ. ومع ذلك فهم يتفنون بأمجادهم ومعجزات أسلافهم، كما يزعمون بتفوقهم العرقي وبأنهم شعب الله المختار.

فقد قال ـ القس " لومان ـ مؤلف كتاب " نابليون واليهود"، عن التلمود " كان على المسيحيين أن يزيلوا من الوجود منهاج أبالسة الجحيم المسمى التلمود، والشبيه بالصخرة الملساء التي تخفي تحتها وكر الثعابين القاتلة، قبل أن ترسخ تعاليمها السامة في عقول اليهود وتحولهم الى أفاع تتربص للانقضاض على العالم كلما وجدت الى ذلك سبيلا ".

كما نشر السير بيت من اكسفورد ـ تصريح د. اوسكار ليفي ـ اليهودي، الذي قال فيه :" لقد زعمنا أننا خلقنا لانقاذ العالم من الهلاك وفاخرنا على الانسانية بأننا من شعب الله المختار، وادعينا بأن المسيح وجميع الانبياء هم منا، مع أننا منذ فجر التاريخ نسعى دون هوادة لنشر الخراب والدمار في العالم وشل تقدم الانسانية بكل السبل والوسائل، ولقد قضينا بفلسفاتنا ومبادئنا الهدامة على كل منجزات البشرية: الادبية والمادية ودمرنا حضارتها وحلنا دون انتشار الافكار البناءة في مجتمعاتها حتى أوصلناها الى هذا الوضع المؤسف الذي يبكي ضميري ويدمي جوارحي ... وينتابني الخجل والتقزز من نفسي لانني أنتسب الى هؤلاء المجرمين"(٢) .

---

(١) س. ناجي نفس المرجع السابق ص ٤٢٠-٤٢١

(٢) س. ناجي ـ نفس المرجع السابق ص ٤٥٧-٤٥٨

على كل حال سنختصر الحديث عن أعمال اليهود عبر العصور ضد أوربا والعالم عامة والمسيحية والمسيحيين والشعب الفرنسي خاصة، كنموذج ومثال على ذلك، الامر الذي دفع الى طرد اليهود من والى العديد من البلدان الاوربية بسبب تلك الاعمال التخريبية المعادية.. وخاصة أثناء عصر النهضة ومابعد.

يورد كتاب - جوليو دو مدرانوا - الذي صدر في القرن السادس عشر تحت عنوان: " سيلفا كوريزا " والمحفوظ حاليا في المكتبة الرسمية لمدينة - توليدو - الاسبانية **النص الحرفي لرسالة المجلس الكهنوتي اليهودي** - في استانبول الى يهود اسبانيا، كرد على رسالتهم اليه التي تذكر أنه عندما بدأ الامير " فرديناند " ، بحملته الشهيرة على اليهود وخيرهم بين الجلاء عن اسبانيا دون مال أو متاع وبين اعتناق النصرانية هالهم الامر، وعلى الاخص أنهم كانوا أغنى أهل اسبانيا بفضل ما كسبوه من المال في عهد الدولة العربية الاسلامية هناك، وبعد تفكيرطويل قرّ رأيهم على استشارة الرئيس الأعلى للمجلس الكهنوتي في استانبول فارسلوا اليه كتابا يستشيرونه في أمرهم، فسارع بالرد عليهم برسالة ملخصها:" ... ونحن أعجز من أن نخرجكم من ورطتكم هذه ، ولذا ننصحكم بأن تقبلوا عرض الملك **وتتظاهروا باعتناق النصرانية**، على أن تظلوا على عقيدتكم وتمارسون طقوسها خفية وأن تلقنوها لاولادكم وتوصوهم بعدم الجهر بها، أما فيما يتعلق بأموالكم المعرضة لخطر الاستيلاء والسلب فاننا نشير عليكم أن تعمدوا منذ الان لتعليم أولادكم أصول التجارة واتقانها حتى اذا أقدم الاسبان على تجريدكم مما تملكون تمكن أولادكم من تدبير معيشتهم ومن ثم استرداد **ماسلبوه** منكم مع الزمن، ولكي تتمكنوا من الثأر في المستقبل من الذين يعتدون عليكم علموا بعض أولادكم مهنة الطب ليثأروا لكم من هؤلاء الاوباش بقتلهم دون أن يشعر أحد بما تفعلونه، وانتقاما لما أصاب معابدكم على يد النصارى، ادخلوا أولادكم في مدارس الكهنوت المسيحي ليتعلموا فيها ويتخرجوا منها كهنة ورهبانا ليضللوا النصارى ويخرجوهم عن عقائدهم وليتمكنوا من تدنيس كنائسهم بكل حرية وأمان، ولكي تردوا للنصارى ما يلحقونه بكم من الاهانة ، علموا أولادكم القانون حتىيصبحوا حكاما لهم الحق بأن يقضوا بين النصارة بما يسمح لهم باهانتهم .. ويردوا لهم الصاع صاعين، ومن ثم يتوصل أولادكم الى مراتب الحكم والسيطرة التي تخولهم

تأديب من يتجرأ عليكم وارغام الجميع على احترامكم ، وأخيرا نطلب اليكم التقيد بهذه الارشادات والتجمل بالصبر حتى يتحقق لكم ما أشرنا اليه" [1] .

وقال المؤرخ اليهودي العنصري " سلمون ريناخ " مؤلف كتاب " ارفوس ": "هزم شعبنا كل محاولات الانصهار والاختلاط التي تعرض لها عبر العصور، رغم كل ماناله في سبيل ذلك من الاضطهاد وماتعرض له من النفي والتشريد، وهكذا حافظ على أصالة عنصره ونقاء دمه ".

ويقول " ادوارد درومونت " مؤلف كتاب ـ فرنسا ـ اليهودية :" جاء اليهود الى فرنسا عام ١٧٨٠ ، ينشدون عونها وحمايتها، وفي عهدي الثورة والامبراطورية احتلوا كل ميدان فيهما وتوغلوا في كل مكان، ولما عادت الملكية استولوا على أضخم قصورها وابهاها، وفي عهد نابليون الثالث شاركوا فرنسا فراش الزوجية، أما في ظل الجمهورية فشرعوا في طرد الفرنسي من أرضه ووطنه".

وكان اليهود قد اسسوا: محفل الاخوات التسع ـ الماسوني عام ١٧١٧، في بريطانيا واختاروا العاهل البريطاني رئيسا له للتمويه وليستفيدوا من نفوذه الدولي ويسخروه لخدمة مصالحهم الخاصة، وتشر مبادئهم الهدامة، والحقوا ذلك بتأسيس فرع لها في فرنسا عام ١٧٢١ ، بعد أن كان كل من : هنري الرابع ولويس الرابع عشر قد ناصرا الكنيسة على المجلس الكهنوتي ـ واليهود ـ الذين أذلوها، وفرضا القيود عليهم وحرما مبادئهم ونشاطاتهم، ولكنهم استطاعوا استعادة نفوذهم بعد أن حرضوا وساهموا في تقويض عرش لويس السادس عشر وبالملكية وبسلطة الكنيسة معا، حيث كان لهم ما أرادوا من وراء اشعال نار الثورة الفرنسية.

فقد قال ـ رئيس ـ دير ويلهلمسباد ـ في فرانكفورت الالمانية، أنه أخبر عام ١٧٨١ الدولة الافرنسية، التي كانت غارقة في ملذاتها آنذاك بأن اليهود واتباعهم الماسون الذين كانوا يمثلون النخبة من المثقفين والسياسيين وذوي الثروة والنفوذ في الدولة والمجتمع معهم كما كانوا في كل عهد حتى اليوم، يعملون للاطاحة بها للسيطرة على فرنسا والكنيسة واوروبا معا، وقد عثرت الشرطة البافارية في مقر المحفل الماسوني هناك والذي كان يرأسه اليهودي ـ ماندلسون عام ١٧٨٥ على وثائق ومخططات تثبت ذلك.

---

(١) س. ناجي ـ نفس المرجع السابق ص ٤٢٤.

ومن خلال الدس والتخريب ... واثارة الحروب السياسية والدينية استطاعوا انهاك اوربا والتغلغل في جميع الجمعيات والمؤسسات والسيطرة عليها وعلى أجهزة الاعلام والدعاية والنشر والصحف والبورصات وأسواق المال وامتلاك الاراضي والعقارات وممارسة النفوذ على الملوك والكنيسة واغراق الجميع بالقروض والديون... مما أتاح لهم التحكم في مصير فرنسا والعديد من بلدان اوربا وسواها.

فقد قال ـ الكاتب الكبير ـ ف. سولين :" إن أردنا معرفة أسباب النكبات التي تعرض وسيتعرض لها العالم والتي اسفرت وستسفر عن مذابح رهيبة ونكبات اقتصادية وعمليات تخريب متقنة للنظم والافكار الاجتماعية .. لوجب علينا البحث عن اليهودية... واذا أردنا تجنب مثيلاتها في المستقبل لوجب علينا أن نتقن أصول كشف الالوان والاساليب والاضاليل التي تعتمدها اليهودية والماسونية الصهيونية... والتي تتخلل جميع شؤوننا اليومية، ولـذا كان علينا أن نسبر أغوار الاشاعات والترهات والدسائس التي تهمس في آذاننا وأن لانتسرع في الحكم لها أو عليها الا بعد أن نتأكد من صحتها، اذ ربما كان اليهودي الغادر يكمن خلفها ويتربص بنا الدوائر ، هذا الخصم الذي نراه تارة ضعيفا كدودة الارض وتارة أخرى شرسا مثل أسد الغابة، والذي يدفعه تعصبه العنصري... لافتعال الكوارث والمصائب لينزلها على البشرية جمعاء" (١) .

فقد انشب اليهود مخالبهم بأجساد الفرنسيين واستولوا على أطيان الاثرياء الذين ناهضوهم كما انهالوا ، بموجب القوانين التي فرضوها على الجمعية الوطنية، التي سيطروا عليها وعلى أجهزة الدولة والجيش عموما ، على ممتلكات الكنيسة والعائلة المالكة والنبلاء وكل من أعدم واعتقل من قبل الثورة، فقد شكلوا شبكات التجسس ليتمكنوا من الوشاية بالناس وتوجيه الاتهامات لخصومهم ليعدموا أو يعتقلوا ، من أجل الاستيلاء على أملاكهم وثرواتهم. وبهذا الاسلوب ونتيجة كل ما تقدم ذكره تمكن اليهود من تجريد الفرنسيين من أكثر ممتلكاتهم وثرواتهم فاصبحوا خلال فترة وجيزة من أغنى أهل لبلاد بعد أن كانوا لايملكون فيها شبرا واحدا من الأرض.

فقد أرسل ـ اليهودي ـ زاكير هورفيتز ـ وحده في فرنسا أكثر من مئتي كاهن وقس الى المقصلة، بموجب تهم ملفقة.

---

(١) س. ناجي ـ نفس المرجع السابق ص ١٣٧.

وحول ذلك قال ـ القس " ليمان " في كتابه " السيطرة اليهودية " ـ :" ... انقض اليهود كخفافيش الظلام على خلايا الشهد، التي عملت الأجيال الافرنسية على املائها.. دون رحمة بينما كانوا يكيلون لأصحابها أقذر الشتائم و السباب، مثل تلك التي وجهها اليهودي " لامبير " ، للشعب الفرنسي في خطابه الذي ألقاه في المحفل المسمى بمعبد الحقيقة وقال فيه:" إن كل الاديان عدا الدين العبراني، هي ديانات مخادعة ومعيبة ومهينة للقيم الانسانية ومذلة للرب نفسه ". وكان ذلك على مسمع الحكومة وآلاف الفرنسيين و لم يجسر أحد على الرد عليه خشية بطش الدخيل الذي أصبح سيد فرنسا "[1].

كما قال " جان بليبر " ـ أحد معاصري الثورة:" أنه على أثر فشل الاتحاديين عام١٧٩٢، قررت الحكومة الائتلافية، وكان معظمها من اليهود، تأديب مدينتي ليون وطولون فأوفدت اليهوديين " فوشة وديربوا " فقاما باحتلال الكنائس والمعابد وسلب ماكان فيها من أموال وتحف وحولاها الى مواخير واسطبلات وثم تدنيسها وتحطيم ماكان فيها من صلبان وشعارات دينية وألبسا حمارا لباس الكهنوت المسيحي وعلقا على رقبته مجموعة من الاناجيل وربطا في ذيله صورة المسيح وطافا به في شوارع المدينة، ولما وصل ميدان تيرو حيث تجمع الأهلون أشرباه أمامهم بالكأس المقدس وأحرقا الاناجيل وصورة المسيح ونددا بالمسيح بأقذر الألفاظ وأحقرها".

وهذا ما أصاب المدن الأخرى، فقد كان عدد سكان مدينة طولون " ٣٠ " الـف، فبقي منهم بعد الذبح سبعة آلاف فقط، وهناك مدن أبيدت بكاملها على أيدي اليهود ومن خدعوا بهم وناصروهم وحالفوهم.

وفي عهد نابليون بونابرت الذي هاله تحكم اليهود بمقدرات فرنسا وحاول في البداية اقتلاع جذورهم منها... ولكنه سرعان ماعاد عن ذلك فقربهم اليه وأطلق أيديهم تعيث فسادا في البلاد، وتتحكم في العباد... بسبب توسعه في الحروب وحاجته الماسة للمال الذي لم يكن متوفرا إلا عند اليهود فأعانوه وأخضعوه لمشيئتهم ... فسيطروا على البلاد وسياستها أكثر من السابق، وعلى أهم المراكز الاقتصاذية والتجارية ... في اوربا.

---

(١) س. ناجي نفس المرجع السابق ص ١٥٦.

فكتب المؤرخ ـ اولوست شيراك ـ قائلا :" إن العائلات اليهودية كانت أكثر نفوذا وسيطرة من العائلات المالكة ومن أشهرها : عائلة هيرش ـ وروتشلد ـ ومساير ـ وبامبرغ ـ وأفروس ـ وكاموند... حيث تقاسمت السيطرة الاقتصادية على اوربا فكان لكل منها منطقتها الخاصة بها: فانسلم ماير ـ تمركز في فرانكفورت ـ ليمثل الرأسمالية اليهودية في ألمانيا، وسولومون ماير ـ في فيينا، وناثان ـ في بريطانيا، وشارك في نابولي، وجامس في فرنسا...الخ. وخلال فترة قصيرة وضعوا أيديهم على جميع الثروات الاوربية ، وقدرت ثروة البارون روتشلد بما يوازي ثروة فرنسا بمجتمعة آنذاك وكان ناثان ماير قد سارع الى شراء كل أنواع السندات، عندما أدرك أن امبراطورية نابليون قد أوشكت على السقوط، فربح خلال ـ ٢٤ ـ ساعة مايزيد على ـ ٣٥٠ ـ مليار فرنك من الذهب، كما هيأ لأخوته فرصة فربح مبالغ مماثلة في ظرف اسبوع واحد.

ففي حين كانوا يتظاهرون بمساعدة نابليون كانوا يتجسسون عليه ويعطون المعلومات عن تحركات جيوشه لاعدائه والعكس صحيح ، أيضا، وهناك العديد من اليهود ممن جمعوا ثروات طائلة مثل: روتشلد، وبلجراد، وآمار، وكوهن، ولوب، وجافة، ولازارو، وفيتالي، دريفوس، وباروخ، وستيرن، وزاخاروف، وسليمان، وفاربورغ ..الخ. فقد أطلق عليهم اسم ملوك الذهب حيث سيطروا على كافة المناجم والمصارف والمواد الخام والاسواق... في اوربا وتلاعبوا ومازالوا بمقدرات ومصائر الشعوب والعديد من الثورات والحروب، من خلال سيطرتهم على أجهزة الاعلام والدعاية والنشر والصحافة والجمعيات والاتحادات والسينما والحكومات وأجهزة المخابرات وشبكات التجسس ...الخ.".

كما أصدروا الكتب الداعية للاباحية لضرب الأديان وتفكيك الاسرة والمجتمع مثل **كتاب " ليو بلوم " اليهودي** الذي كان من أشهر رجال السياسة والحكم في فرنسا وترأس الوزارة فيها وأطلق عليه اسم ، الزواج ، وطبع منه أول مرة في فرنسا وحدها سبعة ملايين نسخة ومما جاء فيه :" أنه يتوجب على الفتاة البالغة أن تنفق طاقتها الجنسية في حينها وتطلق لرغباتها العنان ، قبل الزواج وأن لا تحرم نفسها من الاستمتاع بالملذات عندما تتوفر لها، لأن فترة المراهقة هي فرصتها الحقيقية لاغتراف الملذات فعليها أن تستغلها على أوسع نطاق ، وأن لاتتردد عن التعرف على أكبر عدد من الرجال لتطفئ الشهوة العارمة التي تتأجج عادة في هذه الفترة في أعماقها والفتاة الذكية هي التي تعرف كيف تنتقي الرجال الذين يمكن أن تتمرس على أيديهم، فعليها

أن لاتتقاعس عن البحث عنهم والا أضاعت على نفسها أطيب ملذات العمر ، إن الفتاة المتزمتة التي تتمسك بعذريتها لارضاء ذويها على حساب ملذاتها هي فتاة خائبة، فعلى كل فتاة أن تنبذ السخافات والاوهام وتضرب بالتقاليد البالية عرض الحائط كاحترام العذرية، مثلا فعليها أن تحلق بأجواء شبابها بمجرد أن تشعر بقدرتها على التحليق بمفردها فعندما تشعر بالميل لأحد الشبان عليها أن تهبه نفسها دون تردد والا أضاعت احدى فرصها الذهبية، ولتعلم الفتاة المراهقة أن خير التجارب التي تحتاجها عند زواجها هي التي تتعلمها في أحضان الرجال المجربين، فلتتعلم كيف تختارهم في بداية تمرسها ، فلماذا نمنع الاتصال الجنسي بين الأخوة؟! ما هو الغرض من التمسك بهذه السخافات؟! ولذا أقول صراحة من الظلم أن نفرض على شبابنا تقاليدا وأعرافا باطلة... فلننطلق اذن لشهواتهم العنان، انسجاما مع الطبيعة...الخ.".

والكتاب مؤلف من ٣٤٥ صفحة، كلها أكثر قذارة وخلاعة وابا حية، وهناك مئات المؤلفات اليهودية المماثلة في الغرب ، لحقن الشبيبة بها(١) .

ويذكر : ـــ س ـ ناجي ـ بنفس المرجع ص ١٩٠ ـ ١٩٢، عن هيبيس :" أن الاحصاء الاخير في فرنسا يثبت أن اليهود يملكون " ٩٠٪ " من صناعة السينما والتمثيل وصالات الترفيه ، و " ٧٥٪" من مؤسسات الطباعة والدعاية والنشر، و"١٠٠٪" من المؤسسات الصحفية، و " ٨٨٪" من نجوم السينما والتلفزيون هم من اليهود، وما يملكونه في الميدان الاقتصادي يعادل " ٩٢٪" من صناعة المعادن الثقيلة و"٩٠٪" من تجارة التحف الأثرية، و " ٩٨٪" من أموال سوق المضاربات، البورصة، و " ٩٥٪" من مصانع أجهزة الراديو والتلفزيون، و " ٧٩٪ " من أموال المصارف، و"٧٥٪" من مؤسسات الترانزيت والوساطة، و"٥٥٪" من المرافق التجارية المختلفة، و"٥٠٪ " من الصناعات الثقيلة، وأن نسبة اليهود بين مختلف المهن المحترمة مثل: الطب والمحاماة والهندسة... تعادل "٦٠٪"، من مجموع الاخصائيين في فرنسا، ولهم حوالي "١٥" ألف وكالة تجارية تملكها مؤسساتهم التجارية في باريس وحدها، كما يملكون ستة خطوط للسكك الحديدية من أصل سبعة عاملة، وفي الحرب العالمية الاولى كانوا يملكون "٢٣٨" معملا للاسلحة من أصل ٢٤٠ كانت تملكها فرنسا وكان اليهودي ـ باروخ ـ هو الذي يمول هذه المعامل ...الخ.

---

(١) س. ناجي ـ نفس المرجع السابق ص١٨٨ـ١٩٠

إن هذه السيطرة على المؤسسات والصناعات ... جعلت لهم السيطرة السياسية المطلقة في فرنسا، لاسيما وأنهم بالاضافة الى ماذكر يشغلون الملايين من العمال الفرنسيين ويتحكمون بآرائهم الانتخابية.

فقد قدرت المرابح اليهودية بين الحربين العالميتين الاولى والثانية، بأربعمائة مليار فرنك ذهب في فرنسا وحدها، وقدرت ثروتهم قبل الحرب الثانية في فرنسا بحوالي "٥٠" مليار فرنك ذهب من أصل ألف مليار كانت تملكها فرنسا، وفي أعقاب الحرب الاخيرة حصل اليهود على تعويضات، عما أصابهم من أضرار أثناءها بلغت "١٤٠" مليار فرنك. ويقول خبراء الاقتصاد ــ أن اليهود يملكون حاليا حوالي "٩٠٪" من الثروة الفرنسية.

وكدليل على سيطرة اليهود وتحكمهم بمقدرات ومصير الفرنسيين وامتهان كرامتهم ومناهضة المسيحية وتسفيهها في عقر دارها ... تعرض ما قاله ـ روبير رادور ـ في **كلمة ألقاها** في افتتاح نادي جوان عام ١٩٣٨، تعرض فيها للتسلط الماسوني اليهودي في فرنسا قائلا: " ابان الليالي التي افتتح فيها المعرض الدولي في باريس: شاهد العالم أجمع النجمة السداسية، رمز، بني اسرائيل، وأمير الابالسة، مثبتة على رأس المثلث، الماسوني، القابع على قمة عمود الحرية القائم في منتصف ساحة، التروكاديرو ـ تشع منها الانوار بزعم أنها ترمز الى السلام السائد حاليا في العالم، وأنا أقول أن هذا السلام الذي يعنيه الماسون واليهود ليس الا سلام مؤتمرات موسكو وجنيف سلام الماسونية واليهودية، أصحاب، المثلث الشيطاني، والنجمة السداسية، إن رفع هذه الشعارات في أكبر ساحات العاصمة الفرنسية، إن دل على شيء، فانما يدل أولا على ما لأصحابها من أيد ملوثة بالدماء، هذه الايدي التي افتعلت أسباب الصراع الدموي القائم بينهم وبين كل شعوب : فرنسا ـ ورسيا ، واسبانيا ، وكأنني أرى الدماء التي تهدر في تلك البلاد تنبثق حارة من خيوط النور المنطلقة من تلك النجمة وقاعدتها ــ وتصارحنا أنه لم يعد بالامكان الوقوف منها على الحياد، وقريبا سيجد كل منا نفسه مرغما أن يختار طريقة، إن اقامة هذا العمود مع الشعارات التي على قمته ليس سوى تحد صريح للمسلة المسيحية التي اقيمت في ساحة القديس بطرس في روما تخليدا لصلبه، وبمعنى أصح إنه تحد وقح من قبل اليهود لكل المشاعر المسيحية".

وجاء في مناهج عقلاء صهيون :" حالما يحين الوقت للتخلص من الفاتيكان سوف يرتفع اصبع يد مجهولة، ويشير الى الشعوب للانقضاض على الباحة البابوية، وعند

ذلك سنسارع الى نجدة الفاتيكان محاولين ايقاف سفك الدماء، وبهذه الوسيلة سندخل الباحة المقدسة ولن نخرج منها الا بعد أن ندمرها ونعلن سيطرة ملكنا عليها وتسميته حبرا أعظما للكنيسة العالمية"(١) .

ومع ذلك مازلنا نرى الماسونية، اليهودية، تجذب الوصوليين والانتهازيين وذوي النفوذ والمكانة الرفيعة في المجتمع العربي وعلى المستوى الرسمي حتى اليوم، الى صفوفها، لتضعهم في خدمتها، دون أن يدروا أنهم بذلك انما يقومون بتنفيذ مخططاتها المعادية لنا، على الرغم مما بين العرب واليهود وعلى رأسهم الصهاينة من عداوة وحروب ودماء ...الخ.

فاذا كان العرب قد تسامحوا، اثناء الحكم العربي الاسلامي، مع اليهود عن اقتدار وعاملوهم معاملة انسانية عادلة ، فان ذلك لم يحل دون تأديبهم كلما تطاولوا أو تمادوا أو جاهروا بالعداوة، وهكذا فعلت أمم كثيرة في الماضي بما فيها الاوربية حتى عصر النهضة حيث طردتهم لأكثر من مرة من والى أكثر من بلد أوربي وغربي عموما، أما اليوم فما بال أوربا خاصة والغرب عامة ساكنا دون حراك، كالاموات، أمام ما يتعرض له من تخريب واستغلال وذل ومهانة وطنية ودينية واجتماعية... على أيدي الأبالسة اليهود ومن هم في خدمتهم...؟!!

اننا لانجد في حقيقة الامر أي مبرر لمثل هذا السدي لاينم عن ضعف أو عجز أو انعدام الحيلة والوسيلة لوضع حد للتآمر والتخريب .. اليهودي ـ الصهيوني ـ في الغرب وفي العالم ، الا ضلوع ذوي السلطة والسلطان والثروة في الغرب ، معهم، وذلك بدافع ما تمليه عليهم مصالحهم الخاصة الضيقة في هذه الشراكة الابالسية، ان ماتقدم يؤكد أنه لم يكن هناك لافي الماضي ولافي الحاضر ـ قرابة دينية، بين : اليهودية والمسيحية ، ولا أخوة أو تآخ صادق وحقيقي بين : اليهود التوراتيين وأحفادهم الصهاينة ، وبين النصارى وبخاصة الغربيين منهم، منذ القدم وحتى عصر الامبريالية، بل كانت المصالح ومازالت تحكم العلاقة على الدوام مابين الاغنياء وذوي النفوذ والسطوة والسلطة من الطرفين، سواء كان اقتراب وصداقة وتحالف شرير، أو ابتعاد وعداوة وتآمر وصراع عبر التاريخ ومازالت هذه القاعدة، ونعني بها : قانون وحدة وصراع الأضداد، تحكم تلك العلاقة اللاأخلاقية الغاشمة حتى اليوم، وعلى حساب

---

(١) س. ناجي ـ نفس المرجع السابق ص ٢٤٢-٢٤٤.

المبادئ والمثل : الدينية ـ والانسانية العليا ، سواء للمسيحية أو لسواها من الاديان والمجتمعات.

ومع ذلك كانت هذه المصالح ومازالت تجمعهم، على الدوام ودون انقطاع أو استثناء للوقوف صفا واحدا ضد العرب . الذين عانوا الكثير على أيديهم، منذ ظهور اليهودية الى الوجود ومرورا بالغزو الروماني والصليبي وحتى الاستعمار الغربي والصهيوني، الحديث لأرضهم وأوطانهم.

الفصل الثاني عشر :

مخاطر الغزو والتبعية الثقافية والإعلامية

هذا البحث كان موضوع مداخلتي في ندوة آذار الثانية ـــ التي عقدت في بيروت عام ١٩٨٢، بدعوة من الحزب السوري القومي الاجتماعي، بمناسبة الذكرى السنوية لرحيل زعيم الحزب "انطوان سعادة " تحت عنوان: " فلسطين بين التسوية ـــ والتحرير".

ولأهميته وصلته المباشرة بموضوعات كتابنا هذا ـ أعرضه هنا ـ كما هو في الأصل، آملا أن تعم الفائدة وتتسع دائرة الصحوة ... العربية :

يؤكد تاريخ الاستعمار الحديث حقيقة هامة مؤداها ـــ أن اعتماد الامبرياالية على التسرب والتغلغل عن طريق العقل والوجدان فكريا واعلاميا وحضاريا ـــ قد صار ركيزة أساسية من ركائز استعماره للشعوب المتخلفة والفقيرة.

على أن تاريخ هذا الاستعمار الحديث، يؤكد ـ في الوقت ذاته ـــ حقيقة ثانية ، لاتقل عن سابقتها أهمية وخطورة وهي : أن ذلك التسرب والتغلغل االثقافيين الفكريين ـ لا ينجحان في انجاز مهمه احتلال عقل المواطن ا لمستهدف، الا اذا كانت ثقافة هذا العقل المستهدف ـ تعاني من تهلهل أو ثقوب تتسرب منها عناصر الثقافة الغازية، مما يجعل مناطق كثيرةمن هذه الثقافة ـ ثقافة الوطن المستهدف ـ ممهدة لدخول جحافل الغزو ومستقبلة لها ، ومفتقرة ازاءها لاسلحة المقاومة الناضجة والفعالة.

إن هذه الحقيقة قد لفتت انتباه عدد من المفكرين ... الوطنيين العرب ـــ حينما أشاروا الى أن الثقافة العربية الراهنة ـ محاصرة ـ وأن الاخطار التي تتعرض لها متنوعة

ومتعددة الصور والوجوه - وأن المرء العربي يقع في خطأ جسيم اذ ظن أن هذا الخطر الذي تتعرض له ثقافتنا العربية يتعلق فحسب بما يسمى ـ التطبيع الثقافي ـ بين من وقعوا اتفاقيات صلح مع - العدو الصهيوني.

واية ذلك - أن مشكلة الثقافة العربية - موجودة قبل هذا - التطبيع الثقافي - الفاشل حتى الآن - بل جعل هذا التطبيع - ولو في حدوده الضيقة الراهنة ـ على المستوى الرسمي خاصة، ممكنا(١).

جذر المشكلة :

إن لهذه المشكلة الثقافية - عند هؤلاء المفكرين : الوطنيين العرب وجهين أساسيين:

الأول: هو وجه - طبيعي - تاريخي ناجم عن طبيعة التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي تمر به الامة العربية باقطارها جميعا وانما بدرجات متفاوتة - حتى الآن.

والثاني: هو وجه ـ مصطنع ـ قصدي، ناجم عن وجود مؤامرة استعمارية صهيونية، هادفة الى تمزيق الثقافة العربي، واحلال ثقافات : اقليمية ـ قطرية محلية، تجد مثلها الأعلى ولونها الخاص في منابع الثقافة الغربية.

على أن هذين الوجهين ليسا منفصلين - بل يصعب البحث في كل منهما على حدة، لأنهما متكاملان متداخلان، بمعنى أن الوضع التاريخي الحالي للأمة العربية هو حصيلة عوامل عدة با بعادها: السياسية ـ والاقتصادية ـ والاجتماعية ـ والفكرية من جهة، في حين يجد التخطيط للغزو الحالي للثقافة العربية، فرصته المواتية من خلال ثغرات النمو التي تعاني منها الثقافة العربية في المرحلة الراهنة، من جهة ثانية(٢).

---

(١) د. حسام الخطيب - الثقافة العربية الراهنة وآفاق تطورها في مواجهة أشكال الغزو الثقافي ـ المعرفة السورية ـ كانون الثاني ١٩٨٢.

(٢) نفس المصدر السابق: وهذا التكامل بين الثغرات الداخلية - والغزو الخارجي ـ هو ما أشار اليه "محمود أمين العالم" بقوله: ان المحنة الثقافية التي تشهدها اليوم مصر - ليست مجرد غزوة صهيونية ثقافية ـ أيديولوجية ـ داخلية أفرزتها وتفرزها الهياكل السياسية والاقتصادية الرجعية التابعة السائدة في مصر اليوم، تكريسا واعادة انتاج لهذه الهياكل نفسها، وهذه البنية الثقافية والايديولوجية المهيمنة ـ هي التي تمهد السبيل لاستقبال واستنبات الثقافة الامبريالية الصهيونية، من المؤتمر الاستثنائي للوزراء العرب - لمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني لمصر ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق - تموز ١٩٨٠.

والحق يقال أن الوصول الى مدى جذري في رؤية أزمة الثقافة العربية المعاصرة، لايتم تمامه السليم الا باعتبار هذه اللازمةجزءا لا يتجزأ، من أزمة التحرر الوطني العربي عموما. تلك الأزمة التي يتفرع عنا جملة من التناقضات في مجمل ميادين حياتنا العربية الراهنة، إن تناقضا جوهريا كبيرا ، لايفتأ يصيب حركة التحرر الوطني العربية بجملة متشعبة من الانتكاسات والهزائم المريرة.

يتسبب هذا التناقض في خلل عظيم ـ في التواكب بين كل من الظرف الموضوعي ـ والظرف الذاتي، في الحركة الوطنية العربية. إن عددا غالبا من مفكري حركة التحرر العربية، يؤكد رصده لأزمتها الذاتية، ان الظروف الموضوعية متوفرة وناضجة، لبروز ونجاح حركة تحرر وطني عربية، جذرية في آفاقها الوطنية والاجتماعية، غير أن انجاز مثل ذلك ـ يتطلب مستويات معينة من التنمية الاقتصادية، وأدوات سياسية ديمقراطية شعبية حقة، مما لاتقدر عليها، أو تعاديها، تلك الاوساط البرجوازية التي تتصدى لقيادة منطقتنا العربية في المرحلة الراهنة، ومن هنا كانت الازمة .. لاتزال تحت سيطرة تلك القوى ـ التي تريد أن تضع قدما في معسكر الشعوب وقدما في معسكر الامبريالية، ولاتزال تحت سيطرة تلك القوى العاجزة عن تخطي تلك القايادات الوسيطة المتمردة والمساومة»(١).

وتتفاقم حدة التناقض بين الموضوعي ـ والذاتي ـ في حركة التحرر الوطني العربي، حينما: يتضح ـ تصور ممثلي الطبقة العاملة عن صياغة البرنامج الذي يمكن القوى الثورية الحقيقية من اخراج تلك الحركة من أزمتها وايجاد القيادة القادرة على السير بها باتجاه تعميق مضمونها وتحقيق اهدافها المطروحة (٢) .

هذا هو المناخ التاريخي الذي تتنفس فيه رئتا الثقافة العربية الراهنة: ظرف موضوعي ناضج ـ متفاقم مؤهل لتغيير جذري ـ وقيادة حالية مترددة وعاجزة عن النهوض بهذا التغيير المنتظر، بينما البديل الثوري القادر على التغيير الثوري غائب أو غير متكامل.

---

(١) طاهر عبد الحكيم ـ مقابلة اجراها أحمد الحسيني ـ حول أزمة حركة التحرر العربية ـ المصير الديمقراطي العدد ١٢ تشرين الثاني ١٩٨١.

(٢) حركة التحرر العربية ـ أزمة القيادة ومسألة البديل الثوري ـ من تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني الى المؤتمر الوطني الرابع للحزب ـ تموز ١٩٧٩ـ عن المصير الديمقراطي العدد ١٢ تشرين الثاني ١٩٨١

إن الواقع العربي يعيش ـ كما يقولون بالتعبير الفلسفي ـ ثورة بالقوة ـ لاثورة بالفعل ـ انها امكانية مستقبلية لثورة غير متحلقة واقعيا ـ في هذه المرحلة ـ على الارض العربية ـ على النحو المطلوب. إن ثقافة تنشأ في هذا السياق ـ المأزم ـ لابد أن يصيبها منه التناقض ـ والقابلية الشديدة للاختراق والمرض.

وجوه المعاناة ومصادرها :

ومن هنا يمكن أن نفهم الوجوه المتعددة ـ للمعاناة ـ التي تحياها ثقافتنا الراهنة، من خلال المفاصل التي قدمها المفكرون الوطنيون، والتي تتداخل فيها الوجوه الطبيعية التاريخية ، والوجوه المصطنعة القصدية ـ المشار اليها سالفا :

١ـ معاناة تحقيق التوازن بين الهوية الاصلية وبين المعاصرة.

٢ـ معاناة التوفيق بين المستوى النوعي ، وبين الاتصال الجماهيري.

٣ـ معاناة تحقيق التجاوب بين اللون القطري ، واللون القومي العربي.

٤ـ معاناة المواجهة الفعالة للغزو الثقافي المباشر، في لبنان، ومصر، وفلسطين...الخ.

يتناول د. حسام الخطيب ـ هذه المفاصل الاربعة ـ بالتحليل المركز ـ فيوضح أن المعاناة ـ في المفصل الاول ـ تنبع من أن طبيعة المرحلة التاريخية تتطلب من العربي أن يقوم بعملية مزدوجة في وقت واحد: شقها الاول : أن يجد في الثقافة صورة حياته المعاصرة ومعاناته ومشكلاته وتطلعاته الراهنة . وشقها الثاني : أن يجد في الثقافة سلاحا حياتيا يساعده على فهم نفسه وفهم العالم المعاصر واستكمال اسباب وجوده المعنوية، بل تحويل تطوره الاقتصادي ـ الاجتماعي . الى تطور عقلي ـ فني ـ انساني[1]
إن صلة مسألة ـ صياغة قضية الاصالة والمعاصرة ـ صياغة جدلية سليمة ـ بموضوع التبعية الثقافية والاعلامية ودورها في تمرير مشروعات التسوية ، في قضيتنا القومية، لهي صلة بأعمق مناطق الاستقلال الفكري والثقافي ، وبأعمق سمات خصائص ، الهوية العربية القادرة على التفرد وصد أمواج التذويب والاحتواء، ان العجز عن الوصول

---

(١) د. حسام الخطيب ـ نفس المرجع السابق

الى هذه الصياغة الجدلية السليمة لقضية الاصالة والمعاصرة ، يجعل ثقافتنا الوطنية نهبة للغزو الثقافي المضاد.

الاصالة والمعاصرة :

أنصار الاصالة يتهمون كل جديد بأنه دسيسة أجنبية وأفكار مستوردة وبدع مسقطة من الخارج ، بل يشيعون أن كل جديد في طراز الثقافة انما يستهدف شيئا واحدا هو القضاء على ثقافتنا وأصالتنا.(1) .

أنصار المعاصرة، يدمغون التقليديين بالتحجر الفكري والانقطاع عن روح العصر وعبادة الماضي البائد، بل ويربطون بين النفوذ الاستعماري وبين التمسك المتحجر بالقديم، بحيث يصبح اذكاء روح الاصالة عملية الهاء مدبرة من قبل عملاء الثقافة المعادية ـ لصرف أنظار الناس عن الثقافة العصرية التي تخدم واقعها الاجتماعي.

إن احتدام الصراع، بهذه المغالاة المتطرفة ــ كفيل بخلق مناخ مؤات لتسرب الدسائس الثقافية المعادية ـ حسب تعبير ــ د.حسام الخطيب ــ وفي أفضل حالاتها تسمم الجو الثقافي وتنفر الجيل الجديد منه، فيشيح عنه ويتجه الى الثقافات الوافدة، ليروي ظمأه ويغذي حاجته الفكرية والروحية، التبعية كمفهوم، هي افتقاد الهوية المستقلة، فاذا كانت التبعية الاقتصادية، هي افتقاد الهوية الاقتصادية المستقلة وارتهان الاقتصاد الوطني لعمليات النهب ... الاستعماري ، واذا كانت التبعية ـ السياسية، هي افتقاد الهوية السياسية المستقلة وطنيا، وارتهان القرار السياسي لتحكم الاستعماريين ... فان التبعية الثافية، هي افتقاد الهوية الفكرية.. وارتهان الروح الوطنية ــ لغسيل الدماغ الذي يمارسة المستعمر على الاوطان المستهدفة، من هنا فان معركة الثقافة الوطنية المستقلة هي واحدة من أخطر المعارك في أخطر جبهات الحرب مع الاستعمار الحديث، على أن للتبعية، في الجبهة الثقافية والاعلامية، اشكالات عديدة ، فاذا كانت

---

(1) د. حسام الخطيب ـ نفس المرجع السابق: حيث قال ـ مثالا ـ على عصبية وتخلف هذا الفريق من أصحاب ــ الاصالة ـ من كلام عمر فروخ حول الشعر الحديث: الشعر الحديث والفن الحديث ـ اختراع يهودي أراد به اليهود أن يشوهوا عقول الشعوب إن اليهود قلة في العالم ـ وهم يطمعون الى السيطرة على العالم ــ ولكنهم لايستطيعون ذلك اذا كان الناس يفكرون سليما، فلجأ اليهود الى اختراع هذه الاصول المشوهة ـ في الآداب والفنون ـ حتى يفقد الآخرون بها القدرة على المقاومة ، من عمر فروخ ـ يرد على منتقديه ـ الحوادث ٦-١١-١٩٨٠.

النزعات الداعية الى السير على خطى الغرب الاستعماري الثقافية هي شكل واضح مباشر من أشكاال التبعية، فان النزعات الداعية الى الاستغراب الصوفي في ماضينا ـ التليد ـ هي الاخرى شكل خفي غير مباشر من أشكال التبعية والارتهان.

تلك تنطوي على نفي حضورنا في الوطن ـ المكان ـ وهذه تنطوي على نفي حضورنا في العصر، الزمان تلك تبعية مطلقة للخارج ، وهي من ثم تقذفنا خارج ـ ذاتنا المستقلة بخصوصيتها الاصيلة. وهذه تبعية مطلقة للداخل ـ للماضي ـ وهي من ثم تحبسنا داخل ذاتنا فتنفينا عن ، موضوع العالم، وكلتاهما ـ من بعد ـ اغتراب.

وكل اغتراب هو باب موارب ـ بل مشرع لدخول العناصر الاستعمارية في الثقافة المعاصرة. هنا ـ بانقسام الذات والموضوع في صراع ـ الاصالة والمعاصرة ـ نجد أنفسنا ثانية وجها لوجه، مع الازمة العربية ـ على المستوى الوطني والقومي وعلى المستوى الفكري ـ جميعا. أن نتيجة ناضجة ـ تطرح نفسها هنا مسبقا بجلاء ـ هي : إن حركة التحرر الوطني العربية ـ ومعركة الثقافة القومية العربية هما معركة واحدة متصلة بعضها البعض ـ اتصال الجزء بالكل واتصال الكل بالجزء. وإن البحث عن نجاح المعركةة الثقافية القومية خارج نجاح حركة التحرر العربية ـ سيظل قاصرا قصور الحلول الجزئية التي تغفل السياق التاريخي والاجتماعي للظاهرة المطروحة.

المستوى النوعي والاتصال الجماهيري :

نعود الى المفصل الثاني من مفاصل معاناة الثقافة العربية الراهنة، وهو معاناة التوفيق بين المستوى النوعي والاتصال الجماهيري، وهنا يرى ـ د. حسام الخطيب ـ : ان العملية الثقافية تجري بمعزل عن المشاركة الجماهيرية، وانها تظل محصورة بفئة متعلمة أو نخبة ذات قانون واضح هو : الابتعاد عن الهموم الجماهيرية ، بما يتناسب طردا مع ارتفاع المكانة الثقافية ، اللهم استثناءات قليلة معظمها في صفوف الشعراء[1] .

والحق أن الفكرة السابقة تنطوي على نقص شديد، وعلى أهمية شديدة في آن واحد.

---

[1] حسام الخطيب نفس المرجع السابق

أما النقص فيها فناجم عن تجاهل للسبب الجذري الذي يجعل العملية الثقافية العربية تجري بمعزل عن المشاركة الجماهيرية، ونعني به غياب المناخ الديمقراطي ، الذي يتيح تفاعل الثقافات والآراء من جهة، ويتيح وصول ثقافة معقولة ـ للشعب من جهة ثانية.

إن معظم الانظمة العربية ، بتغيبيها للعمل الديمقراطي ، وبتحريمها وتجريمها، لاي اعتقاد أو فكر جماهيري تقدمي نقيض، انما تشارك مشاركة أساسية في تجهيل شعبنا العربي ، وفي تكريس هذا الانفصال بين ثقافة الشعب وبين الشعب، وفي تعميق أزمة الثقافة العربية الراهنة»(١). أما أهميتها ـ فناجمة عن تنبيهها الى حقيقة دفينة، مؤداها أن هذا الانقطاع بين العملية الثقافية وبين المشاركة الجماهيرية، لايؤدي الى انعزال الثقافة عن شعبها فحسب، وهو أمر أخطر، وانما يؤدي ـ في ذات الوقت ـ الى انعزال الشعب عن ثقافته ـ وهو الآخر الاكثر خطورة. إن الجماهير المعزولة عن ثقافتها الوطنية وعن اعلامها المعبر عن شوقها الحقيقي الى الحرية والعدالة هي جماهير مؤهلة للانسياق خلف أية مؤثرات غازية، سواء كانت هذه المؤثرات خارجية استعمارية ـ أو كانت داخلية رجعية.

الجماهير في الحالتين ستصبح وعاء يتلقى المؤثر المهاجم بلا حضانة مقاومة، والجماهير في الحالتين مشروع تبعية متصل: اما بالاندماج والخضوع لغسيل الدماغ السلطوي الحاكم ، واما الاستعماري»(٢) .

يمكننا هنا أن نصل باطمئنان ويقين الى نتيجة محددة هي : أن الانظمة العربية اللاديمقراطية تؤدي ـ بعزلها جماهيرياعن الفعل السياسي والفعل الثقافي ، دورا خطيرا

---

(١) المفارقة هنا ـ ان معظم هذه الانظمة اللاديمقراطية ـ مابرحت تتساءل عن أزمة الثقافة العربية مضنية نفسها في البحث عن مخارج وحلول لها ـ متوسلة شتى الطرائق الجزئية التي لا تصل الى جذر الأزمة الضارب ـ المتمثل في المناخ اللاديمقراطي الذي تحكم به هذه الانظمة شعوبها المغلوبة ، فلم يخطر ببالها وبال مفكريها ـ هذا الجذر ... مما يبقيها بلا حل وكأنها ضربا من الميتافيزيقيا المستحيلة .

(٢) خصوصا اذا كان هذا المؤثر المهاجم ـ الخارجي الاستعماري والصهيوني ـ والداخلي السلطوي ـ مدججا بأدوات اتصال ثقافية واعلامية واسعة الانتشار سريعة التأثير عالية التقنية الاستلابية والاقناعية: كالسينما والراديو والتلفزيون والصحف ووسائل الاعلام الاخرى، بينما لاتملك الثقافة الوطنية المقاومة مثل هذه المؤسسات . فمن المعروف أنها احتكار للنظام وحده ـ لذلك يعاني المواطن العربي استلابين: استلاب ثقافة الاستعمار ـ واستلاب ثقافة النظام اللاديمقراطي ـ وبما أن الثاني يشكل أرضية خصبة للاول ـ فان احدهما يكمل الاخر في تنسيق منظور حينا وغير منظور أحيانا.

في انجاز عملية التبعية الثقافية والاعلامية العربية، ومن ثم في صيرورة المواطن العربي، المخلوع عن ثقافته الوطنية واعلامه، الجماهيري الصادق ، مفتقرا الى السلاح الذي يمكن أن يدرء به محاولة من محاولات تصفية قضاياه الاستراتيجية والحاقه بمعسكر الهيمنة الاستعمارية ، والصهيونية. وهنا نحن نكرر ، أمام الارتباط الوثيق بين أزمة حركة التحرر الوطني العربية، وبين مقاومة عناصر التبعية، بأنواعها المختلفة ، في ثقافتنا الراهنة.

اللون القطري المحلي ـ واللون القومي العربي :

المفصلان الاخيران ـ من مفاصل معاناة الثقافة العربية الراهنة ، في تصور ـــ د. حسام الخطيب ـ هما: معاناة تحقيق التجاوب بين اللون القطري المحلي، وبين اللون القومي العربي، ومعاناة المواجهة الفعالة للغزو الثقافي .. المباشر في مصر، ولبنان، وفلسطين ((والاردن مؤخرا)).. الخ.

اذ يشير المفصل الاول الى استشراء ظاهرة الفكر الشوفيني والانعزالي في بعض مناطق الوطن العربي، بينما يشير المفصل الثاني الى الهجمة الثقافية: الامبريالية ، الصهيونية المباشرة على العقل العربي بعامة"وفي البلدان التي وقعت اتفاقيات صلح مع العدو الصهيوني حتى الان ـــ بخاصة ". ولدت النزعة الاقليمية ، مع ولادة الثقافة العربية الحديثة، وهي منذ ولادتها مظهر واضح من مظاهر الغزو الثقافي الاستعماري، فاذا كانت اتفاقية، سايكس ـ بيكو، قد كرست تقسيم منطقة المشرق العربي الى دول تتبع كل واحدة منها السلطة البريطانية أو الفرنسية، فان التخطيط الاستعماري قد عمل منذ البدء على الالحاق الثقافي لكل قطر من لاقطار المحتلة بالدولة الاستعمارية، وكانت فرنسا قد عملت على احتلال المغرب العربي وعلى محو هويته الوطنية.. والحاقه ثقافيا بفرنسا، والحاق جزء منه سياسيا بها أيضا.

والواقع أن ثورة الجزائر ـ والجزائر هنا مثال على المغرب العربي ـــ قد جعلت بعد انتصارها ، ازالة آثار الالحاق الثقافي الفرنسي، هدفا من ابرز اهدافها القومية ، واعتبرته عملية مرتبطة بالعدالة الاجتماعية والثورة الزراعية والتسيير اللاشتراكي. كان التعريب اذا ـ معركة وطنية قومية ـ أكدها الميثاق الوطني الجزائري عام ١٩٧٦، حينما دعى على: أن اللغة العربية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري، ولايمكن فصل شخصيتنا عن اللغة الوطنية التي تعبر عنا، ولهذا فان استعمال اللغة العربية

واتقانها يشكلان احدى المهام الاساسية للمجتمع الجزائري، في مجال التعبير عن كل مظاهر الثقافة ، وعن الايديولوجية الاشتراكية[١] .

على أن هذه المعركة الضارية، قد استغرقت من وقت وجهد المجتمع الجزائري، ماكان يمكن أن يشكل لو توجه للقضية العربية، قوة جبارة لها ـ واغناءا خصبا لقضية الثقافة العربية. ان الخطر الحقيقي الذي خلفة هذا الالحاق الثقافي، الذي مارسه الاستعمار الفرنسي بالجزائر ـ عبر مائة وثلاثين عاما، هو مايلحظه القارئ العربي الراهن على الثقافة الجزائرية بخاصة وبلاد المغرب العربي بعامة. كتاب وشعراء عرب يكتبون ويبدعون باللغة الفرنسية، وهم من ثم ، يفكرون باللغة الفرنسية، حتى وان تعلم بعضهم أو معظمهم اللغة العربية. واذا كانت االلغة نظاما للتفكير وطرائق ، لامجرد حروف اشارية، فان نسق التفكير لدى معظم هؤلاء الكتاب والشعراء، الذين عاشوا جل عمرهم منقسمين تحت ازدواجية ضاغطة لغوية وثقافية وحضارية، انما هو نسق أميل الى النسق الغربي الفرنسي منه الى النسق العربي، الا من جاهد نفسه منهم حق جهادها ، ومن ثم أميل الى المنظومات الفكرية والثقافية والحضارية الغربية، والفرنسية على الاخص، وأميل الى التجاوب مع الطروحات الاوربية، الليبرالية، في حل متوازن ومتساو للقضية الفلسطينية ـ يعادل بين الفلسطينيين ــ واسرائيل ــ على سبيل المثال، وغير ذلك من حلول حضارية مختلفة لمشاكل الشرق الاوسط الساخنة.[٢]

---

(١) عن ـ هانية الحسن ـ مشكلات التعريب في الجزائر ـ المفكر العربي العدد ٤و٥ ـ أيلول وتشرين الثاني ١٩٧٨.

(٢) لانقصد هنا ـ القاعدة الغالبة من شباب الجزائر ــ الذين هم بلا شك جيل الثورة المفعم بقيمها القومية وتوجهاتها العربية البارزة، كما لا نقصد كل الكتاب الكاتبين بالفرنسية، ماذا كان صحيحا ان اللغة ــ هي نظام للتفكير ونسق تاريخي كامل .. فانه من الصحيح كذلك أن ـ الوطنية ليست هي ــ اللغة، فان الكثيرين من اعداء الوطنية والقومية وغلاة الانعزاليين في البلدان العربية ـ يكتبون عداءهم هذا باللغة العربية بل أن بعضهم ذو باع طويل في ذلك، وهنا لا يفوتنا التنويه بالجهد الوطني الملحوظ الذي يبذله الكتاب الوطنيون والتقدميون الجزائريون الكاتبون بالفرنسية، في تجذير انتمائهم القومي العربي لغة وقضايا مصيرية ـ وما في هذا الجهد من مقاومة لنهج التبعية الثقافية والحضارية التي فرضها الاستعمار الفرنسي ابان احتلاله الاحتوائي للجزائر على أن هذه الظاهرة تكشف لنا أوجه أخرى للتبعية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة ومرتبط بعضها بالآخر ـ كارتباط السبب بالنتيجة والنتيجة بالسبب، ومنها: هجرة الادمغة العربية ... الخ، فاذا كانت الاوضاع السياسية والاقتصادية في بعض البلدان العربية ـ تساهم من حيث ترديها وعسفها الى جعل جماهيرها مؤهلة لاستقبال اية مفاهيم او قيم أو عادات .. تنطوي على تبعية هزيلة لاسيما للنموذج الامريكي خاصة والاستعماري عامة، فان وجها من وجوه هذه التصفية العقلية يتجلى=

النزعات الانعزالية ، والعنصرية اللبنانية:

الرؤية العلمية تفرق بين النزعات الاقليمية الانعزالية الساعية الى الانسلاخ عن الثقافة العربية وتسميمها ـ وبين الواقع الثقافي المحلي الذي أخذ يترسب في كل قطر عربي على حده. على أن الاستعمار الحديث لم يفته أن يغذي يودعم العناصر المحلية في الثقافات القطرية، دافعا بها الى نزعات الانسلاخ المضادة، فاذاكانت النظرة العلمية ترى في الالوان المحلية للآداب والثقافة مشروعية مفهومة في الاطار الاشمل للثقافة القومية، فان الاداب والثقافات الاقليمية الانعزالية قد صارت الى نوع من ، الشعوبية الجديدة، قادت الى الخروج عن اطار الثقافة العربية، بل الى النيل منها ، وتحقيرها لصالح ادعاءات ألتفوق الثقافي والحضاري... لطائفة معينة في اقليم أو طبقة.."(١)

واذا كان كثير من المسيحيين الاوائل، في القرن التاسع عشر قدساهموا في احياء اللغة والثقافة العربية في مواجهة التتريك وكانوا رواد نهضة قومية عربية في مطلع القرن العشرين،وكانوا دعاة علمانية ومواطنية غير طائفية، ورواد نهضة تحررية ديمقراطية شاملة، فان تفسير النزعة الطائفية اللبنانية الراهنة لابد ان يتوجه صوب ما في الظاهرة من جذر طبقي مصلحي ، ينهض على انكار انتماء لبنان العربي واحياء

= من خلال هجرة الادمغة العربية، فاذا كان الاستعمار القديم ينهض على سرقة الثروات الطبيعية .. في بلادنا فان الاستعمار الحديث والراهن، يضيف الى ذلك سرقة الثروة البشرية، فكلما لمع عالم أو مهندس أو مفكر أو طبيب، هنا امتدت يد الاغراء فتلتقطه من بلادنا ليعمل في الغرب، فكأنما تجارة الادمغة قد حلت مكان تجارة الرقيق من الزنوج، ولكن باشكال مختلفة وأكثر اغراء وأعم فائدة، فهي لاتتم عن طريق القوة أو الترهيب الوحشي وانما عن طريق الترغيب بعقود مغرية وامكانيات كبرى للبحث العلمي، ولذلك فهي تساهم في زيادة أفقار البلدان الفقيرة "وفي" زيادة غنى البلدان الغنية جاء هذا النقاش في دراسات عربية ـ تحت عنوان: ثلاثة وجوه للغزو الثقافي ـ تشرين الاول عام ١٩٧٤ عن هجرة الادمغة العربية، وندوة عن: هجرة الكفاءات العربية اعداد: د. الياس زين، من دراسة للدكتور اشرف البيومي ـ بعنوان: العلم والتخلف ـ تحليل لحالة مصر ـ الفكر العربي العدد ١٤ ـ اذار ونيسان ١٩٨٠.

(١) د. حسام الخطيب ـ المصدر السابق: يحذر وينبه هنا ـ الى أن الفكر الانعزالي اللبناني، ليس من صنع المسيحيين اجمالا، فعلى العكس من ذلك كان الكتاب المسيحيون الكبار في مطلع القرن العشرين مثل أمين الريحاني، وميخائيل نعيمة، ومارون عبود، ورئيف خوري، وجبران والياس ابو شبكة وشفيق المعلوف.. دعاة نهضة وتحرر وديمقراطية مع غلبة كاسحة للاتجاه العلماني الداعي الى قيام مجتمع يبنى على قاعدة المواطنية لا الطائفية ـ وعلى قاعدة القومية اللعلمانية الجامعة لشتات الامة.

الرابطة الفينيقية الحضارية، والنظر الى لبنان فينيقيا على المستوى الحضاري ، وملاذا ديمقراطيا على المستوى السياسي[1] .

إن لبنان في هذا المنظور الانعزالي ـ هو: نتاج ماروني من حيث الواقع التاريخي ـ والمسيحية اللبنانية تنتمي الى الحضارة الغربية، ولبنان هو جزء من العالم الغربي ..الخ.

إن مقارنة بسيطة بين التبعية الجزائرية وبين التبعية اللبنانية ـ توضح لنا الفارق الجوهري بين النزع الوطني ـ وبين النزع الالحاقي ، المضاد في كل من البلدين. فاذا كانت التبعية ـ في الحالة الجزائرية تبعية مفروضة من قبل المحتل الفرنسي ـ وقاومها الوطني الجزائري ـ استخلاصا لهويته العربية استنادا لخصوصيته الوطنية ـ فان التبعية في الحالة اللبنانية الانعزالية ـ تبعية مختارة ـ فرضها المحتل الفرنسي ـ واستجاب لها دعاة التفوق العنصري ـ ومهدوا لها الارض الوطنية تخليا عن الهوية العربية وتخلصا من الخصوصية الوطنية.

وفي المفهوم الانعزالي ـ يتجرد الوطن عن سياقه الاجتماعي والتاريخي والبشري .. وما أيسر سقوط وطن متجرد عن هذا السياق ، في احضان المستعمر ـ الذي يغذي بدوره هذه الانساق المثالية اللاتاريخية ليعيد استخدامها في تشكيل الهوية الوطنية بما يلحقها لخطته في النهب الاقتصادي ـ المدعوم بترسانة ايديولوجية عملية.

الوطن في المفهوم الانعزالي ـ حقيقة كلية ـ وروح في التاريخ تستمر ولا تتوقف ، وهو حقيقة سابقة على كل تشكيل اجتماعي أو بشري ، وهو لايدرك الا بواسطة الافكار التي ترتفع عن كل ماهو مادي ، واذا تصارع ابناؤه فانما يتصارعون لا على ماهيته ـ لانه أكثر قدسية من الصيغة ، ولانه سابق على التاريخ ـ ويبقى بعد زواله فهو غير قابل للتطوير او التعديل[2] .

فاذا كانت هذه الهوية بين العملية الثقافية ـ وبين الجماهير الشعبية ـ خارجة عن الارادة الثقافية الوطنية فانها ـ هنا ـ اختيار ارادي للفكر الانعزالي ـ وتعبير عن نظرية واضحة في تعاليها وانفصالها عن الجماهير الشعبية ـ مما يجعل التربة صالحة لخلق نظري ايديولوجي بين الفكر الاستعماري والفكر الانعزالي المنخلع عن أرض العامة والعاديين من الناس .

---

(١) د. حسام الخطيب نفس المصدر السابق.

(٢) حسن داوود ـ مدخل الى النتاج الثقافي الانعزالي ـ شؤون فلسطينية العدد ٨٧-٨٨ شباط آذار ١٩٧.

إن هذا المنظور المعادي للجماهير الشعبية هو الـذي افـرز اقـتراح ــ سعيد عقـل ــ باقامة مجتمع خاص للنخبة يبتعد به عـن ضجيـج العامـة وثقافتهـا، فـان لم تكـن لهـذه النخبة ـ عند سعيد عقل ـ انديتها المتنفسةبالرفعة ـ اضطر افرادها الى انتجاع الراحة في ملاهي الطبقات الاخرى حيث الاثر المزدوج الاسـاءة يبـدد جـو النبـل ويزعـزع ثقتـه العلية بعليتها.[1]

إن التحام هذه النظرات الانعزالية العنصرية ـ بالإيديولوجية الصهيونية ... صار من نافلة الافكار في الثقافة العربية الوطنية ،فاذاكانت النظرية العنصريـة الصهيونيـة السـافرة قد شيدت على مبدأي : الدم ـ أي الاصل العرقي ـ والدين ـ فانهمانفس ما يشيد عليه الانعزاليـون اللبنـانيون ايديولوجيتهـم العنصريـة ــ حينمـا يقـول ــ بيغـن : انتـم ايهـــا الاسرائيليون ، يجب ألا تأخذكم رأفة عندما تقتلون عدوكم ـ عليكم ألا تشفقوا عليـه ما دمنا لم نقض على الحضارة العربية التي ستبنى على انقاضها حضارتنا، ان اليهـود ــ بلا شك ـ يشكلون الامة الانقى عرقاً بين جميع امم العالم المتحضر ـ فان مقولتـه هـذه تلقي صداها المستجيب في مقولات الانعزاليين اللبنانيين ـ حينما يقولـون أنهـم شريحة من غير هذا العالم المحيط بهم ـ أي العالم العربي ـ وانه ليس لنا أية التزامات قومية نحـو هؤلاء العربان ، ان مشاعرنا وأفكارنا وقيمنا لاتهفوا الا نحو الغرب ـ ونحن لانستلهم شيئا الا من الغرب.[2]

وعلى الرغم من أن الادب الانعزالي هو من الضآلة والابتـذال والفجاجـة الساسـية الصارخة، بحيث امتنع كافة المشتغلين في النقد الادبي عن اعتباره ادبا يستحق الدراسـة

---

(١) حسن داوود ـ مدخل الى النتاج الثقافي الانعزالي شؤون فلسطينية ـ المرجع السابق : من محاضرة ـ لسعيد عقل ـ القاها في الجامعة الامريكية ببيروت في ١٣ كانون.الثاني عام ١٩٥٤.

(٢) التشابه الايديولوجي والعملي بين الصهيونية، والانعزالية، عن السفير ١٩٧٨/١٠/١٧، وهـي دراسـة أعدهـا ــ علي يونس أمين سر مفوضية التربية والمعارف في الحزب التقدمي الاشتراكي وتقول: إن هـذه الممارسـات في الفكـر الانعزالي ـ توضح الدور المنوط بالصهيونية والانعزالية في المنطقة العربية، فالسياسة الاستعمارية لاترتكز على برنـامج تدخل مباشر فحسب، بل تعمد أيضا على قوى محلية مؤهلة للقيام بخدمتها، وتستشهد الدراسة في هذا الصدد بمفكر اسرائيلي يقول: ليس صحيحا أن الاوساط الحكومية الاسرائيلية تتخذ موقفا عدائيا باضطراد من جميـع العـرب علـى الرغم من سياستها العامة المعادية للعرب، بل على العكس تماما، فهي تعرب عن تأييدها لجميع القوى العربية الموالية للاستعمار بشكل عام، كما تستشهد برئيس لجنة الدفاع والشؤون الخارجية في الكنيست لعام ١٩٦٥، الذي قـال: ان الانظمة السياسية في الاردن ولبنان هي في حماية قوات الدفاع الاسرائيلية.

أو يستأهل وقفة تقييم جدية وهو ما يجعلنا نتعاطى معه بوصفه لونا من ألوان المناشير السياسية الرجعية، والمفتقرة للحد الادنى من الابداع الادبي[1]، نقول ـ على الرغم من تهافت الادب الانعزالي ـ فانه من الضروري الالماح الى أن الثقافة الانعزالية غير مقتصرة على الادب ، فقد ظهرت خلال السنوات القليلة الماضية مؤلفات تاريخية وفكرية حول لبنان والمنطقة ـ تعد تثبيتا منهجيا للمفهومات الانعزالية ـ اذ بدأت تتكون هنا بيئة تعليم عال وبحث علمي، يضاف الى كل ذلك انه في مجال اللغة والادب ، ظهرت قبل الحرب الاهلية ومابعدها ـ نزعات خطيرة ترمي الى الاستخفاف بالادب العربي ـ والى انشاء تيار شعري باللغة الفرنسية ـ والى الاستعاضة عن اللغة العربية ـ باللهجة اللبنانية العامية ـ والى كتابة هذه اللهجة بالاحرف اللاتينية[2] والواقع أن نظرة سريعة على النشرات التي كان يصدرها الانعزاليون ـ اثناء الحرب الاهلية ـ ستكشف لنا مباشرة عن المدى العنصري الذي وصلت اليه الاندفاعة الانعزالية ـ المضادة لكل ماهو عربي.

إنهم ينظرون الى لبنان نظرة عنصرية متطرفة :

لبنان وطن الله ـ لبنان هو منبع الحضارات ـ آدم وحواء لبنانيان ـ لبنان الاعجوبة ـ لبنان كان يقرر مصائر الكون ـ لبنان يساوي صيغة حضارية فريدة ـ في البدء كان لبنان ـ لبنان أبدي ـ أزلي ـ سرمدي[3]. وعن الفلسطينيين قالوا: فاذا بهم كالجراد أتوا ـ ارحل ايها الغريب عن لبنان ـ الفلسطينيون هم أعداؤنا المباشرون ويتميزون بالحقارة والجحود ـ يدفع أولادنا الجنود ضريبة تحرش الفلسطينيين باسرائيل..[4]

---

(١) جورج ناصيف ـ الايديولوجية الانعزالية ـ مفاهيمها ـ سماتها ـ وسحال أولي معها، بحث مقدم لمؤتمر الادباء العرب الثاني عشر عن د حسام الخطيب ـ المعرفة ـ السورية ـ المصدر السابق.

(٢) د. حسام الخطيب ـ المصدر السابق: وتتجلى هذه الدعوة لكتابة اللهجة اللبنانية العامية بالحروف اللاتينية، عند سعيد عقل بصورة خاصة.

(٣) نشرة لبنان ـ الانعزالية ، عن أنور خالد : الفاشية الصغيرة، دراسة في صحف ونشرات القوى الانعزالية شؤون فلسطينية ـ العدد ٥٦ ـ نيسان ١٩٧٦.

(٤) نشرة لنان ـ الانعزالية ـ المصدر السابق .

إن ماتقدم يوجز الرؤية الانعزالية الى حركة الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الصهيوني لفلسطين سعيا وراء تحقيق حريته واستقلاله الوطني - كما يوجز التطابق بين الموقفين الانعزالي - والصهيوني - من هذه المسألة ، والحال أن مستوى التبعية الايديولوجية هنا - قد وصل لدرجة الاندغام والاندماج بحيث أصبح الصوت الانعزالي - لسان حال مباشر للعدو الاسرائيلي الصهيوني، كما لاتختلف نظرتهم الى باقي العرب أيضا - فبعضهم يقول: عندما تبدأ السنة الدراسية سأكون في موقف حرج أمام طلابي - فأول درس أجبرتني وزارة التربية على تدريسة يدور حول معلقة امرئ القيس - وهي قصة دعارة ..الخ[1] ويعتبرون العرب غرباء ، ويشوهون لبنان بهمجيتهم - لبنان الذي يوم كانت الارض حوله صحراء قاحلة - كان يختال على دروب الكون يزرعها جمالا، وانطلاقا من هذه النظرة يصفون الثقافة العربية بالانحطاط[2]! وطبقا لذلك فهم اجلاف متخلفون، فالعنصرية - هنا - متطابقة الى حد كبير مع العنصرية الصهيونية التي جعلت - بيغن يقول أمام السادات - في الكنيست الاسرائيلي : ان اشتراك - العبقرية اليهودية - والمال العربي - سيحول هذه المنطقة الى جنة عدن - وكان - ماكس نورداو - احد رواد الفكر الصهيوني يقول أيضا : نحن ننوي الذهاب الى فلسطين بمثابة حملة من المعتمدين للمدنية والتحضر - ورسالتنا هي توسيع الحدود الاخلاقية والادبية لاوربا حتى نصل الى الفرات[3]، اذن انهما وجهان لحقيقة عنصرية متكاملة واحدة.

ولم نلجم هذه النزعة الانعزالية العنصرية المتطرفة - اللبنانية - لتتكفأ مرغمة - ولو مرحليا وتكتيكيا ولم يحد من اندفاعتها المعادية - للعروبة - والمدعمة بقوة العدو الصهيوني - الامبريالي - الا بتأثير الدور القومي العربي السوري - الذي مازال يغرض حضوره الايجابي في لبنان منذ العام ١٩٧٦م وحتى الان .

---

(١) نشرة لبنان الانعزالية - المصدر السابق

(٢) نشرة - لبنان - الانعزالية - المصدر السابق : وجدير بالاشارة : أن هذه النشرة كان يشرف على تحريرها سعيد عقل.

(٣) التشابه الايديولوجي والعملي بين الصهيونية - والانعزالية - السفير - المصدر السابق.

النزع الاقليمي الانعزالي في مصر :

تفرق المفكرون والباحثون العرب الوطنيون بين التيار الانعزالي في لبنان والتيار الانعزالي في مصر، انطلاقامن صعوبة الجزم بأن هناك تيارا اقليميا انعزاليا متبلورا في مصر ، مشابها لما هو موجود في لبنان، إن النزع الاقليمي الانعزالي في مصر هو في الأغلب عبارة عن نظرات فردية ذات طابع ثقافي، كانت تظهر بين الحين والآخر ، وبخاصة في فترات النكسات والهزائم.

إن قاعدة عامة كانت تحكم هذه النزعات ابان النكسات والهزائم التي كانت تدفع بالمفكرين المتأثرين بالمناخ الليبرالي والبرجوازي - الى محاولات ايجاد ايديولوجية بديلة، فيهرعون منادين بأمور ثلاثة متفاوتة فيما بينهم لأسباب عديدة: تراث مصر الحضاري يتألف من الفرعونية، وليست الصبغة العربية الاسلامية سوى مرحلة عابرة، مستقبل مصر كامن في انتهاج الطراز الاوربي من الحياة والمدنية، والمنقذ الاساسي لها، الاوربية الكاملة الاطار السياسي والاقتصادي، لمصر، ليس الوطن العربي ولكنه البحر الابيض المتوسط[1] على أن هذه النزعات ... في مصر تنطوي على خطورة خاصة، ذلك أنها ظهرت ضمن سياق الغزوة الثقافية الامبريالية الصهيونية المباشرة، للثقافة العربية في مصر، وغالبا في اطار تطبيع العلاقات بين النظام المصري ـ واسرائيل ، ومن هنا تكتسب هذه النزعات طابعها المضاد - باعتبارها جزء لايتجزأ من المخطط الامبريالي ـ الصهيوني، لتخريب الثقافة العربية وتفريغ العقل العربي من محتواه الوطني والقومي التقدمي، ليسهل من ثم فرض المشروع الثقافي الاستعماري - على المجتمع العربي ـ ان مظاهر الغزو الثقافي للثقافة العربية في مصر عديدة، فقد تعرضت الكتابات المختلفة الكثيرة بالتحليل والاستقصاء والفضح المتواصل لها [2] على أننا نود ـ هنا ـ ونحن بصدد مسألة التبعية الثقافية والاعلامية، أن نتناول القصية من زوايا مختلفة قليلا ولكنها تكمل الزوايا الاخرى التي عولجت من خلالها قضية التبعية والغزو الثقافي والاعلامي لساحتنا العربية، إن الكثيرين ممن عالجوا هذه القضية عبروا في معالجاتهم لها عن

---

(١) د. حسام الخطيب المصدر السابق

(٢) للتفصيل في هذا الصدد - نشير الى: مصر ـ عشر سنوات بعد عبد الناصر ـ دار النديم ـ بيروت ١٩٨٠، والانعزاليون في مصر - رحاء النقار المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٨١، و: مظاهر الغزو الثقافي الصهيوني - لمصر - حلمي سالم - شؤون فلسطينية - أيلول ١٩٨١، و: المؤتمر الاستثنائي للوزراء العرب ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي - السورية - حول: العزو الثقافي الامبريالي للوطن العربي - كانون الثاني ١٩٨١.

مفهوم احادي، وهم في مفهومهم هذا، يسقطون من حسابهم شكل أساسي من أشكال التبعية الخطرة، وهو تبعية الثقافة والاعلام ــ لنظام الحكم ــ الوطني ــ وهي التبعية التي غالبا ماتكون في الانظمة اللاديمقراطية العربية ـ وهي التمهيد الموضوعي لتلك التبعية للاستعمار الخارجي.

الثقافة في هذا الشكل ـ الوطني ــ من التبعية ـ تصبح هي ثقافة النظام ونظريته وفلسفته ـ والخروج عليها يعتبر خرق .. وعداوة ـ للوطن ــ الذي هو في مثل هذه الحالة متجسدا في النظام، لانه كما هو واضح مما تقدم فوق المجتمع والوطن ــ المتربع فوقهما .. والاعلام الرسمي في هذا الشكل الوطني ـ من التبعية ــ يصبح أداة تفسيبر لخطاه القويمة.. بطريقة ديماغوجية تبريرية مضللة، تستلب المواطن من عقله وترميه في مهاوي الوهم والضلال، وتخلعه عن ثقافته واعلامه الحقيقيين، مما يوقع المواطن في بلبلة ذهنية وضبابية في الرؤية، وضياع وعجز عن فهم مايدور حوله بشكل سليم ومن ثم الانسياق وراء النظام حتى وان انتقل بمواقفه وسياساته من النقيض الى النقيض المضاد.

ففي فترة سابقة كتبت ـ د. عائشة عبد الرحمن ـ عن اسرائيل قائلة :" ما تصورت من قبل وأنا اوغل في الكشف عن ذرائع الاسرائيليات في الغزو الفكري ـ ان الشيطان نفسه ، يمكن أن يصل الى ذلك المدى الرهيب من حيث الشر ومكر الحيلة والدهاء، ولا خطر على بالي أن عصابات اليهود المشردين كانوا وراء مانكبت به البشرية في العصر الحديث ، من أهوال الحروب وعواصف الفتن والفوضى والانحلال والالحاد، وانهم ينفذون مؤامرة رهيبة للسيطرة على العالم كله " (١) .

ولهذا فان ـ د. بنت الشاطئ ـ قد وصلت الى الحد الذي اعتبر دعوة الى حرب صليبية جديدة ضد اليهود في كافة انحاء العالم.

هذا في حين قال ـ توفيق الحكيم ـ لأنور السادات :" تحية لموقفكم الراسخ أمام الاقزام، لقد أفزعهم صلح الفئتين المتحضرتين ـ بعد اطمئنانهم الى ضعف مصر لتذل تحت أقدامهم ، مالهم وجهلهم سوى المقاطعة والتخريب ـ وخوفهم من قوة مصر بعد الصلح، لانهم يريدونها منهكة القوى بالحروب لتستنجد بهم وتتملقهم فيحتقرونها ،

---

(١) د. عائشة عبد الرحمن ـ الاسرائيليات في الغزو الفكري ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٥، وواضح أن الكتاب هو تجميع للمحاضرات التي كانت تلقيها ــ قبل زمان صدور الكتاب بسنوات ــ في معهد البحوث والدراسات العربية .

فالى الامام نحو الكرامة والحضارة، وخطوة من المتحضرين نقابلها بخطوتين، ولن ترجع مصر مع المتخلفين الى الوراء. فالتقدم دائما والمجد لمصر المتحضرة".(١) .

إن الانتقال من النقيض الى النقيض ـ هي سمة كل فكر تابع لمواقف السلطة الحاكمة: فحينما كانت ايديولوجية النظام قائمة على العداء السافر للعدو الصهيوني الذي يحتل الوطن ... راجت في سياق الاندماج مع ايديولوجيا النظام الحاكم التصورات العصبوية التي تنسب كل شرفي الكون وفي التاريخ ـ الى العدو الصهيوني ـ وحينما انتقل النظام بايديوجليته ومواقفه وسياساته وخطواته العملية الى الموقع النقيض لها ـ وانكفأ بمصر ـ الحضارية ـ على ذاتها الرفيعة وتعانق مع ـ الاسرائيليين ـ المتحضرين الاكفاء ـ انتقلوا معه الى نفس الموقع ودون تردد وبحماس شديد؟! فمن المفيد هنا ـ أن نعيد التأكيد على تطابق الدعوة الانعزالية عند ـ توفيق الحكيم . وأمثاله من الادباء والمفكرين والمثقفين المصريين ـ مع الدعوة العرقية العنصرية الصهيونية، التي ترى ازدهار المنطقة في ـ تكامل العبقرية اليهودية ، مع الكفاءات البشرية المصرية، ومع القدرات المالية العربية.

ان أحداث البلبلة وتشويه الحقائق ومحاولة خلع الجماهير عن فكرها وثقافتها الوطنية والقومية العربية المستقيمة والراسخة ـ نتاج طبيعي لهذه الذيلية الفكرية والاعلامية ـ للنظام الحاكم وهذا لايعني أن هذا النظام وأمثاله من الانظمة العربية اللاديمقراطية .. يمتلك ايديولوجيا أو نظرية متكاملة وخاصة به وطنيا ـ أو فلسفة من صنع تجربته الخاصة ـ يهتدي بها ـ بل خليط غير متجانس من شتى الايديولوجيات والنظريات والفلسفات ـ وعلى الاخص المثالية والغيبية منها.

---

(١) "الأهرام ١٩٧٩/٥/٧، برقية من توفيق الحكيم: وعاد توفيق الحكيم ليردد نفس الدعوة قائلا: ان التعاون بين الاكفاء لايمكن أن يودي الى نتائج سيئة، والدليل على ذلك أن بعض المتفوقين من المصريين يسافرون الى بلاد متقدمة،ويحققون فيها تقدما علميا مذهلا، ان التحضر والتقدم سرعان ما يتجه الى التعاون والتنافس المثمر أكثر مما يتجه الى التخريب والدولة التي تحرب الاخرين بشرف هي دولة متقدمة، توفيق الحكيم: لماذا أرسلت برقيتي الى السادات ـ الاخبار القاهرية ١٩٧٩/٥/٩.

الفكر السلطوي الحاكم ومنابع التبعية:

إن التبعية الثقافية والاعلامية - للانظمة الرجعية واللاحيمقراطية المستبدة - هي في جوهرها، تبعية للفكر الاستعماري وفلسفته. إن رواج النظريات البرغماتية والوضعية المنطقية - والغيبية - والنتشوية وغيرها من فلسفات مثالية ميتافيريقية - في فكرنا العربي الحديث - لهو دليل على الارتباط بين فكر هذه الانظمة وبين الفكر الذي يرتكز عليه الاستعمار في الغرب ، ولقد شهدت التفسيرات الفكرية والاعلامية التي غمرت حياتنا العربية - اثر هزيمة حزيران عام ١٩٦٧، لاسباب الهزيمة وعواملها المختلفة - على طغيان وسيادة علم الاجتماع الامريكي الذي يفسر انحرافات المجتمع باعتبارات اخلاقية وغيبية - وليس من خلال علاقات الانتاج .. التي تحكم المجتمع - فأسباب الهزيمة موجودة في المجتمع العربي ، وفي الاخلاق السياسية والاجتماعية ، التي يتعامل بها الافراد والجماعات، فما يجب اذن لا يتعدى اعادة التربية الاخلاقية وتطهير النفوس من الشوائب ؟! فقراءة اسباب الهزيمة - هنا - لا تتم من خلال مفاهيم : طبقة - صراع طبقات - نظام انتاج كولونيالي - تبعية اقتصادية - سياسية - فكرية وثقافية... بل من خلال جملة مقولات ايديولوجية غيبية - اخلاق - افراد - جماعات مستهترة - غافلة...الخ[1] .

إن هذه التبعية الثقافية والاعلامية - المزدوجة - لاتعزز العجز ... فحسب ، بل هي تخلف ايضا في موازاته وقصورا في الرؤية السياسية.. الامر الذي يزيد في اتساع الثغرات التي يتسلل منها العدو لتطبيق.. مشاريعه ومخططاته على واقع المنطقة العربية وتحت عناوين متعددة، كتسوية ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط، مثلا.

يضرب - د. ابراهيم ابو لغد - مثالا على ما نقول - وهو يعرض لتصورات الاعلام العربي وطبيعته في امريكا فيقول: الاعلام العربي في امريكا انطلق من منطلقين أساسيين : الاول :- أن تأييد امريكا للصهيونية وبالتالي لدولة اسرائيل - ومدها بالمعونات الاقتصادية والعسكرية ينبثق من مصدرين: الاول هو المؤامرة الصهيونية الكبرى والتي حاكها الصهاينة، التي عبأت القوى اليهودية المسيطرة على أمريكا في سبيل التحكم بالسياسة الامريكية في الوطن العربي ، أما المصدر الثاني فهو الجهل الامريكي لحقائق الوطن العربي وحقوق الشعب الفلسطيني، على الاعلام العربي اذن -

---

(١) د. فيصل دراج - ملاحظات حول الصحافة العربية في الخامس من حزيران - شؤون فلسطينية - العدد٤٦ حزيران ١٩٧٥.

أن يؤكد على أن السياسة الامريكية، ان تحررت من قيود الصهيونية وتلاعبها ، لابد وأن تتبدل وتصبح أكثر عدالة وتفهما للشعوب العربية والقضية الفلسطينية [1] .

إن هذا الوهم ـ السياسي ـ لاينطوي فحسب على تجاهل العلاقة العضوية بين امريكا واسرائيل ـ تلك العلاقة التي تقوم على وحدة كاملة في المصلحة الاستعمارية ـ لاينقصها بحال وهم تحرير الارادة الامريكية من الحصار الصهيوني ـ ولا ينقصها وهم احتلاء الادارة الامريكية ـ فجأة ـ لحقوق الشعب الفلسطيني، بعد زوال الغشاوة الصهيونية المضللة عن عينيها، وانما هو ينطوي فوق ذلك على تبرير مشروعية الغزل والحوار مع الادارة الامريكية ـ لتحييدها أو لرفع الغشاوة عن عينيها المضللتين؟! وضمان التواصل العربي ـ الامريكي، وهناك العديد من الاطروحات العربية المتباينة الشكل والمتحدة المضمون بهذا الاتجاه في المرحلة الراهنة.

إن كل ما تقدم يرتكز على حقيقتين جوهريتين: الاولى ـ ان التبعية الثقافية والاعلامية ـ للفكر الامبريالي الصهيوني ، لاتنجز أهدافها كاملة الا برديف داخلي محلي لها ـ هو التبعية للفكر والاعلام البرجوازي الحاكم في معظم البلدان العربية. الثانية ـ ان المشكلة الثقافية والاعلامية في الوطن العربي ـ هي جزء صميم من مشكلة التحرر الوطني والقومي ـ العربية ـ تتردى بترديها وتنهض بنهوضها، ومن ثم فان اية اتجاهات لتجاوز هذه المشكلة الثقافية والاعلامية لاتربطها بتجاوز مشكلة التحرر الوطني العربية، ستظل تجاوزات جزئية ضعيفة غير مجدية ، على الرغم من بسالة ونبل شتى المحاولات التي تقاوم الغزو الثقافي والاعلامي ـ الامبريالي ـ الصهيوني ـ الراهن.

---

(1) د. ابراهيم ابو لغد ـ الاعلام العربي ـ واجتياح الحصار الاعلامي الامريكي ـ الصهيوني ـ في أمريكا ـ شؤون فلسطينية ـ العدد ٤١ و ٤٢ ـ كانون الثاني وشباط ١٩٧٥.

ومفهوم ـ ابو لغد ـ هذا ـ يذكرنا بما طرحه ـ محمد حسنين هيكل ـ بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ حول امكانية ـ تحييد ـ امريكا في صراع الشرق الاوسط.

الفصل الثالث عشر :

الاعراق والسلالات والجينات الوراثية التي جعلها الغرب عنصرية

على الرغم من الشك في فعالية السلاح الديني ، الآخذ في التقهقر ، في عصرنا الراهن في قهر البشر ومحاولات التستر به .. لاستغلالهم وتسخيرهم لخدمة من يدعون تفوقهم العرقي والحضاري منذ القدم وحتى عصر تكنولوجيا والفضاء وأسلحة الدمار الشامل في الغرب، فمازلت الامبريالية ومعها الصهيونية متمسكة به وتستعمله حيث ينفع تماما مثلما كانت تستعمله الكنيسة والاقطاع معا فيما مضى في اوربا.

ومع ذلك فانها لم تترك هذه المسألة رهنا بالصدف والتجارب، ودون اتخاذ تدابير احتياطية وايجاد سلاح رديف او بديل، لضمان المزيد من الفعالية، في خداع الشعوب المتخلفة واستغلالها والسيطرة عليها، ثقافيا وعلميا، وادامة تخلفها وضعفها وتبعيها ودفعها للشعور بالانحطاط والدونية.

وذلك باستخدام كافة الوسائل والاسلحة الاكثر تأثيرا وفعالية، ومنها السلاح البيولوجي - الفيزيولوجي - والجينات الوراثية اضافة الى السلاح التقليدي الديني عامة والتوراة خاصة ، هذا عدا الاسلحة الاخرى الفتاكة.

وعلى هذا الاساس زعمت الامبريالية مؤخرا بأن العلماء في الغرب استطاعوا اكتشاف نوعين مختلفين من **الجينات الوراثية** التي تتحكم في سلوك الانسان وفي قابليات تطوره العقلي والمعرفي... وذلك من أجل تدعيم نظريتها العرقية العنصرية...المتصدعة، وبالتالي تحميل الطبيعة المادية والارادة السماوية معا هذه المرة، مسؤولية تكوين البشر على هذا النحو من الفوراق النوعية بينهم:-

١- **النوع الاول** : من هذه الجينات الوراثية يتمتع من يحملها ـ حسب الزعم الامبريالي - بقابليات عالية للتطور والارتقاء العقلي والمعرفي والحضاري، والسلوك الحصيف، بشكل متواصل عبر الاجيال المتعاقبة ، للسلالة - للعرق - المتصف بمثل هذه الطبيعة التكوينية: البيولوجية - والفيزيولوجية - والوراثية - التي يستحيل على الانسان تغييرها مهما حاول ، وهذه الخاصية النوعية الفريدة ... جعلتها الامبريالية ـ محصورة بالعرق الابيض في الغرب دون سواه من البشر ، مما جعله يتميز بالنبوغ والعبقرية العقلية والفلسفية والعلمية، والرقي في السلوك والابداع الحضاري عبر التاريخ، كما تزعم.

٢- **النوع الثاني** : خامل ويفتقر حاملها الى قابليات التطور الى مستوى النوع الاول، وهذه الخاصية الجينية، يتصف حاملها بالقصور والتخلف والدونية وهي خاصية ملازمة وراثيا للاعراق والالوان غير البيضاء من البشر ؟! ، لقد سخرت

الامبريالية العديد من العلماء المأجورين فاقدي الضمير والامانة العلمية، لاختراع تلك الجينات الوراثية، عديمة الوجود أصلا، على هذه الشاكلة ... وطرحها للتداول وعبر المحافل والندوات والمؤتمرات العلمية المتخصصة ودفعت الى أجهزة الدعاية والاعلام ودور النشر لطباعتها وتوزيعها وتحويلها الى دعامة أساسية للنظرية الثقافية العرقية العنصرية الغربية، التي مابرح أصحابها يؤكدون بأن تلك الفوارق النوعية في التكوين... والقابليات ... بين العرق الابيض في الغرب والاعراق الاخرى في العالم الثالث وبخاصة العرب تكمن في تلك الجينات الوراثية التي جعلتها مشيئة السماء على هذا النحو غير المتساوي والمجحف وغير المنصف، بالنسبة للاكثرية من بني البشر، الذين يخضعون قسرا لمثل هذا التحكم الجائر من قبل جيناتهم، وبصورة دائمة ودون تفريق بين ذكر وانثى، ولهذا يتسم سلوكهم بالهمجية والعدوان والتخريب وعدم التقدير للعواقب مما جعلهم قاصرين عن حكم أنفسهم بأنفسهم.. ولسوف يبقون، بسبب ذلك في موضع التبعية والعبودية وخدما للعرق الابيض في الغرب ابدا؟؟! حسب تلك المزاعم انهم من خلال هذه البدعة، عن الجينات الوراثية، وتلك النظرية...العنصرية، يحرفون نظرية البقاء للاقوى، لداروين، لتأكيد مزاعمهم، في حين يتبنون نظرية مالتوس، عن السكان، والتي تجيز ابادة الفائض من البشر غير المبدعين، لخلق التوازن، كما يزعمون بين معدلات نمو وتزايد السكان، وكميات الانتاج الغذائي المتاحة، علما أن ذلك غير صحيح ايضا ولن يخفي غاياتهم الشريرة، لاسيما وأنهم يتلفون سنويا عشرات الاف الاطنان من شتى انواع الانتاج الغذائي ، للتحكم بالعرض والطلب وتجنب تدني الاسعار وضمان الربح الوفير. **ولنقرأ معا بعض ما كتبته مجلة عالم المعرفة الكويتية** في العدد رقم١٤٨ نيسان ١٩٩٠ بهذا الخصوص تحت عنوان: "**عالم الاحياء والايديولوجيا والطبيعة البشرية**" ـــ تأليف: ستيفن روز وآخرين - ترجمة: د. مصطفى ابراهيم فهمي مراجعة: د. محمد عصفور وخاصة حول:

الحتمية البيولوجية الوراثية:-

تطورت الايديولوجيا العامة للحتمية البيولوجية ـــ الطبيعية ـــ الوراثية البشرية في الاعوام المائة والخمسين الاخيرة، لتصبح نظرية علمية شاملة، تذهب الى أبعد كثيرا من مجرد القول - إن صفات الفرد الاخلاقية والعقلية موروثة... فهي في الحقيقة **محاولة**

لاقامة نظام كلي لتفسير الوجود الاجتماعي للبشر، وأساس هـذا النظـام همـا المبـدآن القائلان: " ان الظواهر الاجتماعية للبشرية هي النتائج المباشرة لتصرفات الافـراد، وان تصرفات الافراد هي النتائج المباشرة لخصائص جسدية فطرية" فالحتمية البيولوجية هـي إذا تفسير تبسيطي للحياة البشرية تنفذ فيـه سـهام السببية مـن الجينـات "الوراثيـة" الى أفراد البشر ومن أفراد البشر الى البشرية... وفي الحقيقة إنها أكثر مـن مجرد تفسـير... بل هي سياسة مرسومة ومحددة الاهداف فاذا كان التنظيم البشري وما فيه من عـدم المسـاواة ... في الوضـع الاجتمـاعي والثروة والسـلطة نتيجـة مباشـرة لبيولوجياتنـا ـ وجيناتنا الوراثية ـ الفطرية ـ الطبيعية الراسخة الخـالدة أبـداً،كما يزعمـون ـ فانـه مـامن اجراء يمكن عمله لاحداث تعديل جوهري في البنية الاجتماعية أو في وضـع الافـراد و الجماعات من داخلها الا اذا تم تنفيذ برنامج هائل مـن الهندسـة الوراثيـة... فمـا نحـن عليه هو وضـع طبيعـي، واذا فهـو ثـابت وربمـا ناضلنـا وأصدرنـا القوانـين، بـل قمنـا بالثورات .. ولكننا نفعل ذلك سدى، كما يزعمون، فثمة فـروق طبيعيـة بـين الافـراد والجماعات، تلعب دورهـا ازاء خلفيـة مـن الكليـات البيولوجيـة للسـلوك الانسـاني، وسوف يهزم في النهاية كل ما قد تبذل من جهود غير متنورة في سبيل اعـادة تكويـن وتنظيم المجتمع، ويقولون: ربما كنا لانعيش في أفضـل عـالم ـ يمكـن تصـوره ـ ولكنـا نعيش في أفضل عالم ممكن ؟!.

فقد أصبحـت نظريـات الحتميـة البيولوجيـة... عنصـرا هامـا في المعـارك السياسـية والاجتماعية... طيلة العقود القليلة الماضية في امريكا وبريطانيا ـ وبعـد ذلـك في سـائر أوروبا الغربية وقد بدأ ظهور أحدث موجة من التفسير البيولوجي للظواهـر الاجتماعيـة في مقال لأرثر جنسن في مجلة ـ هارفارد التربويـة ـ في عـام ١٩٦٩ ـ يقـول فيـه " إن الفارق بين أداء السود والبيض في اختبارات معامل الذكـاء ـ هـو معظمـه وراثـي ... ولذلك ليس بامكان أي برنـامج تربـوي أن يسـاوي بـين الوضـع الاجتمـاعي للسـود والبيض، وأن من الافضل للسود أن يتعلمـوا اداء الاعمـال الـتي تغلـب عليهـا الصبغـة الميكانيكية... التي جعلتهم جيناتهم مهيئين لادائها لانعدام الذكاء عندهم، ثـم ظهـر ـ ريتشارد هرنشتين وهو استاذ آخر لعلم النفس في هارفارد ـ اذ سرعان ما قام بتوسيع الزعم بالانحطاط الوراثي للزنوج والطبقة العاملة عامة بصرف النظر عـن لـون بشـرتها وأصولها العرقية ونشر على نطاق واسع، ولم يفـت عضـو الحكومـة الامريكيـة دانييـل موينهان ـ أن يدعو الى الاهمال ـ البريء للفقراء ـ نتيجة تأثره بمذهب ـ جنسن ـ وقـد

وجدت حكومة ـ نكسن ـ في الحجج الوراثية المبررات للخفض الشديد لنفقات الخدمات الاجتماعية والتعليم .

أما في بريطانيا فقد قام عالم النفس هانزا يزنك ـ بالترويج لدعوى وجود فروق بيولوجية بين الاجناس في معامل الذكاء ـ وأصبحت هذه الدعوى جزءا من الحملة ضد هجرة الاسيويين والسود، والمعنى المقصود من الانحطاط العقلي للمهاجرين يفسر تلقائيا المعدل العالي لبطالتهم ، كما يفسر عبء مطالبهم على جهاز الخدمة الاجتماعية الذي يدفع باتجاه الحد أو منع هجرة المزيد منهم... وممارسة الضغط لتهجيرهم الى الخارج.. اضافة الى اضفاء الشرعية على التفرقة العنصرية، التي تنادي بها الجبهة القومية ـ الفاشية ـ التي تدعي في برنامجها ـ ان البيولوجيا الحديثة اثبتت أن الاسيويين والافارقة ... منحطون وراثيا.

كما ظهرت مؤخرا دعاوي بوجود فروق بيولوجية أساسية بين الجنسين ـ في الامزجة والقدرة والمعرفة والدور الاجتماعي ـ الطبيعي ... وقد تناولت الجرائد والمجلات الاكثر انتشارا في الولايات المتحدة الامريكية أخبار المعارك الاكثر احتداما والحملات الواسعة التي نجحت في افشال المطالب السياسية لحركة النساء ومنع اقرار الحقوق المتساوية للجنسين في دستور الولايات المتحدة الامريكية ـ الذي مازال يكرس التفوق الاجتماعي للذكور ..الخ.

وهو ما دفعنا لتناول موضوع الجينات الوراثية بشيء من التفصيل لتفنيد مزاعم الامبريالية... التي أعلنت ـ ما هو مخالف للحقائق في المجال الجيني والبيولوجي والفيزيولوجي معا.

يقول د. وجدي عبد الفتاح ـ في موضوع " بصمة الجينات والطب الشرعي " ، الذي نشرته مجلة العربي ـ الكويتية ـ في العدد ٤٤١ اغسطس ١٩٩٥، ص ٨٣ ـ ٨٦ " إن الجينات الوراثية هي عبارة عن جزيئات تشبه اللخيوط المجدولة ، وتسمى الحامض النووي ـ الريبوزي، المختزل **D.N.A** وتحتوي هذه الجينات على الصفات الوراثية ، بداية من لون العينين حتى أدق التركيبات الموجودة في جسم الانسان ، وتترتب الجينات في خلاياه على " ٢٣ " زوجا من الكروموزومات في نواة الخلية، والكروموزومات مركبة من الحامض النووي ـ وبروتينات وهذه البروتينات تلعب دورا مهما في المحافظة على هيكل المادة الوراثية وتنظيم نشاط الجينات الذي يؤدي الى تكثف وتكوين الفرد الكامل من خلية الزيجوت، وتوجد بعض الجينات في ـ

الستوكوندريا ، وتورث عن طريق الام، وتكمن الخصائص الوراثية لاية خلية في تتابع الشيفرة الوراثية، وتتابع القواعد النيتروجينية الاربع ... للحياة وهي الادينين ـــ والجوانين ـ والسيتوزين ـ والثايمين ـ التي تكون المادة الوراثية المسؤولة عن حفظ ونقل الصفات الوراثية من فرد لاخر ".

وأنا أضيف : عبر تسلسل الاجيال ، بما في ذلك التعديلات الوراثية التي يمكن أن تحدث عبر اجيال عديدة ، وذلك لعوامل داخلية بيولوجية كالتلاقح والتهجين ..الخ. واخرى خارجية كتأثيرات الوسط والبيئة والعوامل الاخرى.

ويضيف د. وجدي: " ان جيفرس ـ من جامعة لستر ـ بالمملكة المتحدة، تمكن مؤخرا من اكتشاف اختلافات في تتابع الشيفرة الوراثية في منطقة الانترون ـ متمثلة في الطول والموقع، وقد وجد أن هذه الاختلافات ينفرد بها كل شخص تماما مثلما ينفرد في بصمة اصبعه... باستثناء نوع نادر من التوائم المتماثلة الناشئة عن انقسام بوضة مخصبة واحدة، وبحساب نسبة التمييز بين الاشخاص في هذا التماثل وجد أن النسبة لاتتعدى " ١ ـ ٣٠٠ " مليون، أي أن من بين " ٣٠٠ " مليون شخص يوجد شخص واحد فقط يحمل نفس الصفات الجينية الوراثية كما وجد أيضا أنها تورث طبقا لقوانين ماندل الوراثية، أما الاختلافات في التركيب الوراثي لمنطقة ـ الانترون ـ فينفرد بها كل شخص تماما وتورث ، أي ان الطفل يحصل على نصف هذه الاختلافات من الام وعلى النصف الاخر من الاب ، ليكون مزيجا وراثيا جديدا منفردا بجميع خصائص الوالدين وخصائص مستودع وراثي متسع من قدامى الاسلاف،**كما وجد أن ... الصفات الوراثية** تختلف باختلاف الانماط الجغرافية للجينات في شعوب العالم ، فيختلف الاسيويون ـ الجنس الاصفر أو المغولي عن الافارقة...الخ.؟

إن هذا الاختلاف قد تم تخطيه منذ زمن بعيد بعد أن تم تخطي انماط العيش والحياة المحافظة السابقة التي كانت متميزة بانعزال السلالات والاقوام.. بعضها عن البعض الاخر الى حد كبير جدا قديما، وذلك من خلال الانفتاح والهجرات والحروب والتمازج والاختلاط والتلاقح والتهجين... الذي حصل عبر التاريخ بين مختلف السلالات والاعراق والشعوب ، وليس أدل على ذلك من تركيبة المجتمع الامريكي على سبيل المثال.

وعليه لايمكن التسليم بمزاعم الامبريالية عن وجود نوعين مختلفين من الجينات الوراثية من حيث الخصائص والصفات والقابليات ... التي ينفرد بامتلاك احداهما العرق الابيض وبالنوع الاخر شعوب العالم الثالث.. الخ. فاذا كانت موجودة ففي عموم البشر. فقبل أن نتابع تفنيد تلك المزاعم ، دعونا نعرف مما تتركب الخلية وما هو دورها:

الخلية: تتشكل الخلية في الانسان على النحو التالي:

أولا ـ النواة : ١ـ الغشاء النووي ، ٢ـ الشبكة الكروماتينية، ٣ـ السائل النووي ، ٤ـ الجينات والبروتينات النووية.

ثانيا ـ محيط النواة : ١ـ الغشاء الخلوي ، ٢ـ السيتوبلازما ، ٣ـ السيتوكندريا ، وتشتمل على بعض الجينات أيضا ، ٤ـ اجسام جولجي ، ٥ـ الفجوة ومنها غذائية ومنها عصارية ، ٦ـ العصيات، لتوليد الطاقة وفيها الانزيمات ، ٧ـ الرايبوسومات ، ٨ـ الشبكة الدندوبلازمية. والخلايا السليمة تتمع بقابلية الانقسام الدائم ذاتيا لسد احتياجات الجسم من تلك الخلايا المتكونة عن ذاك الانقسام.

لقد صارت الخلية منذ ظهورها **الشكل الاساسي لتطور** الحياة اللاحق، فقد ولدت معها خصائص حاسمة للحياة جديدة كيفيا، بما في ذلك الوراثة وتحولها ... فالوراثة هي حفظ نمط معين من ـ الايض ـ التبادل الغذائي.

فقد كتب ـ ليسنكو: ان الجهاز العضوي والشروط الضرورية لحياته مترابطان ويكمل احداهما الاخر، **ويعرف الوراثة بقوله:**" . خاصة من خصائص الجسم الحي في تطلب شروط معينة للعيش والتنمية ، والقيام برد فعل وفق شكل معين في هذه الشروط أو تلك، وهكذا لم تستطع الوراثة أن تظهر خلال تطور المادة الحية الاعلى اساس الارتباط الوثيق بين الجهاز العضوي ووسطه". ينتج عن ذلك أن تبدلات الوراثة تلعب دورا حاسما في تطور الجياة ، هي ردود فعل علي تبدلات الوسط المحيط.؟

أما داروين ـ فيقول صراحة: " اذا كان كل جزء من الجهاز العضوي خاضعا لتحول فردي في أية سن، وكانت هذه التحولات تميل الى الانتقال وراثيا في السن ذاتها أو في سن أبكر وهو وضع يستحيل الجدال فيه ، فان غرائز الفرد الناشيء وبنيته يمكن في هذه الحالة أن تتغير تدريجيا كما تتغير غرائز وبنية الفرد البالغ، هذان التفسيران

يجب أن يبقيا أو يسقطا في الوقت ذاته الذي تبقى أو تسقط فيه نظرية الاصطفاء الطبيعي كلها ".(1) .

أما نظريةوايزمان - وماندل - ومورغان ... البيولوجية، فتتقاطع الى حد ما مع نظرية مالتوس ...عدا عن أنها شكلت السند العلمي - لاختراع الامبريالية، لاحقا لذينك النوعين المختلفين من الجينات الوراثية المزعومة.

فقد انطلق هؤلاء الثلاثة من تقسيم المادة الوراثية تقسيما كتيما الى زمرتين:

١- البذرة أو كرنين ناقلة الصفات الوراثية، ٢- المادة المغذية أو السوما ، فالمادة الوراثية: عندهم، تشكل نوعا من عالم قائم بذاته وتستقل عن باقي الجسم وشروط الحياة في الجهاز العضوي المعتبر.

والبذرة: حسب تلك النزعة اللاهوتية تبدو خالدة، ولم يسبق للمادة المغذية - السوما أن نسلتها من جديد ابدا، وتنتقل من جيل الى جيل آخر كما هي أبدا؟؟.

إن الاجسام الحية، وفق تلك النظرية، لاتشكل سوى مكان التجمع والوسط الغذائي للبذرة، المستودع فحسب ، اللذين تعجز هذه الاجسام عن تغييرهما ؟ اي أن شروط الحياة لاتستطيع تعديل الوراثة أو أن يكون - لـ كروموزوم - المادة الوراثية ، وللسوما المادة المغذية - تأثير متبادل وحاسم.

وللدلك فالميزات الفردية التي يكتسبها الجهاز العضوي خلال حياته غير قابلة للانتقال لان عوامل الوسط الخارجي ... تتدخل - حسب ذاك الزعم - بصفة علل عرضية فحسب ، او ما يعرف بالمعجزة - الربانية - التي لاقدرة أو سلطة للعلم عليها.

ينتج عن ذلك أن قانون تعديلات الصفات الوراثية والتغييرات .. لايمكن معرفتها.. وليس لها ماضي تاريخي ولا يأتي، ذلك اثر تراكم التبدلات الكيفية الصغيرة. مما يتناقض مع المبدأ الاساسي - للداروينية، وهو الصراع المستمر بين الوراثة والتآلف، تماما كالصراع بين دعاة التغيير نحو الافضل ومعارضيه.

فالوراثة خاصة لامن خصائص الكروموزومات وحسب بل من كل جزء من الجسم الحي ومن كل خلية ايضا.

فالخلايا الجنسية تلد من مجموع الجهاز العضوي من السوما كلها وليس مباشرة من بذرة الخلية الجنسية التي توصل اليها الجهاز العضوي الناضج وحدها.(2) فالتجربة

---

(١) روجيه غارودي - النظرية المادية في المعرفة - تعريب - ابراهيم قريط - دمشق ص ١٤٦ - ١٥٠.

(٢) روجيه غارودي نفس المرجع السابق ص ١٥١-١٥٩

البشرية في تطعيم الاشجار وتحويلها... وفي تدجين وتأصيل الحيوانات لدليل ليس على الترابط الوثيق بين البذرة أو الجينات الوراثية وبحمل أجزاء الجهاز العضوي للجسم بكامله فحسب بل على امكانية تعديل وتحويل وانتقال الصفات الوراثية عبر الافراد والاجيال، وذلك وفقا لقوانين بيولوجية باتت معروفة للانسان الذي أصبح قادرا على التدخل لتعديل الوراثة باستخدام علم الهندسة الوراثية والتقدم التكنولوجي وعلى النحو الذي يناسب غاياته خيرا كاانت أم شرا، ولنقل مثلا من أجل العلاج وتحسين النسل والتحصن بالمناعة الفائقة ضد االامراض الفتاكة التي زادت أنواعها وزاد انتشارها في عصرنا...الخ.

صحيح أن التطور العلمي والتقدم التكنولوجي الكبير الذي حققه الانسان في أجهزة الكمبيوتر والميكروسكوبات، والتحليل الكيميائي، وفيزياء النظائر المشعة...الخ. قد مكنه من قطع أشواط كبيرة نحو الامام في علم الحياة ـ البيولوجيا ـ والهندسة الوراثية احدى فروعه ـ واكتشاف المزيد من الجينات الوراثية والتعرف على وظائفها المختلفة حيث بدأ تدخل الانسان في العقود الاخيرة من هذا لقرن لتعديل أو تغيير بعض الجينات الوراثية لبعض الكائنات الحية ومنها الانسان مما أثار جدلا عالميا ولا يخلو من السخط في الاوساط العلمية وفي المجتمع عموما، فقد كان هناك المؤيد والمعارض، لمثل هذا التدخل في الطبيعة التكوينية وخاصة البشرية منها، باعتباره كالسلاح ذي الحدين، اذ يمكن أن يكون لخير الانسان كما يمكن أن يكون وبالا عليه، وتبعا للغايات والمقاصد، نبيلة كانت أم شريرة.

هذا في حين عارضت معظم المؤسسات الدينية لمختلف الاديان وخاصة السماوية، وبشدة ذلك التدخل، وقالت بعدم جواز العبث في الطبيعة التكوينية للانسان، باعتبارها صناعة ربانية، ومع ذلك فلاندفاع نحو المزيد من التدخل في مجال الهندسة الوراثية لم يأبه لمثل تلك المعارضة.

ونعني بالهندسة الوراثية في مجال موضوعنا هذا : آلية نقل جزء من كروموزوم يحمل جينا مختصا بتصنيع بروتين ذي مواصفات محددة ومدروسة بدقة الى كائن يفتقد هذا الجين وهي آلية دقيقة ومعقدة جدا سواء طبقت على أصغر الكائنات الحية أو على الانسان المتربع على قمة التطور... والمندفع بهذا الاتجاه دون التفات الى قيم

ومحرمات الاديان السماوية والاخلاقية والاجتماعيـة.. حينما بـدأ يـأخذ علـى عاتقـه عملية الخلق والتخليق، مـن خـلال التصرف بما هـو موجـود بـين يديـه مـن قـدرات ووسائل ومجالات رحبة لتجاربه... بعد أن تعرف على جزيئة **D.N.A** الطويلة الملفوفة كاللولب التي تحتوي حسب الاصطلاح العلمي على سر الحياة، وكان الاعتقاد السابق أن هذه الجزيئة غير قابلة للتلاعـب والعبث، ووظيفتهـا هـي اعطـاء الاوامـر لتصنيـع بروتينات معينة وفي ظروف محسوبة.

ومع تقدم علم الهندسة الوراثية، واجراء اولى التجـارب في هـذا المجـال باسـتخدام التقنيات ذات العلاقة ـ البيوتكنولوجي، تمكن الانسان أخيرا مـن معرفـة أعمـق وأشمـل للأمراض الانسانية مثل: السرطان، والايدز ...الخ، فانتعشت الآمال بانجاز علاجا انجع وتصنيع أدوية أكثر فعالية، ومنها على سبيل المثال ـ بعض البروتينات الخاصة، كمـا تم التقدم في انتاج المخصبات الزراعية، والسموم، لمكافحة الآفات وزيادة الانتاج والتقدم في حل مشاكل البيئة وتتبع آثار الجريمة ..الخ. أي أن الانسان استطاع توسـيع ميـادين تطبيق الهندسة الوراثية.

أما في مجال تطبيقها على الانسان فقد تم التدخل لتغيير تركيب خليتـه الـتي تحتـوي كما ذكرنا على " ٢٣ " زوجا من الكروموزومات ، التي تشكل مـا يشـبه الموسـوعة المؤلفة من " ٤٦" فصلا يتألف كل واحد منها من ثلاثة مقاطع جينيـة، وكـل واحـدة منها تدعى شيفرة وراثية، حسب رأي العلماء. **وتبين من خلال المسح** عبر الكمبيوتـر أن هذه الموسوعة تتكون من " ٦٦٠٠ " مليـون قـاعدة نتروجينية في حزيئة D.N.A ، داخل الخلية البشرية، فلو حصل تغير واحد في أي من هذه القواعد لتبعـة حصـول مـا يسمى بالطفرة الوراثيـة، اذ ينتـج عنهـا عطـل في انتـاج بروتـين معـين، مما يؤدي الى حدوث مرض وراثي.

فاستخدام الهندسة الوراثية في عـلاج المـرض مثـلا يعتمـد علـى تصنيـع بروتينـات معمليا، واستبدال جين معطل بجين صالح، عن طريق بعـض الفيروسـات المضعفـة الـتي تستعمل كأداة لنقل الجينات الى داخل الخلية البشرية، ولكـن معرفـة الجـين المعطـل أو المعطوب من غيره تتطلب جهودا مضنية جدا، وكان العالم ــ لوليـنز ــ المسؤول عـن رسـم خارطـة الانسـان الوراثية في الولايـات المتحـدة الامريكيـة قـد شـبه مثـل تلـك المحاولة... بمن يحاول العثور على ابرة أضاعها في كومـة قـش عظيمـة الكبر. ولذلـك رصدت الولايات المتحدة الامريكية مؤخرا ميزانية قدرهـا ثلاثـة مليـارات دولار لمـدة

١٥ سنة، وبريطانيا " ١١ " مليون جنيه استرليني لمدة ٣ سنوات ، لرسم الخارطة الجينية للانسان، ومع ذلك لم يتمكنوا حتى الان من رصد واكتشاف اكثر من "٢٠٠٠" جين من مجموع "١٠٠,٠٠٠" الف جين، فاذا كان اكتشاف الجين الواحد يحتاج الى ساعات أو أيام فان اكتشاف بعض الجينات يحتاج الى سنوات عديدة.

وعليه يمكن ادخال واستبدال بعض الجينات لاغراض علاجية أو اجتماعية ، ولغايات عرقية وعنصرية أيضا، من خلال تغيير بعض الخصائص والصفات الوراثة من أجل الوصول مثلا الى نخبة من البشر تتصف بالذكاء المميز والقوة البدنية ولون البشرة والعينين وجنس الجنين...الخ.

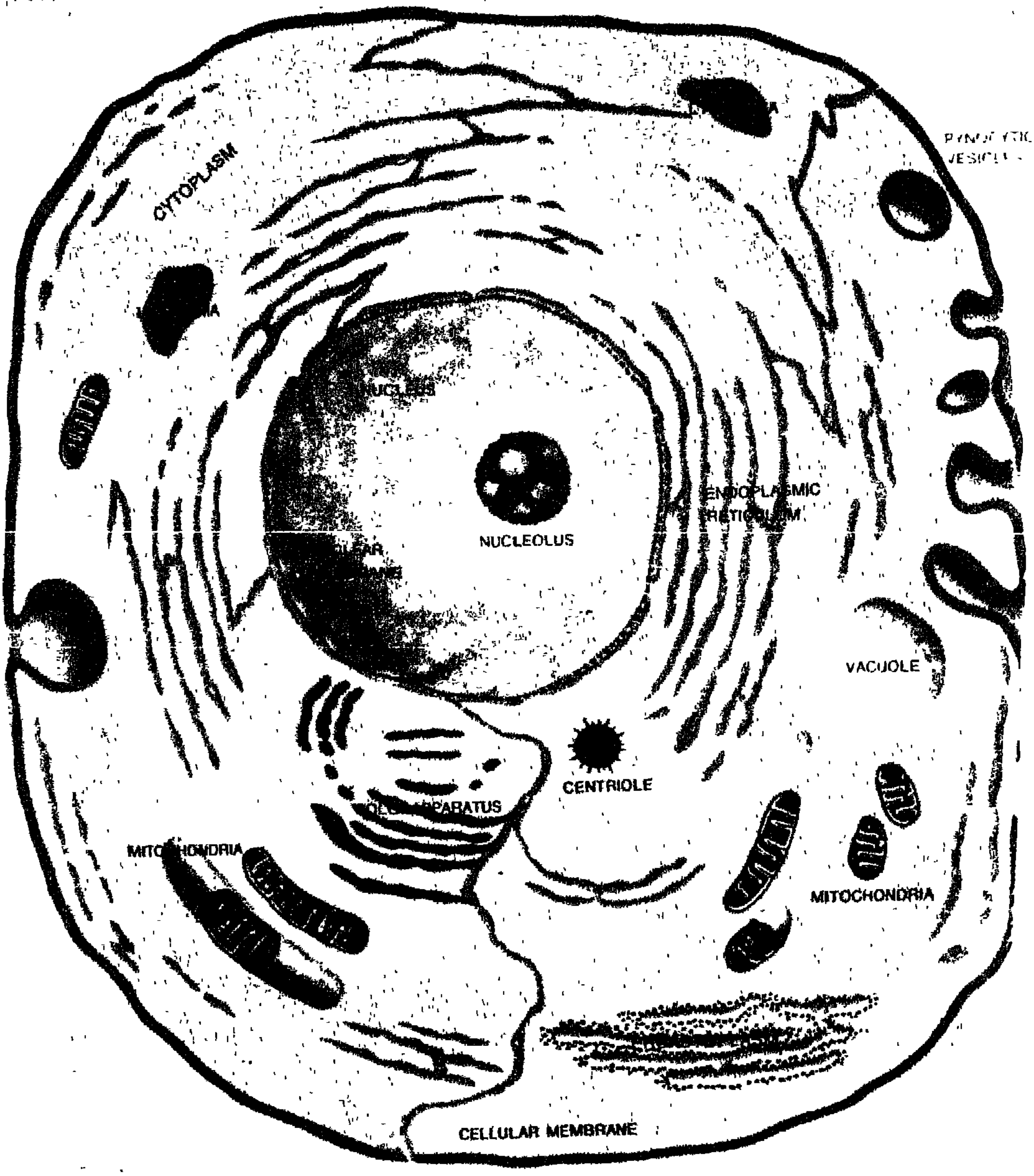
وهناك من العلماء من أكد وجود جينات خاصة بالعنف وأخرى بالشذوذ الجنسي وثالثة بالادمان على الكحول...الخ. **فقد قيل أن العالم الالماني بيرنر** قد اكتشف جين العنف من خلال دراسة ميدانية، تحرى من خلا ،لها السلوك المنحرف... فأكد أن ذلك ناتج عن التفاعل والتداخل بين التركيب الوراثي والمؤثر البيئي.

والمفهوم البيئي هذا كالمفهوم العلمي للوسط الخارجي تماما، فقد يكون المجتمع أو المجتمع والوسط الجغرافي معا. ويمكن اعتبار كامل الجهاز العضوي ـ الجسم ـ بالنسبة لما يعرف بالبذرة ... في عداد ذلك الوسط البيئي ..الخ.

ومع ذلك فقد ثبت من خلال ما تقدم عرضه أنه ليس هناك جينات ذات خصائص وصفات وراثية ـ خاصة ومختلفة نوعيا ـ عند هذه الجماعة البشرية دون الاخرى سواء كانت بيضاء أو غير ذلك.

ولذلك فان تلك القدرة على التدخل مهما تعاظمت سوف تبقى قاصرة الان وفي المستقبل عن ايجاد ما يسمى بالنخبة من البشر ... ولن تتعدى تلك التعديلات الوراثية ـ إن تمت ـ عن طريق تدخل الانسان حدود تحويل مجموعات محدودة جدا من البشر اذا طبقت عليهم شروط العزل التام... ـ وخاصة جنسيا ـ عن ابناء البشر الاخرين ولعدة أجيال متعاقبة، تماما مثلما نفعل مع الخيول التي نعمل على تأصيلها ونمنعها عن الاتصال الجنسي مع الخيول الاخرى وأشباهها ، غير المؤصلة، ومع ذلك فهناك تأثيرات الوسط الخارجي أيضا ودوره في المتغيرات الوراثية. وفي اللحظة التي ينتهي فيها مثل هذا العزل... ويتم الاختلاط والاتصال الجنسي من جديد مع الاخرين سوف تنتهي مثل هذه النخبة الفريدة المتفوقة الذكاء عن طريق التأصيل الاصطناعي

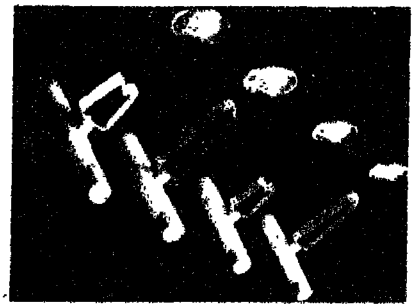
ANIMAL CELL AS REVEALED BY THE ELECTRON MICROSCOPE



صور فوتوغرافية مكبرةآلاف المرات للخلية الحيوانيةكما تظهر تحت المجهر الالكترونى ٠

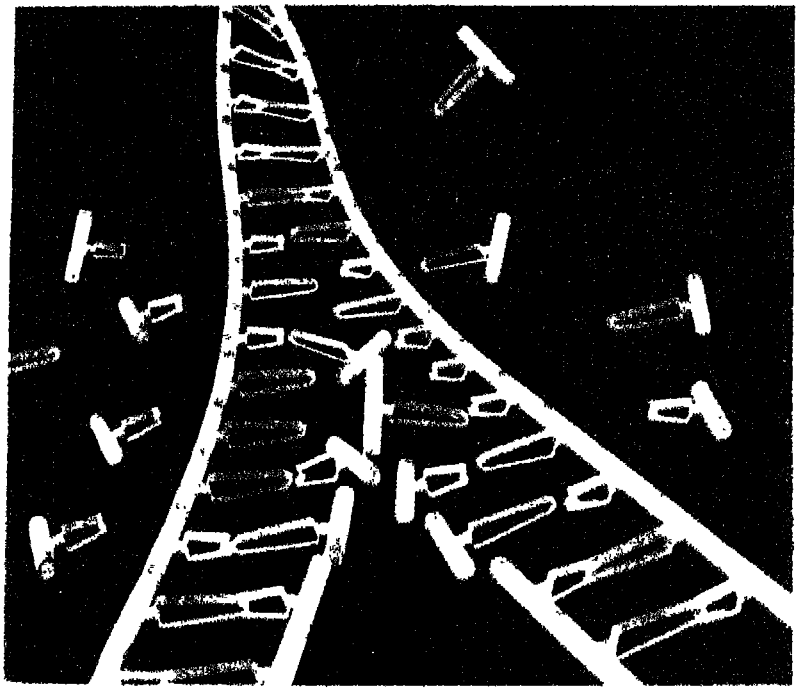
الخلايا والكروموزومات وما الى ذلك من خفايامقومات الحياة .





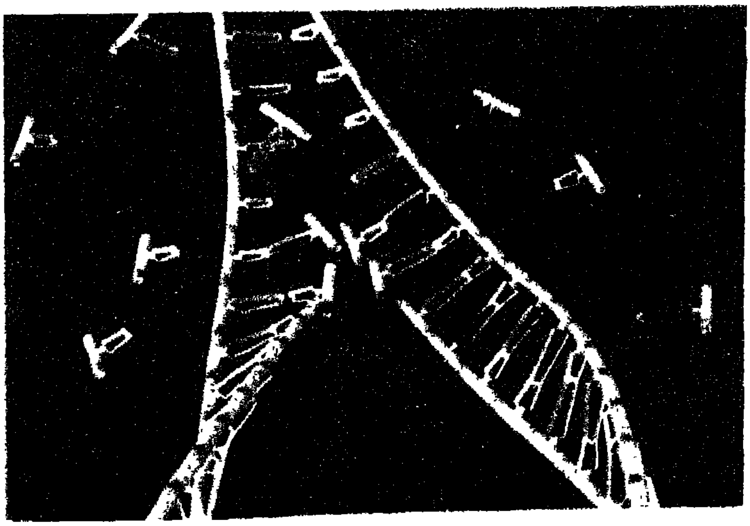
هذه قواعد دانا التى تنقل مادة الجين Gene . والوانها المختلفة تمثل موادها المختلفة .

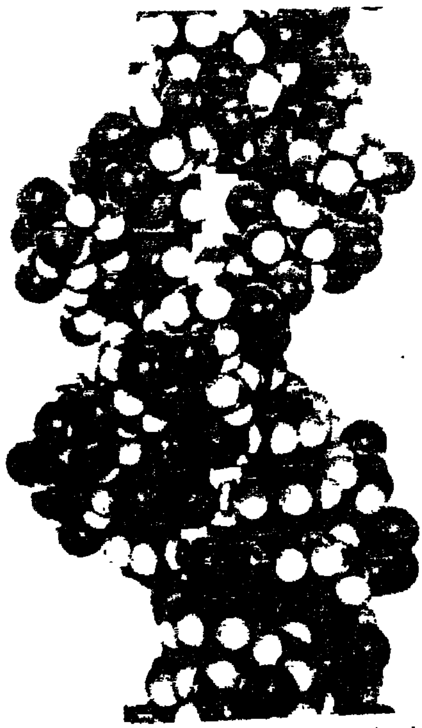
تتجلى معجزة التكاثر حينما يبدأ جزىء دانا DANA فى الانقســـام (او التنصيص) على نحو ما ترى فى الصورة .



ثم ياتى الانتظام من بعد الانقسام وهكذا يتولد عن جزيء دانا الاصلى نسختان هما طبق الاصل عنه .

النسختان وقد انفصلتا واوشكتا ان تبدا في الانقسام على نحو ما فعل جزيء دانا الاصلي .





□ نموذج لجزيء « د ن ا » وهو حمض نووي يحمل الشفرة الوراثية التي تعبر من جيل إلى جيل في شكل «كروموسومات » ، فهل في تضاعيف هذا الجزيء يكمن عنصر يورث السمات النفسية أيضاً ؟

لبعض البشر لتعود الى ماكان عليه أسلافها كسائر البشر في المجتمع الانساني، والذي لم يعد فيه أحد صافي العرق والدم في زماننا، الا اذا افترضنا جدلا أن قبائل الاسكيمو في تخوم القطب الشمالي مازالوا ـ لاختلاطهم المحدود بباقي البشر يتمتعون بمثل تلك الميزة من الخصائص البيولوجية والصفات الوراثية الخاصة جدا، دون سواهم، ويدخل في عداد ذلك زوال البشر المتفوقين عرقيا بنبوغهم المتميز، اذا ما افترضنا أيضا أنهم وجدوا في يوم من الايام بين أعراق وأقوام وشعوب الارض، رغم أن ذلك لم ولن ينطبق الا على الافراد وليس على الشعوب ودون توريث لاحفادهم نظرا للاسباب آنفة الذكر، لاسيما وأن الاختلاط والاتصال الجنسي ما بين آلاف الملايين من بني البشر عبر التاريخ، قد حطم كل السلالات النقية... وكل أشكال التقوقع والانغلاق والانعزال القبلي القديم ومختلف الحواجز وخاصة في عصرنا الذي تقلصت فيه المسافات واختفت الحدود بين المجتمعات وأصبح العالم عبارة عن قرية مختلطة تعج بكل الاجناس، ولم يعد هناك من تلك العينات السابقة ـ صافية العرق والدم ووراثيا مايذكر ـ وكذلك تلك المتميزة بنبوغها وتفوقها ان وجد أصلا... مثلما هي اليوم تماما سواء كانوا من البيض أو من الملونين أبناء العالم الثالث الذين لافرق بينهم من حيث المؤهلات...الخ.

ومع ذلك لم يتوقف الغرب وأتباعه الصهاينة يوما عن مواصلة شن حرب شعواء على كافة الجبهات، بما فيها النفسية، ومنها التشكيك بسوية الانسان العربي وبقدراته العقلية والمعرفية، والقول بعدم أهليته للارتقاء والنبوغ والابداع الفلسفي والعلمي، والحضاري ولسوف يبقى ــ نظرا لذلك ــ كما يزعمون راسغا بقيود العبودية والانحطاط والتبعية؟؟

فهم يحاولون بالاضافة الى ذلك من خلال غزو عقل الانسان العربي ودون توقف منذ زمن بعيد لتسميم وعية وزعزعة ثقته بنفسه وبكيانه القومي وبتاريخه وتراثه وثقافته ولغته العربيية الحضارية بمختلف أشكال التشكيك والتضليل والتجهيل ... دفعه الى الاعتقاد بصحة تلك المزاعم والاكاذيب الغربية المنسوبة الى العلم، على أمل أن يشعر نتيجة لذلك بضآلة امكنياته وقدراته ودوره وبهامشيه وجوده، حيث يصبح اذا ما تحقق لهم ذلك مدفوعا تلقائيا للانزواء والانطواء على ذاته بعيدا عن ميدان المشاركة والفعل والتأثير بالحياة، العامة للمجتمع أو الاستجابة لواجب الدفاع عن حريته وكرامته الوطنية في مواجهة الغزاة..الخ. وعندما يبلغ الانسان هذا القدر من

الاعتقاد الغدري الوهمي الخاطئ والتحطم النفسي، كالانكفاء واليأس والاستسلام جماعيا فانه يحكم على نفسه بالاعدام والزوال من الوجود، كشعب وكأمة وكتاريخ وحضارة. وهذا أقصى ما يتمناه الغرب، المتربع في هذا العصر ، المتسم بالظلم الفاحش، على عرش الزعامة العالمية بدون منازع.

ولذلك فهو مزهو، بقدراته: وبسيطرته على العالم المتخلف عن الركب الحضاري الغربي: وبتبجحاته الزائفة عن تميزه وعلو مرتبته التكوينية: والعقلية والمعرفية والعلمية، على سائر الاقوام والامم، لاسيما وأنه كان ومازال - كما يزعم — صانع الحضارات العالمية الاصيلة، منذ الاغريق والرومان وحتى الرأسمالية، التي قفزت خطوات جبارة الى الامام.

وكشاهد على ذلك قال -غوستاف لوبون- عالم الاجتماع والمؤرخ الفرنسي -- الذي انحاز للنازية والفاشية.. في كتابه روح الجماعة : ان التطور الصناعي الياباني في ثلاثينيات هذا القرن، ما هو إلا نفكير لن يلبث إلا ان يعود بالدمار على الشعب الياباني، لأنه بنظره عبارة عن قشرة سطحية.. ولان الابداع الحضاري والقدرة على الانتاج الصناعي .. هي خاصية لايمتلكها إلا سكان شمالي أوروبا، وأن الشعوب الأخرى مخربة ومدمرة للحضارة..الخ.

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على كبر مخاوف الاستعماريين العنصريين الغربيين من تنامي قدرات شعوب العالم الثالث وتمكنها من الافلات من قبضة الاستعمار الغربي ومختلف اشكال النفوذ والتبعية - وامتلاك قدرات عسكرية واقتصادية.. كافية للمواجهة والمنافسة مع الغرب الاستعماري، بما في ذلك اليابان الذي اصبح في عداد الدول الصناعية الكبرى - رغم انف العرب، الذي لم يحقق ما حققه من تقدم وثراء ورخاء إلا على حساب شعوب العالم الثالث وما سرقه او نهبه من ثرواتها وجهودها بالقوة والاكراه والاستغلال، إضافة إلى دفعها للتناحر والاقتتال على الدوام لانهاكها واضعافها واستنزاف طاقاتها ومواردها وجعلها بحاجة دائمة إلى المزيد من الاسلحة الدفاعيه.. التي يتحكم بانتاجها ويحتكر الاتجار بها الغرب، فقد بلغت مبيعات الدول الغربية الكبرى وحدها من الاسلحة عام ١٩٩٠ - ٣٨٨ مليار دولار أمريكي على سبيل المثال، فكان منها ١٦٨ مليار إلى الشرق الاوسط و ٦٥ مليار إلى أفريقيا و ٦١ مليار إلى الشرق الاقصى و ٥٠ مليار إلى جنوب أسيا و ٤٤ مليار إلى أمريكا اللاتينية.

صحيح أن الامبريالية وملحقتها الصهيونية قد استطاعت في هذا العصر قهر الانسان واستعباده، وسخر ت الانسان في الغرب وحولته الى مجرد سفاح قاتل. **ولكن هل هذا يعني نهاية كل شيء؟!..** فلا أحد يجزم أو يحول دون حدوث المتغيرات..فالانسان الغربي واليهودي الذي جعلت منه التعاليم والتربية التوراتية والدعاية والتحريض والتعبئة الدينية والعرقية العنصرية ـ والشوفينينة .. معمي البصر والبصيرة، وأجوف الضمير والوجدان والاخلاق والدين، كما جعلته انانيا متوحشا ـ لايرعى ذمة أو عهدا ـ وعدوا لكل ما يمت الى الانسانية الحقة بصلة حتى وان تظاهر احيانا بالعطف والشفقة على القطط والكلاب.. والحيوانات فان ذلك لايعدو كونه نوعا من الهواية والتسلية والعبث، للترويح عن النفس ولاخفاء حقيقته وما جبل وتربى وتمرس عليه نظريا وعمليا ونفسيا، ليكون مجرما سفاحا لايرف له جفن ولاينندى له جبين حين يمعن ذبحا وتقتيلا وتدميرا لكل شيء يضمن له جمع الثروة، ودون هوادة أو تفريق بين انسان أو حيوان أو غابات أو موارد طبيعية ـ بين رجل وامرأة وطفل رضيع وشيخ مسن، واينما كان وحيث تطال يداه وتسمح امكانياته بالوصول اليه.

فهو الذي أباد الهنود الحمر ويحاول صنع نفس الشيء مع الفلسطينين وسواهم، كما أباد الحيوانات والغابات واستنزف الموارد الطبيعية في اليابسة وأعماق المحيطات ولوث البيئة والاجواء الارضية وأخل بالتوازن الطبيعي للحياة ... وفوق ذلك فان نشوة الفوز والظفر بقتل المزيد ونهب ثروات البشر وحصيلة جهودهم واستباحة أوطانهم وانتهاك حروماتهم ومقدساتهم، تجعله متماديا متشفيا ومزهوا في غيه وطغيانه، ناظرا وبسخرية واحتقار الى الاعراق والالوان الاخرى غير البيضاء من البشر، كنظرة السيد الى العبد، والانسان الى البهائم، ومع ذلك فهو يتغنى وباعجاب مفرط برقيه وتمدنه ويسمو حضارته الرأسمالية المتعفنة، والتي هي في الواقع مصدر الشرور والاخطار الكبرى التي تهدد وجود الانسان ومستقبل الحياة على الارض بالفناء.

الفصل الرابع عشر :

عرب يجهلون تاريخهم الحضاري القديم .

نعت عرب لعرب بالجهل والجاهلية ظلم وجهل بالحقائق .

لم أرغب في المبالغة أو التهويل عندما أجزم بأنه ليس هناك أحد من العرب اليوم يعرف حقائق التاريخ الحضاري العربي القديم، رغم ضخامته وشموليته.. الا المتجاهلين ومنهم المتفرنجون.. والقلة من المثقفين الذين دفعهم حماسهم الفردي وانتصارهم لعروبتهم لبذل الكثير في سبيل الكشف عن تلك الحقائق الناصعة ومعرفة ما اعتراه من التشويه والتزوير، على أيدي الخصوم، فهالهم الامر عندما عرفوا من خلال التحري الجاد والمتابعة والتدقيق والمقارنة والمراجعة ، حجم وشمول ما أصابه من عبث وتشويه وتزوير حتى أصبح حسب الصورة التي بين أيدينا اليوم قزما مسخا لايأبه له مخلوق ولا يحوز على أدنى تقدير من العرب قبل سواهم.

فحقيقة ما هو بين أيدينا اليوم لايتعدى تلك الصورة القزمية البائسة الشوهاء التي انفرد الغرب واليهود في رسمها للتاريخ الحضاري العربي القديم، في مراحل مختلفة كان آخرها ماصاغه الغرب والصهاينة مع بزوغ فجر الرأسمالية في الغرب ووضع برسم التداول ومازال المصدر الوحيد المعتمد في مناهج التعليم الرسمي في المدارس والجامعات العربية حتى اليوم.

فقد كان للمعطيات والوثائق الاثرية المكتشفة منذ القرن الماضي وحتى اليوم في أرض العرب ومحيطها، اضافة للشواهد الاثرية التي مازالت شاخصة بشموخ حتى اليوم على ضفاف النيل والرافدين وبلاد الشام وسواها... والمصادر التاريخية الاخرى القليلة والنادرة والمتناثرة هنا وهناك في مخطوطات البلدان العربية واالاجنبية وفي مقدمتها ما تركه المؤرخون الاغريق منها، الدور الاساس والحاسم في الكشف عن مواطن التشويه والتزوير التوراتي وا لغربي، اضافة الى التثبت من حقيقة أن العرب القدماء هم أول من بنى أرقى الحضارت العالمية ، بأصالتها وشمولها على الاطلاق منذ ماقبل الالف الرابع ق.م.، وما بعد.

ولقد شهد بذلك العديد من علماء الغرب المنصفين الذين ورد ذكرهم في متون هذا الكتاب وأسهموا في الكشف عن تلك الكنوز الاثرية للحضارت العربية القديمة أو ساعدوا في حل رموز وثائقها واصدار القرارات والاحكام بشأنها والتعليق عليها،

والتي أسفرت ، وحسب أقدمية كل منها عن معلومات وحقائق لاتقبل التأويل، بل تدحض كل شائه وزائف وباطل كالذي أورده التوراة وكرسته المصادر الغربية وأضافت اليه الكثير من التزوير لقلب الحقائق... وبقصد الاساءة للعرب وتاريخهم...الخ.

وعلى الرغم من بروز تلك الحقائق وانتصابها كالاطواد الشوامخ امام القاصي والداني على الصعيدين العربي والعالمي والمطالبة المستمرة من الحكام والمسؤولين والمعنيين العرب بضرورة العمل على اعادة صياغة التاريخ الحضاري العربي وبخاصة القديم منه في ضوء تلك الحقائق والمسلمات ... مازالوا سادرين يتجاهلون ذلك ويعتمدون تلك المصادر الغربية المزورة في مناهج التعليم العربي الرسمي على كافة المستويات. **والاغرب من ذلك** ان الغالبية من المتعلمين والمثقفين العرب المخدوعين، بما فيهم الغيورين... من حملة االشهادة الجامعية العالية، ومعهم المؤسسات الدينية الاسلامية ذات التأثير الواسع في أوساط المسلمين وخاصة العاديين منهم مازالوا يراوحون مكانهم، فمنهم من يغط في سبات عميق ومنهم من لايكترث أو مضلل ويجهل الحقائق ويأخذ الاشياء على عواهنها، ومنهم من يتجاهل أو يعرض ويتنصل ويجاري الواقع، فيما يتعلق بهذه المسألة الهامة والخطيرة على حاضر الامة العربية ومستقبل اجيالها المتعاقبة.

فيبدو أن البعض إن لم يكن الاكثرية مازالوا يعتبرون ما تدرسة وتكرسه مؤسساتنا، اعتمادا على ما بين أيديها من المصادر الغربية، في هذا المجال ـ حقائق ومسلمات. **فاذا كانت المؤسسات الدينية الاسلامية**، تهمل ذلك، كما يبدو، بحكم تعصبها للاسلام ولا تركز الا على ابراز الحضارة العربية الاسلامية ، لاظهار ابداعات المسلمين ومحاسن الاسلام وعدالته وسمو رسالته، فان ذلك رغم صحته لايبرر اهمال التاريخ الحضاري العربي القديم أو العزوف عن ذكره ولو بالقليل مما يستحقه، لاسيما وأن من حملوا رسالة الاسلام هم احفاد هؤلاء العرب بمن فيهم البداوة والحضر الذين شكلوا جيش الفتح ونشروا الدعوة الاسلامية في البداية ... كما أن المسلمون لم يبدعو ما أبدعوا الا بالاستناد للتراث الحضاري العربي القديم، الذي تأسست عليه الحضارات العالمية اللاحقة، واخذ عنها العرب المسلمون ما أعانهم على بناء الحضارة العربية الاسلامية ، وتلك الحضارت هي : الاغريقية والفارسية والهندية... الخ.

ومع ذلك فقد نعت المسلمون العرب ومازالوا حياة المجتمع العربي ما قبل الاسلام بالجاهلية وبالعصر الجاهلي، وهو دليل على الامعان في التسفيه والتصغير والازدراء

والتحقير لاجدادهم، معتبرين من سبقهم من العرب عبارة عن مجاميع قبلية بدوية تعيش على هامش الحياة وغارقة في مهاوي الوثنية والتخلف، ومتناحرة على مرعى أو بئر ماء ليس الا . وبسبب ذلك مازالت تترسخ في ذهن وعقلية وذاكرة العربي المسلم وخاصة العادي والبسيط تلك الصورة المبتسرة القزمية الشوهاء عن التاريخ الحضاري العربي القديم.

مفهوم ومعنى الجاهلية:

يقول ـ عضو المجمع اللغوي العربي ـ الاسبق ـ الاستاذ " محمد نفاع " العربي السوري ـ في كتابه المخطوط ـ تحت عنوان ـ البحث الاول ـ معى الجاهلية " دعي العصر السابق للاسلام " أي المجتمع العربي " بالجاهلية بناء على منطوق بعض الآيات القرآنية الكريمة التالية:

١ـوقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى

٢ـأفحكم الجاهلية تبغون

٣ـاذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية ـ حمية الجاهلية فانزل ا الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين .

والجهل في العربية أما أن يكون ضد العلم ـ واما أن يكون ضد الحلم ، واستقراء التاريخ الجاهلي يؤكد اتصاف العرب ـ على تفاوت ـ بكلا المعنيين ـ فقد كان معظمهم أميين يجهلون القراءة والكتابة، **وأيد الوحي هذه الامية** فيهم بقوله: " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة " ومفهوم الايات السابقة يدل بجلاء على أن المقصود بالجاهلية الآنفة ـ والحمية ـ وضد الحلم، **وجاء في الحديث الشريف ـ قول الرسول الكريم** ـ لأبي ذر ـ وقد عيّر رجلا بأمه: " انك امرؤ فيك جاهلية ". أي ان حلمك ضعيف وعصبيتك قريبة ، وجاء في حديث الافك قوله :" ولكن احتهلته الحمية ". أي استخفته ، وفهمت العربية هذا المعنى للجهل ـ فقيل استجهل الشيء أي استخفه ـ ومنه قول **عمرو بن كلثوم**:ـ

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلين

وقال **يزيد بن الحكم الكلابي** ـ لبعض بني عمه:ـ

فلما رأينا جهلكم غير منته   وماغاب من أحلامكم غير راجع

فالجهل اذا ـ اسراف في الغضب والبغي ـ وتجاوز للحدود في الأنفة والحمية، وهذان ـ الاسراف والتجاوز ـ ينتهيان حتما باسترجاع الجاهلي حلمه وعلمه ، اذا ما

انفتأ عضبه والجاهلية اذن حالة من الاسراف في ممارسة الفضائل ، وموجة من الانفعالات القبلية الغالية ، ينتفي معها انتفاع الجاهل بما فيه من فضائل ومفاهيم خيرة.

لقد كان لدى العرب الجاهليين قيم، ومفاهيم، غلوا في استعمالها ـ واسرفوا في ممارستها ، وجهلوا الوقوف عند حدودها، فمفهوم الحفاظ على العرض قد اتخذ لدى اسر قليلة منهم ـ تلك الصورة الهمجية الغالية، وهي الوأد، كما اتخذ مفهوم التضامن الاجتماعي صورة ـ الميسر ـ **ويؤيد المستشرق ـ جولدزهر** ـ كون الجهل ضد الحلم لاضد المعرفة بقوله: ان المسلمين كانوا اذا ذكروا الجاهلية ارادوا بها العادات الوثنية **ويرى ـ فيليب حتى** ـ ان الجاهلية بالمعنى الصحيح هي ذلك العصر الذي لم يكن فيه لبلاد العرب ناموس وازع ولا نبي ملهم ولا كتاب مرسل.

أما زمن الجاهلية فقد حار المؤرخون في تحديد مداه، فبعضهم يرى أن الجاهلية كانت فيما بين نوح وادريس وبعضهم يرى أنها عصر ما بين نوح وابراهيم، أو أنها الفترة ما بين موسى وعيسى وما بين عيسى ومحمد **ويعتقد ابن خالوية** أن لفظ الجاهلية اطلق في الاسلام على الزمن الذي كان قبل البعثة وتوحي لنا هذه الاقوال بان فترة الجاهلية فترة تاريخية تعقب كل عصر من عصور الوحي، **وفي القرآن الكريم مصداق ذلك** فيما قصه عن تعاقب الانبياء بين العرب وانصراف المتأخرين عن دعوات أنبيائهم احتفاظا منهم بديانات آبائهم ووثنيتهم الموروثة..."

عبادة الاصنام ـ وأصولها ومدلولاتها :

وعن عبادة الاضنام عند عرب شبه الجزيرة العربية ، وأصولها،مدلولاتها الدينية... قال الاستاذ:ـ محمد نفاع ـ في كتابه المخطوط تحت عنوان : " قيم التوحيد والانسانية ـ في الفطرة العربية "، ما ملخصه وبتصرف:

ان أهم الاصنام ـ الآلهة ـ التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام هي: هبل ـ اللات ـ العزى ـ مناة ـ ود ـ يغوث ـ نسر ..الخ.

١ـ**هبل** ـ أي السيد ـ الاكبر ـ وقد ذكره القرآن باسم ـ بعل : " اتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ". الصافات ١٢٥، ومعنى هبل بالآرامية ـ الروح...ومصدره في الأصل بلاد الشام والرافدين.اذ عرف فيها باسم بعل.

٢ـ **اللات** ـ وأصله آله الهاوية أو الموت ـ عند البابليين ـ والشمس عند النبطيين .

٣ـ**العزى** ـ أي ملكة النار ـ وآلهة الربيع والحب ـ عند البابليين، ودعوها ـ بـ "عشتار" أيضا وعند الكلدانيين ـ بلتي ـ وعند الاراميين ـ استيرا ـ وعند اليونان ـ افروديت ـ وعرفها اليونان أيضا بـ"فينوس" وهي الزهرة ـ نجمة الصبح، وانها بنت هبل ـ اله الرزق والخصب والسعة ، والعزى ـ مؤنث المفردة ـ عزو ـ والاعز ـ في العربية ـ الاقوى ـ المقدم في قومه ـ لقوله تعالى " ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ".

٤ـ**مناة** ـ وهي آلهة القدر والموت في بلاد الشام والرافدين ـ في الأصل ـ وحسب مختار الصحاح ـ المنه ـ أي القوة ـ والمن ـ اي القطع والنقص ـ والمنون والمنية ـ أي قطع الحياة وتصرم العمر ، وأهم من عبدها في الحجاز ـ الأوس والخزرج.

٥ـ**ود** ـ وأصلها البابلي ـ دودو ـ واشتقاقها في العربية ، ودد ـ بمعنى تمنى واحب ، ويراد بها شجرة الحب العذري، وربما شجرة الحياة ـ التي وجدت رسومها وعليها صورة آدم وحواء ـ في آثار بابل ، وأهم من عبدها ، بنو عذرة.

٦ـ **يغوث** ـ وهي عند المصريين ـ تعنوت ـ وقد وجد لها صنم منحوت على صورة أسد أو لبؤة في آثار قدماء المصريين.

٧ـ **نسر** ـ كان موضعها في أرض سبأ ـ وكانت ـ حمير تتولى سدانتها ـ وأصلها من بلاد الرافدين والشام هذا اضافة الى العديد من الآلهة الأخرى الأقل شأنا ومئات الأصنام

كان يقوم على خدمة تلك الالهة الصنمية ـ ويعمل وسيطا بينها وبين العامة من الناس ـ سدنة ـ كهنة ـ من سادات القوم ـ الذين كانوا يحرمون على ماعداهم الدخول الى حيث هي أو الشخوص أمامها أو مخاطبتها مباشرة ـ خشية تدنيس قدسيتها ـ مما أكسبهم مكانة ونفوذ وسطوة ... في مجتمعهم، بدليل أن الكاهن ـ عوف بن ربيعة ـ أمر بني أسد بالهجوم على ملكهم ـ حجر الكندي ـ أبي امرئ القيس ـ فلم يترددوا في تنفيذ الامر.

ولم تكن تلك الاصنام الا صورا ورموزا ـ لملائكة وأنبياء وصلحاء ... سابقين، وقد جعلوا منها وسطاء لتشفع لهم عند الله وطلب الغفران منه والتقرب اليه، وهذا يعني أن تلك الاصنام ـ الالهة ـ لم تكن معبودة بحد ذاتها ، بدليل ماذكره القرآن بهذا الصدد:" وما تعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ". سورة الزمر ٣ . ولذلك فقد كانوا موحدين بالله بالفطرة وبالوراثة ـ الدينية ـ عن أسلافهم ـ حنفاء مسلمين ـ على ملة

ابراهيم ـ بالاضافة الى من اعتنق منهم اليهودية والنصرانية، وهذا ماأكده ـ ابو طالب ـ اثناء تزويج الرسول محمد من خديجة ـ قبل أن يبلغ بالرسالة ... حين قال " الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل " وحينها اضاف ورقة بن نوفل قائلا: "الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت " . وهو دليل على ايمانهم با لله الواحد ـ رغم توجههم اليه عبر آلهتهم المتعددة التي اعتبروها وسيلة يطلبون من خلالها ـ شفاعته ... مما أوقعهم في الشرك وليس في الكفر با لله : حسب النص القرآني :" ... ثم ليقضوا تغثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق .. فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور ـ حنفاء لله غير مشركين ".سورة الحج ٣٠ ـ ٣٢) فامر الاجتناب الرباني هنا ـ لايعني أنهم كفرة حكما ـ بل الابتعاد عن الشرك في عبادة ا لله... فلو تتبعنا مدلولات معظم أقسامهم التالية : لا والذي يراني من حيث ما نظر ـ لا ورب الشمس والقمر ـ لا ورب الكعبة ـ لا والذي سمك السماء ودحا الارض " اي كورها مما يشير الى معرفتهم بكروية الارض" لا ومنشئ السحاب ومجري الرياح ... لتأكدنا من صحة ذلك، لاسيما وأن تخاطبهم كان بالغ الدلالة على ذلك ايضا كالقول : لله درك ـ ولعمرك ا لله ـ والحمد لله باسمك اللهم ـ وجزاك ا لله خيرا ... كما أكدوا ذلك شعرا أيضا بقولهم :

امروء القيس :

وا لله انجح ماطلبت به   والبر خير حقيبة الرحل

النابغة:

حلفت ولم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء ا لله للمرء مطلب

ـ لبيد :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى   ولازجرات الطير ما ا لله صانع

فقد كان اسم ا لله بحد ذاته ـ الذي عرفه وأخذه العرب المسلمون عن القرآن ـ وكرسوه كمفهوم وحيد وكلي الشمول عن الخالق ، بمعنى القوة والعظمة والقدرة المطلقة على الخلق والابداع وتسيير الاكوان...الخ. شائعا ومعروفا ـ بمفهومه الشامل ـ ولهذا كان ـ عند من نعتوا بالجاهلية كعرب ـ الاعظم والاقدس ... فعبدوه خشية واجلالا... فقد كان في أصل لغتهم ولهجاتهم وأسمائهم، فان ـ آيل ـ مثلا هو ا لله ـ أو يرمز الى ا لله ـ واسرائيل ـ معناه ـ عبد ا لله ـ وهكذا مخائيل ـ ورفائيل ... وكلها تعني ـ كجماعة عبيد ا لله ـ واللات وايلات ... كأسماء أو مفردات ... كان لكل

منها نفس المعنى وتدل على اعترافهم بوجود الله وايمانهم به واقرارا بعظمته وقدرته وسعة رحمته.

ولم تكن النذور االتي ذكر بعضها القرآن وورثها وكرسها المسلمون حتى اليوم .. الا أثرا من معتقدات هؤلاء العرب ـ الحنفاء الموحدين .. الذين كانوا يتوسلون من تقديمها التقرب ... من الله، ومصداق ذلك ماجاء في القرآن عن امرأة عمران :" ربي اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني". سورة آل عمران ٣٥.

ولذلك كان الحج الى بيت الله الحرام ـ الذي وضعت برحابه ـ القبائل أصنامها حتى بلغت ٣٦٠ صنما ـ من أبرز شعائرهم وطقوسهم ومناسكهم الدينية ، فكانوا يطوفون حول الكعبة ويقفون على عرفات ويقدمون الاضاحي ـ ويذكرون الله عند المشعر الحرام الذي بناه قصي بن كلاب ـ وذكره القرآن بالقول :" فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ". كما كانوا يغتسلون من الجنابة ويحرمون الصيد والقتال .. في الاشهر الحرم ـ اضافة الى ـ الختان ـ وترديد التلبية اثناء الحج والتحلق حول الكعبة وان بتفاوت واختلاف شكلي في عباراتها ذات القصد والمعنى الواحد بين قبيلة واخرى ـ ومنها على سبيل المثال تلبية ـ اساف:" لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ". وقد ورثها المسلمون بعد أن حذفوا منها آخر مقطع الا وهو " إلا شريك هو لك وماملك ".فعلى الرغم من وجود العديد من الكعبات وهي جمع ـ كعبة ـ اضافة الى كعبة مكة في شبه الجزيرة العربية ككعبة اليمن وتقيف وسواهما

فقد أصبح لبيت الله الحرام مكانة دينية مقدسة ـ عندهم كأول بيت للعبادة أقامه ابراهيم واسمعيل للناس ببكة وجعلة الله مباركا ومحجا ـ فكان بالقرب من المكان الذي سعت فيه هاجر بحثا عن الماء بين المروة والصفا ـ فمنّ الله عليها بتفجير ماء زمزم، فاصبح مباركا ..الخ.

ولما كانت عبادتهم لله ممزوجة بالشرك قال تعالى :" فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " سورة قريش ٣٠ ـ ٤) أي أن يعبدوا الله وحده دون شريك.

كما كانوا يؤمنون بيوم البعث والحساب ، وقد عبر بعضهم عن ذلك شعرا :ـ

زهير:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

الاعشى:

وما أيبلي على هيـــــكل — بنـــــاه فصلب فيه وهارا
يروح مــن صلـوات المليــك — طـورا سجودا وطورا خوارا
بأعظم منك تغني في الحساب — اذا النسمات نفضن الغبارا

الاخنس :

وعلمت أن ا لله جاز عبده — يوم الحساب بأحسن الاعمال

جريبة القفصي:

لاتترك أباك يبعث راجلا — في الحشر يصرع لليدين وينكب

عمرو الكلبي:

ابني زودني اذا فارقتني — في القبر راحلة برحل فاتر
للبعث اركبها اذا قيل اظعنوا — ستوسقين معا لحشر الحاشر

عمر بن معد يكرب:

لبيك تعظيما اليك عذرا — هذه زبيد قد اتتك قسرا
يعدو بها مضمرات شزرا — يقطعن خبتا وجبا لا وعرا

الفضائل :

أما عن العفة والاحتشام والوازع الاخلاقي الذاتي ذي الجذر الديني ـ الذي تـأصل فيهم فلا أدل عليه من قول عنترة:

أغض الطرف ان بدت لي جارتي — حتى تواري جارتي مأواها

ولهذا كله ولغيره من الاعمال والمزايا الحسنة ... لهؤلاء العرب قال الرسول محمـد: "خياركم في الجاهلية ـ خياركم في الاسلام ". وهو اعتراف واقرار بوجود اخيار فيهم كظاهرة عامة سادت، بالمعنى الاجتماعي والديني والاخلاقي ـ لاسيما الايمان با لله ... الى جانب ما تميزوا به من فضائل اخرى ـ كـالنزوع نحـو فعـل الخير والامانة والوفـاء والاباء .. والاعتزاز بالانتماء القومي العربي والتفاني في الذود عن الحرية والكرامـة... اذا ليس أدل على ذلك مما حصل مع ـ عمرو بن كلثوم التغلبي ـ حين سمـع أمـه وهـي تصيح داخل حجرات الحريم في بلاط الملك ـ عمرو بن هند اللخمي ـ قائلـة " وا ذلاه

بالتغلب " وكان موجودا هناك فما كان منه الا أن استل سيفه وضرب عنـق الملـك ــ وانشد قصيدته المشهورة ومنها:ـ

اذا بلغ الفطام لنا صبيو تخر له الجبابرة ساجدينا

ولم يقل عن ذلك اباء واعتزازا وعنفوانا ـ رفض ـ النعمان بن المنـذر ــ مصـاهرة ــ كسرى ملك الفرس ـ حينما طلب يد كريمته ـ هند ـ لمجوسـيته ــ وحرصـا علـى الـدم العربي من الاختلاط بدم الاعاجم ـ باعتبارهم محتلين وأقل شأنا بما فيهـم ملوكهـم .. مما أدى الى حرب ذي قار ـ التي قالت خلالها ـ هند بنت النعمان ـ وهي تصـف حـال صاحبتها صفية الشيبانية أثناء المعركة حيث كانت تحرض علـى الإستبسـال في مقاتلـة جيش كسرى ـ سافرة حاسرة ـ من شدة الاندفاع :

ذات الحجاب لغير يوم كريهة ولدى الهياج يحل عنها البرقع

وتأكيدا لمعنى الاعتزاز القومي العربي قال بشامة بن حزك:

من عهد عاد كان معروفا لنا اسر الملوك وقتلها وقتالها

والحجاب هنا، دليل الحشمة الدينية والاخلاقية ... والسفور في الملمات والخطوب دليل على مقدار البذل ووجوب التضحية بالنفس والنفيس، في سبيل الذود عن الارض والعرض والعزة والكرامة، ولم تكن دوافع وغايات الجهاد في الاسلام لتتعدى ذلك الا في تقديم نصرة الدين واعلاء كلمة الله على ماعداها .

ولذلك فان الجاهلية ـ التي نعتهم بها القـرآن .. لم تتعـد الجـانب الديـني، لوضـوح القصد في الاية التالية: " قل من بيده ملكوت كل شيء، ومن يجـير ولا يجـار عليه ان كنتم تعلمون ـ سيقولون الله ـ قل فأنى يسحرون ". ومعنى ذلـك أنهـم لم يسـتجيروا بالله مباشرة بدون وساطة ــ الالهـة الـتي صنعوهـا بـأيدهم ... ممـا أوقعهـم في الغفلـة والتغافل وخداع أنفسهم، لان الله لايخدع ـ لجهلهم بوحدانيته ـ اي الشرك به وليـس الكفر المطلق على أي وجه من الوجوه، ولا الجهل، بـالمعنى المعرفي والثقـافي والعلمـي والفلسفي، أو التخلف الحضاري، ومع ذلك تحول هذا النعت القرآني لهم ـ بالجهل ــ الى مفهوم عام وشامل للكفر والجهل والتخلف ـ عند المسلمين وسواهم؟!.

أما عن انتشار شرب الخمر آنذاك والذي نهى الاسلام عنه لمضاره الكثيرة ــ فقـد ناهضه نفر غفير ـ ممن نعتوا بالجاهلية، وقاطعوا مدمنه بدليل ما أكده ـ قيس بن عاصم المنقري شعرا:

فكيف أذوق الخمر والخمر لم تزل بصاحبها حتى تكشع في الغدر

وصارت من الامثال تضرب بعدما   يكون عميد القوم في السر والجهر

أما الميسر والازلام .. فهي أنواع من لعب القمار التي عرفها ومارسها العرب في شبه الجزيرة العربية، ولكنها تختلف من حيث دوافعها وغاياتها عن تلك الشائعة اليوم، كظاهرة عامة عالميا وبشعة وضارة ... تتمثل في محاولات المنغمسين فيها وفي غيرها من ضروب الغش والخداع والاحتيال والنصب ..الخ. جمع المال الحرام بسهولة ودون حساب للعواقب الوخيمة المترتبة على ذلك.

فقد كان الايسار من العرب يتخذون منها وسيلة لتقديم العون للفقراء والمحتاجين في ربوعهم، مما ينم عن مشاعر انسانية نبيلة ـ فعلى سبيل المثال: كانوا يلعبون على ـ جزوز ـ أي صغير السن من الابل ـ وكان الخاسر يلتزم بتقديمه فيذبح ويوزع على من مر ذكرهم، لذلك شتان ما بين النوعين من حيث الدوافع والغايات، ويمكن استشراف البعد الاجتماعي والانساني لتلك الظاهرة مما قيل بهذا الخصوص شعرا:

النابغة الذبياني:

اني اتمم ايساري وامنحهم   متنى الايادي واكسوا الجفنة والادما

وقال ـ المرقش:

اذا ايسروا لم يورث اليسر بينهم   فواحش ينعى ذكرها بالمصايف

أما الصعلكة في شبه الجزيرة العربية في ذاك الزمن، فلم تكن التسكع أو الجنوح نحو اللصوصية والاجرام ـ كتلك المتفشية في هذا العصر وخاصة في المجتمعات الغربية التي تفاخر برقيها الحضاري .. وانما هي طريقة للعيش بحرية وكرامة ـ اجبر من تصعلكوا على اتباعها عندما رفضوا الاذعان لتحكم الظالمين المتجبرين من سادات قبائلهم وابوا الذل فتمردوا عليهم وراحوا يشنون الغارات لانتزاع ما يمكن انتزاعه مما في حوزة الاغنياء واعطائه الى الفقراء والمعوزين.

ولذلك فالبون شاسع بين الحالتين آنفتي الذكر من حيث الدوافع والغايات والاثار الاجتماعية والانسانية .

أنواع الزواج وما يوصف بالانكحة الشاذة:ـ

أنواع الزواج أو مايعرف بالانكحة الشاذة ـ التي كانت متبعة على نطاق ضيق في ذاك الزمن بشبه الجزيرة العربية هي:ـ

١-زواج الخدن - وهو اتخاذ اخلاء في السر بالتراضي بين الخدنين، وكان بعض مالكي الجواري، يتخذون لجواريهم أخدانا يؤانسوهن ويضاجعوهن، ولذلك نهى القرآن عن ذلك بقوله: " واتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدانا ". أي وجوب ان يكون الزواج منهن صحيحا بما في ذلك توفر الرضى والقبول... ودفع مهورهن منعا للفاحشة والظلم.

٢- زواج البدل - وهو أن يتنازل كل من الرجلين عن امرأته للآخر ، وهو زواج بغير مهر.

٣-زواج الاستبضاع - وهو أن يسمح الرجل لزوجته بمضاجعة رجل آخر من أهل الكرم والشجاعة والحنكة، رغبة في انجاب ولد يرث ما فيه من صفات مميزة، وكان يعتزل زوجته في حال وقوع المضاجعة حتى يتبين ما اذا حملت من ذلك الرجل، وقد حرمه الاسلام.

٤-تعدد الأزواج، وهو أن يضاجع المرأة الواحدة مادون العشرة من الرجال دوريا، فاذا ماحملت وولدت يلتحق ولدها بمن تسميه منهم، وقد حرمه الاسلام ايضا.

٥-زواج البغايا - وهن النساء اللواتي لايمتنعن عن طالب المضاجعة ... ويضعن رايات حمراء على أبوابهن للتعريف .. فان وضعت الحامل منهن يلتحق ولدها بمن يرون.

٦-زواج المتعة - وهو زواج اضطراري موقوت بمدة زمنية محددة وبمهر محدد - فاذا انقضى اجله وقعت الفرقة، ومازال ساريا عند بعض المذاهب الاسلامية الشيعية، ودوافعه التنقل والاسفار والحروب.

٧-زواج الشغار - وهو أن يزوج الرجل ابنته أو اخته لمن يزوجه ابنته أو اخته ايضا - بدون صداق - ومازال ساريا حتى اليوم وخاصة في الارياف لاسيما عند الفقراء.

٨-زواج المقت - وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه - غير أمه - اذا طلقت أو توفى أبوه، وقد حرمه الاسلام.

٩-زواج الاختين في آن واحد ، وقد نهى عنه الاسلام.

١٠- زواج البعولة - وهو كزواج الرسول محمد من خديجة - فأيده الاسلام واعتبره صحيحا.

١١-زواد السفاح - وهو مضاجعة الاماء - والقيان والانجاب منهن، وكن في الأصل من المغنيات والراقصات والبغايا اللواتي كن يغدن مع التجار من البلدان

الاجنبية، وكان يعتبر مثل هذا الزواج ضياعا لنقاوة ونجابة الأصل وتهديما لمجد القبيلة، وكان مقتصرا على الشباب العاجزين عن توفير المهر للزواج المشرف من الحرائر المحصنات الصالحات لوضع النطفة... وقد أبيح خشية الجنوح والفتنة، ولم يعتبره الاسلام زنى.

فاذا كان أكثره شاذا فان بعضه كان صالحا، ومع ذلك فمن الصعب، بل من الظلم اتخاذ موقف واصدار حكم بشذوذية تلك الانواع من الزواج ـ المدانة بأعرافنا.. دون مراعاة أو فهم لظروفهم ومسوغاتهم الاجتماعية ... وبمعزل عن فهم طبيعة عصرهم ومستوى ما بلغوا والمجتمع الانسان من تطور ... وما ساده من مفاهيم وقيم واعراف... في تلك الحقبة من التاريخ ، حيث شيوع الرق والعبودية، مع بقايا من المشاعية البدائية ـ وبقايا من مشاعية وسيادة المرأة اثناء كان الابناء ينسبون اليها، بسبب استحالة معرفة آبائهم.. الخ. هذا مع العلم أن تلك الانواع الشاذة من الزواج لم تشكل ظاهرة عامة في المجتمع العربي لشبه الجزيرة العربية، بل كانت محدودة جدا ومحصورة على وجه العموم في المدن، كمراكز وأسواق تجارية، كما لم تكن مألوفة في الارياف والبوادي، التي كان أهلها يشكلون الاكثرية في المجتمع، وهو دليل على أن تلك النسوة كن يغدن من الخارج عن طريق تجار الرقيق وتجار البضائع الذين كانوا يأتون بهن من شتى البلدان الاجنبية لتلك الربوع العربية.

ولما كان هؤلاء العرب متميزين بالحرص على نقاوة الدم والعرق ومجد وشرف القبيلة ويتخيرون الصالح والانسب من الارحام ـ لوضع نطفهم ، ويتجنبون مصاهرة الوضعاء من الناس والاعاجم فانهم كانوا ــ ولاشك ــ يناهضون ويحاصرون تلك الانواع الشاذة من الزواج ويحمل الرذائل ويمنعون ابناءهم من الانغماس فيها خشية المذمة والعار وضياع الاصل والمجد والشرف ...الخ.

الاحساس بالمسؤولية ... والمزايا الحميدة:

صحيح أن الامية كانت متفشية في المجتمع القبلي داخل شبه الجزيرة العربية، الى جانب التناحر القبلي وممارسة الغزو وشيوع تناول الخمر، وعبادة الاوثان، الاصنام، التي كانت عبارة عن مجسمات ـ تماثيل ـ لانبياء ورسل وأولياء ، سابقين ، وترمز الى الاله الخالق ـ ويعبرون من خلالها عن توسلهم اليه.. اضافة التى التخلف ووأد البنات ـ

المحدود جدا - نتيجة للفقر وخشية الاملاق - وخشية الفضيحة والعار الذي يمكن أن يلحق بهم فيما لو لم يستطيعوا حمايتهن ..الخ.

ولكن تلك الظواهر والعادات والاعراف - مبالغ فيها - ولم تكن بهذا لاتساع والشمول - أو مقتصرة مع بعض الاختلاف .. على ذلك الجزء من المجتمع العربي ماقبل الاسلام ، فقد كانت الامية بمعنى الجهل والتناحر - الهمجية والوحشية - متفشيتان ايضا في معظم أقطار العالم وخاصة الاوربية منها عندما كانت قبائلها من سكان الغابات - تأكل لحوم البشر وتفترس بعضها بعضا- حتى القرن العاشر ميلادي، أما عبادة الاوثان فكانت متفشية كديانات رئيسية ورسمية، للعديد من شعوب العالم وفي امبراطوريات كبرى- كالفارسية والاغريقية والرومانية ..الخ.

أما شيوع تناول الخمر - آنذاك - عربيا - فلا يمكن مقارنته بمساوئ شيوعه حتى اليوم وبكثافة لا نظير لها في التاريخ - في جميع المجتمعات وان بتفاوت - بما فيها المجتمع العربي - جنبا الى جنب مع تفشي وشيوع المخدرات والفساد والانحلال الخلقي - والاباحية والدعارة والقتل والاجرام ..الخ. في هذا العصر الذي يوصف زورا وبهتانا - بالمدنية والرقي والتقدم الحضاري - في المجتمعات الغربية، أما حياة البداوة، بحد ذاتها كظاهرة، وكاسلوب في العيش، أملته ظروف طبيعية بالغة القسوة، وتعتمد الحل والترحال طلبا للماء والكلأ، وخاصة في المناطق الصحراوية وأشباهها، فهي ظاهرة عالمية أكثر منها عربية، قديما وحديثا أيضا، فاذا ما اتسمت بالتخلف بالمقارنة مع من ولجوا وألفوا حياة الاستقرار والانتاج والعمران، واحرزوا أشواطا من التقدم... فانها تميزت من جانب آخر، ليس بالقدرة على تحمل حياة الخشونة وشظف العيش وقساوة الطبيعة فحسب وانما في الاسهام بسد حاجات المجتمع ككل من اللحوم والاصواف والالبان ومشتقاتها، كمادة أساسية... لم يكن من الممكن توفيرها الا بالجهود المضنية، لهذه الشريحة المكافحة من المجتمع، ولمراحل موغلة في القدم، حتى اذا ماتمكن المجتمع المعاصر من الاستعاضة عنها الى حد كبير بانشاء المزيد من المزارع والمجمعات الحيوانية المؤصلة لتأمين احتياجاته .. أهملها ونعتها بشتى النعوت، تماما مثلما نعت المجتمع العربي بأسره ماقبل الاسلام ، وليس ذلك الجزء المتمثل بالبداوة وحده ، بالجاهلية - ويشكل مطلق من حيث الامتداد في الزمن على تطاوله السابق، أي أنهم جعلوا الجزء مقياسا للكل، وكان العرب المسلمون في عداد من شاركوا في تسفيه واهانة وازدراء هؤلاء العرب، وكأنهم لم يألفوا الاستقرار في الارض أو يلجوا ضروب

الانتاج المختلفة أو يشيدو ا العمران أو يبدعوا مـا أبدعـوا حضاريـا، كالشـوامخ التي مازالت خالدة ماثلة أمام أعيننا، فلماذا؟!! أليس في ذلك ظلـم واجحـاف وافـتراء على الحقائق الواقعية؟! ليس بحق تلك الشريحة فحسب وانما بحق المجتمع العربي ككل، علما أنه تميز بعطائه الحضاري القديم، كما ذكرنا ...على شعوب الارض قاطبة، كما تميز ذاك الجزء ـ القبلي ـ البدوي ـ منه: بعادات وتقاليد وأعراف وقيم ومثل اجتماعيـة واخلاقية انسانية ـ ايجابية ـ يفتقـر لمثلهـا المجتمـع الانسـاني المعـاصر، كـي يتعـافى مـن أمراضه ويصبح قادرا على استعادة انسانيته المهدورة.

هذا الى جنب تميزه بظواهر ايجابية اخرى ، لم يذكرها احد من العرب قبل سواهم، مع الاسف الشديد، ومنها: مشاعر الارتباط بالارض ـ لدى هؤلاء ـ على صحراويتهـا واعتزازهم بانتمـائهم القومـي العربـي والاحسـاس بالمسـؤولية الوطنيـة ، والاستعداد للتضحية دفاعا عن الوطن ... والحرية والكرامـة ... ورفـض الخضـوع او الاستسـلام لجبروت الغزاة المعتدين ـ الذين حاولوا عبثا بسط سيطرتهم الشاملة الدائمة على ذلك الجزء من المشرق العربي ـ بـالقوة حينـا ـ وبـاحداث الوقيعـة وتـأليب القبـائل العربيـة بعضها ضد بالبعض الاخر وبوسائل متعددة، لاضعافهـا وشـل حركتهـا عـن المقاومـة حينا آخر ـ من قبل الفرس ـ الاغريق ـ والروم ـ والاحباش ـ ولكنهم فشلوا رغم ذلـك ـ نتيجة لاستمرار المقاومة والمجابهة في مختلف تلك المراحل التي تبلورت خلالهـا العديـد من حركات المقاومة الثورية التي تصدت للغزاة في مواجهات عديدة ومنهـا : الحركـة التي تزعمها ـ كليب ـ وائل ـ من ربيعة ـ والحركة التي تزعمها ـ امروء القيس ـ الـذي أخطأ حينما غلب على أمره وحاول الاستعانة بالروم ضد الفرس ـ فكان كمن استعان على الرمضاء بالنار، وكانت الحرب التي خاضها العرب بزعامة الملك " سيف بـن ذي يزن " ضد الغزاة الاحباش من أبرز تلك المجابهات الناجحـة بشـموليتها ـ حيث ردوا على أعقابهم أكثر من مرة كان آخرها تلك التي شارك في صدها الحضـر والمدر ... وشاركت فيها قريش لحماية مكة والكعبة، عام /٤٠/ قبل الاسلام، أو ما عرف بعـام الفيل ـ وأكدها القرآن الكريم بسورة الفيل ـ وانتصر فيهاالعرب وكانت خاتمة المطاف في حروب وصراعات ما قبل الاسلام في شبه الجزيرة العربية ـ والتي جعلها البعض مـن العـرب وسـواهم بمجـرد صـراع تنـاجري بين القبـائل العربيـة، الـتي وصفـوا سـلوكها وطبائعها بالعدوانية ، ظلما وعدوانا ـ وكأن دينها وديدنها كـان الاندفـاع وراء الثـأر والنهب والسبي وسفك الدماء دون وازع أو تحريم ، ولهذا لم يذكروا مـن تاريخهـا الا

تلك المثالب وحرب داحس والغبراء وحرب البسوس ــ والتلهي في مقارعة الخمر، ونسج الشعر والسجع وجعلوا من، امرئ القيس عنوانا لذلك؟!؟

فاذا كان ما نعتوها به ، حتى وان صدقوا في جانب منه، رغم أنه مضخم ومبالغ فيه وظالم، هو عار ومذمة ، ومجاف للرقي واالتمدن والحضارة ــ بنظرهم ــ فماذا بالمقابل عن تفشي العبودية وشمولها آنذاك وحتى عهود متأخرة في فارس ــ واثينا واسبرطه وطروادة وروما وبيزنطة ... واستمرارها الى القرون القليلة الماضية في ارض الحضارة المعاصرة، امريكا، وكانت ومازالت من أحط الظواهر السلبية العالمية لهذا العصر وأكثرها ظلما وبربرية ووحشية ــ وعلى طرفي نقيض مع التمدن ــ والرقي الحضاري والمثل والقيم الاخلاقيــة والانسانية والديمقراطية الحقة، التي ليس للغرب نصيب فيها الا مايدعيه كذبا ؟! فأيهما الأسوأ والاجدر أن ينعت بالجاهلية والعدوان...؟! فالتقدم والتحضر لايقاس بالاستقرار في الارض أو بالعمران والقدرة على الاختراع والتصنيع وحتى غزو الفضاء فقط ـ بل في السلوك وما تنطوي عليه النفوس والسرائر من نوازع بالدرجة الاولى وما يتبع ذلك من أفعال ــ وفي أشكال التربية ونوعية الثقافة وطبيعة النظرة الى الآخرين ـ وحدود ما يرسمه هذا الفرد ــ وهذا المجتمع ـ لنفسه تجاه الافراد، والمجتمعات الاخرى ، والمبادئ والمفاهيم والمعايير والقيم التي تحكم علاقات بعضها بالبعض الاخر سلبا أو ايجابا ... فمن هم الذين تميزوا بذلك ايجابا أكثر من سواهم تاريخيا ؟! أهم العرب الذين نعتوا بالجاهلية ــ أم سواهم ممن مازال احفادهم المعاصرين ـ لاسيما أولئك الذين لم يتوقفوا حتى اليوم عن تطبيق شريعة الغاب ضد الآخرين افرادا ومجتمعات؟!

ومع ذلك فما زال الراسخ في أذهان أجيالنا العربية من تاريخ العرب ماقبل الاسلام تلك الصورة البشعة عن العربي ومجتمعه الذي نعت بالجاهلية والعصر الجاهلي ــ دون سواه ـ نتيجة التزوير وقلب الحقائق وجهلنا ... ولهذا لم يصلنا عن تلك الحقبة من ــ تاريخ عرب شبه الجزيرة العربية الا ما نسج من حكايات وسير وقصص ذات طابع شعبي ـ مفعمة بالاساطير الخيالية ـ كقصة الزير سالم وكليب ـ وقصة عنترة بن شداد "٥٢٥ ـ ٦١٥م" وقصة سيف بن ذي يزن ..الخ. حيث ابرزوا فيها البطولات الفردية ـ ودور الجان ـ والخوارق من الافعال ـ على حساب الموضوعية والحقائق التاريخية، فعلى الرغم من روعتها وقيمها الجمالية والفنية والادبية ـ الملحمية المسلية ــ ومقدرة كاتبيها على الابداع ... وخصب خيالهم ــ الا انها لم تف بالغرض ــ ولم تعكس

الواقع على حقيقته ـ لاسيما الجانب الكفاحي الوطني ذي البعد القومي العربي ـ الـذي مر ذكره.

فقد أهمل الكتاب والباحثون والمؤرخون .. العرب كغيرهم ـ على اختلاف ميولهم ومذاهبهم... ذكر الجوانب الايجابية أيضا ـ من عادات وتقاليد واعراف وشمائل ومزايا ـ من نعتوا ظلما بالجاهلية... والتي اثمرت قيما اجتماعية واخلاقية ذات محتوى روحـي وانساني معا. قلما وجدت في مجتمعات أخرى ـ سواء في الماضي أو الحـاضر ـ ومنهـا على سبيل المثال : الاباء والشمم ـ والنخوة والشهامة والرجولة الصادقة ـ في التعـامل مع الاخرين ـ سواء في الحياة العادية أو اثناء الخصومات والمنازعات ـ وبالجود والايثار والكرم ـ ونجدة المظلوم واسعاف الملهوف وحمايـة الدخيـل ـ والعفـة والتسامح عنـد المقدرة ـ والوفاء بالوعد والعهد. ولهذا قيل عند العـرب: "وعـد الحـر ديـن" ـ وكـان العربي يأنف ـ بل يربأ بنفسه عن الصغائر أو قبول العوض ـ التعويـض ـ عـن خسـارة المال ـ أو الفدية ـ الدية ـ عن الخسارة في الارواح ـ عن من قتل من الغريم ـ الخصـم ـ فردا كان أم عشيرة ـ عند التقاضي وانتهاء النزاع ـ أي عنـد اعـتراف الخصـم بـالذنب وطلب الصفح والتصالح ... كما كان يـترفع عـن الغـدر واللـؤم والخسـة أو ارتكـاب الوضيع والشائن من الافعال والاعمال ـ التي تجلب المذمة والعار ـ ومـن مزايـاه رفـض الذل والمسكنة ووضيع العيش ، ولهذا **قال عنترة العبسي:**

انى ابيت على الطوى وأظله   حتى أنال به كريم المطعم

وقال أيضا:

ماء الحياة بذلة كجهنم ...وجهنم بالعزا فخر منزل .

كما **قال ابن عباس**، في حديث له:" ثلاث خصـال مسـتحبة كـانت في الجاهليـة، و**المسلمون** أولى بها: الاولى:ـ لو نزل بهم ضيف اجتهدوا في بره، والثانية:ـ ـ لـو كـان لاحدهم امرأة كبيرة لايطلقها ويمسكها مخافة أن تضيـع أو تمتهـن، والثالثـة ـ اذا لحـق بجارهم دين أو اصابته شدة اجتهدوا حتى يقضوا عنه دينه ويخرجوه من تلـك الشـدة والضيق .

كما كانت بيوت الاعراب مشرعة ابدا للضيف سواء كان معروفا أم مجهولا ـ غنيا أم فقيرا ـ وكذلك لعابر السبيل ، حيث لم يكن مطاعم وفنادق ـ فيجودون بما عندهـم ـ ولهذا قيل : الجود من الموجود ـ أي دون حرج أو احراج... وبهذا المعنى قالت الآية الكريمة: " لايكلف الله نفسـا الا وسـعها ". كمـا تميزوا: بـالنخوة والحميـة ـ ذلـك

بالوقوف الى جانب الطنيب - المستجير - طالب اللجوء والحماية - وطالب الاستعانة على الظالم الجائر الباغي - حتى ولو كان من ذوي السطوة والسلطان - والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل ذلك.

كذلك تميزوا بحفظ الامانة وردها الى أهلها... كالتأمين على الاموال والمتاع والعيال والاعراض، فقد كان قسم الاعرابي بشرفه أو قطعه العهد على نفسه بحضور الناس أو بمعزل عنهم - أقوى من صكوك ومواثيق وقوانين اليوم، من حيث الوفاء الطوعي، فالتقصير أو النكوث - ان حدث لسبب ما خارجا عن ارادته - كان يعد كارثة بالنسبة له وحقارة ومذمة تقض مضجعه طوال حياته، هذا ان لم ينبذ اجتماعيا ويوصف بالخوان الذميم..الخ.

إن مثل تلك الشمائل والخصال والمزايا... الحميدة - المعبرة عن قيم ومعايير حضارية متميزة بجوهرها الاخلاقي - الانساني النبيل - ان لم نقل ببعدها وعمقها الروحي - هي وتعاليم ومثل الاديان السماوية صنوان - لاسيما وأنها نبعت من طبائعهم النفسية والاجتماعية .. ودون ترغيب وترهيب - تهديد ووعيد - كالوارد في القرآن مثلا "أي انهم تحلوا بتلك الاخلاق والمزايا ... بالفطرة والموروث عن الاسلاف من عادات وتقاليد واعراف وقيم نبيلة، ودون ارشاد من رسل مبشرين ... هذا الى جانب فضلهم كاعراب وحضر - - - - في تطوير اللغة والابجدية الحرفية العربية وحفظها من الضياع والتفكك، في مراحل الانتكاس والتراجع والجمود الذي فرض على العرب - بسبب الغزو واحتلال الفرس والاغريق والروم لمعظم الوطن العربي - حتى وصلت الينا نقية متكاملة موحدة - كما هي اليوم - بعمقها وشمولها... بعد أن كانت متشعبة لفظا ولهجة ومعنى وكتابة - اثناء وبعد انتقالها من الكتابة المسمارية الى الابجدية العربية القديمة وهي: ابجد - هوز - حطي - كلمن - صعفسص - قرشت . اثنان وعشرون حرفا، وشكلت اساس الابجدية الحرفية التي اكتشفها العرب الفينيقيون كاول ابجدية حرفية عرفها الانسان وكتب بها العالم القديم باسره، لعدم وجود سواها انذاك، مما جعل لها السيادة المطلقة لحقبة طويلة من الزمن، وفي المقابل كانت المسند الجنوبية - التي تحدرت هي الاخرى عن المسمارية - قد ظهرت الى الوجود - كتوأم للفينيقية الكنعانية - حيث اضافت اليها والعرباء معا الاحرف الستة: ثخذ - ضظغ - فاصبحت ثمانية وعشرون حرفا، وهو دليل على عدم جهلهم جميعا بضروب القراءة والكتابة والمعرفة بمعناها الشامل .

فلقد تولى الجنوبيون واهل الجزيرة العربيــة عمومـا ــ بعـد ذلـك ــ عمليـة تهذيـب وتوحيد احرفها وتطويرها : كلغة وابجدية حرفية ـ الى أن سادت اللهجة القرشية فيها ـ كلغة ـ اثناء مراحل الاحتلال الاجنبي... والجمود والانقطاع ـ الـتي استمرت حـوالي الف عام بعـد انهيـار الدولتـين العربيتـين القديمتـين في كـل مـن المشـرق ووادي النيـل ـ وحتـى الفتـح العربـي الاسـامي ــ فاكتسـب الحـرف شـكله الحـالي الـذي استقرت عليه الكتابة حتـى اليـوم، مقـابل اكتسـاب اللغـة عمقـا وشمـولا ورسـوخا ، فاخذها العرب المسلمون جاهزة متكاملة عن اسلافهم هؤلاء، ومازالت كما اخذوهـا دون تغيير يذكر ـ ولذلك عرفت بلغة ـ الضاد ـ الجنوبية أو اللغة العربية الفصحى ذات اللهجة القرشية ـ لغة القرآن ـ لغة التوحيد... لغة العلم والمعرفة والحضارات ـ ولتأكيد دور هؤلاء العرب في هذا الانجاز اللغوي والابجدي الحرفي العظيم ـ نورد المثال التالي:ـ

روي أن المشركين اعترضوا على بعض المفردات التي تضمنتها بعض الايات القرآنية التي كانت تعرض عليهم من قبل الرسول محمد.. وقالوا انها غير عربيـة مثـل كلمـة ــ كُبار ـ وعجاب ـ عند ذلك احتكموا والرسول الى ـ دريد بن الصمة ـ كبير هوازن ـــ وكان ضليعا وفقيها في اللغة العربية ، لحسـم الخـلاف حـول مـا اذا كـانت عربيـة أم اعجمية ـ وعندما قدم ـ دريد ـ ودخل المجلـس المجتمعين فيه قـال الرسـول: " أجلـس هاهنا يا دريد " وعندما هم بالجلوس طلب منه ثانية أن يجلس في موضع ثـان وقبـل أن يجلس فيه أشار اليه أن يجلس في مكان ثالث ـ عند ذلك انفعل دريد وقال: " أتهزأ بـي يابن عبد الله وأنا من كُبار قومي، إن هذا لحدث عجاب ؟!.

إن ماتقدم يدل بوضوح على أن أهل الجزيرة العربية مـن حضـر ومدر لم يكونـوا مجرد حفظة أو حاضنة للغة العربية ـ وانما عملوا على تطويرها والحـرف معـا ولم يكـن الاعراب منهم أقل اسهاما في ذلك ـ بدليل الاستعانة بأحدهم ألا وهو ـ دريد ـ لحسـم الخلاف حول تلك المفردات آنفة الذكر ـ لاسيما بين علية القوم والمتعلمين والفصحاء منهم.

ولما كان ماذكرناه هو قليل من كثير حتما مما لم نتمكـن مـن الاحاطـة بـه فاننـا لم ولن نفهم حقهم، فهؤلاء العرب عرفوا الله فعبدوه ـ وأوجـدوا ــ رغـم مـا قيـل عـن تخلفهم وقلة مواردهم وضيق عيشهم وقساوة الطبيعـة الصحراويـة لمنـاطقهم.. أنظمـة وتقاليد وأعراف... ذات ابعاد ومزايا ايجابيـة وبنـاءة: بضوابطهـا وفعالياتهـا وعدالتهـا ومضمونها الديمقراطي والحقوقي، ومنافعها العامة، ممـا أعـانهم علـى تسـيير شـؤونهم

وحل مشاكلهم الحياتية والاحتكام اليها والصمود في مواجهة الظروف والتحديات... ولذلك كانت متقدمة ـ على الرغم من منبتها وجوهرها القبليين أصلا بالمقارنة مع ماساد المجتمعات الاخرى في تلك الحقبة من تاريخ الانسانية . أما الحديث عن الدور الحضاري المتميز والفريد ـ لباقي العرب في التاريخ القديم ـ فيطول ولذلك نكتفي بما عرضناه عنه في المتون السابقة لهذا الكتاب ـ وهو دون شك قليل من كثير مما يستحق.

وجاء الاسلام ـ كدين ـ ليرث ويكرس والمسلمون ـــ الكثير مما تقدم ذكره عن هؤلاء العرب لما اشتمل عليه من ايجابيات ومنافع جمة وفي المقدمة من ذلك ـــ لغة القرآن... هذا على الرغم من البون الشاسع بين ما توفر لهؤلاء العرب وبين ما توفر للعرب المسلمين، من امكانيات وفرص وشروط تميزت بتناسبها ـ لتحقيق ماحققوا من قوة وانتصارات وفتوحات وتقدم ونفوذ وسيادة... بفضل الاسلام وتحت رايته، وآية ذلك أنهم حققوا وحدة الصف والجهد والعمل العربي الاسلامي، مع توفر القيادة الموحدة الكفؤة المؤمنة المخلصة وعلى رأسها الرسول محمد، بما في ذلك ارساء الاساس المتين لقيام الدولة والخلافة العربية الاسلامية الواحدة الموحدة ـ منذ البداية ـ كخطوات هامة وضرورية، كان لابد منها كضمانة للنجاح ولانجاز ما انجزوا... بما في ذلك تدفق الاموال.. واكتساب المزيد من الخبرات والمعارف والفنون... مما وفر كافة المقومات لتحقيق النهوض الشامل والتقدم: الاجتماعي ـــ والاقتصادي ـــ والثقافي ـــ والعمراني ـ والحضاري ـ الذي حققه العرب المسلمون ولهذا نقول شتان ما بين الحالتين ومعطيات.. المرحلتين، لكل منهما فمن الظلم اذن ان نطلق الاحكام الجائرة ضد هؤلاء الاسلاف ـ ودون التفات لتلك الفوارق والمعطيات بين العرب المسلمين واسلافهم في شبه الجزيرة العربية خاصة والوطن العربي عامة. ومع ذلك مازال نعت المجتمع العربي ما قبل الاسلام بالجاهلية... ساريا حتى اليوم عند الغالبية من العرب المسلمين، ان لم يكن عند الجميع ـ وهناك العديد من الامثلة على ذلك، ولنأخذ ماقاله ـ عبد الكريم محمد نصر ـ بهذا الخصوص ـ في مقدمة كتابه " الفلك العملي " مثالا على ذلك، حيث قال: " لقد اهتم العرب كثيرا بعد الاسلام ـــ بعلم الفلك ـــ لان العرب في الجاهلية ـ قبل الاسلام ـ لم يكن لهم أي اثر في العلوم بل كان الجهل فاشيا بينهم والامية منتشرة اللهم الا تفوق البعض منهم في اللغة واجادة البعض القصص وانشاء الاشعار التي كان لابد منها لقتل ذلك الوقت الطويل الذي يقضيه العربي؟!

ويرجع اهتمامهم بهذا العلم الى مـا تتطلبه الشريعة الاسلامية من الاضطلاع على عظمة الله في خلقة من خلال... وهناك العديد من الامثلة الاخرى على ذلك.

وهذا الى جانب كونه ظلما لامثيل له ـ لصدوره عن الاكثرية المسلمة من ابناء الامة العربية ذاتها ـ يساهم ولو عن غير قصد، في تثبيت ما حاول اليهود اثباته قديما في مدونات التوراة ومازال احفادهم والغرب معا يحاولون حتى اليوم تحقيقه وترسيخه بدليل ما وضعوه بين ايدينا من مصادر تاريخية مزورة تقزم ان لم تطمس تاريخ العرب ودورهم الحضاري القديم الذي يعود الفضل اليه في تحضر المجتمع الانساني، وذلك بهدف التشكيك بوجود الامة العربية ـ ولكي لايبقى هناك ثمة حماس لدى احد من ابنائها للعمل على انهاضها من كبوتها ولم شتاتها وتوحيدها ... لتستطيع تحقيق طموحاتها واهدافها..الخ.

فاذا كان المسلمون العرب المتعصبون قد نحوا هذا المنحى منذ القدم حتى اليوم ـ وهم على خطأ في ذلك دون شك ـ فما بال الاخرين من مسؤولين ومثقفين وقوميين... من العرب سادرين وغافلين عن ايلاء هذه المسألة الهامة والخطيرة الاهتمام الذي تستحقه حتى الان ؟! اننا نستغرب ذلك السكوت والصمت المخيم على ربوعنا العربية.؟ والاكثر استغرابا أن ينوب عنا بعض الاجانب في ذلك ولاسيما الغربين المنصفين ممن شهدوا وأكدوا على أصالة وعظمة الحضارات العربية القديمة، وأشادوا بفضل ودور العرب القدماء في بناء الحضارات العالمية اللاحقة، فهل يجوز أن يسبقونا في النطق بتلك الحقائق ؟! خاصة وأن بعضهم كما ذكرنا في متون هذا الكتاب ـ قد توسل أن يقوم العرب مرة اخرى من جديد بدور المنقذ للعالم من مهاوي الابتذال والتردي الذي وصل اليه العالم المعاصر في ظل الرأسمالية الغربية المدمرة لانسانية الانسان.؟!

الفصل الخامس عشر :

مخاطر الاعتماد على المصادر الغربية واليهودية للتاريخ العربي

صحيح أن هناك العديد من المثقفين العرب الغيورين على أمتهم وتاريخها الحضاري ممن يقفون في وجه الغزو الثقافي .. وفي وجه التزوير والمزورين اليهود والغربيين ويحاولون الكشف عن مواطن التزوير ودحض ادعاءاتهم ومزاعمهم إلا أن أغلبهم تاه عن اتباع المنهج الصحيح عندما غاص في لجات الاعتماد على التوراة والمصادر الغربية ـ في هذا المجال كمراجع واتخذ منها دليلا لعمله، في حين أنها موضع شك وموطن للتزوير.. اذ كان ومايزال من الواجب الاستعانة بالمعلومات والمعطيات التي وفرتها الوثائق الاثرية المكتشفة بأرض العرب عوضا عن ذلك، لتكذيبها ودحض ماجاء فيها من ادعاءات ومزاعم وأباطيل جملة وتفصيلا مما جعلهم يفشلون في تحقيق الغاية المرجوة ـ والوقوع في خطأ الاعتراف والتسليم بمعظم ما جاء فيها، على أنها حقائق ومسلمات، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: الاقرار من حيث المبدأ بصحة وجود دولتي اسرائيل ويهوذا ـ المزعومتين، في التاريخ القديم على أرض العرب، وبدور وبنفوذ الاسرائيليين والعبرانيين واليهود، المزعوم أيضا، في التاريخ القديم لهذه المنطقة العربية، وهناك العديد من الامثلة على ذلك، ولنأخذ منها ما قاله البعض، ممن وقعوا في الخطأ، في هذا المجال وتناولوا جانبا من تلك المزاعم في كتاباتهم:

١ـ **يقول س.ناجي** ـ في كتابه "المفسدون في الارض" ص١٠١، وهو ممن تصدوا في كتاباتهم لدحض مزاعم اليهود والغربيين... **يقول:** "يزعم فلافيوس اليهودي ـ أن عدد اليهود الذين كانوا يحضرون الى القدس، من زعماء المستعمرات سنويا، للتشاور مع المجلس الكهنوتي اليهودي الاعلى، كان يربو في بعض السنين على مليوني نسمة،

وفي العام السابق لثورتهم الكبرى "ضد الرومان" بلغ من قدم إلى القدس قرابة ثلاثة ملايين نسمة". إن مجرد ذكر ذلك خطأ بحد ذاته، لا لأن ما جاء فيها من المبالغة ما لا يصدقه انسان، لاسيما في عدد الزعماء ودورهم المتميز في المشرق العربي، حتى ولو حاول استعمال كلمة - يزعم -... في بداية حديثه.

٢- **ويقول - س. ناجي** - في نفس الكتاب ..ص٩٣: "...ثار اليهود وهاجموا الحامية الرومانية .. في حصن انطونيا وقتلوا افرادها... ودامت الثورة أربعة أعوام... وعندما اعتلى العرش الروماني - فاسباسيان — حاكم سورية السابق، كلف ابنه — تيتوس - بقمع الثورة اليهودية... فدحرهم في مختلف انحاء المنطقة... ويذكر فلافيوس اليهودي ان عدد سكان القدس ارتفع آنذاك الى مليوني نسمة..".

٣- **ويقول - س. ناجي** - في نفس المصدر - ص٩٥-٩٦: "ولما تم لتيتوس — ابن الامبراطور - فاسباسيان - تطهير فلسطين من العصاة اليهود، عاد الى روما مصطحبا الغنائم الحربية والاسرى وفي طليعتهم: سيمون بارجيورا — وجان بيشالا — رأسي الفتنة.. وفي أعقاب هذا النصر ظن الرومان أنهم تخلصوا نهائيا من الخطر اليهودي ولكن الاحداث أثبتت خطأ ظنهم.. فبمجرد أن استكان اليهود في ربوع فلسطين، بدأ المجلس الشيطاني أي المجلس الكهنوتي اليهودي الاعلى، بتحريض أتباعه في المستعمرات الاخرى، فقامت الاتصالات بين الجاليات اليهودية ووضعت المخططات السرية اللازمة لمناوأة الرومان، حتى كان عام ١٣٠م، واذا بثورة يهودية عامة تندلع نيرانها فجأة في كافة أنحاء الشرق، من العراق حتى ليبيا، أقدم فيها اليهود على مباغتة الحاميات الرومانية والعساكر غير اليهودية وأعملوا فيها القتل والذبح ونشروا فيها الخراب والدمار.. وذكرت المصادر الرومانية أن يهود ليبيا تحت أمرة، أندرياس — كانوا يقتلعون قلوب ضحاياهم ويأكلونها.. وأن عدد القتلى على أيديهم قد بلغ في ليبيا و حدها ٢٥٠ ألف قتيل، وقد فعلوا مثل ذلك في كافة البلاد التي تمكنوا من أهلها ويقال أن ثورتهم هذه امتدت ثلاثة أعوام، والغريب في هذه الثورة هو بقاء يهود فلسطين بمعزل عنها حتى النهاية...الخ.؟."

إن مجرد كتابة مثل هذه الاكاذيب هو نوع من الترويج غير المباشر أو المقصود لها لاسيما وأنها توحي للقارئ العادي بأن المنطقة وكأنها كانت خلاء من أهلها العرب اللهم الا من الرومان واليهود الذين يتحدونهم للسيطرةُ ليس على المشرق العربي فحسب وانما على المغرب ايضا، فالثورة التي امتدت، كما جاء في تلك الاكاذيب، من

الفرات الى ليبيا، وبدون مشاركة يهود فلسطين فيها، وهم حسب المزاعم... كانوا الاساس ومركز قوتهم في المنطقة، انما تدل على عظم قوتهم وسطوتهم ونفوذهم الشامل في المنطقة، وهذا ما تتسلح به الصهيونية، وأنصارها في الغرب لتدعيم ادعاءاتها ومزاعمها عن الحق التاريخي لليهود في فلسطين والارض العربية الممتدة من الفرات الى النيل، في حين أن كل ما ذكر ليس له أساس من الصحة واقعيا في أية مرحلة من مراحل التاريخ سواء قبل أو بعد الميلاد، وان كل ذلك من نسج خيال المزورين اليهود التوراتيين والغربيين الاستعماريين.

٤ـ **أما ـ د. جورجي كنعان ـ فإنه يقول** في كتابه "سقوط الامبراطورية الاسرائيلية" ص٤٢: "لايهمنا في هذا البحث ـ موسى النبي، والمشروع... لاموسى الذي مابرح اسمه وأصله يثيران الجدل الشديد بين الباحثين وعلماء التاريخ، وانما يهمنا موسى القائد الفذ الصلب الارادة.. الطموح السياسي، لبناء دولة ـ أمة ـ مملكة، فاختار لتحقيق طموحه هؤلاء المضطهدين ـ المستعبدين، أي بني اسرائيل، وقد تمكن من استجماع قوى الاسرائيليين وبذلك صنع منهم ـ قومية ـ أمة... اذ ماكان لأمة عظيمة أن تبنى إلا بقيادة عظماء الرجال أي موسى.. فاننا نجد أن ماروي عنه في التاريخ المبكر صحيح على ما يبدو".

إن جورجي كنعان ـ يعترف هنا، من حيث كان يدري أو لا يدري، بوجود ـ قومية ـ أمة سواء أسماها ـ اسرائيلية أم يهودية، فالامر سيان، يضاف الى ذلك أنه يستعمل أكثر من اسم للجماعة الواحدة في ص٤٢-٤٣ مثل: الاسرائيليين ـ القبائل العبرية، الجماعات اليهودية، علما أنه لم يكن هناك أي رابط عرقي ـ أو ديني ـ بين تلك الجماعات، فالاسرائيليون هم أبناء وأحفاد يعقوب المكنّى باسرائيل ـ وحملوا هذا الاسم نسبة اليه وهم عرب نسبة لجدهم الأعلى ابراهيم العربي الآرامي ـ ولم يكونوا يهودا بل حنفاء مسلمين، على ملّة جدهم ابراهيم الذي ظهر في القرن التاسع عشرق.م في حين ظهرت اليهودية بعد موسى الذي جاء بديانة التوحيد في القرن الثالث عشرق.م، وعليه فان انتساب اليهود الى اسرائيل والاسرائيليين ـ عرقيا ودينا، كمجاميع بشرية باطل وليس له أساس من الحصـ

اليهود وتوراتهم ليسوا من ديانة التوحيد الموسوية.بشيء

أما العبرانيون ـ فهم من سكان منطقة السراة في غرب شبه الجزيرة العربية ـ أصلا وحملوا هذه التسمية عبرانيون، نظرا لعبورهم المستمر لنهر ـ الثرات، الذي كان ينبع

من تلك المنطقة ومن ثم جفت مياهه قبل الميلاد بعدة قرون، فكل من كان يعبر من والى احدى ضفتيه فردا كان أم جماعة، كان تنطبق عليه تلك التسمية: عابر عابرون فصار مع مرور الزمن عبران - عبرانيون، ولذلك فهم كجماعات وليس كأفراد، ليسوا بيهود أيضا، ولا صلة لهم بالاسرائيليين حتى، ولو اعتنق بعض الافراد منهم اليهودية بحكم وجود القبائل الاسرائيلية، والجماعات اليهودية كسكان في تلك المنطقة في الزمن السابق للميلاد، فالمجلس الكهنوتي الاعلى الذي ألف التوراة قبل الميلاد بعدة قرون، أرجع نسب وحسب اليهود لاسرائيل والاسرائيليين لاكتساب مكانة دينية وعرقية واجتماعية رفيعة وليزعموا ان أكثر الانبياء منهم.. الخ، الامر الذي اقتضى التنويه ووضع النقاط على الحروف لازالة الالتباس.

٥- **ومع ذلك يعود - د. جورجي** - مرة أخرى في ص٥٧-٥٨، من كتابه آنف الذكر، **فيصدق ماجاء في التوراة** من بدع وتلفيقات وادعاءات يهودية ومنها أن: الاسرائيليين، أي اليهود ألحقوا الهزائم بممالك بلاد الشام الجنوبية والوسطى **فيقول** وهو يحاول تعليل أسباب ذلك: "ان بلاد الشام خضعت في تاريخها القديم لخصائص بيئتها وتنوع تضاريسها وقيام الفواصل الجبلية بينها والحواجز الطبيعية فيها فترتب على ذلك صعوبة اتحاد أهلها في وحدة قومية صريحة خلال الغالبية العظمى من تاريخهم وتوزعت الوحدات السياسية الاقتصادية على هيئة دويلات صغيرة ومدن مستقلة.. تمتد من أوغاريت وأرواد شمالا على طول الشاطئ عبر جبيل وصيدا وصور الى غزة في الجنوب، وكان من مدنهم الداخلية: أريحا - وجازر وأورشليم، وشكيم والى الشمال دمشق فـ ايبلا وغيرها..، وعلى الرغم من المنجزات الحضارية العظيمة، التي حققها الكنعانيون في الجزء الجنوبي من سوريا - فلسطين - وعلى امتداد الساحل السوري من صور جنوبا الى أوغاريت شمالاً، فان طبيعة الارض حرمتهم من تكوين دولة موحدة قوية كتلك الدول العظمى...الخ.

أ - **إن أحداث التوراة** إن صح وقوعها، فانها لم تتعد صراع الجماعات اليهودية التي كانت تعيش حياة بدوية رعوية متنقلة، مع العشائر وأصحاب الأرض من المزارعين في منطقة جبال غامد والسراة ومحيطها بغرب الحجاز، وفي نطاق جغرافي لا يتعدى عرضا وطولا عشرات الكيلومترات ولم تكن لهم الغلبة على بعضها الا نادرا، **والجدير بالذكر** أن كل زعيم أو شيخ جماعة أو قبيلة أو نجع أو قرية... كان يسمى آنذاك ملكا، وما نقله التوراة بهذا الخصوص لا يتعدى ذاك الاصطلاح أو المفهوم.

ب ـ **إن خصائص البيئة** والتضاريس والحواجز الطبيعية، هي أصعب على من يروم الغزو منها على أهلها الساكنين فيها لمعرفتهم بمسالكها وتحصنهم فيها... وهـذه ميزة ساعدت كثيرا على صا. الغزوات التي تعرضت لها بلاد الشام قديما، كما أنهـا لم تحـل دون وحدة بلاد الشام في دولة مركزية أوسع نطاقا منها على وجه العموم، كالدولة السورية المركزية التي تأسست في الألف الرابـع ق.م في عهد السومريين والآكـاديين وتوارثها أحفادهم البابليون والكلدان والآشوريون والفينيقيون واستمرت حوالي ثلاثـة آلاف عام حتى عهد الملكة زنوبيا في الألف الأول ق.م، وبسطت سيطرتها على الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض المتوسط وتقاسمت السيطرة والنفوذ ليس على هذه المنطقة فحسب وانما على العالم القديم أيضا مع دولة وادي النيل العربية التي اصطلح على تسميتها، في التاريخ الحديث بالدولة الفرعونية.

ج ـ **لاندري ما اذا كان ـ د. كنعان يعرف هذه** الحقائق أم لا؟ ولكن ماقاله من مثل: كتلك الدولة العظمى ويعني بها اسرائيل القديمة ـ التي لم يكـن لها وجـود أصلا لافي بلاد الشام ولا في سواها من أرض العرب أو غيرها، يجعلنا نستنتج أنه لايعرف ذلك، مما أوقعه في الخطأ والاخفاق في تحقيق الغاية التي سعى اليها في كتابه... ألا وهي تكذيب المزاعم اليهودية ـ التوراتية والادعاءات الصهيونية.

أما أكثر الذين تمركسوا من العرب فقد ذهبوا الى ما هو أبعد وأخطر من ذلك .. بانكارهم الصريح أحيانا، وجود أمة أو حضارة عربية أصيلة، ناظرين الى الحضارة العربية الاسلامية على أنها حضارة اشترك في انجازها جميع الشعوب الاسلامية غير العربية، ولهذا ليست عربية، وهناك العديد من الأمثلة الاخرى ومنها **ما قاله، سليمان مظهر**[1]حيث تناول مجموعة من الأحداث التوراتية بشكل خاطئ وعلى النحو التالي:ـ

١ـ **قال عن ابراهيم الخليل** وأسرته أنهم هربوا من أور في جنوب العراق، خوفا من بطش قومهم بهم ـ **قائلا:** "... وأخذوا يضربون في الأرض حتى بلغوا أرض كنعان التي تستوطنها قبيلة كنعان العربية النازحة من الجزيرة العربية".

فهو هنا كتب كغيره ممن كتبوا بشكل خاطئ ـ حول تاريخ المنطقة العربية القديم ـ نقلا عن التوراة والمصادر الغربية والصهيونية، فقد وقع في الخطأ عندما أكد دون أن يدري ما أراده المزورون... الذين نقلوا أحداث وجغرافية التوراة من مكانها الحقيقي

---

(١)سليمان مظهر ـ قصة الديانات الطبعة الاولى ١٩٨٤ ـ بيروت.

في غررب شبه الجزيرة العربية وأسقطوها على فلسطين مع مجمل الأسماء والأماكن التي ورد ذكرها في التوراة وحاولوا جعل معظم الاثار العربية الحضارية القديمة في فلسطين يهودية الأصل.

٢- هذا بينما الحقيقة أن ابراهيم ولد وعاش والعشيرة التي ينتسب اليها وأحفاده ومنهم الاسرائيليون في منطقة السراة في غرب الجزيرة العربية، وان أور التي ذكرها التوراة ليست أور العراقية بل تلك الواقعة في السراة وكذلك عشيرة أو قبيلة الكنعانيين، التي قال عنها أنها نزحت من الجزيرة العربية الى فلسطين، التي لم تكن الأرض التي قصدها ابراهيم عند هروبه من قومه.

٣- **ومع ذلك يتابع صاحبنا فيقول** عن ذلك: "وأطلق أهل كنعان على ضيفهم ابراهيم اسم عبري ـ ويضيف من عنده ـ ومعناه الرجل الذي جاء عبر دجلة والفرات... كما أسموا أسرته بالعبرانيين". وأضاف: "ومضت الأيام بابراهيم اله العبرانيين في أرض كنعان"، ويعني فلسطين، وأضاف أيضا: "... ان جميع القبائل الأخرى كانت تعبد الأصنام أما هؤلاء العبريون فقد كانوا يتبعون تعاليم ابراهيم ويؤمنون بأن الأصنام يجب ألا تعبد على الاطلاق".[1] .

٤- **فبعد أن يمر ـ مظهر ـ** على ذكر اغتصابهم لفلسطين ـ واقامة دولة اسرائيل ـ المزعومة في عهد شاؤول وداوود وسليمان ـ ومن ثم انقسامها الى دولتي اسرائيل ويهوذا ـ وبناء الهيكل في أورشليم... وتحولهم الى زراع بعد بداوة، ومن ثم تدميرهما على يد بابل وآشور ـ وفي فترات زمنية متباعدة نسبيا وسبيهم... وعودتهم بعد ذلك على يد قورش.. واقامة دولتهم وبناء الهيكل من جديد ـ جاء الاغريق والرومان، على التوالي ـ فدمروها والهيكل معا، **ويعقب على ذلك فيقول:** " واستمر كفاح اليهود ضد الأعداء العديدين لهم قرابة مئتي عام وأخيرا دمرت أورشليم مرة أخرى وأحرق الهيكل الثاني وتفرق اليهود في عدة بلاد، وكانت آخر أيام اليهود في الأرض التي غزوها واستوطنوها هي عام سبعين ميلادية ويضيف أنهم عاشوا فيها قرابة ١٩٠٠ عام قبل أن يعودوا الى اغتصابها من جديد[2] .

---

(١) سليمان مطهر ـ المرجع السابق ص٣٠٢.

(٢) سليمان مظهر ـ المرجع السابق ص ٣٢٩.

٥- **وقال أيضا:** "... وخلال آخر حرب خاضوها - فوق أرضهم - قتل أكثر من مليون ونصف مليون يهودي .. وهدم القيصر طيطوس .. أسوار أورشليم - القدس - وأشعل النار في المعبد الثاني..."(١)

الأخطاء والملاحظات :

١- **إن مظهر** - يثبت اسقاط احداث التوراة وجغرافيتها على فلسطين، بما أورده... دون ابداء رأي أو تكذيب... كغيره ممن وقعوا في مصيدة من زوروا التاريخ وأماكن أحداثه الواقعية غير الملفقة.

٢- **ويقول : قبيلة كنعان النازحة** من الجزيرة العربية.. أي انها طارئة على فلسطين بدلا من استعمال عبارات العرب الكنعانيين ودون ذكر النازحة لان ذلك ينتقص من وجودهم كشعب عريق في وطنه، ومن حقوقهم التاريخية فيه ويجعلهم متساوين مع من يعد بعدهم اليها . كالاسرائيليين مثلا باعتبارها ارضا لم تثبت ملكيتها الوطنية والقومية بعد، أي ارض مشاع وخالية من السكان ومفتوحة لمن يأت ليعمرها، علما بان الاسرائيليين لم يطؤوها في أي مرحلة من مراحل التاريخ إلا أفراد، ولم تكن مشاعا أو خالية.. ايضا فقد كانت ارضا وسكانا عربية منذ ما قبل التاريخ.

٣ - **ويقول : واطلق اهل كنعان** على ضيفهم ابراهيم اسم عبري.. ويضيف الذي جاء عبر دجلة والفرات أولا : أن ابراهيم لم يكن عبريا ولاذريته دعيت بالعبرانيين، لأن مفهوم عبري وعبرانيين برز كاصطلاح على من كانوا يعبرون مخاضات نهر الفرات في منطقة السراة بغرب شبه الجزيرة العربية، من مختلف القبائل البدوية وسكان القرى العرب في تلك المنطقة.

وبعد ظهور موسى ورسالته.. في تلك المنطقة ايضا، ثانيا فان ابراهيم لم يأت من اور العراقية عبر دجلة والفرات إلى فلسطين، وانما كانت رحلته وحكايته مع قومه.. وهروبه منهم وانتقاله من مكان الى آخر بما في ذلك قيامه وابنه اسماعيل ببناء بيت الله الحرام -الكعبة- بمكة هناك أيضا ولم يتعد في حركته شبه الجزيرة العربية، وما عدا ذلك من اماكن وأسماء نسبت اليه في فلسطين ان هي إلا اسقاطات يهودية.

---

(١) سيمون مظهر . المرجع السابق ص ٣٣٧.

٤ – **ويقول : عن ابراهيم** انه إله العبرانيين.. فابراهيم لم ينسب لنفسه الالوهية ولا أحد -كما اعرف- نعته بهذا، كذلك لم يكن عبرانيا، كما ذكرنا أنفا فمن أين جاء -صاحبنا- مظهر بكل دلك ؟!.

٥ – **فبعد أن يؤكد -صاحبنا-** واقعية أحداث الثورة -المزعومة- والمسقطة على جعرافية فلسطين -من حلال سرده لها دون تفنيد او شك بمصداقيتها : كقيام دولة اسرائيل وبناء الهيكل في اورشليم -أي القدس- وتعرضها للعزو والندمير.. **ويضيف قائلا** : واستمر كفاح اليهود ضد الاعداء العديدين.. وانهم عاشوا فيها - أي في فلسطين- قرابة ١٩٠٠ عام قبل ان يعودوا الى اغتصابها من جديد -أي في العصر الحديث-.

– **ان تلك الاحداث التي ذكرها** نقلا عن التوراة والمصادر الغربية – لم تكن في فلسطين بما فيها ما اسماه بالغزو البابلي والاشوري – لأن هؤلاء لم يكونوا غزاة، عندما كانوا يمارسون حقهم في ارضهم باسم الدولة العربية السورية المركزية آنذاك، لحماية الخط التجاري طريق الحرير من تعديات العشائرعلى قوافل التجار المارة من هناك في غرب شبه الجزيرة العربية، بما فيها عشائر بني اسرائيل، وكذلك قام الغزاة الفرس والاغريق والرومان – بمثل ذلك في نفس الاماكن ابان سيطرتهم على المنطقة، ولم يكن تأديبهم لتلك العشائر الاسرائيلية في فلسطين، بل هناك لانها كانت خالية إلا من بضعة آلاف منهم كحد اقصى في ظل الحكم العربي الاسلامي، وحتى القرن التاسع عشر الميلادي.

٦- **ويقول صاحبنا** وخلال آخر حرب خاضوها ـ أي اليهود ـ فوق أرضهم ـ أي فلسطين ـ قتل أكثر من مليون ونصف مليون يهودي، وهدّم القيصر الروماني ـ طيطوس ـ أسوار أورشليم ـ أي القدس ـ واشعل النار في الهيكل الثاني .

أ ـ **ان عبارة فوق أرضهم** ـ هي عبارة عن تأكيد ـ لمزاعم التوراة ولادعاءات الصهاينة عن حقوق تاريخية لهم في أرض فلسطين.

ب ـ أما ايراد عبارات ـ قتل من اليهود مليون ونصف المليون على أيدي الرومان، فهي عبارات جوفاء وبدعة يهودية أكثر منها حقيقة مبالغ فيها ولايقبلها العقل السليم لأن سكان فلسطين ـ خلال الغزو الروماني للمشرق العربي، كانوا من العرب وجماعة قليلة جدا من اليهود وسواهم، ومن تصدى للغزو الروماني هم العرب ابان مملكة تدمر والبتراء...ولذلك من أين جاء هذا الرقم الهائل عن عدد القتلى اليهود، الذي

جعل في فلسطين، والذي قلما يسقط مثيل له في الحروب الحديثة، التي تستخدم مختلف الاسلحة الفتاكة وفي ظل كثافات سكانية في عموم الأقطار، لم تكن موجودة على الاطلاق قبل أكثر من ألفي عام لافي فلسطين ولا في سواها، ليسقط منها مثل هذا العدد الهائل دون أن ينقرض سكانها نهائيا.

فاذا كانت فلسطين ـ كغيرها من بلدان العالم ـ في هذا العصر ـ المتميز بالنمو الهائل للسكان ـ لم يتجاوز عدد سكانها من مختلف الطوائف عام ١٩٤٨ على سبيل المثال، مليون وربع المليون نسمة، فكيف يمكن أن نصدق مثل تلك البدعة، المسقطة على فلسطين أرضا وسكانا.

طبيعة العلاقات المصرية الفينيقية ـ الآشورية:

كتب ـ عبد الهادي البكار ـ المصري ـ الذي عمل مذيعا أيام عبد الناصر ـ موضوعا نشرته مجلة الكفاح العربي على حلقتين في عددها ٩٠١ ـ ٩٠٢ في ٦و١٣ تشرين الثاني ١٩٩٥. **تحت عنوان ـ الى أنيس منصور وباقي الانهزاميين** ـ العلاقات المصرية ـ السورية ـ صفحات مجهولة ـ وذلك ردا على من أسماهم بالانهزاميين ـ المشككين ـ على ما يبدو ... بمبدئية وأصالة وجدوى تلك العلاقات ـ الراهنة ـ بين مصر ـ وسورية ـ محاولا جعلها متميزة وحدها وذات جذور تاريخية من بين الأقطار العربية .. للتدليل على متانتها ورسوخها الدائم عبر التاريخ... اضافة الى فوائدها الكبيرة في هذه المرحلة ـ ولكن على نحو خاطئ لاشتمال اقواله على العديد من المغالطات، ان لم نقل الافتراءات على بعض العرب ... **وهذا نقتطف من موضوعه الفقرات التي تتضمن ذلك:ـ**

فقد قال: "... واذا عدنا الى تاريخ عهد تحوتمس الثالث الفرعوني .. الذي شهد تطورا أفضل طرأ على العلاقات الوحدوية بين مصر الفرعونية ـ وفينيقيا العربية السورية... بل ان مصر منذ عهد تحوتمس الأول ثالث ملوك الاسرة الثامنة عشرة الفرعونية اتخذت قرارها بارساء قواعد السياسة الخارجية على أساس توحيد دائم للبلاد المصرية ـ والبلاد الفينيقية سورية الحالية ولبنان وفلسطين والاردن وجزء من الأراضي الواقعة اليوم تحت السيادة العراقية، وقد كان لذلك الدمج الوحدوي المصري ـ السوري ـ أسباب موضوعية وحاجات ضرورية منها حاجة كل من مصر ـ وسورية ـ مجتمعتين موحدتين ـ الى صد الغزو الخارجي عليهما". **نفهم من ذلك** أنها ليست حاجات قومية عربية وحدوية ومصيرية ـ لعدم وجود ما يجمعهما من هذه الناحية

كما يبدو من المعنى وسياق العرض، فمصر فرعونية فحسب، وفينيقيا ـ السورية عربية.

ويضيف قائلا: "... وفي عهد الاسرة الفرعونية التاسعة عشر كاد الغزاة القادمون من آسيا الصغرى ينجحون في فصل سورية عن مصر لولا تحالف ملك سورية ـ الشمالية ـ بيتشينا ـ مع رمسيس الثاني ـ وقد أدى ذلك التحالف الى عقد أول معاهدة في تاريخ المعاهدات الدولية بينهما خوفا من خطر الآشوريين عليهما".؟

وهنا يبدو من عبارة ـ فصل ـ وكأن سورية كانت جزءا من الدولة المصرية ـ التي أسماها ـ بالفرعونية ـ أو أنها كانت مندمجة بها قسرا ـ ففي حين لم يذكر عروبة مصر ولو لمرة واحدة ـ يعتبر الآشوريين غزاة جاؤوا من آسيا الصغرى ـ طمعا باحتلال الأرض العربية ـ الفينيقية السورية، دون أن يعلم ـ على ما يبدو ـ **أن آسيا الصغرى كانت** حينذاك عربية وأن الاشوريين هم والسوريين والمصريين عرب منذ ماقبل ذاك التاريخ

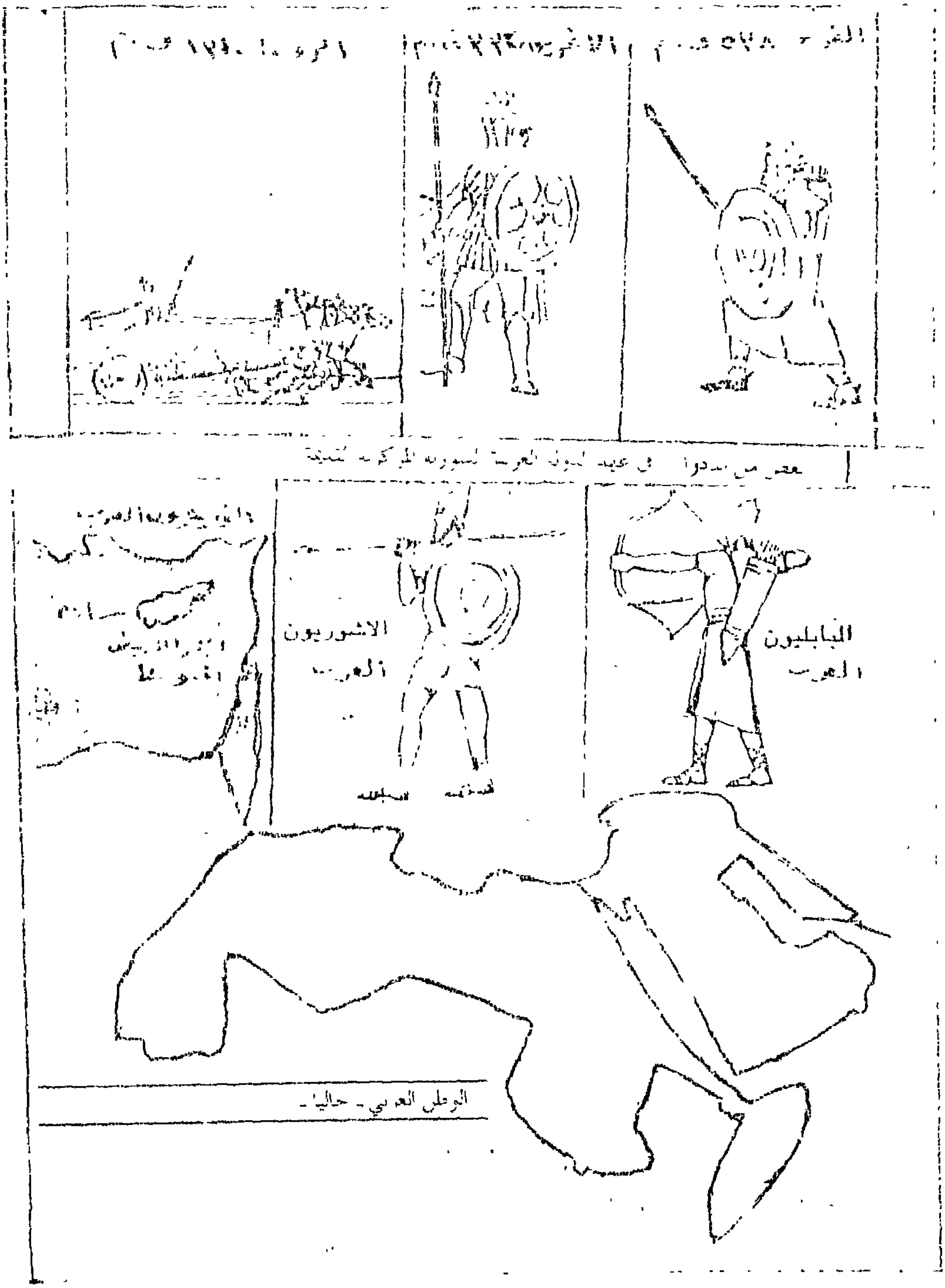
ويضيف صاحبنا... ليؤكد أن الخطر عليهما كان قديما ومازال حتى اليوم ـ مصدره الرئيس يأتي من أرض آشور ـ **قائلا:** "... ومن الممكن ملاحظة أن سورية ـ ومصر ـ توحدتا أواخر النصف الثاني من خمسينات القرن العشرين في ما سمي بالجمهورية العربية المتحدة لمواجهة ما كان يدعى حتى عام ١٩٥٨ بـ حلف بغداد في أرض آشور القديمة، وفي عام ١٩٩١ كرر التاريخ نفسه عقب غزو العراق للكويت، كأنما آشور ـ ومصر الفرعونية القديمة ـ وفينيقيا ـ ما تزال حية تمارس الشهيق والزفير، في وقت يكاد فيه الصراع بين ذرية بني اسرائيل وذرية مصر القديمة ـ يتجدد بعد وأده في قبر كمب ديفيد الشهير.؟

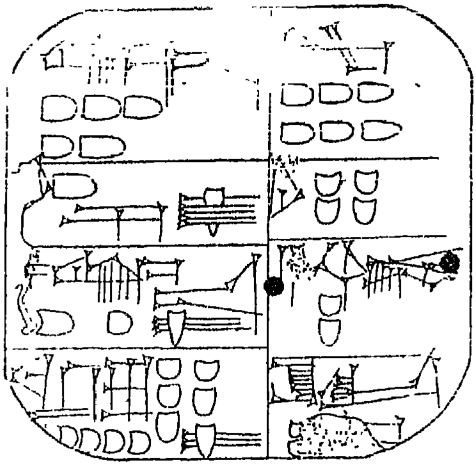
فاذا جاز لصاحبنا البكار ـ اظهار وتأكيد محاسن وفوائد وضرورات التعاون والتنسيق بين مصر ـ وسورية، في هذا الزمن العصيب والخطيرمن تاريخ العرب ـ وما يتخلله من تحديات ... مصيرية محدقة بأقطارهم وبالأمة العربية عموما ـ كدور ووجود وثروات وتاريخ وحضارة .. وهو ولا شك ما قصده صاحبنا ـ **فلا يجوز له قلب الحقائق التاريخية** لتتناسب وتتفق وذلك القصد... ومحاولته جعل ما ذكره من المسلمات عندما أسقط ما هو مرحلي واستثنائي وعابر ـ كالعلاقات بين بغداد اليوم ـ وسواها من العواصم العربية الأخرى ـ على ما هو استراتيجي ودائم وثابت منها ـ كعلاقة الأقطار وجماهير الامة العربية ـ الطبيعية ـ بعضها بالبعض الآخر: تاريخيا وقوميا وجغرافيا ولغويا وثقافيا ونفسيا ومصلحيا ومصيريا، أو تغلب ما هو قطري وشاذ

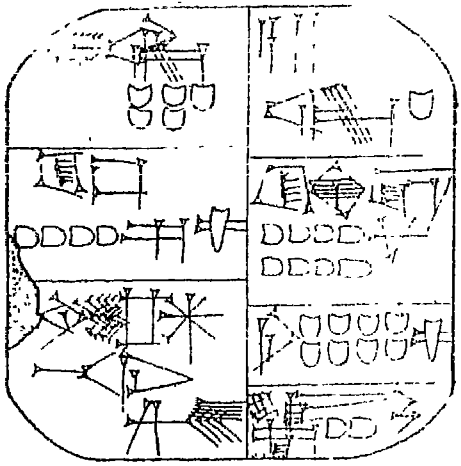
ومتغير ـ كالسائد عربيا اليوم، على ما هو مشترك ودائم قوميا عربيا، على امتداد الزمن عبر الماضي والحاضر والمستقبل أيضا، اذا ما سلمنا بأن الاساس في علاقات الترابط الأزلي والأبدي، قوميا ... تنبع من أوساط وأعماق جماهير الأمة العربية... وليست رهنا بعلاقة الحكام بعضهم بالبعض الآخر الا استثناء **لذلك فان مثل هذا التغليب** .. لايمكن قبوله مهما كانت المبررات والضرورات، أو الاستشهاد بأحداث التاريخ القديم والراهن لتأكيد الصراعات العربية ــ العربية ... وعلى نحو خاطئ كحجة لاضفاء مصداقية على ما قاله، وخاصة حول العلاقات التاريخية بين كل من مصر وسورية القديمتين، والحديثتين معا من جهة وآشور العراقية القديمة والحديثة أيضا والتي صب جام غضبه عليها وعلى دورها التاريخي... الذي اعتبره دائم السلبية والعدوان منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام وحتى اليوم، من جهة ثانية.

يبدو أن صاحبنا... يجهل عروبة مصر وفينيقيا وآشور وباقي أقطار الوطن العربي ـ منذ ماقبل التاريخ، بدليل استخدامه ــ مصطلحات: الفرعونية ــ والفينيقية ــ والاشورية.. عوضا عن العربية... للتمييز بين كل منهم من حيث الانتماء القومي ــ على الأغلب ـ بل ذهب الى ما هو أكثر من ذلك **حينما وصف الآشوريين بالغزاة** القادمين من الخارج... **وهو بذلك انما يكرس** ـ من حيث لايدري ـ ماوضعه الغرب والصهاينة من مصطلحات وتسميات ــ ليجعلوا من مواطني الوطن العربي شعوبا متباينة الانتماءات القومية ـ ومتناحرة ابدا ـ وليس بينهم من وجود للعرب الا سكان صحاري شبه الجزيرة العربية ومحيطها الجنوبي ـ ليصلوا الى نتيجة مؤداها أن من بنى حضارات المشرق العربي ووادي النيل ليسوا العرب ـ بل تلك الشعوب التي تعمدوا جعلها غير عربية.

كما يجهل صاحبنا ـ على ما يبدوا أيضا ـ ان العراق التي نعتها بالاشورية ـ وكأنها شتيمة كانت عاصمة للدولة العربية المركزية السورية القديمة ولحقبة تاريخية امتدت لأكثر من ثلاثة الاف عام، أيام كانت عاصمتها اجادا ثم بابل وآشور ونينوى... كما كانت مركزا للامبراطورية العربية الاسلامية في عهد العباسيين... التي توحدت في اطارها منذ العهد الاموي كافة الاقطار العربية، من أقصى المشرق الى أقصى المغرب بما فيها مصر ـ التي اسماها بالفرعونية ـ اضافة الى أقطار اخرى اسلامية ــ غير عربية، عندما كانت عاصمتها بغداد التي جعلها مصدر الخطر الدائم تاريخيا دون استثناء ــ على مصر الفرعونية ... وفينيقيا السورية تماما كما كانت في عهد اسلافهم الامويين عندما كانت عاصمتها دمشق ـ السورية ـ الفينيقية ، التي جعلها على طرفي نقيض مع


البابليون
العرب
الاشوريون
الوطن العربي - حاليا -







مكتشفات تل بيدر ـ شمال الحسكة.

بعض اللوحات الأثرية التي اكتشفت عام ١٩٩٥ في تل بيدر شمال الحسكة السورية، وعليها كتابات مسمارية تعود الى عصر سرجون الأكادي الألف الثالث ق.م. تشهد على رسوخ وحدة وعروبة السكان لغة وكتابة وحضارة في وادي الرافدين وبلاد الشام والمشرق ممثلة في ذلك الأكاديين والعموريين والسومريين والبابليين والآشوريين والفينيقيين.



نموذج من آثار وادي الملوك التي تشهد على عظمة الحضارة العربية القديمة في وادي النيل، وتناغمها وتكاملها وتواصلها مع الحضارة العربية المشرقية لمنطقة الجزيرة العربية وشمال إفريقية وآسيا الصغرى، وحوض المتوسط خلال الآلاف السنين السابقة للميلاد



هرم خوفو يبلغ ارتفاعه ١٤٧ متراً، تطلّب ٢٥ عاماً من العمل، بدأت عام ٢٨٥٠ قبل المسيح.
بنى الهرم مئة الف عامل، كانوا يستبدلون كل ثلاثة اشهر، واكثريتهم الساحقة كانت من العبيد اسرى الحرب.

بغداد ـ مسقطا بذلك دون أن يدري ـ تلك الحقبة وسواها من الحقب السابقة واللاحقة، من تاريخ العلاقات .. وعمق ومتانة الروابط القومية العربية ورسوخها بينهما ومعهما مصر وباقي الاقطار العربية الاخرى ـ كروابط اللغة ـ والارض ـ والتاريخ المشترك ومشاعر الانتماء القومي العربي الواحد ـ نفسيا وثقافيا وحضاريا ومصيريا.. التي تبلورت منذ آلاف السنين في بوتقة تشكل الأمة العربية وكيانها القومي الموغل في القدم ـ والذي انتصب شامخا بكل معالمه وابعاد التكاملية على أرض الواقع بشريا وجغرافيا... وترسخ وجوده عبر التاريخ، مع قيام أول دولتين في التاريخ الانساني منذ حوالي ستة آلاف سنة هما الدولة العربية السورية المركزية القديمة ـ والدولة العربية المركزية القديمة الاخرى في وادي النيل ـ اللتين تقاسمتا النفوذ في العالم القديم بأسرة لعدم وجود منازع لهما آنذاك،

إن سيادة لغة التخاطب والثقافة والكتابة بالفينيقية الكنعانية في وادي النيل.. لاتؤكد على متانة علاقات التحالف والتعاون الوثيقين، في السلم والحرب معا، بين الطرفين فقط، وانما هي عبارة عن تأكيد على استحالة امتلاك أحد ما القدرة -في ظل مثل تلك العلاقات- على الاعتداء أو المس بالسيادة الوطنية لاحدهما أو احتلال جزء ما من أراضيهما ليقيم دولة عليه معادية لهما، كالعبرانيين، الذين اخترعوا لهم دولة في فلسطين وزعموا أنها قامت في ذلك التاريخ، مثلا هذا، مع وجود علاقات وثيقة أيضا بالمقابل، بين الدولة السورية المركزية في وادي الرافدين - اشورية كان اسمها أم بابلية... والدولة الفينيقية الكنعانية، في زمن أوغاريت العاصمة، على الأقل، والتي كانت تشكل جسرا لتوثيق العلاقات من جديد ايضا، كلما كان يعتريها الاضطراب، بين دولتي وادي الرافدين، ووادي النيل، العربيتين المركزيتين الوحيدتين في المنطقة والعالم، في التاريخ القديم السابق لميلاد الدولة الفارسية وغيرها بعد القرن السادس ق.م حول تلك المراسلات والعلاقات بين الفينيقيين.. والمصريين وحول حجم التزوير التوراتي واليهودي والغربي الاستشراقي.. الاستعماري للتاريخ والاثار العربية المكتشفة..راجع: كتاب هـ -١- ديل ميديكو: التوراة الكنعانية ـ عن مكتشفات رأس شمرة ـ ترجمة: جهاد هواش وعبد الهادي عباس ـ دمشق ١٩٨٨.

وحول المراسلات وتلك العلاقات...ايضا راجع كتاب رحلة الى بابل القديمة د.ايفيلين كلينكل ـ براندت ـ ترجمة: زهدي الداوودي ـ دار الجليل ـ دمشق١٩٨٤. فقد كان من بين نصوص الرقم الطينية المكتشفة في بابل وحدها عددا من الرسائل

المتبادلة بين ملوك بابل وملوك وادي النيل، ومنها رسالة من الملك البابلي ـ كادشمان كايه ـ يطلب فيها من الملك المصري ـ امينوفيس الثالث الزواج من ابنته، ورسالة أخرى ـ وكلتاهما بالمسمارية ـ من ملك ـ كاردونياس ـ بابل بورنا بورياش ـ يطلب فيها من ملك مصر ـ نبيخور اوربا ـ أي امينوفيس الرابع ـ توتيق العلاقات بينهما، وارسال ما يمكن من ذهب مصر البه، فكان له شيئا من هذا وذاك... حسب النص المترجم من قبل د. محمود الامين ـ في كتابه ـ الكاشيون ـ ١٥٣٠ـ١١٦٠ق.م ـ مستل من مجلة كلية الآداب ج٦ـ بغداد ١٩٦٣ص١٢ـزـ دـ اذ غالبا ما كانت العلاقات بين وادي الرافدين والنيل طبيعية باستثناء فترات تاريخية متفاوتة القدم ومنها أخيرا ـ احتلال أسرحدون ـ الاشوري ـ اجزاء من أراضي مصر.

أما ما وصف بالصراع بينهما فلم يتعدَّ
صراع الأشقاء ـ بين الحين والآخر على مناطق النفوذ، ولكن سرعان ما كان يزول ليحل مكانه الوفاق والتعاون والوئام في معظم الاحيان.فمثل هذا الصراع يعتبر ظاهرة طبيعية بين البشر ـ أشقاء كانوا أم غير ذلك، فقد كان يقع داخل الدولة الواحدة أيضا ـ كما هو اليوم ـ فكثيرا ما كان الصراع يتفجر بين المقاطعات أو دويلات وممالك المدن التي كانت شائعة ومنتشرة في اطار الدولة العربية المركزية القديمة الواحدة، أو الاسر والاجنحة المتنفذة في الدولة و المجتمع معا، سواء بهدف الانفصال.. او الاستيلاء على السلطة السياسية ومقاليد الحكم المركزي، وهو ما يفسر انتقال السيطرة ... من أسرة الى أخرى كتلك التي حكمت سواء في دولة وادي النيل العربية القديمة التي كانت عاصمتها ممفيس ثم طيبة ـ أو الدولة العربية السورية القديمة التي انتقل الحكم فيها من الاكاديين والسومريين الى البابليين والاشوريين والفينيقيين...ـ

ومع ذلك فان مثل تلك الاعراض المرضية ـ لم تكن القاعدة بل الاستثناء ـ اذ سرعان ما كانت تزول لتعود البلاد الى عافيتها لتنعم من جديد بالامن والاستقرار والانصراف للانتاج والبناء والعمران والابداع... كظاهرة أعم وأكثر استمرارا ورسوخا، **وهو ما سمح ببناء أرقى الحضارات** في وادي النيل ووادي الرافدين وبلاد الشام بصورة خاصة والوطن العربي بصورة عامة، مما شكل الاساس لقيام الحضارات العالمية اللاحقة في التاريخ القديم.

ـ **وقياسا على ذلك** فان ما كانت تقوم به الدولة العربية السورية المركزية القديمة،

لاسيما في عهد الاشوريين من اجراءات بما فيها العسكرية ـ في اطار سيادتها... سواء في فينيقيا السورية أو سواها من المقاطعات أو الممالك الداخلية، **لايجوز وصفه بالغزو الخارجي** والعدوان الاجنبي، حتى ولو اتسم بالظلم والوحشية أحيانا وخاصة تلك الاجراءات التي كانت تستهدف منع الانفصال وحماية الدولة المركزية من التفكك وتحقيق وحدة البلاد الوطنية والقومية، تماما مثلما كان يحصل فيما بعد في عهد الامويين والعباسيين، ضد الانفصاليين أو الطامعين بالاستيلاء على نظام الحكم، بصرف النظر عن صواب أو خطأ حجتهم، اذ غالبا ما كانوا يبطشون بمثل هؤلاء الخصوم لهم، **كذلك لايجوز ايضا قياس احداث التاريخ القديم...** بمقاييس اليوم، او اضفاء صبغة تاريخية على خصومات وصراعات الحكام العرب اليوم، والتي ليس للشعب العربي يد أو رغبة فيها ولا تعبر عن مصالحه... أو جعلها السمة البارزة والشاملة في التاريخ العربي بجميع مراحله، **أما الصراع بين من أسماهم بذرية بني اسرائيل** ـ وذرية مصر القديمة، والذي أضفى عليه طابعا تاريخيا متواصلا وبالغ في تضخيمه، **فاننا نجد من واجبنا توضيح** ما اكتنف هذه المسألة من ملابسات واخطاء ومغالطات ـ للحؤول دون تأثيرها الضار في الحق والوعي... وحقائق التاريخ العربي.. كيما يبقى هناك ثمة ثغرة تتيح للعدو الصهيوني الامبريالي النفاذ من خلالها لتأكيد صحة مزاعمه وادعاءاته بحقوق تاريخية لليهود في أرضنا العربية.

أولا:ـ **إن ما يسمى بالصراع** بين ذرية بني اسرائيل ـ وذرية مصر القديمة ـ لم يكن له وجود أصلا ليتجدد، **فكل ما هنالك ان بعض ملوك مصر** القديمة ومنهم شيشنق الأول ٩٤٥ـ٩٢٤ق.م قام بحملة لتأديب عشائر بني اسرائيل وغيرها من العشائر العربية الاخرى، التي كانت تقوم بالاغارة على الخط التجاري، طريق الحرير عند مروره بمنطقة السراة بغرب شبه الجزيرة العربية، حيث كانت مضارب خيام ومغاور سكن عشائر الاسرائيليين، لسلب قوافل التجار من مصريين وآشوريين وسواهم، **وقد قام بمثل تلك الحملات التأديبية** أيضا وفي فترات متباعدة، لتلك العشائر ـ البابليون ـ والاشوريون، ومن ثم الفرس والاغريق والرومان، من بعدهم، أثناء سيطرتهم على المشرق العربي...الخ.

لذلك لايجوز جعل حفنة من تلك العشائر البدوية الاسرائيلية ـ ندا ـ لدولة عظيمة كدولة وادي النيل المركزية القديمة، لتدخل مع مثل هؤلاء في صراع دائم، أو اثبات عجزها عن حسمه، مما جعله يستمر ويكتسب طابعا تاريخيا، حسب رأي صاحبنا،

حينما **سمح لنفسه أن يقول:** كاد الصراع أن يتجدد بعد وأده في كمب ديفيد الشهير، مضفيا عليه خطأ هذا الطابع التاريخي.. الذي يوحي بأنهم أي هؤلاء الاسرائيليون كانوا يشكلون قوة لها وزنها ويحسب حسابها ولها باع طويلة في تسيير وتقرير شؤون المشرق العربي وتحدي دولة وادي النيل العربية وتهديد وجودها على الدوام... **تماما كما هو الحال مع الكيان الصهيوني في فلسطين اليوم**، حيث يشكل مصدر الخطر والتهديد الدائم للعرب مجتمعين، بشرا وأرضا ـ وثروات وثقافة وحضارة... **ولايمكن درؤه الا باقتلاع هذا الكيان الغاشم** من الوجود وتصفية وجود حماته الاستعماريين من الوطن العربي عموما.

ثانيا ـ أضاف صاحبنا ـ البكار قائلا: "... وقد كان لجزيرة ـ أرواد ـ شأن في التاريخ القديم يضارع شأن صور.. ولولا ذلك الشأن العظيم للجزيرة ... لما تفاخر الفرعون تحوتمس المصري، حين تمكن من احكام قبضته عليها، بعدما احكم قبضته على الساحل الفينيقي باصدار بيانه المعروف في أدبيات الآثار المصرية القديمة الموثقة، وأعلن فيه: انظر ان جلالته قهر مدينة أرواد، وما فيها من قمح واقتلع جميع اشجارها الجميلة، انظر لقد كان فيها قمح كل بلاد زاهي، أي بلاد سورية، لقد كانت جنائنهم ملأى بثمارها وحبوبها على الجلول كانت أكثر من رمال الساحل، وقد غمر الجيش بالحصة التي نالها من الغنائم"؟ وكذلك تكلم عن معركة قادش التي دارت حسب رأيه، بين المصريين والحثيين في سورية أيضا...الخ.

ولما كانت هذه المعلومات خاطئة تماما وتقلب حقائق التاريخ وتجعل من بلاد الشام مسرحا لها، تماما كما ورد في التزوير الاستشراقي الاستعماري الغربي والصهيوني، فاننا ندعو للعودة الى صفحة (٢٤٨) وماقبل وما بعد من هذا الكتاب للتأكد من زيفها ومن أن تلك الاحداث وقعت جغرافيا في بلاد زاهي ـ زهران، في غرب شبه الجزيرة العربية، حيث منازل وأرض الكنعانيين ومنهم بني حث ـ الحثيين ـ وقادش وسواها مما ذكره ـ البكار...الخ.

يقول ـ فيليب حتي ـ نقلا عن تلك المصادر الغربية والصهيونية، المشبعة بالتزوير للتاريخ العربي حول فتوحات ـ تحوتمس المزعومة في سورية " واجتاح تحوتمس البلاد كلها بدون مقاومة تذكر ووصل الفرات الاعلى وبلاد الرافدين، نهارين، وأما تحوتمس الثالث فقد قام بحملته الاولى واصطدم بحلف مؤلف من ٣٥٠ أميرا كان الهكسوس الذين طردوا من مصر حديثا يشكلون العمود الفقري لهذا الحلف الذي كان أمير

قادش على العاصي رئيسه، وخلال حملته الخامسة استولى على أرواد، وقد استخدم فرعون في بيانه الحربي الرسمي الذي أعلن فيه سقوط هذه المدينة العبارات التالية: انظر... وهو النص الذي سبق عرضه أعلاه" وأضاف قائلا: " وقد أصاب سميرا ـ جارة أرواد المصير نفسه، أما قادش التي كانت مصدر الاضطراب الرئيسي فقد استولى عليها أخيرا". وأضاف " وقد وضع الكهان هذه الكلمات التالية على لسان الاله آمون حامي تحوتمس بشكل أغنية للنصر: لقد عبر المنحنى العظيم لنهارين ـ في النصر والقوة الذين منحتهما لك ـ لقد أتيت لاجعلك تدوس زعماء زاهي..الخ.

وزاهي هذه ـ التي هي بلاد زهران في غرب شبه الجزيرة العربية ـ جعلها المزورون ـ فينيقيا ـ وفلسطين.

يقول د. أحمد داوود ـ في كتابه " العرب والساميون " ..ص١٧١ـ١٧٨، حول ذلك " ان دراسة تاريخية جغرافية ـ سكانية ـ منطقية ـ لغوية ـ بيئية ـ اقتصادية، تجعلنا نضع اليد على الحقائق التالية:ـ

١ـ ان اسم زاهي ـ لم تعرفه سورية الطبيعية عبر تاريخها الطويل الا عبر التزوير الاستشراقي...

٢ـ مما يستلفت النظر غياب أي ذكر ـ في تلك النصوص ـ لأي من المدن التاريخية الكبرى في بلاد الشام التي حافظت على بقائها منذ الألف الثالث والثاني ق.م على الاقل وحتى اليوم أمثال: صور ـ صيدا ـ دمشق ـ حمص ـ حماة :ـ طرطوس ـ وغيرها فهل يعقل أن يجتاح فاتح من وادي النيل كل هذه الارض الممتدة حتى الفرات الأعلى بشمال سورية دون أن يذكر ولو مدينة أو موقع جغرافي شهير واحد منها سواء في البيان آنف الذكر أو سواه من المدونات المصرية وسواها؟"

أما أرواد: فيقول عنها د. داوود:" ان هذه التسمية كما عثر عليها في الاصل هي ـ ارداتا ـ وقد أثبتها في هذه الصيغة جميع الباحثين ـ وفي النص السبعيني اليوناني للتوراة ـ أرداتوز أي عردا ـ أو عردة ـ وهي مقر عشيرة عردة بن كنعان ـ عند أعالي الفرات ـ الثرات ـ من أرض زهران في غرب شبه الجزيرة العربية.

إن التزوير الاستشراقي الاستعماري الغربي والصهيوني، في تفسير جغرافيا الأحداث التوراتية هو الذي أحدث كل هذا الركام البشع من التلفيقات... حينما جعلوا من عشيرة المصريين مصر وادي النيل ومن عشيرة الحثيين الكنعانية المجاورة ـ شعبا هندو أوربيا مزعوما على الفرات في شمال سورية فتحول بذلك كل صدام بين

تبنك العشيرتين الى حرب بين دولتين احداهما دولة مصر وادي النيل حينما وحولا فرعون عشيرة المصريين الى ملك مصر تحوتمس الاول فالثالث تارة ورعمسيس تارة أخرى، وحسب ما اعتقدوا أنه موازيا في الزمن لتلك الاحداث التي دارت بين ملوك، زعماء تلك العشائر، على طريق القوافل التجاري الدولي شرق غامد وزهران بغرب جزيرة العرب، والثانية دولة الحثيين المزعومة في شمال سورية. والتي لم يكن لها وجود أصلا، وكنا قد ذكرنا فيما تقدم ان الصراع كان يقع بين ملوك وزعماء العشائر ووكلاء المحطات على طريق القوافل التجاري، وليس بين دولتين ... فقد كان لدولة وادي النيل وكلاؤها، كذلك للدولة المركزية السورية القديمة، على تلك المحطات وغالبا ما كانوا يلقبون أنفسهم بأسماء ساداتهم...اذ كثيرا ما كانت القوافل تتعرض لغارات الاعراب من ابناء تلك العشائر الضاربة في برية العرب، ولذلك كانت تجرد عليهم الحملات التأديبية بين الحين والآخر من قبل الوكلاء أو احدى الدولتين... وهذا ما وجد له انعكاسا في السجلات والوثائق المكتشفة في قصور بابل وآشور وفي مدينة اخناتون ـ تل العمارنة....الخ.

إن ارواد السورية هي جزيرة صخرية منذ وجدت ولم تكن في يوم من الايام أرضا زراعية لعدم صلاحيتها ومحدودية مساحتها الصغيرة جدا، فكيف يمكن أن تكون ملأى بالثمار والحبوب... ليستولي عليها تحوتمس ويغمر جيشه بها؟ كما أنها لم تكن تحمل في ذاك الزمن اسم جزيرة أرواد، فعندما جاء الرومان بعد ذلك بنحو الف عام اطلقوا عليها اسم سيزيكس، وفي العصر الهلنستي اطلق عليها اسم انتارادس أو ارادس ـ والصليبيون اسموها تورتوسا ـ وفي عهد الاشرف بن قلاوون الذي حررها من الصليبيين سميت ارواد.

أما صميرا ـ سميرا ـ التي ذكرها البيان... وقال أنه اصابها ما أصاب أرواد: فهي في الاصل عشيرة الصميري أو الصماري ـ لأن الكتابة كانت آنذاك بدون صوتيات ـ الذي هو ابن كنعان ـ المجاورة لعشيرة المرادي، وقد تصدى ملك هذه العشيرة لمحاولة عشيرة الاسرائيليين المرور في تخمه من أجل أن يصلوا الى مقر ابراهيم في أرض عشيرة الحثيين ابناء كنعان في بلاد زاهي ـ زهران نفسها ، كما ذكر في ص (   )..... ولكن التزوير الغربي ـ الصهيوني ـ جعل من صميرا التوراتية هذه ـ تل الكزل الاثري جنوب مدينة طرطوس السورية ـ علما أن مكتشفاته الاثرية التي تعود الى الالفين الثالث والثاني ق.م لم يعثر بينها ما يؤكد هذا الزعم من صميرا أو سواها مما ورد ذكره.

أما نهارين: الوارد ذكرها في البيان أيضا، والـتي جعلها التزوير ... بين النهرين، وأعالي الفرات ـ وبلاد الرافدين، رغم أن النص يقول أنها في بلاد زاهي ـ وهي تعني بكل تأكيد كل من نهري: مصريم ـ المصريين ، الذي ينحدر من جبال بلاد زهران نحو الغرب ، ونهر الفرات ـ الترات ـ الذي ينحدر منها أيضا باتجاه الشرق عبر برية العرب، ان اخطائهم الجغرافية في التزوير ذاته، الذي جعل ، نهارين في فنيقيا وفلسطين وفي نفس الوقت جعلها : دجلة والفرات العراقيين ـ بلاد الرافدين ـ تكتشف ونأكد حقيقة ما أثبتناه أعلاه، اذ ان دجلة والفرات لا يقعان في فينيقيا وفلسطين جغرافيا.

إن بلاد زاهي هي بلاد زهران حاليا في غرب شبه الجزيرة العربية، وهي مؤلفة من: ره ـ وتعني كما ذكر د. احمد داوود، في كتابه آنف الذكر، بالكلدانية ـ الشمس، المشرق الساطع و رن ـ وتعني الشمس ـ العين الناظر الرائي ـ البصير ـ فيكون معنى الكلمة بلاد الشمس المشرقة أو شمس رنيا ـ التي كانت أكبر الارباب في تلك المنطقة، وقد جعلت الشاهد الرئيسي على المعاهدة التي ابرمت ما بين فرعون ـ زعيم عشيرة المصريين، وملك ـ زعيم عشيرة الحثيين الكنعانيين في نفس المنطقة وقد حولها المستشرقون الاستعماريون الالمان الى معاهده ما بين دولة مصر وادي النيل وما دعوه بـ دولة الحثيين المزعومة في أعالي الفرات بشمال سورية، التي جعلوها هندو أوربية آرية، ليتخذوا منها ذريعة تاريخية لاستعمار المنطقة.

ثالثا:ـ **إن اليهود المتجمعين** في ظل الكيان الصهيوني بفلسطين اليوم، ومعهم يهود العالم في هذا العصر ـ ليسوا من ذرية بني اسرائيل احفاد يعقوب حفيد ابراهيم العربي الارامي لأنهم يتحدرون من اعراق وقوميات متعددة... ولايدينون بديانة التوحيد التي كان يؤمن بها ابراهيم واحفاده وذريته، الذين كانوا حنفاء مسلمين ـ حسب تأكيد القرآن الكريم ـ ولا بديانة التوحيد الموسوية ايضا. والمناقضة لتعاليم التوراة الذي ألفه أحبار اليهود في القرن الثالث ق.م، هذا بالاضافة الى أن بني اسرائيل لم يستقروا في الأرض، بحكم بداوتهم وحلهم وترحالهم الدائم طلبا للماء والكلأ، حتى يدركوا قيمة وأهمية الارض والزرع والعمران... كدافع للتملك ولهذا لم يسهموا في بناء الحضارة أو يقيموا دولة لهم في أية مرحلة تاريخية ، كدولة شاؤول وداوود وسليمان المزعومة... في أية بقعة من أرض العرب ـ الا في مدونات التوراة الملفقة والمحشوة بشتى اصناف التزوير **ولذلك فان مزاعم وادعاءات الصهاينة** وأنصارهم في الغرب في هذا لاشأن باطلة وكاذبة.

رابعا:ـ **أما قول صاحبنا**... ان الصراع بين ذرية بني اسرائيل ـ وذرية مصر القديمة كاد يتجدد بعد وأده في كمب ديفيد الشهير، **ففيه مغالطات كثيرة** ... لأن الصراع لم يكن موجودا أصلا ـ كما ذكرنا آنفا ـ ولأنه لم يتم وأد الصراع العربي الصهيوني الامبريالي في كمب ديفيد، الا في مخيلة بعض العرب المندفعين، وحسب رغبة الامبريالية الامريكية اليوم لانهاء هذا الصراع بأي ثمن، **كالذي قدمه عرفات وحسين** ولن ينته حتى ولو تم توقيع المزيد من الحكام العرب على مثل تلك الاتفاقات المذلة، التي ضربت الثوابت الوطنية والقومية وارادة ومعارضة جماهير الأمة العربية ـ المغلوب على أمرها... بعرض الحائط، ومع ذلك لن يتوقف حتى وان تمكنت اسرائيل من تحقيق المزيد من أهدافها كالمشروع الشرق أوسطي.. وخبت جذوة المقاومة... لمرحلة من الزمن طالت أم قصرت، فانه سوف يعود الى التفجر من جديد وعلى نطاق أكثر شمولا وخطورة وتدميرا، عربيا وربما اقليميا وعالميا... **فالمتغيرات في موازين** القوى وقدرات الدول والشعوب مسألة حتمية وحركة الاجيال في مقاومة الاضطهاد والظلم والاستغلال ورفض الذل والاستكانة والخنوع والعبودية لن تتوقف لاسيما وأنها المحرك لكل تطور وتغير في المستقبل ولذلك فكل آت قريب حتى ولو بدا لناظره بعيدا.

وهناك الكثير من العرب غير البكار ـ ممن اعتمدوا على المصادر الغربية للتاريخ.. ولم يحذروا مخاطر الغزو الثقافي والاعلامي والتزوير... أو خدعوا بالتوراة والمؤلفات الغربية واليهودية والصهيونية، التي واصلت أعمال التزوير لاحداث التاريخ وبخاصة العربي منه، حتى الان، واعتبروا ما جاء فيها من تلفيقات... حقائق ومسلمات.

يسخرون علم الجيولوجيا ـ لتغيير ثوابت التاريخ المصري القديم خروج بني اسرائيل من مصر ـ واقامة دولة: شاؤول وداوود وسليمان ـ بدعة يهودية:

نشرت مجلة تايم الامريكية في عددها الصادر بتاريخ ١٨/١٢/١٩٩٥، موضوع الغلاف الرئيسي تحت عنوان: هل تعتبر قصص التوراة حقيقية أم أنها من صنع الخيال؟، وسألت عددا من المؤرخين والباحثين في الغرب ـ واسرائيل... فذهب عدد منهم الى القول: انها كما وردت في الكتابات الاسرائيلية تمثل تزويرا متعمدا للتاريخ، كان ومازال القصد منه، تجميع القبائل الاسرائيلية تحت قيادة واحدة، هذا في حين تجرأ بعضهم على القول: ان موسى يمثل شخصية اسطورية و لم يوجد في التاريخ .. وان خروج بني اسرائيل من مصر هي قصة ليس لها اساس تاريخي.

يقول الاب ـ انتوني أكس ـ وهو مؤرخ يعمل في الحفريات الاثرية في معهد الايكول دي فرانس بالقدس: لايوجد في المصادر المصرية بما فيها النصوص الحربية والدلائل الاثرية أي ذكر لذلك الخروج... كما أنه لم يعثر الاثريون حتى الآن على أي

دليل يشير صراحة او كتابة - الى يشوع أو مملكة داوود وسليمان ـــ التي ورد ذكرها في سفر صموئيل الثاني وسفر الملوك الاول، على نحو: ان داوود اقام امبراطورية امتدت من النيل الى الفرات وأورثها الى ابنه سليمان بعد موته.

فقد تعب رجال الحفريات منذ قرن ونصف في شق باطن الارض الفلسطينية، و لم يتمكنوا من العثور على مجرد ذكر لأي من الملكين الاسرائيليين، وهناك الآن حوالي ٣٠٠ موقع بأرض فلسطين المحتلة عامي ١٩٤٨و١٩٦٧، تقوم فيها البعثات الاثرية بأعمال الحفر، اضافة الى مئات المواقع في سيناء ـــ التي حفر فيها الاسرائيليون اثناء احتلالهم لها، من دون العثور أيضا على أي دليل يؤكد صحة القصص التوراتية.

ونتيجة لهذا الفشل... لجأ بعض الاسرائيليين مؤخرا - من أمثال - ديفيد رول ـــ الى تغيير تواريخ احداث التاريخ المصري القديم الثابتة... حتى تصبح الدلائل الاثرية التي تتعلق بحروب المصريين... هي نفسها التي تدل على حروب بني اسرائيل... فهو يرى أن كتابات العهد القديم تعبر عن الحقيقة التاريخية، انما المؤرخون هم المخطئون، ويجب تغيير أزمنة الملوك المصريين... بتأخيرها ثلاثة قرون لكي تثبت تلك الدلائل الاثرية ومنها تحطيم المدن... ومعها أدلة التاريخ المصري عموما، صحة القصص التوراتية.

هذا في حين استعان - عالم النفس اليهودي الروسي ـ إيمانيويل فيليكوفسكي ـــ الذي مات عام ١٩٧٩،بالاثار البركانية في سيناء ودلتا النيل - ليثبت عن طريق المغالطة والتزوير خطأ التاريخ المصري، لاسيما بعد أن قرأ كتاب: موسى والتوحيد، في العام ١٩٤٠، لسيغموند فرويد، وملخص ما جاء فيه حول موضوعنا: ان اخناتون هو أول من نادى بديانة التوحيد... ولما كان موسى، حسب قوله - متأخرا عنه تاريخيا، فانه اخذ عنه فكرة التوحيد، ولذلك حاول فيليكوفسكي، العبث بأزمنة التاريخ المصري عندما أقحم الاثار البركانية ليجعلها دليلا على خطأ مصادر التاريخ المصرية، التي اثبتت ان اخناتون عاش في القرن الرابع عشر ق.م، في حين ظهر موسى في القرن الثالث عشر ق.م، فعزم أن يجعل اخناتون متأخرا عنه عدة قرون لتستقيم روايته ويصل لهدفه الشرير، معتمدا من جانب آخر على ما جاء في المزمور ١٨ التوراتي الذي جاء فيه: وارتجفت الارض وارتعشت أسس الجبال وارتعدت... لاثبات حدوث براكين في القرن الثالث عشرق.م، أي في عهد موسى، ليؤكد أسبقيته على أخناتون اضافة الى تأكيد قصة خروج بني اسرائيل من مصر بقيادته، علما أن هذا المزمور منسوب في التوراة الى داوود، الذي تفصله عن موسى عدة قرون متأخرة، وهكذا غير التاريخ

المصري، فجعل اخناتون في القرن التاسع ق.م، في حين جعل عهد الهكسوس يمتد من ١٠٨ سنوات إلى أربعة قرون حين جعله في القرن الثالث عشر بدل السابع عشرق.م، ليكون معاصر لموسىَ، وبهذه الطريقة التزويرية حاول اضفـاء صبغـة علميـة ذات أدلـة جيولوجية وأثرية بركانية على مزاعمه، التي ليس لها أساس من الصحة، وهي: ان هذه الادلة... موجودة علـى طريـق خـروج الاسـرائيليين مـن مصـر الى أرض كنعـان، أي فلسطين، عبر سيناء حيث تمكن هؤلاء من اقامة امـبراطوريتهم المزعومـة مـن النيـل الى الفرات...الخ. وقد أصدر كتابا حول ذلك أسماه" عصور في فوضى ـ من الخـروج الى الملك اخناتون"، وظل فيليكوفسكي دون أن يجـد مـن يوافقـه علـى مـاذهب اليـه مـن تزوير وقلب لأزمنة الاحداث التاريخية تلك ـ رغم ثبوتها ـ الا بعـض العـرب وخاصـة المصريين ومنهم على سبيل المثال: د. رفعت السعيد ـ الذي ترجم كتاب فيليكوفسكي ـ معتبرا ما جاء فيه حقائق تاريخية، وتبعه أنيس منصور، في كتابـة موضـوع نشـرته لـه جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٩٥/١١/١٥، أشاد فيه بالمؤلف قائلا: انه رجل عـالم يفسـر أحداث التاريخ تفسيرا علميا؟ والجدير بالذكر هنا ـ أن علماء الجيولوجيا في بريطانيا ـ احتجوا رسميا الى الناشر منددين ... لقيامه باقحام علم الجيولوجيـا ... بهـذه الطريقـة من العبث والتلفيق، لاضفاء طابعا علميا جيولوجيا على موضوعـات كتابـه المذكـور، ومنها أن مذنبا ارتطم بالكرة الارضية في مكان وزمان خروج بني اسرائيل من مصر ـــ فانشق البحر ـ حتى اذا ما مروا انطبق على جيش فرعون الذي كان يطاردهم ـ نظرا لما احدثه مـن جـزر ومـد هـائلين...الخ. الامـر الـذي اسـتوجب مـني مناقشـة قصـة ـــ فيليكوفسكي ـ هذه عن المذنب المزعوم ـ من أجل اثبات انها قصة ملفقـة وليس لهـا أساس من الواقعية على الاطلاق:

فلكي ينشق البحر عموديا من السطح الى القاع حتـى ولـو كـان عمقـة لا يتعـدى ٣٠مترا! وينحسر الماء بعيدا أفقيا ولمسافة مناسبة... لكي يستطيع موسـى وقومـه، بمـا فيهم النساء والاطفال وكبار السن، اضافة للدواب والمتاع... العبـور مـن مصـر غربـا الى سيناء شرقا، فلابد في مثل هـذه الحالـة، أن يبلـغ وزن المذنـب مئـات الملايـين مـن الاطنان، لكي يحدث مثل ذاك الشق ـ الانقسام ـ في البحـر ليصبـح قاعـه ممـرا، ولنقـل آمنا ـ للعبور، هذا اذا اسقطنا حساب طول الممر، أي الحـيز الجغـرافي الـذي انحسـرت عنه المياه طولا وعرضا أيضا، لتقدير ما اذا كان صالحا للعبـور أم لا، مـن الحسـاب ـــ وصرفنا النظر أيضا ـ عن تقدير مقدار القوة الدافعة اللازمة بدقة، والتي يفترض توفرهـا

في المذنب، لكي يؤدي مهمته بنجاح في فلق البحر الى نصفين متباعدين بالقدر الكافي والمناسب، على الرغم من أن ـ فيليكوفسكي ـ لم يذكر لنا ما اذا كان هنالك اتصال بين البحرين: الابيض المتوسط ـ والاحمر ـ في ذاك الزمن، ولنقل كما هو الحال اليوم بوجود قناة السويس ـ على سبيل المثال، لنتمكن من فك رموز لغزه الجيولوجي وتستقيم روايته عن المذنب، باعتبار العبور المذكور آنفا كان حسب اسطورته المستقاة بالتأكيد مع بعض التحوير من أساطير التوراة أصلا، من نقطة ما غرب قناة السويس الى جهة ما من سيناء شرقا وحسب ما يستنتج من سياق عرض القصة، فانها الجهة الشمالية من سيناء، هذا بالاضافة الى وجود العديد من الثغرات فيها، والاسئلة الاخرى التي تحتاج الى جواب مقنع عقليا وعلميا، وأهمها: كم من الوقت بقي الماء منحسرا بعيدا كي يتمكن موسى وقومه من العبور بسلام قبل أن ينطبق البحر ثانية كما انطبق اثر عبورهم فورا على فرعون وجيشه؟ وكم كانت المسافة التي تفصلهم عن فرعون وجيشه الذي كان يطاردهم، كي ينجوا هم ويغرق هو...؟ وهل كانوا جميعا ـ أي بني اسرائيل ـ لحظة ارتطام المذنب في حالة جاهزية كاملة على الشاطئ الغربي منتظرين، وكأنهم كانوا على علم مسبق بوقوع الارتطام، ليتمكنوا من استغلال تلك الفرصة ـ المعجزة، في الوقت المناسب زمنيا ـ ليعبروا وبالسرعة المطلوبة، ان لم نقل المحسوبة، قبل أن يطبق الماء عليهم كما انطبق على فرعون وجيشه؟ فاذا كان الجواب بنعم فان مثل هذا الارتطام يولد، كما هو معلوم علميا وعقليا، حرارة وضغطا هائلين كفيلين باحراق وابادة وقذف الاشياء داخل وحول مكان الارتطام بعيدا ولمسافات تتعدى عشرات الكيلومترات على الاقل، مما يدحض بدعة ـــ فيليكوفسكي ـ الاسطورية الخرافية، الشبيهة بالمعجزات والخوارق لقوانين الطبيعة، ويجعله مثار للسخرية علميا، لمحاولته الفاشلة، اضفاء صبغة علمية على اسطورة خروج بني اسرائيل من مصر الى راض الكنعانيين في فلسطين عبر سيناء... الخ وجعلها من الحقائق الواقعية والمسلمات التاريخية، وعلى الرغم من فشله في ايجاد من يصدق روايته هذه في الاوساط العلمية وجد ضالته في بعض العرب ومنهم بالاضافة الى من مر ذكرهم، رجل الاثار المصري الدكتور، محمد عبد المقصود الذي أكد من خلال موضوع كتبه ونشرته جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٩٥/١٢/١٤، صحة تفسيرات فيليكوفسكي ـ البركانية، نظرا لاكتشاف آثار بركانية في كل من شمال سيناء ودلتا النيل؟ فهل يكفي وجود مثل تلك الاثار ... لتأكيد صحة تلك المزاعم من قبله، عن

خروج بني اسرائيل الذي يسميهم خطأ باليهود، من مصر، ومن ثم التسليم بصحة الادعاء التوراتي، بانهم اقاموا امبراطورية امتدت من النيل الى الفرات؟ فالاثار البركانية موجودة في العديد من المناطق العربية عدا الدلتا وسيناء فلماذا تم الاستشهاد بتلك التي في الدلتا وسيناء وحدهما؟ علما أن اليهود لم يظهروا الى الوجود الا بعد القرن الثالث ق.م وأن المدونات والاثار المصرية والعربية الاخرى القديمة، لم تشر أو تؤكد قصة الخروج آنف الذكر او اقامة مثل تلك الامبراطورية ـ سواء أسموها اسرائيلية أو يهودية، لاسيما وأن اكتشاف مثل تلك الاثار...لايعتبر دليلا على صحة ما تقدم ذكره من ادعاءات، خصوصا وأنه تم اكتشاف مدينة حربية مصرية مؤخرا في تل الحبوة بالقنطرة شرق، أي في المنطقة التي عبروا اليها، وثبت اعادة تجديد بنائها لثلاث مرات: في عهد الدولة المصرية الوسطى، ومن ثم في عهد الهكسوس، والثالثة في الزمن الذي حددوه لقيام الامبراطورية المزعومة، اذن كيف يمكن أن يعبروا خلال خروجهم من مصر الى تلك المنطقة، وان تقام امبراطوريتهم المزعومة، فيما بعد، وتمتد من النيل الى الفرات، مع وجود تلك المدينة الحربية، وسواها العديد من القلاع والحصون حتما مما لم يتسنى الكشف عنها حتى الآن في تلك المناطق التي جعلوها مسرحا لتلك الاحداث، اذا سلمنا جدلا بوقوعها، سواء حسب الرواية التوراتية أو رواية فيليكوفسكي وأشباههما؟.

فمنذ تدمير معالم الحضارة العربية القديمة في وادي الرافدين وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية ووادي النيل والمغرب العربي عموما، على أيدي الغزاة... اضافة لتأثير العوامل الطبيعية عبر الزمن... بما في ذلك سرقة واحراق واندثار معظم سجلات الاحداث والعلوم والمنجزات الحضارية مرورا باحراق مكتبة الاسكندرية الجامعة لبقايا تلك السجلات، في نهاية القرن الرابع الميلادي، اصبحت التوراة، وأساسها التلفيق والتزوير وقلب الحقائق، بعد ذلك وحتى عصر التنوير الاوربي الحديث، المصدر الرئيسي للتاريخ القديم للمنطقة العربية.

ونتيجة لهذا الفراغ، زعمت وزعموا... أن بني اسرائيل هم أصل الحضارة الانسانية وهم الاصل الذي انبثقت عنه ديانات التوحيد السماوية... الخ.[1]».

ونظرا للشكوك المتزايدة في صحة تلك القصص التوراتية، كمصدر للتاريخ القديم، على أكثر من صعيد ومكان في العالم، راح المؤرخون التوراتيون يحاولون مع بداية ظهور علم التاريخ الحديث العثور على دلائل أثرية تؤكد صحة تلك القصص،

(١) نفس مانشرته التيم الامريكية ـ نشرته جريدة الحياة ـ بالعربية ـ في عددها ١١٩٩٤ في ٢٤ كانون الأول ١٩٩٥.

الاسطورية، الا أنهم فشلوا حتى الآن في العثور على أي دليل من هذا النوع، لاسيما حول شخصية موسى ويشوع وداوود وسليمان ـ في الاماكن الجغرافية التي ذكرتها تلك القصص كمسرح لاحداث التوراة، ومع ذلك مازال عدد كبير من العرب يصدقونها مع الاسف الشديد؟ - - هذا في حين ذكرت بعض المراجع التاريخية ان قناة السويس حفرت بضعة مرات في ازمنة متباعدة وعلى النحو التالي :

١ - ان حفر قناة السويس تم لاول مرة في التاريخ في عهد الفرعون سنوسرت الذي حكم مصر من سنة ١٨٨٧ وحتى سنة ١٨٤٩ ق.م .

٢ - كما اعيد حفرها للمرة الثانية في عهد الامبراطور دارا الفارسي.

٣ - تم اعيد حفرها للمرة الثالثة في عهد الامبراطور اليوناني بطليموس التاني.

٤ - وفي عهد الامبراطور الروماني تراجان اعيد حفرها للمرة الرابعة.

٥ - وعندما فتح عمرو بن العاص -مصر- امر بحفرها للمرة الخامسة.

٦ - أما الخليفة العباسي المنصور فقد اعاد حفرها للمرة السادسة .

غير ان جميع تلك الحفريات كان يطغى عليها- بين المرة والاخرى الاهمال والرمال والنسيان، اضافة الى انها لم تكن صالحة للملاحة في اية مرة من تلك المرات التي حفرت فيها التاريخية إلا في اوقات الفيضانات النيلية، لذلك اهملت وزحفت عليها رمال الصحراء فمحت أثارها المرة تلو الاخرى.

٧ - تم حفرها للمرة السابعة ام ١٨٥٩ م باشراف وادارة وتمويل واستثمار فرنسي بموجب اتفاقية بين الخديوي سعيد تم اسماعيل وفرنسا، وتم انجازها خلال عشرة سنوات باشراف المهندس الفرنسي سيلبس وافتتحت عام ١٨٦٩ للملاحة الدولية بحفل دولي كبير على أرض مصر، حينما تدفقت المياه من البحر الاحمر لتلتقي مع المياه المتدفقة من البحر الابيض المتوسط في البحيرات المرة، واحتاج حفرها الى عشرات الالوف من العمال المصريين الذين اجبروا على العمل سخرة فمات منهم اكثر من عشرين الفا تعبا وجوعا ومرضا، ومع ذلك كان نصيب مصر من ريع شركة قناة السويس للملاحة الدولية تافها بالمقارنة مع ما كانت تنهبه فرنسا منفردة، ثم فرنسا وانكلترا بعد احتلالها لمصر عام ١٨٨٢م، واستمر هذا الوضع الى ان اممها الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٦م

أما اسم مدينة السويس في التاريخ فقد كان -كليزما- في عهد الفراعنة، و-كليماوس- في عهد البطالمة، و -كيزما- و-ارسينوس-، في عهد الرومان واطلق عليها العرب بعد فتح مصر -القلزم- ثم سماها، خارويه بن احمد بن طولون- السويس.

معلوماته خاطئة ـ وتزويرهم ...مكشوف:

استنادا للمعلومات الخاطئة التي استمدها من المصادر المحشوة بالتزوير الف د.ربحي كمال ـ الذي كان استاذا محاضرا في الدراسات السامية ـ بداية من عام ١٩٥٣ في كلية الاداب بجامعة دمشق، كتابا بعنوان دروس في اللغة العبرية، أكد فيه على وجود لغة عبرية قديمة واخرى حديثة من خلال شروحه والجداول التي اقتبسها عن المستشرق ـ اسرائيل ولغنسون، وتضمنت مقارنة ضمائر الرفع المنفصلة واسماء الاشارة... في العبرية القديمة، وبين مثيلاتها في اللغات واللهجات السامية: البابلية والاشورية والكنعانية والسريانية والآرامية والفينيقية والمعينية والسبئية والحبشية والعربية، من أجل التأكيد على وجودها وأصالتها منذ القدم في المشرق العربي، لاسيما في جنوب سوريا الطبيعية، ولتأكيد صحة ما ذهب اليه، عرض على احدى صفحات كتابه المذكور، صورة لكتابة نقشت، كما ذكر على جدار مغارة تنبع منها المياه، وتم اكتشافها في بلدة سلوان بضواحي القدس، ليؤكد، نقلا عن ولغنسون بأنها عبرية وأن تاريخها يعود الى عهد الملك حزقيال، حوالي ٧٠٠ق.م، كما اعتبر سلوان هذه تحريف للكلمة العبرية التي كتبها بحرف عبري حديث ومعناها: الذي هو الينبوع بعينه، كما عرض صورتين لقطعتي نقود قديمتين، لم يحدد تاريخ اكتشافهما، ومنقوش على كل منهما كتابه، هي أقرب ـ حسب رأيي الشخصي ـ الى الابجدية الحرفية الفينيقية الكنعانية منها الى العبرية، ومع ذلك وضع ربحي كمال تحت كل منهما تفسيرا بالاحرف العبرية الحديثة، لمعنى ما هو مكتوب على كل منهما بين قوسين على النحو التالي: الاولى من اليمين (اورشليم القدس) والثانية على اليسار (ريال اسرائيل سنة٢) ويقول: أي سنة ٦٧ب.م فعلى الرغم من ان معرفتي بالخطوط والابجديات واللغات القديمة، ومعها ما يسمى

بالعبرية القديمة والحديثة معا، تساوي الصفر تقريبا، قمت بـاجراء مقابلة ـ مقارنـة ـ بينها وبين أحرف كل من النقـش المكتشـف في المغـارة آنفـة الذكـر، وقطعـيّ النقـود المكتشفة ايضا بمكان ما... مستعينا في ذلك بما عثرت عليه من جداول بهذا الخصوص في بعض المراجع العربية، فتبين لي أن العديد منها يتقاطع ـ يتماثل ـ ان لم يتطابق كليـة مع أحرف الابجدية الفينيقية الكنعانية بصورة خاصة، ولا تتطابق لا من قريب أو بعيـد مع أحرف العبرية الحديثة، اما القول بأنها أحرف للعبرية القديمة فهـو قـول مشـكوك بصحته بقدر ما هو مشكوك بصحة وجود مثل تلـك اللغـة والابجدية أصـلا، وذلـك نظرا للنتيجة التي توصلت اليها من خلال تلك المقابلة للخطوط آنفة الذكر، مما يؤكـد بأنها منتحلة، أي مسروقة عن الآخرين.

وتجدر الاشارة الى أنني أضفت: الكنعانية الى الفينيقية، للتمييز بين أبجدية رأس شمـرا الفينيقية ذات الخـط المسـماري الـتي كتبـت بالطريقة الرافديـة مـن اليسـار الى اليمـين وتألفت من ٣٢حرفـا، وبـين الابجدية الفينيقيـة الاخـرى الـتي اكتشـفت في فلسـطين ودعيت نظرا لذلك بالاوغاريتية الكنعانية، وتألفت من ٢٢ حرفا وكتبـت مـن اليمـين الى اليسار ـ على عكس الاولى ـ وهذه الاخيرة هـي الـتي انتشـرت وأصبحـت أسـاس الكتابة في الحضارة العربية في ذلك الزمن والحضارات العالمية اللاحقة لها.

فاذا كانت هذه النقود عبرية ونقشت ـ صكت ـ في القـدس عـام ٦٧ب.م، كمـا يدعون، فكيف يتفق ـ يستقيم ـ يصـدق ـ ذلـك مـع وجـود القـدس تحت السـيطرة المباشرة للرومان منذ ما قبل هـذا التـاريخ بوقـت طويـل وحتـى قـرون لاحقـة لـه؟ اذ لايمكن أن تصك النقود الا من قبل دولة ما مستقلة وذات سيادة علـى أرضهـا، وهـذا ما لم يكن متوفرا لليهود، فالقدس دمرها القـائد الرومـاني بومـبي عـام٦٣ق.م، وعـاد الرومان ودمروها ثانية عام ٧٠ميلادي، كما دمرها للمرة الثالثة، هادريان نوس ـ عـام ١٣٥م، وأقام على انقاضها مستعمرة رومانية أسماها، ايلياء كابيتوليا، ثم قامت والدته هيلانة ببناء الكنائس فيها وأعادت اليها اسمها القديم محرفا، حينما اسمتها ـ اورشـليم ـ بدلا عن اسمها اليبوسي العربي القديم ـ اور سالم ـ ومعناه مدينة السلام.

وهذا يعني عدم وجود دولة عبرية، كالتي زعموا وجودها، سواء في هذا التاريخ أو قبل أو بعـد وحتـى الفتـح العربـي الاسـلامي، ليكـون ثمـة صحـة للقـول بـأن النقـش المكتشف أيضا في مغارة سلوان هو عبري وكتب بالعبرية القديمـة في عهـد مـا يسـمى بالملك حزقيال عام ٧٠٠ق.م، فعلى ماذا كان ملكا؟ والقدس في هذا التـاريخ كـانت

تحت سيطرة الاشوريين منذ استولوا عليها في العام ٧٢٢ق.م والى العام ٥٨٦ق.م حيث انتزعها منهم البابليون، وسيطروا عليها الى أن جاء قورش الفارسي واحتل بابل في العام ٥٣٨ق.م وسيطر على القدس الى أن جاء الاسكندر المقدوني واحتلها والمنطقة سنة ٣٣٢ق.م الى أن انتزعها الرومان والمنطقة من البطالمة والسلوقيين الاغريق اليونانيين سنة ١٣٣ق.م واستمرت سيطرتهم عليها دون انقطاع حتى الفتح العربي الاسلامي للقدس سنة ٦٣٥م، ولم يكن هؤلاء ابان سيطرتهم عليها ـ ليسمحوا لأحد من السكان شأن كل مسيطر ـ باقامة كيان سياسي له طابع قومي خاص، ولو على مستوى الحكم الذاتي.

ولهذا كانوا يقومون بالحملة العسكرية تلو الاخرى كلما أحسوا بالخطر يتهدد وجودهم، كاجتماع كلمة أهل البلاد على الخلاص منهم أو الانتقاص من سيطرتهم الكاملة على البلاد عامة والقدس خاصة، بصرف النظر عما اذا كان اهلها عربا أم يهودا وعربا معا على سبيل المثال.

هذا اضافة الى اكتشاف نصب حجري عام ١٩٩٥ في بلدة الكسوة جنوب دمشق، منقوش عليه بالهيروغليفية اسم رمسيس الثاني وذكرى تحالفة مع الملك الفينيقي السوري ـ بيتشينا ـ ضد الاشوريين.

فقد كانت العلاقات قد توطدت بين ملوك فينيقيا السورية وملوك وادي النيل قبل عهد تحوتمس الاول ١٤٧٩ـ١٤٤٧ق.م ثالث ملوك الاسرة التاسعة عشرة، حيث فتحت الحدود الشمالية والشرقية رسميا أمام التجار والمهاجرين الفينيقيين الى مصر مثل: قبائل ـ ال ـ كا ـ أو ألخا ـ فاقاموا المراكز التجارية فيها ومنها مركز ـ افارس ـ العريش ـ ومركز ـ الدلتا ـ اشمون ..الخ. وأدخلوا الحصان والعربة الى مصر ـ فعرفتهما لأول مرة كما أدخلوا صناعة التعدين اليها ايضا كصناعة البرونز من النحاس والقصدير واستخرجوا المعادن من مناجم سيناء، واحتلوا المناصب الكبيرة بدولة وادي النيل..الخ.

وتفيد بعض المصادر أن جنوب سورية الكبرى حتى نهر بردى ودمشق كان منذ ٢٤٠٠وحتى ١٢٠٠ق.م مرتبطا بمعاهدة مع مصر أو خاضعا للنفوذ المصري، وكانت بداية هذه العلاقات في عهد ـ زوسر ـ مؤسس الاسرة الملكية الثالثة حوالي عام ٢٦٥٠ق.م حيث تطورت في عهد ـ سنغرو ـ مؤسس الاسرة الملكية الرابعة حوالي عام ٢٦٠٠ق.م وفي عهد ـ ستوسرت ـ قامت أول محاولة لتوحيد أرض كنعان

جنوب سورية مع مصر، وفي عهد ـ امنحوتب الثالث ـ الاسرة الثامنة عشرة، تم توحيد مصر وسورية من نهر الاورنط ـ العاصي ـ وحتى نهر الفرات، وفي عهد ـ نخاو ـ نكاو ـ تم تكليف عدد من الملاحين والبحارة المهرة الفينيقيين للابحار باسطول من السفن المصرية، في أول رحلة علمية استكشافية للدروان حول افريقيا من جهاتها الاربعة، بقيادة ـ حانون الفينيقي الصيداوي ـ انطلاقا من ميناء ام الرشراش في خليج العقبة " التي احتلها الصهاينة بعد توقيع الهدنة مع مصر عام ١٩٤٩ وأسموها ايلات، أي الاله او الرب ـ ايل ـ وهو أحد الالهة السورية، ومع ذلك جعلوه عبرانيا ـ يهوديا، منذ ٣٠٥٠عاما... ومن ام الرشراش بلدة عبرانية أيضا" فداروا حول افريقيا بكاملها وعرجوا أثناء ذلك على الجزر البريطانية ومنها ـ كورن ويل في الغرب منها، كما أبحروا في رحلة ثانية الى امريكا واكتشفوها...الخ.

وقد وطدت المصاهرة المتواترة علاقات التحالف والتعاون بينهما باستمرار، فقد دشن ذلك تحوتمس الرابع بزواجه من ابنه ملك مملكة ـ ميتاني ـ التي كانت في شمال شرق سورية ـ حسب د. شفيق غربال ـ فانجبت له ـ امنحوتب الثالث ـ الذي انجب بدوره من زوجته الفينيقية السورية أيضا ـ امنحوتب الرابع ـ أي اخناتون ـ الذي حكم مصر ما بين ١٣٧٥ـ١٣٥٨ق.م حيث تزوج بدوره من الفينيقية الصيداوية ـ نفرتيتي ـ حسب فيليب حتى ـ كما تزوج ـ رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر ق.م من ابنة الملك الفينيقي ـ خيتا ـ سارا ـ التي احضرها والدها بنفسه اليه في عاصمته طيبه، وقد خلدت ذكرى هذا الزواج ـ بحفر صورة وكتابة أخباره على مدخل معبد ـ رمسيس ـ ابو سنبل ـ كذلك فان امهات الرعامسة جميعا كن فينيقيات...الخ.

ولهذا كانت الفينيقية الكنعانية ـ السامية ـ كما تؤكد معظم المراجع التاريخية ـ لغة التخاطب والكتابة الدبلوماسية... في مصر وبلاد الشام ومناطق اخرى ولهذا لم يكن هناك ثمة وجود ـ للعبرية فقد أكد من جهة ثانية ـ جيمس هنري بريستد ـ في سفر مصر القديمة ـ الصادر في نيويورك عام ١٩٠٥ الذي ترجمه الى العربية عالم الاثار المصري حسن كمال عام ١٩٩٠، عن مكتبة مدبولي: ان ارسو السوري اعتلى عرش مصر في نهاية عهد الاسرة التاسعة عشرة ١٢١٥، وحتى بداية عهد الاسرة العشرين المصرية ١٢٠٠ق.م، أي في نفس التاريخ تقريبا، الذي حدده من زعموا: أن موسى ـ عبر بالاسرائيليين من مصر الى سيناء ـ او هو تاريخ وجودهم المزعوم فيها، بعد العبور... لقولهم أنهم تاهوا فيها مدة ٤٠عاما، فكيف يستقيم ذلك ـ منطقيا وعلميا ـ

مع وجود تلك العلاقات والسطوة والنفوذ والسيطرة الكاملة على فلسطين وسيناء والشرق الادنى والمتوسط وشمال افريقيا... للفينيقيين السوريين بما فيهم الكنعانيين — وللمصريين معا؟ وهو ما ينفي قيام دولة أو نشوء لغة عبرية منذ ذاك الزمن وحتى قيام امارة الخزر التي تهودت بعد اعتناق زعيم قبائل الخزر...اليهودية حوالي القرن العاشر م أن ما تقدم يجعلنا نستخلص ـ ان لم نحكم ـ استنادا للحقائق...ما يلي:ـ

أولا:ـ لهذا وذاك... فان من صك النقود ـ ونقش النقش — المذكوران أعلاه — والمكتشفان في سلوان ومكان آخر من فلسطين هم على الأرجح ـ العرب الفينيقيون أو الكنعانيون ـ لافرق لسببين، الأول:ـ وجود دولة عربية في فلسطين في الزمن الذي حدد كتاريخ للنقش الذي وجد في مغارة سلوان، والثاني :ـ ان النقش والنقود قد كتبا ـ كما تبين لي من خلال المقارنة.. بالابجدية الفينيقية الكنعانية ـ وليس بما يسمى بالعبرية القديمة ـ التي لم يثبت وجودها أصلا.

ثانيا:ـ ان كتابة الابجدية الفينيقية الاولى، على الالواح المكتشفة في أوغاريت بالخط المسماري من اليسار الى اليمين ـ وبالطريقة الرافدية ـ لهو دليل على سيادة لغة وثقافة معرفية واحدة ـ وعلى وجود علاقات وثيقة، كانت تربط ما بين بلاد الرافدين وبلاد الشام ـ الهلال الخصيب السوري بالتعريف القديم، من جهة ودولة وادي النيل العربية ـ اثناء وقبل وبعد القرن الخامس عشر ق.م، من جهة ثانية.

ثالثا:ـ ان الرسائل الودية والاخبارية والدبلوماسية ... المتبادلة بين الفينيقيين ومعهم ـ الكنعانيين ـ وملوك دولة وادي النيل، كالتي اكتشفت في كل من اوغاريت وتل العمارنة معا، وسيادة لغة التخاطب والتعاون الوثيقين، في السلم والحرب معا، بين الطرفين فقط، وانما هي عبارة عن تأكيد على استحالة امتلاك أحد ما القدرة — في ظل مثل تلك العلاقات ـ على الاعتداء أو المس بالسيادة الوطنية لاحدهما أو احتلال جزء ما من أراضيهما ليقيم دولة عليه معادية لهما، كالعبرانيين، الذين اخترعوا لهم دولة في فلسطين وزعموا أنها قامت في ذلك التاريخ ، مثلا، هذا مع وجود علاقات وثيقة أيضا بالمقابل، بين الدولة السورية المركزية في وادي الرافدين — اشورية كان اسمها أم بابلية... والدولة الفينيقية الكنعانية، في زمن أوغاريت العاصمة، على الأقل، والتي كانت تشكل جسرا لتوثيق العلاقات من جديد ايضا، كلما كان يعتريها الاضطراب، بين دولتي وادي الرافدين ووادي النيل، العربيتين المركزيتين الوحيدتين في المنطقة والعالم، في التاريخ القديم السابق لميلاد الدولة الفارسية وغيرها بعد القرن

السادس ق.م.حول تلك المراسلات والعلاقات بين الفينيقيين.. والمصريين وحول حجم التزوير التوراتي واليهودي والغربي الاستشراقي.. الاستعماري للتاريخ والاثار العربية المكتشفة...راجع: كتاب هـ ـ ا ـ ديل ميديكو: التوراة الكنعانية ـ عن مكتشفات رأس شمرة ـ ترجمة: جهاد هواش وعبدالهادي عباس ـ دمشق ١٩٨٨.

وحول المراسلات وتلك العلاقات...ايضا راجع كتاب رحلة الى بابل القديمة د.ايفيلين كلينكل ـ براندت ـ ترجمة: زهدي الداوودي ـ دار الجليل ـ دمشق١٩٨٤. فقد كان من بين نصوص الرقم الطينية المكتشفة في بابل وحدها عددا من الرسائل المتبادلة بين ملوك بابل وملوك وادي النيل، ومنها رسالة من الملك البابلي ـ كادشمان كادبه يطلب فيها من الملك المصري ـ امينوفيس الثالث الزواج من ابنته، ورسالة أخرى ـ وكلتاهما بالمسمارية ـ من ملك ـ كاردونياس ـ بابل بورنا بورياش ـ يطلب فيها من ملك مصر ـ نيبخور اوربا ـ أي امينوفيس الرابع ـ توثيق العلاقات بينهما، وارسال ما يمكن من ذهب مصر اليه، فكان له شيئا من هذا وذاك... حسب النص المترجم من قبل د. محمود الامين ـ في كتابه ـ الكاشيون ـ ١٥٣٠ـ١١٦٠ق.م ـ مستل من مجلة كلية الآداب ج٦ـ بغداد ١٩٦٣ص١٧ـ د اذ غالبا ما كانت العلاقات بين واديي الرافدين والنيل طبيعية باستثناء فترات تاريخية متفاوتة القدم ومنها أخيرا ـ احتلال أسرحدون ـ الاشوري ـ اجزاء من أراضي مصر.

أما بالنسبة للمفردات اللغوية ومعانيها:...

فانها رغم ما بينها وبين اللغات واللهجات المذكورة في الجداول المرفقة من تباين بين بعض أحرفها ـ وكتابتها املائيا ـ كزيادة أو تنقيص حرف أو اكثر، وكذلك علامات التشكيل من: خفض ورفع وضم وتسكين وتشديد.اضافة لمواضع الاختلاف في لفظها ـ النطق بها ـ الى حدما، عن مثيلاتها في تلك اللغات بسبب تعدد اللهجات حتما، فانها تتفق من حيث الجوهر ـ الاصل ـ مع أكثر مفرداتها ـ مبنى ومعنى، مما يدل على وحدة الانتماء لأصل لغوي واحد، هو بالتأكيد العربية ولما كانت ـ ما تسمى حديثا ـ باللغة العبرية القديمة، غير موجودة، كما سأبيّن في محاولتي هذه ـ لعدم وجود شعب له كيانه القومي اليهودي الخاص، في التاريخين القديم والحديث معا، كالذي يتكلمون عنه ويحاولون اختراعه ممن اسموهم: بالاسرائيليين والعبرانيين واليهود،

وكأنهم ينتمون لأصل واحد ويشكلون كيانا واحد سواء: دينيا ــ او قوميا، ليمكن خلقها وابداعها ـ ذاتيا ـ من قبل ذلك الشعب المزعوم الوجود ـ واثبات وجودها ـ أي العبرية، منذ القدم.

فالاسرائيليون والعبرانيون واليهود ـ لا صلة دينية بينهم ـ لأن ديانة ابراهيم وحفيده يعقوب والاسباط الاثني عشر من ذريته هم حنفاء مسلمين ـ حسب القرآن ـ وعرفوا بالاسرائيليين نسبة لجدهم يعقوب المكنّى باسرائيل ــ أي عبد الله ــ و لم يعرفوا أو يكنوا بالعبرانيين أو اليهود لاسيما وأن اليهودية لم تكن قد وجدت آنذاك، وجاء موسى برسالته التوحيدية ذات الاصول اليعقوبية الابراهيمية بعد يعقوب بحوالي خمسة قرون بينما ظهرت اليهودية في القرن الثالث ق.م، أي بعد موسى بحوالي الف عام، مقطوعة الصلة بالديانة الموسوية، وذلك أثر عودة المسبيين، ومنهم من هم من بني اسرائيل من الجلاء الى بابلون، المحطة التجارية ـ على نهر كفار الذي كان يرفد نهر الثرات ـ شرقي غامد في منطقة السراة بغرب شبه الجزيرة العربية ــ حيث اجتمع ٧٢حبرا ـ كاهنا ـ في مغارة المتعبدين، اورشليم التي كان لها قداسة دينية تقليدية عندهم، ووضعوا جملة أسفار التوراة ـ في القرن الثالث ق.م بالخط اليوناني القديم أو الهليني الذي هو ــ الفينيقي الكنعاني القديم ــ أصلا، في زمن بطليموس وكيل الاسكندر المقدوني على تلك المحطة التجارية في بابلون ـ والتي دعيت باسمه ـ واعتبرها البعض ـ خطأ ـ اسكندرية مصر وادي النيل، وبنفس الخط الذي كتبت به التوراة، كما يقول البروفيسور ـ كمال الصليبي ـ كتبت الاناجيل الاربعة: متي مرقص ـ لوقا ــ يوحنا، وسفر أعمال لـ بولس ـ بعد أن أخذت شكلها النهائي في القرن الاول الميلادي ـ أي باليونانية القديمة أو الهيلينية (سفر أعمال١٦:١-١٩ و ٢٠:٦-٢١).

وكانت التوراة والتلمود، الذي هو عبارة عن شروحات وتفسيرات لها ـ مغايرة في أغلب تعاليمها ... لديانة ابراهيم ويعقوب وموسى، وعليه فلاصلة دينية بين الاسرائيليين ـ والعبرانيين ـ ومعهم من اعتنق اليهودية من العرب، سوى صلة انتمائهم القومي العربي الواحد جميعا، آنذاك.

فالاسرائيليون هم عرب آراميون، تبعا لجدهم الأعلى ابراهيم الآرامي ـ والعبرانيون هم خليط من شتى العشائر والقبائل العربية ـ وخاصة البدوية منها ـ التي كانت تسكن غرب شبه الجزيرة العربية، اذ كانوا يعبرون (ياردو ـ ياردن ..) مخاوض ـ مخاضات ــ الماء أفرادا وجماعات بين الحين والآخر ـ من ضفة الى أخرى وبالعكس من نهر الثرات

في تلك المنطقة قبل أن جفت مياهه، اثناء تنقلهم وترحالهم فجعله المزورون نهر الاردن تارة والفرات تارة أخرى، اما اليهود القدامى فجلهم من شتى العشائر والقبائل العربية من اسرائيلية وسواها اضافة الى بعض الاعاجم .

ولهذا لم تكن لأي من: الاسرائيليين ـ أو العبرانيين ـ أو اليهود ـ لغة خاصة ـ سواء لكل منهم أو هم مجتمعين فقد كانوا يتكلمون سواء بلهجة واحدة أو بأكثر، من لهجات اللغة العربية الام، ففي شبه الجزيرة والجنوب العربيين كانوا يتكلمون باحدى اللهجات المنحدرة عن العرباء الجنوبية، وفي الشمال كانوا يتكلمون اما باحدى لهجات السريانية الشمالية الشرقية ــ كالآرامية، وأما باحدى اللهجات الغربية الأمورية، والكنعانية ، أو الفينيقية، التي تنسب ــ حسب بعض المراجع العربية ــ للأمورية حينا وللكنعانية حينا آخر ــ في حين كانت كلتاهما معروفة، من حيث النسب قديما بالأمورية العربية السورية، نسبة لـ سر أحد الأباء العرب القدماء أما ما ساد في الكتابة والتدوين قديما من خطوط وأبجديات حرفية، سواء في المشرق أو وادي النيل العربيين، بعد التصويرية والمسمارية والهيروغليفية، فهي: المسند في الجنوب، والابجدية الحرفيةالفينيقية الكنعانية في الشمال عموما، وهذا ما أكدته المكتشفات الاثرية في كافة مناطق الوطن العربي ومحيطه فالمسيح تكلم باللهجة الآرامية ـ والتوراة والتلمود والأناجيل الأربعة كتبت ــ باليونانية القديمة، التي هي أصلا، الفينيقية الكنعانية، لغة وحرفا... وحين أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية في القرن الثاني الميلادي ثم كتابة بعض الأناجيل باللاتينية الرومانية، التي يعود أصلها ايضا الى العربية الفينيقية الكنعانية ـ لغة وحرفا...الخ.

وهكذا استمر المسيحيون واليهود العرب يتكلمون بلهجات عربية ويكتبون بالحرف العربي القديم، كما مر معنا، اضافة الى التكلم فيما بعد باللغة التي تطورت واستقرت أخيرا على اللهجة القرشية العربية الفصحى، كما تطور بموازاتها أيضا الحرف العربي وتوحد وأخذ شكله الجديد الذي ساد في بادئ الامر في المناطق العربية غير المحتلة من قبل الفرس والروم حتى ظهور الاسلام، ومن ثم في جميع المناطق العربية بعد أن تم تحريرها ، وحتى اليوم.

فلو كان هنالك لغة وأبجدية عبريتان قديمتان، لكتب بهما التوراة والأناجيل أيضا، لاسيما وأنهم يدعون بأن المسيحية نبتت في تربة اليهودية وأنها بمثابة البنت البكر لها، ولكان تكلم بها وحافظ على استمرارها اليهود العرب حتى ظهور الاسلام، على

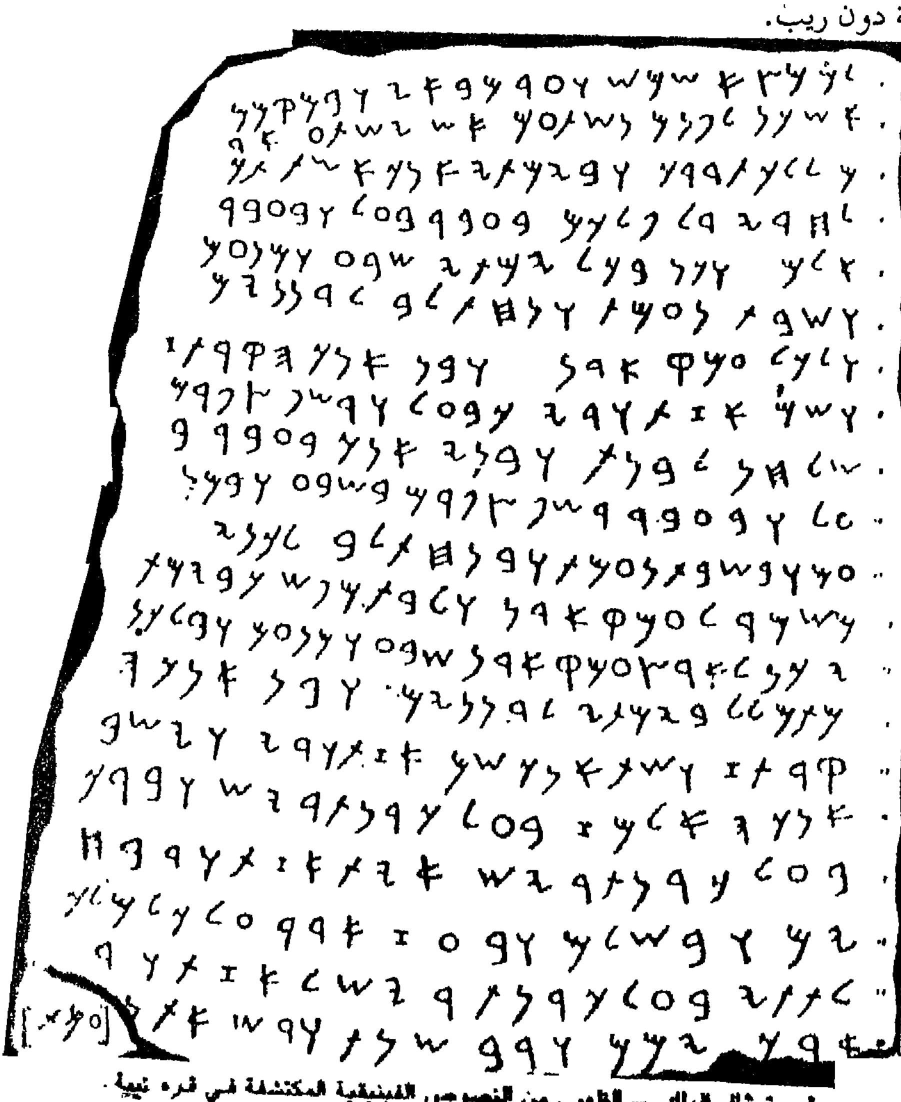
الأقل، ان لم يكن حتى اليوم، ولكن شيئا من هذا لم يحصل، اذ أن التاريخ لم ينقل لنا ولو خبرا واحدا عن أن أحدا من يهود شبه الجزيرة العربية قد تكلم بها في يوم من الأيام، خصوصا وأن غربها كان مهدا لليهودية التي اعتنقها منذ ظهروها أو فيما بعد نفر غير قليل من العرب كبني النضير وقريظة وقينقاع والنجار وأهل خيبر...الخ. وكذلك الحال عن باقي اليهود في الوطن العربي وخارجه، لاسيما وأن جميع السجلات الرسمية وبجمل المدونات والنقوش والمجسمات المنحوتة والادوات والأواني والنقود...الخ. القديمة المكتشفة... لم تشر من قريب أو بعيد لشيء من هذا القبيل، لأن لسان اليهود والمسيحيين وكتاباتهم، كانا - كما مر معنا، عربيين ـ لغة ولهجة وحرفا، في التاريخ القديم.

ولهذا ساهم بعضهم في الدولة العربية الاسلامية، بترجمة الكتب والمؤلفات والمدونات الأخرى عن السريانية والآرامية، والفارسية والهندية والاغريقية واللاتينية الرومانية، الى العربية بسهولة ويسر، لأنها كانت لغتهم، ولم يعثروا هم وسواهم من قبل ومن بعد ومعهم المؤرخين القدماء اضافة الى المكتشفات الاثرية، بما فيها الطقوس والتراتيل والأناشيد الدينية، كالتي اكتشفت في أوغاريت وغيرها على كثرتها، ولو على أثر أو ذكر واحد لـ ما يسمى بالعبرية القديمة، كدليل على وجودها غير الموجود أصلا.فمن أين جاء بها هؤلاء اليهود وصهاينتهم ومن هم على شاكلتهم من الغربيين من مستشرقين وباحثين...الخ.؟ أليس ما تقدم شرحه وتبيانه دليلا على أنها من اختراع هؤلاء المزورين الذين لفقوها وسرقوا معظم مفرداتها ونصوصها وقواعدها وأحرفها الأبجدية... عن لهجات اللغة العربية وأحرفها الابجدية القديمة؟ فأنا على يقين من حصول ذلك.

ولما كان الحسم في مثل هذه المسائل المعقدة والخطيرة، التي تصديت لها، رغم ما يكتنفها من غموض وما فيها من ملابسات وتشعبات وتضليل، في مجال اللغة ومقابلة الخطوط... لايستوى الحكم فيها استنادا للرأي الفردي، بل يحتاج الى قناعة جماعية، مستمدة علميا وواقعيا من صحة الأدلة والبراهيم الموثوقة، القاطعة الدامغة، لقطع الشك باليقين، وهذا ما جعلني أشعر بعجزي عن توفيره كاملا غير منقوص، لذلك فاني ، لهذا السبب أحيل مسؤولية القيام بهذا الواجب القومي العربي ـ الى الغيورين من العلماء والباحثين والمتخصصين العرب، راجيا أن يتابعوا عمليات البحث والاستقصاء لاستجلاء الحقائق ودحض المزاعم والادعاءات الكاذبة والكشف عما هو

مسروق ومزور وزائف...صونا للحق والتراث والتاريخ الحضاري العربي ـــ ودرءا لما يتهدده من أخطار.

ولهذا أضع صورتي النقـش والنقـود معا وبعض الجداول الـتي عرضهـا د. ربحي كمال، اضافة الى بعض الجداول للابجديات التي استعنت بها... بـين يـدي مـن يشـاء الاضطلاع عليها من العامة والمتخصصين والباحثين من أولي العزم على المضي قدما في البحث والتحري لتقديم المزيد من الأدلة والبراهين التي تثبت صحة مـا حـاولت اثباتـه هنا.. وإني لعلى ثقة بأنهم سيجدون ضالتهم ويحققون الهدف المنشود من رواء المسعى الغاية دون ريب.



رقيم تمثال الملك ـــ الظهر . من النصوص الفينيقية المكتشفة في قره تبه .

العربية الحديثة	اللاتينية	اليونانية القديمة	العربية الفينيقية الكنعانية	رأس الشمرة
ا	A	A	[illegible]	[illegible]
ب	B	β	[illegible]	[illegible]
ج	C G	Γ	[illegible]	[illegible]
د	D	Δ	[illegible]	[illegible]
هـ	E	E	[illegible]	[illegible]
و	F V	Y	[illegible]	[illegible]
ز	...	I	[illegible]	[illegible]
ح	H	B	[illegible]	[illegible]
ط	...	⊗	[illegible]	[illegible]
ي	I	≷	[illegible]	[illegible]
ك	...	K	[illegible]	[illegible]
ل	L	LΛ	[illegible]	[illegible]
م	M	M	[illegible]	[illegible]
ن	N	N	[illegible]	[illegible]
س	X	Ξ	[illegible]	[illegible]
ع	O	o	[illegible]	[illegible]
ف	P	Γ	[illegible]	[illegible]
ص	...	...	[illegible]	[illegible]
ق	Q	Φ	[illegible]	[illegible]
ر	R	P	[illegible]	[illegible]
س ش	S	Σ	[illegible]	[illegible]
ت	T	T	[illegible]	[illegible]

الأبجدية العربية الفينيقية الكنعانية هي الإغريقية القديمة وهي أصل الكتابة في الغرب [illegible]

أنظمة قديمة للأعداد:

١- مصري قديم: [illegible]

مليون – عشرة آلاف – ألف – مئة – عشرة – واحد

٢- روماني: I – II – III – IIII – V – VI – VII – VIII – IX – X – L – C

١ – ٢ – ٣ – ٤ – ٥ – ٦ – ٧ – ٨ – ٩ – ١٠ – ٥٠ – ١٠٠

٣- صيني: 一 – 二 – 三 – 四 – 五 – 六 – 七 – 八 – 九

١ – ٢ – ٣ – ٤ – ٥ – ٦ – ٧ – ٨ – ٩

ALPHABET

ALPHABET GREC

Lettres françaises correspond.	Majuscules	Minuscules	Noms des lettres	Lettres françaises correspond.	Majuscules	Minuscules	Noms des lettres	Lettres françaises correspond.	Majuscules	Minuscules	Noms des lettres
a	Α	α	alpha	i long ou bref	Ι	ι	iota	r	Ρ	ρ	rhô
b	Β	β, ϐ	bêta	k	Κ	κ	kappa	s dur	Σ	σ, ς	sigma
g	Γ	γ	gamma	l	Λ	λ	lambda	t	Τ	τ	tau
d	Δ	δ	delta	m	Μ	μ	mu	u long ou bref	Υ	υ	upsilon
é bref	Ε	ε	epsilon	n	Ν	ν	nu	f	Φ	φ	phi
dz	Ζ	ζ	dzêta	x, cs	Ξ	ξ	xi	k	Χ	χ	khi
ê long	Η	η	êta	o bref	Ο	ο	omicron	ps	Ψ	ψ	psi
th	Θ	θ, ϑ	thêta	p	Π	π	pi	ô long	Ω	ω	ôméga

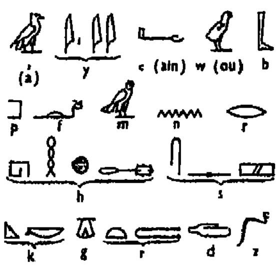
الأبجدية اليونانية القديمة

ALPHABET RUSSE

Аа Бб Вв Гг Дд Ее Жж Зз Ии Й
a b h,v ghé d yé jé ze i i
(Іі)Kk Лл Мм Нн Оо Пп Рр Сс
i k l m n o p r s
Тт Уу Фф Хх Цц Чч Шш Щщ
t ou f ka tsé tché cha chtcha
Ъъ Ьь Ыы (Ѣѣ) Ѳ Юю Яя (Ѳѳ) Ѵѵ
(dur) (mou) y yat é you ya f i

الأبجدية الروسية

°**hiérarchique**, adj. Qui appartient à la hiérarchie.
°**hiérarchiquement**, adv. D'une manière hiérarchique.
hiérarchiser, v. tr. 1er gr. Organiser sur le principe ou la base d'une hiérarchie.
hiératique, adj. Qui concerne les prêtres, les choses sacrées. *Écriture hiératique*, dans l'anc. Égypte, écriture des hiéroglyphes. *Pose hiératique*, qui évoque l'attitude d'une statue sacrée.
hiératisme, n. m. Caractère, esprit hiératique.
hiérodule, n. m. *Antiq.* Serviteur attaché à un temple.
hiéroglyphe [*gli-fe*], n. m. 1 Caractère de

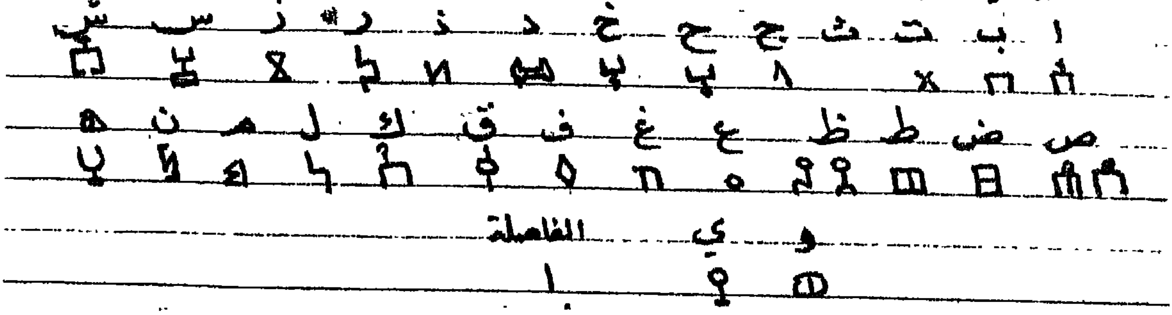


signes hiéroglyphiques

32

← يروغليفية التصويرية المصرية القديمة التي اكتشفت على حجر رشيد في مصر.

الأبجدية الحميرية المعروفة بخط المسند:







اختام فينيقية في الأول صورة « ابو الهول » الذي هو من اصل سوري ، كما يرى أمامه رمز الخصب الذي انتقل إلى وادي النيل ، وكتابة فينيقية واضحة . وفي الثاني صورة ثور رمز الخصب ورمز البعل أيضاً وكتابة فينيقية .

𐎀	A	ا	𐎊	Y	ي	𐎔	P (F)	ف
𐎁	B	ب	𐎋	K	ك	𐎕	ṣ =	ص
𐎂	G	ج	𐎌	š =	ش	𐎖	Q	ق
𐎃	ḫ =	خ	𐎍	L	ل	𐎗	R	ر
𐎄	D	د	𐎎	M	م	𐎘	ṯ =	ث
𐎅	H	هـ	𐎏	ḏ =	ذ	𐎙	ġ =	غ
𐎆	W	و	𐎐	N	ن	𐎚	T	ت
𐎇	Z	ز	𐎑	ẓ =	ظ	𐎛	I	إ
𐎈	ḥ =	ح	𐎒	S	س	𐎜	U	ؤ
𐎉	ṭ =	ط	𐎓	ʿ =	ع	𐎝	(S)	(س)

المسمارية العربية الاوغاريتية الرافدية الاصل

ܐܠܦܒܝܬ ܣܘܪܝܝܐ

اولف ܐ	ܐ	ܐ	ܐ	[illegible]
بيت ܒ	ܒ	ܒ	ܒ	[illegible]
گومل ܓ	ܓ	ܓ	ܓ	[illegible]
دولت ܕ	ܕ	ܕ	ܕ	[illegible] او [illegible] : [illegible] او [illegible]
هي ه ܗ	ܗ	ܗ	ܗ	[illegible]
و - واو ܘ	ܘ	ܘ	ܘ	[illegible]
ز - زين ܙ	ܙ	ܙ	ܙ	[illegible]
ح - حيت ܚ	ܚ	ܚ	ܚ	[illegible]
ط - طيت ܛ	ܛ	ܛ	ܛ	[illegible]
ي يود ܝ	ܝ	ܝ	ܝ	[illegible]
ك - كوف ܟ	ܟ	ܟ	ܟ	[illegible]
ل - لومد ܠ	ܠ	ܠ	ܠ	[illegible]
م - ميم ܡ	ܡ	ܡ	ܡ	[illegible]
ن - نون ܢ	ܢ	ܢ	ܢ	[illegible]
س - سمكت ܣ	ܣ	ܣ	ܣ	[illegible]
ع - عين ܥ	ܥ	ܥ	ܥ	[illegible]
ف - فا ܦ	ܦ	ܦ	ܦ	[illegible]
ص - صودي ܨ	ܨ	ܨ	ܨ	[illegible]
ق - قوف ܩ	ܩ	ܩ	ܩ	[illegible]
ر - ريش ܪ	ܪ	ܪ	ܪ	[illegible]
ش - شين ܫ	ܫ	ܫ	ܫ	[illegible]
ت - تاو ܬ	ܬ	ܬ	ܬ	[illegible]

ابجدية اللهجة العربية السريانية التي تكلم بها المسيح وهي احدى لهجات الاباء العرب الأقدمين المقدسين الثلاثة والأرامية هي فصحى السريانية. وهي ٢٢ حرفاً

جدول أسماء الإشارة

في اللغات السامية

بابلي آشوري	عبري		سبئي-معيني	آرامي	عربي	حبشي
Suatu	זֶה	Zé	Zan. S	Hona	ذا ، هذا	Ze
Satu	הַלָּזֶה (١)	Hallazé				
Siati	זֹאת	Zot	Zat	Hode	ذه هذه ، ذات(٢)	Za
Ulū	הַהוּא	Hahou	Hua	Hau	ذلك	Zekū, zekuetū
Ullītu	הַהִיא	Hahi	Hia	Hoj	تلك	Entakti, enteku
Ullūti	הָהֵם	Hahem		Holen	أولاء ، هؤلاء	Ellektu, elleknetu
Allāti	הָהֵן	Hahen		Halen	« « «	Ellū
Suatunu (m.)	אֵלּוּ	Eillou				(Elū)
Satunu (m.)	אֵלֶּה	Eilleh	Elun	Honoun	« « «	(Ellā)
Suatina (f.)	אֵלֶּה	«	Ulay	Honēn	« « «	Ella
Satina (f.)						

(١) تقابل هذه اللفظة لفظة « الذي » التي ورد استعمالها اسماً موصولاً في العربية .

(٢) ورد في بعض اللهجات العربية القديمة استعمال « ذات » اسم إشارة للمفردة المؤنثة .

جدول ضمائر الرفع المنفصلة في اللغات السامية

بابلي آشوري	عبري		سبئي-معيني	آرامي	عربي	حبشي
anaku	אנכי אני	anohi, ani	ana	ena (eno)	أنا	ana
atta	אתה	atta	anta	atta (ant)	أنتَ	anta
atti	את	att (atti)	anti	att (anti)	أنتِ	anti
Su	הוא	hu	hua	hu	هو	we étu
Si	היא	hi	hia	hi	هي	ye éti
anini	אנחנו	anahnu	nahnu	ennahnan	نحن	nehna
aninu, nini	נחנו	nahnu	"	hnan	"	"
attunu	אתם	attem, attema	?	attun	أنتم ، أنتما	antemmu
attina	אתן	atten, attena	?	atten	أنتن ، أنتما	anten
Sunu	הם	hemma, hem	humà	(enoun)henoun	هم ، هما	emuntu we'etomu
Sina	הן	henna, hen	hunà	(enen) henen	هن ، هما	emantu we'eton

الحركات : הַתְּנוּעוֹת

تنقسم الحركات العبرية الى حركات صغرى وكبرى . وإليك بيانها .

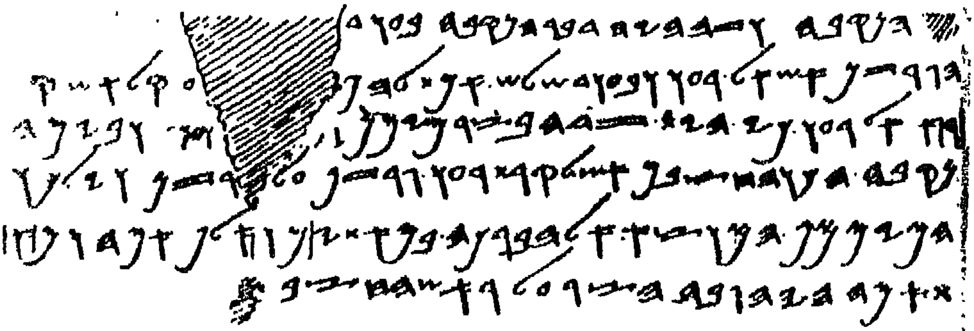
١ — الحركات الصغرى : הַתְּנוּעוֹת הַקְּטַנּוֹת

الحركة	تسميتها	اللام مشكولة بها	طريقة النطق بها
◌ַ	פַּתַח بتاح	לַ	لَ
◌ֶ	סֶגּוֹל سيجول	לֶ	لِـ (بالإمالة) 1.e
◌ִ	חִירִיק קָטָן حيريق قطان	לִ	لِ
◌ֹ	חוֹלֶם קָטָן حولام قطان	לֹ	لُ بالضمة المتوحة 1.o
◌ֻ	קִבּוּץ قبوص	לֻ	لُ

٢ — الحركات الكبرى : הַתְּנוּעוֹת הַגְּדוֹלוֹת

الحركة	تسميتها	اللام مشكولة بها	طريقة النطق بها
◌ָ	קָמָץ قاص	לָ	لا
◌ֵ	צֵירֵה صيري	לֵ	لي (بالإمالة) 1.e
◌ִי	חִירִיק גָּדוֹל حيريق جدول	לִי	لي
וֹ	חוֹלֶם גָּדוֹל حولام جدول	לוֹ	لو (بالضمة المتوحة) 1.o
וּ	שׁוּרוּק شروق	לוּ	لُو

بالقرب من بيت المقدس في قرية « سلوان »(١) حيث وجد داخل مغارة ينبع منها الماء وإليك نصه .



يصف هذا النقش عملية الحفر في الجبل لجلب مياه النبع إلى بركة داخل المدينة القديمة في عهد الملك حزقيال ، أي حوالى سنة ٧٠٠ ق.م ووضع العمال هذا النقش منحوتاً على جدران النبع لتخليد ذكرى عملهم . ويوجد هذا النص إلى الآن على حالته الأصلية .

نقود عبرية قديمة



ירושלים הקדושה
(أورشليم المقدسة)

שקל ישראל שב
(ريال إسرائيلي سنة ٢)
أي سنة ٦٧ ب. م.

---

(١) « سلوان » تحريف الكلمة العبرية « שלח » الذي هو منبع الينبوع الذي كشف فيه هذا النقش

الأبجدية : אָלֶף בֵּית

الحرف القديم	الحرف المربع الحالي	شكله في آخر الكلمة	الحرف اليدوي	تسميته	معناه	قيمته الرقمية	ما يقابله بالعربية
𐤀	א		א	آلِف	ثور	١	ا
𐤁	ב		ב	بيت	بيت	٢	ب
𐤂	ג		ג	جيمَل	جمَل	٣	ج مصرية
𐤃	ד		ד	دالت	باب	٤	د
𐤄	ה		ה	هي	شبكة	٥	هـ
𐤅	ו		ו	ڤاف V	وتد	٦	ڤ V
𐤆	ז		ז	زاين	سلاح	٧	ز
𐤇	ח		ח	حيت	حائط	٨	ح
𐤈	ט		ט	طيت	حنش	٩	ط
𐤉	י		י	يود	يد	١٠	ي
𐤊	כ	ך	כ ך	كاف	كف اليد	٢٠	ك
𐤋	ל		ל	لامِد	عصا لضرب البقر	٣٠	ل
𐤌	מ	ם	מ ם	ميم	ماء	٤٠	م
𐤍	נ	ן	נ ן	نون	حوت	٥٠	ن
𐤎	ס		ס	سامخ	مسند	٦٠	س
𐤏	ע		ע	عاين	عين	٧٠	ع
𐤐	פ	ף	פ ף	P ف	فم	٨٠	پ
𐤑	צ	ץ	צ ץ	صادي	صدّيق	٩٠	ص
𐤒	ק		ק	قوف	سمّ الخياط	١٠٠	ق
𐤓	ר		ר	ريش	رأس	٢٠٠	ر
𐤔	שׁ		שׁ	شين	سنّ	٣٠٠	ش
𐤔	שׂ		שׂ	سين	سنّ	—	س
𐤕	ת		ת	تاف	علامة	٤٠٠	ت

اللغات السامية ، ومنه تتضح مسافة البعد أو القرب بين هذه اللغات . وتمثل العبرية في هذا الجدول جميع اللهجات الكنعانية ، وتمثل السريانية جميع اللهجات الآرامية ، وتمثل الجزرية جميع لهجات جنوب بلاد العرب والحبشة .

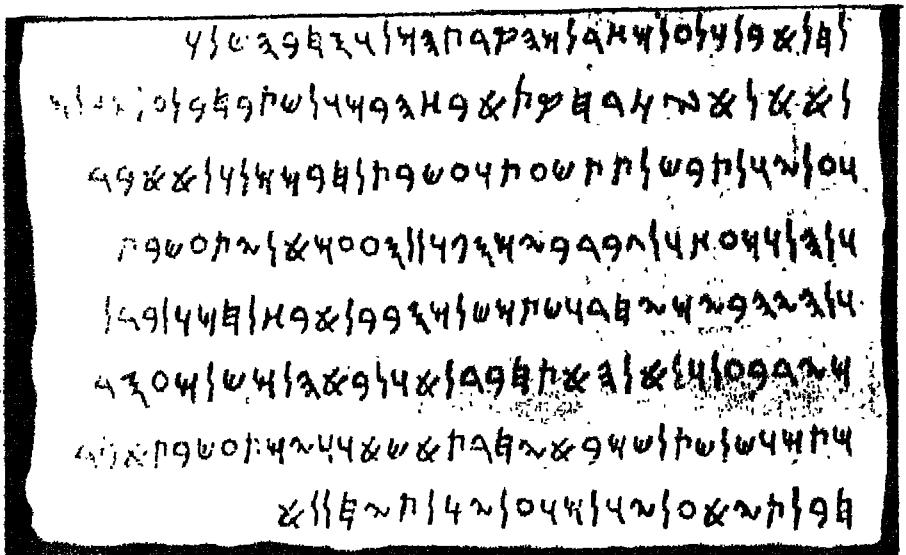
عربي	آشوري بابلي	عبري	سرياني	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
أبٌ	أبو	أب	أبا	أب
ابنٌ	بنو	بن(١)	برا	بن
أخٌ	أخو	أح	أحا	أخو
أخذَ ، يأخذ	إخوذ	أخز يأخز	أحد نحود	أخز ياخز
أذنٌ	أزنو	أزن	اودنا	أزن
اثنان	شنا	شنام	ترن	سنيت
أرضٌ	أرصتو	أرص	أرعا أرقا	أرض
أربعٌ	أربعو	أربع	أربع	أربع
إسمٌ	شومو	شم	شما	سم
أمٌّ	أمو	أم	أما	أم
إنسانٌ	نشو	انوش	ناشا	انس
أنفٌ	أبو	أف	أباپا	أنف
أنثى	أشتتو	إشه	أتتا	أنست
بئرٌ	بورو	بور	بيرا	بئر (سبئي)
بصلٌ	بلو	بصل	بصلا	بصل
بكى	إبكي	بكا يبكه	بكا نبكه	بكا يبكي
بلدٌ	بنتو	بت	برتا	ملت
بيتٌ	بيتو	بيت	بيتا	بيت
جملٌ	جملو	جمل	جملا	جمل

(١) لنمكن القارئ من النطق الصحيح للأصوات استعملنا الصوت اللاتيني (e) للدلالة على الكسرة الممالة التي تماثل بالعبرية حركتي الصيري والسيجول وبالسريانية تماثل حركة الزيوصو ؛ واستعملنا الصوت اللاتيني (o) للدلالة على حركة الضمة المنحوطة التي تماثل بالعبرية حركة الحولام .

عربي	أشوري بابلي	عبري	سرياني	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
دَمٌ	دمو	دم	دما	دم
هيكلٌ	هيكلو	هيكال	هيكل	هيكل
هُوَ	سو	هو	هو	هوا
وَ - حرف عطف	وَ	وَ	وَ	و
ولد، يولد	ولد	يلد	يلد	ولد
ورق	ورقو	يرق يرق	يرقا	ورق (الذهب)
وقر، وقار	وقرو	يقر	ايقر يقر	وقر
ولد يلد	وليد	يلد يلد	ايلد يلد	ولد يلد
زرع	زرعو	زرع	زرعا	زرع
حبل	ابلو	حبل	حبلا	حبل
حقر - يحقر	حقو	حقر يحقر	حقرا	حقر
حم	امو	حام	حما	حم
حار	امرو	حور	حارا	حار
طحن - يطحن	اطن	طحن - يطحن	طحن نطحن	طحن
طعم	طمو	طعم	طعما	طعم
طيب	طبو	طوب	طبا	طيب
يد	إدو	يد	إيدا	أد
يمين	إمنو	يمين	يمينا	يمن
يوم	أمنو	يوم	يوما	يوم
كبد	كبتو	كبد	كبدا	كبد
كرش	كرشو	كرس	كرسا	كرش
كلب	كلبو	كلب	كلبا	كلب
كوكب	كاكبو	كوكب	كوكبا	كوكب

عربي	آشوري بابلي	عبري	سرياني	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
لُبٌّ (قلب)	لِبُّو	لِب	لِبَّا	لِبّ
لَبِس	لبش	لبش، لابش	لبش	لبس
لسان	لِشانو	لشون	لشنا	لسان
لهب	لابو	لهب	شلهب	لهب
ليل	ليلتو	ليله، ليل	ليليا	ليلة
ماء	مو	مايم	مايا	ماي
مائة	مأتو	مأه	ماه	مأت
مَتى	مَتِي	مَتِي	أمت	مت
ملك	ملكو	ملك	ملكا	ملكي
موت	موتو	موت	موتا	موت
نسر	نشرو	نشر	نشرا	نسر
نفخ	نفخ	نفح	نفح	نفخ
نفس	نفشتو	نفش	نفشا	نفس
نمر	نمرو	نمر	نمرا	نمر
سبع (٧)	سبو	شبع	شبع	سبعو
ستّ	ششتو	شش	شتا	سدس
سُكْر	شيكرو	شكر	شيكرا	سكر
سلام	شلمو	شلم، شلوم	شلما	سلام
سِنّ	شِنّو	شن	شنا	سن
سنبلة	شوبلتو	شبلت	شبلتا	سبل
سأل	إشال	شال	شأل	سال
سماء	شمو	؟	شمايا	سماي
عشر	عشرو	عشر	عسر	عشرو

عربي	آشوري بابلي	عبري	سرياني	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
[illegible]	عصمتو	عصم	عطما	عظم
[illegible]	عقربو	عقرب	عقربا	عقرب
[illegible]	ألي	عل	عل	على
[illegible]	إنبو	عنب	عنبا	عنب
[illegible]	إنو	عين	عينا	عين
[illegible]	إبِت	فتح	فتح	فتح
[illegible]	پو	په	پوما	أف
[illegible]	صرخ	صرخ	صرخ	صرخ
[illegible]	قرب	قرب	قرب	قرب
[illegible]	قرنو	قرن	قرنا	قرن
[illegible]	قو	قيء (تقيؤ)	قيا (تقيؤ)	قيح (قاكية)
[illegible]	قشتو	قشت	قشتا	قست
[illegible]	رشو	روش	ريشا	راس
رحِمٌ	إرم	رحم	رحم (أحب)	رحم
رحَضَ	رحص	رحص	رحص	رحض
ركِبَ	ركب	رخب	ركب	ركب
شمسٌ	شمشو	شمش	شمشا	شمس
شعرٌ	شرتو	سعر	سعرا	سعرت
لسنٌ	لِشنو	لشن	لشن	لسن
ثلاثٌ	شلاشو	شلوش	تلات	شلاس
ثورٌ	شورو	شور	تورا	سور
خمسٌ (٥)	خمشو	حمش	حمشا	خمس
خنزيرٌ	خُمسر	حزير	حزيرا	خنزير



النص الفينيقي المكتشف على صخرة «بارايبا» في البرازيل وترجمته إلى العربية الحديثة. يعود إلى بداية الألف الأول قبل الميلاد، أي إلى ما يقرب من ألفي سنة قبل كريستوف كولومبس.

مما جاء في النص: «... وبفضل مقاومة الرجال في البحر تمكنا في عشر مراكب من أن ندور حول أرض حام (افريقيا) لمدة سنتين، لكن عاصفة من يد بعل فرقتنا، ولذلك انفصلنا عن رفاقنا، وجئنا إلى هنا، ونحن اثنا عشر رجلاً وثلاث نساء إلى ساحل جديد بإشرافي أنا الأميرال. ونرجو من الآلهة أن يظهروا لنا (أن ينعموا علينا)».

وبمناسبة الحديث عن التزوير للتاريخ.. لفت نظري قـدم التـاريخ العـبري، الـذي درجـت المكتبة الهاشمية بدمشق، على تدوينه في تقويمها، الذي تصدره سنويا منذ العام ١٩١٨ وحتى اليوم، ففي هذه السنة ١٩٩٥ يكون التاريخ العبري ٥٧٥٠، فمـن أيـن جاء ولمـن نسـب؟؟، فـاذا كـان نسـبة لظهـور ـ ابراهيـم وحفيـده يعقـوب ـ المكنـى باسـرائيل، فـان ظهـوره كـان في أواخـر القـرن التاسـع عشـر ق.م أي منـذ قرابـه ٣٧٥٠عاماً، أما اذا كان نسبه لظهور موسى واليهودية من بعده، فان ظهوره كـان في القرن الثالث عشر ق.م، أي منذ حوالي ٣٢٠٠عام، إننا لانجد في قدم التـاريخ العـبري هذا إلاّ تاريخ تأسيس الدولة السورية القديمة والدولـة المصريـة في عهـد الأسـرة الأولى بمفيس، فمن أين جاء إذن مما يؤكد أنه بدعة ومن اختراع المزورين اليهود، ومع ذلك يكرس في تقويماتنا السنوية.

خاتمة

لذلك نعود لنؤكد من جديد على ضرورة عدم اعتماد التوراة والمصادر الغربية كمراجع تاريخية للتاريخ الحضاري العربي ونتعشم من جميع الغيورين ومن هم في موقع المسؤولية ولهم نصيب في اتخاذ القرارات الهامة على المستوى العربي، المبادرة الى العمل لاعادة صياغة التاريخ العربي وبخاصة القديم منه، في ضوء الحقائق التي اثبتتها المعلومات والوثائق الأثرية المكتشفة في الوطن العربي ومحيطه، وذلك للخروج من المتاهات التي وضعتنا فيها... قوى التزوير والتضليل والغزو الثقافي المعادي... وحرصا على أمتنا العربية وأجيالها من الضياع والتفكك، وفقدان الهوية والروابط والمشاعر القومية العربية باعتبارها شرطا وأساسا لاغنى عنه للعمل النضالي القومي العربي، في سبيل التحرر والواحدة والتقدم واحتلال المكان اللائق بنا كأمة بين الأمم الأخرى في هذا العالم، الذي ليس فيه مكان لضعيف ومتخلف إلا الأماكن الملحقة والمخصصة للعبيد خدم الأقوياء المتفوقين.... الخ." **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم**"

وأخيرا لابد من التنويه الى أننا لاندعوا الى التعصب العرقي أو القومي او الديني أو أي نوع من أنواع العنصرية أو التحامل على الأديان والقوميات والأمم الأخرى ولدورها الحضاري أو التنكر لحقوقها في الحرية والاستقلال... وتحقيق التقدم... من خلال ما ذهبنا اليه في محاولتنا هذه لابراز حقائق الدور الحضاري الذي لعبه العرب وشكل الأساس لقيام الحضارات العالمية الأخرى في التاريخين القديم والمتوسط.

كما أننا لا نعني في مؤاقفنا وأحكامنا وأداناتنا هذه للدور السلبي والمعادي الذي لعبه اليهود والغرب، منذ القدم وحتى اليوم، انهم جميعا ودون استثناء، أوباش قد جُبلوا على الطمع والغدر والحقد والكراهية والشر.... فلا شك في أن هناك أناس منهم ليسوا كذلك، لاسيما تلك النخبة من الأدباء والمفكرين والكتاب والعلماء والباحثين.. الذين أنصفونا حينما نطقوا بالحق والحقائق وبرهنوا عن نزعات أخوية انسانية... خالصة وعن تجرد صادق... ولكن هؤلاء لايشكلون حتى الآن أكثر من بصيص نور في بحر من الظلام الدامس، ولذا كنا ومازلنا مدفوعين للدفاع عن حقنا ووجودنا كأمة عربية تعرضت وتاريخها وحضارتها.. لأبشع أنواع التزوير والتشويه والطمس.. وذلك على النحو الذي عرضناه في هذا الكتاب من وقائع واستشهادات وحقائق آملين أن نكون قد أسهمنا في اعادة الأمور الى نصابها التاريخي والحضاري... الحقيقيين.. للوطن العربي وللأمة العربية وللآخرين. **والله ولي التوفيق**

محتويات الكتاب

الفصل الثالث:

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

الفصل السادس:

الفصل السابع:

الفصل الثامن:

الفصل التاسع:

الفصل العاشر:

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر:

يتبع المحتويات:

الفصل الثالث عشر:

الفصل الرابع عشر:

الفصل الخامس عشر:



كأس كنعانية فينيقية من الفضة

دار عشتروت للنشر

دمشق – ص . ب : ٢٩١٥٣

الحسكة ص . ب : ٧٣